إيقاظ الهمم شرح متن الحكم

ابن عجيبة

To PDF: www.al-mostafa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفقير إلى مولاه الغني به عما سواه أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني لطف الله به وحباه أن أولى ما عقد عليه الجنان. ونطقت به ألسنة الفصاحة والبيان. وخطت به أقلام البنان. حمد الفتاح العليم الكريم المنان الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه بمحبته. واختص أرواحهم بشهود عظمته. وهيأ أسرارهم لحمل أعباء معرفته. فقلوبهم في روضات جنات معرفته يحبرون. وأرواحهم في رياض ملكوته يتنزهون. وأسرارهم في بحار جبروته يسبحون. فاستخرجت أفكارهم يواقيت العلوم. ونطقت ألسنتهم بجواهر الحكم ونتائج الفهوم. فسبحان من اصطفاهم لحضرته. واختصهم بمحبته. فهم بين سالك ومجذوب. ومحب ومحبوب. أفناهم في محبة ذاته. وأبقاهم بشهود آثار صفاته. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد منبع العلوم والأنوار. ومعدن المعارف والأسرار. ورضى الله تعالى عن أصحابه الأبرار. وأهل بيته الأطهار أما بعد كل شيء وقبله ومعه. فعلم التصوف من أجل العلوم قدراً. وأعظمها محلاً وفخراً. وأسناها شمساً وبدراً. وكيف لا وهو لباب الشريعة. ومنهاج الطريقة. ومن تشرق أنوار الحقيقة. وكان أعظم ما صنف فيه الحكم العطائية. التي هي مواهب لدنية. وأسرار ربانية. نطقت بها أفكار قدوسية. وأسرار جبروتية. ولقد سمعت شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول سمعت الفقيه البناني يقول كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحياً ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم أو كما قال ولقد طلب مني شيخناً العارف الواصل المحقق الكامل سيدي محمد البوزيدي الحسني أن أضع عليها شرحاً متوسطاً يبين المعنى ويحقق المبنى معتمداً في ذلك على حول الله وقوته. وما يفتح الله به من خزائن علمه وحكمته. أو ما كان مناسباً لتلك الحكمة من كلام القوم فأجبت طلبته وأسعفت رغبته. رجاء أن يقع به الأمناع ويعم به الانتفاع. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وسميته أيقاظ الهمم في شرح الحكم جعله الله خالصا لوجهه العظيم بجاه نبينا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ولنقدم بين يدي الكتاب مقدمتين احداهما في حد التصوف وموضوعه وواضعه واسمه واستمداده وحكم الشارع فيه وتصور مسائله وفضيلته ونسبته وثمرته والمقدمة الثانية في ترجمة الشيخ وذكر محاسنه أما حده فقال الجنيد هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وقال أيضاً أن يكون مع الله بلا علاقة وقيل الدخول في كل خلق سني والخروج من كل خلق دني وقيل هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام وقيل أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء وقيل أسترسال النفس مع الله على ما يريد

وقيل التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار. والتحقق بالبذل والإيثار وترك التدبير والاختيار وقيل الاخذ بالحقائق. والا ياس مما في أيدى الخلائق. وقيل ذكر مع اجتماع. ووجد مع استماع. وعمل مع اتباع وقيل الأنافة على باب الحبيب وأن طرد. وقيل صفوة القرب. بعد كدرة البعد. وقيل الجلوس مع الله بلاهم وقيل هو العصمة عن رؤية الكون والصوفى الصادق علامته ان يفتقر بعد الغني ويذل بعد العز ويخفي بعد الشهرة وعلامة الصوفي الكاذب أن يستغني بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتهر بعد الخفاء قاله أبو حمزة البغدادي وقال الحسن بن منصور الصوفي واحد في الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحداً وقيل الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه الا كل مليح ويطؤه البر والفاجر وقالوا من أقبح كل قبيح صوفي شحيح وقال الشبلي الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى واصطنعتك لنفسي ثم قال أيضا الصوفية أطفال في حجر الحق وقيل الصوفي لا تقله الأرض ولا تظله السماء يعني لا يحصره الكون وقال الشيخ زروق رضى الله عنه قد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو الالفين ترجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى وإنما هي وجوه فيه والله اعلم ثم قال والاختلاف في الحقيقة الواحدة أن كثر دل على بعد ادراك جملتها ثم هو أن رجع لأصل واحد يتضمن جملة ما قيل فيها كانت العبارة عنه بحسب ما فهم منه وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله وأعتبار كل واحد على حسب مثاله علماً وعملاً وحالاً وذوقاً وغير ذلك والاختلاف في التصوف من ذلك فمن أجل ذلك الحق الحافظ أبو نعيم رحمه الله بغالب أهل حليته عند تحلية كل شخص قولاً من أقوالهم يناسب حاله قائلاً وقيل أن التصوف كذا فأقتضى أن كل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف وأن تصوف كل أحد صدق توجهه

فأفهم اه وقال أيضاً قاعدة صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرطه ولا يرضى لعباده الكفر فلزم تحقيق الايمان وأن تشكروا يرضه لكم فلزم العمل بالاسلام فلا تصوف الا بفقه اذ لا تعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه ولا فقه ألا بتصوف اذ لا عمل الا بصدق توجه ولاهما ألا بايمان أذ لا يصح واحد منهما بدونه فلزم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد أذ لا وجود لها ألا فيها كما لا كمال لها أي للأشباح ألا بها ومنه قول مالك رحمه الله من تصوف و لم يتفقه فقد تزندق. ومن تفقه و لم يتصوف فقد تفسق. ومن جمع بينهما فقد تحقق قلت تزندق الأول لأنه قائل بالجبر الموجب لنفي الحكمة والأحكام وتفسق الثاني لخلو علمه عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله وعن الأخلاص المشروط في الأعمال وتحقق الثالث لقيامه بالحقيقة في عين تمسكه بالحق فاعرف ذلك اذ لا وجود لها إلا فيها كما لا كمال له الا به فأفهم اه وأما موضوعه فهو الذات العلية لأنه يبحت عنها باعتبار معرفتها أما بالبرهان أو بالشهود والعيان فالأول للطالبين والثاني

للواصلين وقيل موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الأول لأن من عرف نفسه عرف ربه وأما واضع هذا العلم فهو النبي صلى الله عليه وسلم علمه الله له بالوحي والإلهام فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشريعة فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة فخص بها بعضاً دون بعض وأول من تكلم فيه وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه وأخذه عنه الحسن البصري وأمه أسمها خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأبوه مولى زيد بن ثابت توفي الحسن سنة عشر ومائة وأخذه عن الحسن حبيب العجمي وأخذه عن حبيب أبو سليمان داوود الطائي توفي سنة ستين ومائة وأخذه عن داوود أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي رضي الله عنه وأخذه عن معروف الكرخي أبو الحسن سري بن مغلس السقطي توفي سنة إحدى وخمسين ومائة وأخذه عن السري أمام هذه الطريقة ومظهر أعلام الحقيقة أبو القاسم محمد بن الجنيد الخزار أصله من نهاوند ومنشؤه العراق تفقه على أبي ثور وصحب الشافعي فكان يفتي على مذهب أبي ثور ثم صحب خاله السري وأبا الحارث المحاسبي وغيرهما وكلامه وحقائقه مدون في الكتب توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين ومائتين وقبره ببغداد مشهور يزار ثم انتشر التصوف في أصحابه وهلم جرا ولا ينقطع حتى ينقطع الدين ومن رواية أخرى أخذه عن سيدنا علي رضي الله عنه أول الاقطاب سيدنا الحسن ولده ثم عنه أبو محمد جابر ثم القطب سعيد الغزواني ثم القطب فتح السعود ثم القطب سعد ثم القطب سعيد ثم القطب سيدي أحمد المرواني ثم إبراهيم البصري ثم زين الدين القزويني ثم القطب شمس الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب نور الدين أبو الحسن ثم القطب فخر الدين ثم القطب تقى الدين الفقير بالتصغير فيهما ثم القطب سيدي عبد الرحمن المدني ثم القطب الكبير مولاى عبد السلام بن مشيش ثم القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي ثم خليفته أبو العباس المرسى ثم العارف الكبير سيدي أحمد بن عطاء الله ثم العارف الكبير سيدي داوود الباخلي ثم العارف سيدي محمد بحر الصفا ثم العارف ولده سيدي على ابن وفا ثم الولي الشهير سيدي يحيى القادري ثم الولي الشهير سيدي أحمد بن عقبه الحضرمي ثم الولي الكبير سيدي أحمد زروق ثم سيدي ابرهيم أفحام ثم سيدي على الصنهاجي المشهور بالدوار ثم العارف الكبير سيدي عبد الرحمن المجذوب ثم الولي الشهير سيدي يوسف الفاسي ثم العارف سيدي عبد الرحمن الفاسي ثم العارف سيدي محمد بن عبد الله ثم العارف سيدي قاسم الخصاصي ثم العارف سيدي أحمد بن عبد الله ثم العارف سيدي العربي بن عبد الله ثم العارف الكبير سيدي على بن عبد الرحمن العمراني الحسني ثم العارف الشهير شيخ المشايخ سيدي ومولاي العربي الدرقاوي الحسني ثم العارف الكامل المحقق الواصل شيخنا سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني ثم عبد ربه وأقل عبيده أحمد ابن محمد بن عجيبة الحسني ثم عنه خلق كثير والمنة لله العلي الكبير وأما اسمه فهو علم التصرف واختلف في اشتقاقه على أقوال كثيرة ومرجعها إلى خمس أولها

أنه من الصوفة لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له الثاني من صوفة القفالليها فالصوفي هين لين كهي

الثالث أنه من الصفة أذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الاوصاف المذمومة الرابع أنه من الصفاء وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله في الصوفي

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا   جهلا وظنوا أنه مشتق من الصوف

ولست أمنح هذا الأسم الافتى   صافي فصوفي حتى سمى الصوفي

الخامس أنه منقول من صفة المسجد النبوي الذي كان منزلاً لأهل الصفة لأن الصوفي تابع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وهو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه قاله الشيخ زروق رحمه الله وأما استمداده فهو مستمد من الكتاب والسنة والهامات الصالحين وفتوحات العارفين وقد أدخلوا فيه أشياء من علم الفقه لمس الحاجة إليه في علم التصوف حررها الغزالي في الإحياء في أربعة كتب كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهلكات وكتاب المنجيات وهو فيه كمال لا شرط إلا ما لا بد منه في باب العبادات والله تعالى أعلم وأما حكم الشارع فيه فقال الغزالي إنه فرض عين إذا لا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام وقال الشاذلي من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر وحيث كان فرض عين يجب السفر إلى من يأخذه عنه إذا عرف بالتربية واشتهر الدواء على يده وأن خالف والديه حسبما نص عليه غير واحد كالبلالي والسنوسي وغيرهما قال الشيخ السنوسي النفس إذا غلبت كالعدو إذا فجأ تجب مجاهدتها والاستعانة عليها وان خالف الوالدين كما في العدو أذا برز قاله في شرح الجزيري وما أحسن قول القائل

أخاطر في محبتكم بروحي   وأركب بحركم أما وأما

وأسلك كل فج في هواكم   وأشرب كأسكم لو كان سماً

ولا أصغى إلى من قد نهاني   ولي أذن عن العذال صما

أخاطر بالخواطر في هواكم   وأترك في رضاكم أبا وأما

وأما تصور مسائله فهي معرفة اصطلاحاته والكلمات التي تتداول بين القوم كالأخلاص. والصدق. والتوكل والزهد. والورع. والرضى. والتسليم. والمحبة. والفناء. والبقاء. وكالذات. والصفات. والقدرة. والحكمة. والروحانية. والبشرية وكمعرفة حقية الحال والوارد والمقام وغير ذلك وقد ذكر القشيري في

أول رسالته جملة شافية وقد كنت جمعت كتاباً فيه مائة حقيقة من حقائق التصوف سميته معراج التشوف إلى حقائق التصوف فليطالعه من أراده ليستعين به على فهم كلام القوم ثم قلت بل التحقيق في مسائل هذا العلم أنها القضايا التي يبحث عنها السالك في حال سيره ليعمل بمقتضاها ككون الأخلاص شرطاً في العمل وكون الزهد ركناً في الطريق وكون الخلوة والصمت مطلوبين وأمثال هذه القضايا فهي مسائل هذا الفن فينبغي تصورها قبل الشروع في الخوض فيه علماً وعملاً والله تعالى أعلم وأما فضيلته فقد تقدم أن موضوعه الذات العالية وهي أفضل على الاطلاق فالعلم الذي يتعلق بها أفضل على الاطلاق اذ هو دال بأوله على خشية الله تعالى وبوسطه على معاملته وبآخره على معرفته والأنقطاع إليه ولذلك قال الجنيد لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه وقال الشيخ الصقلي رضي الله عنه في كتابه المسمى بأنوار القلوب في العلم الموهوب قال وكل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا ينزف وقال آخر اذا رأيت من فتح له في التصديق بهذه الطريقة فبشره وإذا رأيت من فتح له في الفهم فيه فاغتبطه واذا رأيت من فتح له في النطق فيه فعظمه واذا رأيت منتقدا عليه ففر منه فرارك من الاسد واهجره وما من علم الا وقد يقع الاستغناء عنه في وقت ما الا علم التصوف فلا يستغنى عنه أحد في وقت من الأوقات وأما نسبته من العلوم فهو كلي لها وشرط فيها إذ لا علم ولا عمل الا بصدق التوجه الى الله تعالى فالأخلاص شرط في الجميع هذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب وأما باعتبار الوجود الخارجي فالعلوم توجد في الخارج بدون التصوف لكنها ناقصة أو ساقطة ولذلك قال السيوطي نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو يعني هو كمال فيها ومحسن لها وقال الشيخ زروق رضي الله عنه نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لأنه مقام الاحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل أن تعبد الله كأنك تراه الحديث اذ لا معنى له سوى ذلك إذ مداره على مراقبة بعد مشاهدة أو مشاهدة بعد مراقبة والا لم يقم له وجود ولم يظهر موجود فافهم اه ولعله أراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الاثر بالله وأما فائدته فتهذيب القلوب ومعرفة علام الغيوب أو تقول ثمرته سخاوة النفوس وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق وأعلم أن هذا العلم الذي ذكرنا ليس هو اللقلقة باللسان وإنما هو أذواق ووجدان ولا يؤخذ من الأوراق وإنما يؤخذ من أهل الأذواق وليس ينال بالقيل والقال وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح وبالله التوفيق وأما ترجمة الشيخ فهو الشيخ الامام تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسباً المالكي مذهباً الأسكندري داراً القرافي مزاراً الصوفي حقيقة الشاذلي طريقة

أعجوبة زمانه ونخبه عصره وأوانه المتوفي في جمادى الآخر سنة تسع بتقديم التاء وسبعمائة قاله الشيخ زروق وقال في الديبلج المرهب كان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث وفقه ونحو وأصول وغير ذلك كان رحمه الله متكلماً على طريق أهل التصوف واعظا انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه قلت وقد شهد له شيخه أبو العباس المرسي بالتقديم قال في لطايف المنن قال لي الشيخ الزم فو الله لئن لزمت لتكونن مفتياً في المذهبين يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن وقال فيه أيضاً والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله وقال فيه أيضاً والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك شأن عظيم قال فكان بحمد الله مالا أنكره وله من التأليف خمسة التنوير في اسقاط التدبير ولطائف المنن في مناقب

شيخه أبي العباس وشيخه أبي الحسن وتاج العروس وهو مؤلف منا ومفتاح الفلاح في الذكر وكيفية السلوك وله أيضاً القول المجرد في الاسم المفرد والحكم الذي أردنا أن نتكلم عليه ومضمنه من علوم القوم أربعة الأول علم التذكير والوعظ وقد حاز منه أوفر نصيب وهو لمقام العوام وتستفاد مواده من كتب ابن الجوزي وبعض تأليف المحاسبي وصدور كتب الأحياء والقوت وتحبير القشيري وما جرى مجراها والله أعلم الثاني تصفية الأعمال وتصحيح الأحوال بتحلية الباطن بالأخلاق المحمودة وتطهيره من الأوصاف المذمومة وهذا حظ المتوجهين من الصادقين والمبتدئين من السالكين وقد حاز منها جملة صالحة ومادتها من كتب الغزالي والسهر وردي ونحوهما الثالث تحقيق الأحوال والمقامات وأحكام لا ذواق والمنازلات وهو نصيب المستشرفين من المريدين والمبتدئين من العارفين وهذا النوع من أكثر ما وقع فيه ومادته من مثل كتب الحاتمي في المعلاملات والبوني في النازلات إلى غير ذلك الرابع المعارف والعلوم الالهامية وفيه منها ما لا يخفى لكن كتبه ملئت بشرحها لا سيما التنوير ولطائف المنن اللذان هما كالشرح لجملة هذا الكتاب وبالجملة فهو جامع لما في كتب الصوفية المطلولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الألفاظ والمسلك الذي سلك فيه مسلك توحيدي لا يسع أحداً أنكاره ولا الطعن فيه ولا يدع للمعتنى به صفة حميدة الاكساه أياها ولا صفة ذميمة الا أزالها عنه بأذن الله كما قال الشيخ ابن عباد في وصف التنوير وهما أخوان من أب واحد وأم واحدة قاله سيدي أحمد زروق في بعض شروحه ولما كان علم التصوف إنما هو نتائج الأعمال الصحيحة وثمرات الأحوال الصافية من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم بدأ بالكلام على العمل فقال من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل الاعتماد على الشيء هو الأستناد عليه والركون إليه والعمل حركة الجسم أو القلب فان تحرك بما يوافق الشريعة سمى طاعة وان تحرك بما يخالف الشريعة الشريعة سمى معصية والأعمال عند أهل الفن على ثلاثة أقسام عمل الشريعة وعمل الطريقة وعمل الحقيقة أو تقول عمل الاسلام وعمل الإيمان وعمل الأحسان أو تقول عمل العبادة

وعمل العبوديه وعمل العبودة أي الحرية أو تقول عمل أهل البداية وعمل أهل الوسط وعمل أهل النهاية فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده أو تقول الشريعة لاصلاح الظواهر والطريقة لاصلاح الضمائر والحقيقة لاصلاح السرائر، واصلاح الجوارح بثلاثة أمور بالتوبة والتقوى والاستقامة، واصلاح القلوب بثلاثة أمور بالاخلاص والصدق والطمأنينة، واصلاح السرائر بثلاثة أمور بالمراقبة والمشاهدة والمعرفة أو تقول أصلاح الظواهر باجتناب النواهي وامتثال الأوامر، واصلاح الضمائر بالتخلية من الرذائل والتحلية بأنواع الفضائل، واصلاح السرائر وهي هنا الأرواح بذلها وانكسارها حتى تتهذب وترتاض الأدب والتواضع وحسن الخلق، وأعلم أن الكلام هنا إنما هو في الأعمال التي توجب تصفية الجوارح أو القلوب أو الأرواح وهي ما تقدم تعيينها لكل قسم وأما العلوم والمعارف فأنما هي ثمرات التصفية والتطهير فإذا تطهرت الأسرار ملئت بالعلوم والمعارف والأنوار ولا يصح الانتقال إلى مقام حتي يحقق ما قبله فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته فلا ينتقل إلى عمل الطريقة حتى يحقق عمل الشريعة وترتاض جوارحه معها بأن يحقق التوبة بشروطها ويحقق التقوي بأركانها ويحقق الاستقامة بأقسامها وهي متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله فإذا تزكي الظاهر وتنور بالشريعة انتقل من عمل الشريعة الظاهرة إلى عمل الطريقة الباطنة وهي التصفية من أوصاف البشرية على ما يأتي فإذا تطهر من أوصاف البشرية تحلى بأوصاف الروحانية وهي الأدب مع الله في تجلياته التي هي مظاهره فحينئذ ترتاح الجوارح من التعب وما بقي ألا حسن الأدب قال بعض المحققين من بلغ إلى حقيقة الاسلام لم يقدر أن يفتر عن العمل ومن بلغ إلى حقيقة الإيمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل بسوى الله ومن بلغ إلى الحقيقة الاحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله اه ولا يعتمد المريد في سلوك هذه المقامات على نفسه ولا على عمله ولا على حوله وقوته وإنما يعتمد على فضل ربه وتوفيقه وهدايته وتسديده قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان

لهم الخيرة وقال تعالى ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك وقال صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته فالاعتماد على النفوس من علامة الشقاء والبؤس. والأعتماد على الأعمال من عدم التحقق بالزوال، والاعتماد على الكرامة والاحوال، من عدم صحبة الرجال، والاعتماد على الله من تحقق المعرفة بالله، وعلامة الاعتماد على الله أنه لا ينقص رجاؤه إذا وقع في العصيان، ولا يزيد رجاؤه إذا صدر منه احسان، أو تقول لا يعظم خوفه إذا صدرت منه غفلة كما لا يزيد رجاؤه اذا وقعت منه يقظة قد استوى خوفه ورجاؤه على الدوام لأن خوفه ناشيء عن شهود الجلال ورجاؤه ناشيء عن شهود الجمال وجلال الحق وجماله لا يتغيران بزيادة ولا نقصان فكذا ما ينشأ عنهما بخلاف

المعتمد على الأعمال إذا قل عمله قل رجاؤه وأذا كثر عمله كثر رجاؤه لشركه مع ربه وتحققه بجهله ولو فني عن نفسه وبقي بربه لاستراح من تعبه وتحقق بمعرفة ربه ولا بد من شيخ كامل يخرجك من تعب نفسك إلى راحتك بشهود ربك فالشيخ الكامل هو الذي يريحك من التعب لا الذي يدلك على التعب من دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على الله فقد نصحك كما قال الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه والدلالة على الله هي الدلالة على نسيان النفس فإذا نسيت نفسك ذكرت ربك قال تعالى وأذكر ربك اذا نسيت أي ما سواه وسبب التعب هو ذكر النفس والاعتناء بشؤنها وحظوظها وأما من غاب عنها فلا يلقى إلا الراحة وأما قوله تعالى لقد خلقنا الأنسان في كبد أي في تعب فهو خاص بأهلي الحجاب أو تقول خاص بأحياء النفوس وأما من مات فقد قال تعالى فيه "فأما أن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم" أي فروح الوصال وريحان الجمال وجنة الكمال وقال تعالى لا يمسهم فيها نصب أي تعب ولكن لا تدرك الراحة إلا بعد التعب ولا يحصل الظفر إلا بالطلب حفت الجنة بالمكاره

أيها العاشق معنى حسننا — مهرنا غال لمن يخطبنا
جسد مضني وروح في العنا — وجفون لا تذوق الوسنا

وفؤاد ليس فيه غيرنا — وإذا ما شئت اد الثمنا
فافن أن شئت فناء سرمدا — فالفنا يدني إلى ذاك الفنا
واخلع النعلين أن جئت إلى — ذلك الحي ففيه قد سنا
وعن الكونين كن منخلعا — وازل ما بيننا من بيننا
واذا قيل من تهوى فقل — أنا من أهوى ومن أهوى أنا

وقال في حل الرموز ثم اعلم أنك لا تصل إلى منازل القربات، حتى تقطع ست عقبات، العقبة الأولى فطم الجوارح عن المخالفات الشرعية، العقبة الثانية فطم النفس عن المألوفات العادية، العقبة الثالثة فطم القلب عن الرعونات البشرية، العقبة الرابعة فطم النفس عن الكدورات الطبيعية، العقبة الخامسة فطم الروح عن البخورات الحسية، العقبة السادسة فطم العقل عن الخيالات الوهمية، فتشرف من العقبة الأولى على ينابيع الحكم القلبية وتطلع من العقبة الثانية على أسرار العلوم اللدنية وتلوح لك في العقبة الثالثة أعلام المناجات الملكوتية ويلمع لك في العقبة الرابعة أنوار المنازلات القربية وتطلع لك في العقبة الخامسة أنوار المشاهدات

الحبية وهبط من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية فهنالك تغيب بما تشاهده من اللطائف الأنسية عن الكثائف الحسية فإذا أرادك لخصوصيته الإصطفائية سقاك بكأس محبته شربة تزداد بتلك الشربة ظمأ وبالذوق شوقاً وبالقرب طلباً وبالسكر قلقاً اه المراد منه تتميم اشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعلمون مع قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله الحديث والجواب أن الكتاب والسنة وردا بين شريعة وحقيقة أو تقول بين تشريع وتحقيق فقد يشرعان في موضع ويحققان في آخر في ذلك الشيء بعينه وقد يحققان في موضع ويشرعان فيه في آخر وقد يشرع القرآن في موضع وتحققه السنة وقد تشرع السنة في موضع ويحققه القرآن فالرسول عليه السلام مبين لما أنزل الله قال تعالى "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم فقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعلمون هذا تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة وقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله هذا تحقيق لأهل القدرة وهم أهل الحقيقة كما أن قوله تعالى وما تشاؤن إلا أن يشاء الله تحقيق وقوله صلى الله عليه وسلم إذا هم أحدكم بحسنة كتبت له حسنة تشريع والحاصل أن القرآن تقيده السنة والسنة يقيدها القرآن فالواجب على الإنسان أن تكون له عينان أحداهما تنظر إلى الحقيقة والأخرى تنظر إلى الشريعة فإذا وجد القرآن قد شرع في موضع فلا بد أن يكون قد حقق في موضع آخر أو تحققه السنة وأذا وجد السنة قد شرعت في موضع فلا بد أن تكون قد حققت في موضع آخر أو حققها القرآن ولا تعارض حينئذ بين الآية والحديث ولا أشكال وهنا جواب آخر وهو أن الله تعالى لما دعا الناس إلى التوحيد والطاعة على أنهم لا يدخلون فيه من غير طمع فوعدهم بالجزاء على العمل فلما رسخت أقدامهم في الإسلام أخرجهم عليه السلام من ذلك الحرف ورقاهم إلى إخلاص العبودية والتحقق بمقام الأخلاص فقال لهم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله والله تعالى أعلم وهنا أجوبة لأهل الظاهر لا تجدي شيئاً ولما كان الإنتقال من عمل الظاهر إلى عمل الباطن لا بد أن يظهر أثره على الجوارح قال تعالى أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها الآية وظهور الأثر هو التجريد أشار إليه بقوله إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية قلت التجريد في اللغة هو التكشيط والإزالة تقول جردت الثوب أزلته عني وتجرد فلان أزال ثوبه وجردت الجلد أزلت شعره وأما عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام تجرد الظاهر فقط أو الباطن فقط أو هما معاً فتجريد الظاهر هو ترك الأسباب الدنيوية وخرق العوائد الجسمانية والتجريد الباطني هو ترك العلائق النفسانية والعوائق الوهمية وتجريدهما معاً هو ترك العلائق الباطنية والعوائد الجسمانية أو تقول تجريد الظاهر هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله وتجريد الباطن هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله وتجريدهما هو أفراد القلب والقالب لله والتجريد الكامل في الظاهر هو ترك الأسباب

وتعرية البدن من معتاد الثياب وفي الباطن هو تجريد القلب من كل وصف ذميم وتحليته بكل وصف كريم وهو أي التجريد الكامل الذي أشار إليه شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب بقوله

اقارئين علم التوحيد هنا البحور إلى تغبي

هذا مقام أهل التجريد الواقفين مع ربي

وأما من جرد ظاهره دون باطنه فهو كذاب كمن كسى النحاس بالفضة باطنه قبيح وظاهره مليح ومن جرد باطنه دون ظاهره أن تأتي ذلك فهو حسن كمن كسى الفضة بالنحاس وهو قليل إذ الغالب أن من تنشب ظاهره تنشب باطنه ومن اشتغل ظاهره بالحس أشتغل باطنه به والقوة لا تكون في الجهتين ومن جمع بين تجريدي الظاهر والباطن فهو الصديق الكامل وهو الذهب المشحر الصافي الذي يصلح لخزانة الملوك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي اله عنه آداب الفقير المتجرد أربعة الحرمة للأكابر والرحمة للأصاغر والإنصاف من نفسك وعدم الإنتصار لها وآداب الفقير المتسبب أربعة موالاة الأبرار ومجانية الفجار وإيقاع الصلاة في الجماعة ومواساة الفقراء والمساكين بما يفتح عليه وينبغي له أيضاً أن يتأدب بآداب المتجردين إذ هو كمال في حقه ومن آداب المتسبب إقامته فيما أقامه الحق تعالى فيه من فعل الأسباب حتى يكون الحق تعالى هو الذي ينقله منها على لسان شيخه إن كان أو بإشارة واضحة كتعذرها من كل وجه فحيئذ ينتقل للتجريد فأرادته التجريد مع أقامته تعالى له في الأسباب من الشهوة الخفية لأن النفس قد تقصد بذلك الراحة و لم يكن لها من اليقين ما تحمل به مشاق الفاقة فإذا نزلت بها الفاقة تزلزلت واضطربت ورجعت إلى الأسباب فيكون أقبح لها من الإقامة فيها فهذا وجه كونها شهوة وإنما كانت خفية لأنها في الظاهر أظهرت الإنقطاع والتبتل وهو مقام شريف وحال منيف لكنها في الباطن أخفت حظها من قصد الراحة أو الكرامة أو الولاية أو غير ذلك من الحروف و لم تقصد تحقيق العبودية وتربية اليقين وفاتها أيضاً الأدب مع الحق حيث أرادت الخروج بنفسها و لم تصبر حتى يؤذن لها وعلامة إقامتها فيها دوامها له مع حصول النتائج وعدم العوائق القاطعة له عن الدين وحصول الكفاية بحيث أذا تركها حصل له التشوف إلى الخلق والإهتمام بالرزق فإذا انخرمت هذه الشروط انتقل إلى التجريد قال في التنوير والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو الذي يتولى أخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب قال بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت إليه فتركني السبب فلم أعد إليه قال ودخلت على الشيخ أبي العباس المرسي وفي نفسي العزم على التجريد قائلاً في نفسي أن الوصال إلى الله تعالى على هذه الحالة التي أنا

عليها بعيد من الأشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسئله صحبني إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذا الطريق شيئاً فجاء إلى فقال لي يا سيدي أخرج عما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو لك واصل ثم قال الشيخ ونظر إلى وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم اه قال رضي الله عنه إنما منعه من التجريد لشره نفسه إليه والنفس إذا شرهت للشيء كان خفيفاً عليها والخفيف عليها لا خير فيه وما خف عليها إلا لحظ لها فيه ثم قال فلا يتجرد المريد في حال القوة حتى تفوت إن أراد أن يستفيد نفسه فإن جردها في حال القوة أتاه الضعف فيعقبه الخصمان ويشوشونه ويفتنونه وربما إذا لم يدركه المولى بلطفه سامح في الخلطة ويرجع إلى ما خرج منه حتى يسيء ظنه بأهل التجريد ويقول ليسوا على شيء كلنا دخلنا البلد وما رأينا شيئاً والذي يثقل عليه التجريد أولاً هو الذي ينبغي له أن يتجرد لأنه ما ثقل عليها إلا حيث تحققت إن عنقها تحت السيف مهما حرك يده قطع أوداجها انتهى المقصود منه وأما المتجرد إذا أراد الرجوع إلى الأسباب من غير إذن صريح فهو إنحطاط من الهمة العلية إلى الهمة الدنية أو سقوط من الولاية الكبرى إلى الولاية الصغرى قال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه قال لي شيخي سيدي العربي يا ولدي لو رأيت شيئاً على من التجريد وأقرب وأنفع لأخبرتك به ولكن هو عند أهل هذه الطريقة بمنزلة الأكسير الذي قيراط منه يغلب ما بين الخافقين ذهبا كذلك التجريد في هذه الطريق اه وسمعت شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول معرفة المتجرد أفضل وفكرته أنصع

لأن الصفا من الصفاء والكدر من الكدر صفاء الباطن من صفاء الظاهر وكدر الباطن من كدر الظاهر وكلما زاد في الحس نقص في المعنى وفي بعض الأخبار إذا أخذ العالم شيئاً من الدنيا نقصت درجته عند الله وإن كان كريماً على الله وأما من إذن له في السبب فهو كالمتجرد إذ صار حينئذ سببه عبودية

والحاصل أن التجريد من غير أذن سبب والسبب مع الإذن تجريد وبالله التوفيق تنبيه هذا الكلام كله مع السائرين وأما الواصلون المتمكنون فلا كلامة عليهم إذ هم رضي الله عنهم مأخوذون عن أنفسهم يقبضون من الله ويدفعون بالله قد تولى الحق تعالى أمورهم وحفظ أسرارهم وحرس قلوبهم بجنود الأنوار فلا تؤثر فيها ظلم الأغيار وعليه يحمل حال الصحابة في الأسباب رضي اله عنهم ونفعنا ببركاتهم آمين وأعلم أن المتسبب والمتجرد عاملان لله إذ كل واحد منهما حصل له صدق التوجه إلى الله تعالى حتى قال بعضهم مثل المتجرد والمتسبب كعبدين للملك قال لأحدهما أعمل وكل وقال للآخر إلزم أنت حضرتي

وأنا أقوم لك بقسمتي ولكن صدق التوجه في المتجرد أقوي لقلة عوائقه وقطع علائقه كما هو معلوم ولما كانت همة الفقير المتجرد لا تخطيء في الغالب لقوله عليه السلام أن لله رجالاً لو أقسموا على الله لا برهم في قسمهم قال شيخنا ولله رجال إذا إهتموا بالشيء كان بإذن الله وقال أيضاً عليه السلام أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله حشى الشيخ أن يتوهم أحد أن الهمة تخرق سور القدر وتفعل ما لم يجر به القضاء والقدر فرفع ذلك بقوله سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار قلت السوابق جمع سابقة وهي المتقدمة والهمم جمع همة والهمة قوة انبعاث القلب في طلب الشيء والإهتمام به فإن كان ذلك الأمر رفيعاً كمعرفة الله وطلب رضاه سميت همة عالية وإن أمراً خسيساً كطلب الدنيا وحظوظها سميت همة ذنية وسوابق الهمم من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الهمم السوابق لا تخرق أسوار الأقدار أي إذا اهتم العارف أو المريد بشيء وقويت همته بذلك فإن الله تعالى يكون ذلك بقدرته في ساعة واحدة حتى يكون أمره بأمر الله وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول المريد الصادق إذا كان فانياً في الإسم مهما اهتم بالشيء كان وإن كان فانيا في الذات تكون الشيء الذي يحتاجه قبل أن يهتم به أو كلام هذا معناه وهو صحيح وفي بعض الأخبار أيضاً فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً إن سألني أعطيته الحديث ومع ذلك لا ينفصل بذلك ولا يتكون إلا ما أحاط به قدر الله وقضاؤه فهمة العارف تتوجه للشيء فإن وجدت القضاء سبق به كان ذلك بإذن الله وإن وجدت سور القدر مضروباً عليه لا تخرقه بل تتأدب معه وترجع لوصفها وهي العبودية فلا تتأسف ولا تحزن بل ربما تفرح لرجوعها لمحلها وتحققها بوصفها وقد كان شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه يقول نحن إذا قلنا شيئاً فخرج فرحنا مرة واحدة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات وذلك لتحققه بمعرفة الله قيل لبعضهم بماذا عرفت ربك قال بنقض العزائم وقد يحصل هذا التأثير للهمة القوية وإن كان صاحبها ناقصاً كما يقع للعاين والساحر عن خبثهما أو لخاصية جعلها الله فيها إذا نظرا لشيء بقصد انفعل ذلك بإذن الله وهذا كله أيضاً لا يخرق أسوار الأقدار بل لا يكون إلا ما أراد الواحد القهار قال تعالى "وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله" وقال تعالى "إنا كل شيء خلقناه بقدر" وقال تعالى "وما تشاؤن إلا أن يشاء الله" وقال صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس أي النشاط للفعل وأشعر قوله سوابق أن الهمم الضعيفة لا ينفعل لها شيء وهو كذلك في الخير والشر وفي أستعارته الخرق والأسوار ما يشعر بالقوة في الجانبين لكن الحاصر قاهر فلا عبرة بقوة العبد القاصر وإذا كانت الهمة لا تخرق أسوار الأقدار فما بالك بالتدبير والإختيار الذي أشار إليه بقوله أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به أنت لنفسك قلت التدبير في اللغة هو النظر في الأمور وأواخرها وفي الإصلاح هو كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه تقدير شؤون يكون عليها في المستقبل بما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض فإن كان مع تفويض وهو

أخروي فنية خير أو طبيعي فشهوة أو ديوي فأمنية اه فأقتضى كلامه أن التدبير على ثلاثة أقسام مذموم وقسم مطلوب وقسم مباح فأما القسم المذموم فهو الذي
يصحبه الجزم والتصميم سواء كان دينياً أو دنيوياً لما فيه من قلة الأدب وما يتعجله لنفسه من التعب إذ ما قام به الحي القيوم عنك لا تقوم به أنت عن نفسك وغالب ما تدبره لنفسك لا تساعده رياح الأقدار، وتعقبه الهموم والأكدار، ولذلك قال أحمد بن مسروق من ترك التدبير فهو في راحة وقال سهل ابن عبد الله ذروا التدبير والإختيار فإهما يكدران على الناس عيشهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله جعل الروح والراحة في الرضى واليقين وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه لا تختر من أمرك شيئاً وأختر أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار اه وقال أيضاً إن كان ولا بد من التدبير فدبر إن لا تدبر وقيل من لم يدبر دبر له وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه من أوصاف الولي الكامل أن لا يكون محتاجاً إلا إلى الحال الذي يقيمه مولاه في الوقت يعني ماله مراد إلا ما يبرز من عنصر القدرة اه فكلام هؤلاء السادات محمول على ما إذا كان بالنفس مع الجزم وإما ما كان مع التفويض فليس بمذموم ما لم يطل وأما القسم المطلوب فهو تدبير ما كلفت به من الواجبات وما ندبت إليه من الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر إلى القدرة وهذا يسمى النية الصالحة وقد قال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله وقال أيضاً حاكياً عن الله سبحانه إذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها كسبت له حسنة كاملة الحديث وهذا مفهوم قول الشيخ فما قام به غيرك إذ مفهومه إن ما لم يقم به عنك وهو الطاعة لا يضرك تدبير ولذلك قال إبراهيم الخواص رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فقوله لا تتكلف ما كفيت هو القسم الأول المذموم وقوله ولا تضيع ما استكفيت هو القسم الثاني المطلوب وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه وكل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء إنما هو مختار الله لك وأسمع وأطع وهذا محل الفقه الرباني والعلم الألهامي وهو أرض لتترل علم الحقيقة المأخوذة عن الله تعالى لمن استوى اه وقوله لمن استوى أي كمل عقله وتمت معرفته واستوت حقيقته مع شريعته لكن لا ينبغي الإسترسال معه فيشغله عن الله وأما القسم المباح فهو التدبير في أمر دنيوي أو طبيعي مع التفويض للمشيئة والنظر لما يبرز من القدرة غير معول على شيء من ذلك وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم التدبير نصف العيش بشرط أن لا يردده المرة بعد المرة فالقدر المباح منه هو مروره على القلب كالريح يدخل من طبق ويخرج من أخرى وهذا هو التدبير بالله وهو شأن العارفين المحققين وعلامة كونه بالله أنه إذا برز من القدرة عكس ما دبر لم ينقبض و لم يضطرب بل يكون كما قال الشاعر

سلم لسلمي وسر حيث سارت وأتبع رياح القضاء در حيث دارت

وقال في التنوير فائدة إعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدي إليه فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله والتدبير المحمود هو الذي يؤديك إلى القرب من الله ويوصلك إلى مرضاة الله إنظر بقية كلامه فهذا تحرير ما ظهر لي في شأن التدبير وقد ألف الشيخ رضي الله عنه فيه كتاباً سماه التنوير في أسقاط التدبير أحسن فيه وأجاد ومرجعه إلى ما ذكرنا والله تعالى أعلم ولما كمله أطلع عليه الولي الكامل سيدي ياقوت العرشي فلما طالعه قال له جميع ما قلت مجموع في بيتين وهما هاتان

ما ثم إلا ما أراد فأترك همومك وأنطرح

وأترك شواغلك التي شغلت بها تسترح

ولما كان الإنهماك في التدبير والإختيار يدل على إنطماس البصيرة وتركهما أو فعلهما بالله يدل على فتح البصيرة ذكر علامة أخرى أظهر وأشهر منهما على فتح البصيرة أو طمسها فقال إجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على إنطماس البصيرة منك قلت الإجتهاد في الشيء إستفراغ الجهد والطاقة في طلبه والتقصير هو التفريط ولتضييع والبصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القالب فالبصيرة لا ترى إلا المعاني والبصر لا يرى إلا المحسوسات أو تقول البصيرة لا ترى إلا اللطيف والبصر لا يرى إلا الكثيف أو تقول البصيرة لا ترى إلا القديم والبصر لا يرى إلا الحادث أو تقول البصيرة لا ترى إلا المكون والبصر لا يرى إلا الكون فإذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله في الظاهر بخدمته وفي الباطن بمحبته فكلما عظمت المحبة في الباطن والخدمة في الظاهر قوي نور البصيرة حتى يستولى على البصر فيغيب نور البصر في نور البصيرة فلا يرى إلا ما تراه البصيرة من المعاني اللطيفة والأنوار القديمة وهذا معنى قول شيخ شيوخنا المجذوب

غيبت نظري في نظر وأفنيت عن كل فاني

حققت ما وجدت غير وأمسيت في الحال هاني

وإذا أراد الله خذلان عبده أشغله في الظاهر بخدمة الأكوان وفي الباطن بمحبتها فلا يزال كذلك حتى ينطمس نور بصيرته فيستولى نور بصره على نور بصيرته فلا يرى إلا الحس ولا يخدم إلا الحس فيجتهد في طلب ما هو مضمون من الرزق المقسوم ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم ولو كان بدل الإجتهاد استغراقاً وبدل التقصير تركاً لكن بدل الطمس عمي وهو الكفر والعياذ بالله لأن الدنيا كنهر

طالوت لا ينجو منها إلا من لم يشرب أو اغترف غرفة بيده لا من شرب على قدر عطشه فافهم قاله الشيخ زروق رضي الله عنه وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه البصيرة كالبصر أدني شيء يقع فيه يمنع النظر وإن لم ينته إلى العمى فالخطرة من الشيء تشوش النظر وتكدر الفكر والأرادة له تذهب بالخير رأساً والعمل به يذهب عن صاحبه سهماً من الأسلام فيما هو فيه ويأتي بضده فإذا أستمر على الشر تفلت منه الإسلام فإذا أنتهى إلى الوقيعة في الأمة وموالاة الظلمة حباً في الجاه والمنزلة وحباً للدنيا على الآخرة فقد تفلت منه الإسلام كله ولا يغرنك ما توسم به ظاهراً فإنه لا روح له إذ الإسلام حب الله وحب الصالحين من عباده انتهى ولما كان الإجتهاد في المضمون كله مذموم كان بالفعل كما تقدم أو بالقول وهو الإستعجال في تحصيله قبل إبانه بالدعاء أو بغيره أشار إلى ذلك بقوله لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد قلت الإلحاح في الشيء هو تكرره من وجه واحد والدعاء طلب مصحوب بأدب في بساط العبودية لجناب الربوبية والموجب للشيء ما كان أصلاً في وجوده واليأس قطع المطامع أعلم أن من أسمائه تعالى القيوم وهو مبالغة في القيام فقد قام تعالى بأمر خلقه من عرشه إلى فرشه وعين لكل مظهر وقتاً محدوداً وأجلاً معلوماً ولكل واحد شكلاً معلوماً ورزقاً مقسوماً فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فإذا تعلق قلبك بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة فأرجع إلى وعد الله واقنع بعلم الله ولا تحرص ففي الحرص تعب ومذلة قال شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه الناس تقضي حوائجهم بالحرص فيها والجري عليها ونحن تقضي حوائجنا بالزهد فيها والإشتغال بالله عنها اه وإن كان ولا بد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لا طلباً للحظ فإن تركت الحظوظ صبت عليك الحظوظ وإن غلب عليك وارد الطلب وطلبت شيئاً ثم تأخر عنك وقت العطاء فيه فلا تتهم الله في وعده حيث قال "أدعوني أستجب لكم" ولا تيأس من نواله ورفده فإن الله قد ضمن لك الإجابة فيما يريد من خير الدنيا وخير الآخرة وقد يمنعك لطفاً بك لكون ذلك المطلب لا يليق بك كما قال الشيخ أبو الحسن اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما علم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى "وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ما موصولة أي ويختار الأمر الذي لهم فيه خيرهم وقد يكون أجابك وعين لذلك وقتاً هو أصلح لك وأنفع فيعطيك ذلك في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد وقد يؤخر لك ذلك لدار الكرامة والبقاء وهو خير لك وأبقى وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع إلا وهو بين إحدى ثلاث إما أن تعجل له طلبته وإما أن يدخر له ثوابها وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها الحديث وقال الشيخ عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه من لم يكن في دعائه تاركاً لإختياره راضياً بإختيار الحق

تعالى له فهو مستدرج ممن قيل له أقضوا حاجته فإني أكره أن أسمع صوته فإن كان مع اختيار الحق تعالى لا مع إختياره لنفسه كان مجاباً وإن لم يعط والأعمال بخواتمها اه ثم حقق لك ما تقدم من إنجاز الوعد ونفوذ الموعود ولكن على الوجه الذي يريد وفي الوقت الذي يريد وأمرك في ذلك بالصدق والتصديق ونهاك عن الشك والترديد ليكمل بذلك فتح بصيرتك وتبهج أنوار سريرتك فقال لا يشككك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك وإخماداً لنور سريريك التشكيك في الشيء هو التردد في الوقوع وعدمه والوعد الأخبار بوقوع الشيء في محله والموعود المخبر به والقدح في الشيء التنقيص له والغض من مرتبته والبصيرة القوة المهيئة لأدرك المعاني

والسريرة القوة المستعدة لتمكن العلم والمعرفة وأعلم أن النفس والعقل والروح والسر شيء واحد لكن تختلف التسامي بإختلاف المدراك فما كان من مدارك الشهوات فمدركه النفس وما كان من مدارك الأحكام الشرعية فمدركه العقل وما كان من مدراك التجليات والواردات فمدركه الروح وما كان من مدارك التحقيقات والتمكنات فمدركه السر والمحل واحد وإخماد الشيء خفاؤه بعد ظهوره قلت إذا وعدك الحق تعالى بشيء على لسان الوحي أو الإلهام من نبي أو ولي أو تجل قوى فلا تشك أيها المريد في ذلك الوعد إن كنت صديقاً فإن لم يتعين زمنه فالأمر واسع وقد يطول الزمان وقد يقصر فلا تشك في وقوعه وإن طال زمنه وقد كان بين دعاء سيدنا موسى وهارون على فرعون بقوله ربنا أطمس على أموالهم الآية أربعون سنة على ما قيل وأن تعين زمنه و لم يقع ذلك عند حلوله فلا تشك في صدق ذلك الوعد فقد يكون ذلك مترتباً على أسباب وشروط غيبية أخفاها الله تعالى عن ذلك النبي أو الولي لتظهر قهريته وعزته وحكمته وتأمل قضية سيدنا يونس عليه السلام حيث أخبر قومه بالعذاب لما أخبر به وفر عنهم وكان ذلك متوقفاً على عدم إسلامهم فلما أسلموا تأخر عنهم العذاب وكذلك قضية سيدنا نوح عليه السلام حيث قال إن النبي من أهلي وإن وعدك الحق فوقف مع ظاهر العموم فقال له تعالى إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ونحن إنما وعدناك بنجاة الصالح من أهلك وإن فهمت العموم فعلمنا متسع ولهذا السر الخفي كان الرسل عليهم السلام وأكابر الصديقين لا يقفون مع ظاهر الوعد فلا يزول أضطرارهم ولا يكون مع غير الله قرارهم بل ينظرون لسعة علمه تعالى ونفوذ قهه ومنه قول سيدنا إبراهيم الخليل ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً وقول سيدنا شعيب عليه السلام وما يكون لنا أن نعود فيها أي في ملة الكفر إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء وقضية نبينا صلى الله عليه وسلم يوم بدر حيث دعا حتى سقط رداؤه وقال اللهم عهدك ووعدك اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد بعد اليوم فقال له الصديق حسبك يا رسول الله فإن الله منجز لك ما وعدك فنظر المصطفى أوسع لعدم وقوفه مع ظاهر الوعد ووقف الصديق مع الظاهر فكل على صواب

والنبي صلى الله عليه وسلم أوسع نظراً وأكمل علماً وأما قضية الحديبية فلم يتعين فيها زمن الوعد لقوله تعالى فعلم ما لم تعلموا وقد قال عليه السلام لعمر حين قال له ألم تخبرنا أنا ندخل مكة فقال له أقلت لك هذا العام فقال لا فقال إنك داخلها ومطوف بها فشد يدك يا أخي على تصديق ما وعدك الله به وحسن ظنك به وبأوليائه ولا سيما شيخك فإياك أن تضمر التكذيب أو الشك فيكون ذلك قدحاً في بصيرتك وقد يكون سبباً في طمسها ويكون أيضاً إخماداً أي أخفاء وأطفاء لنور سريرتك فترجع من حيث جئت وتهدم كل ما بنيت فانظر أحس التأويلات والتمس أحسن المخارج وقد تقدم قول شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه نحن إذا قلنا شيئاً فخرج فرحنا مرة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات وما ذاك إلا لوسع نظره وتمكنه في معرفة ربه وأيضاً قد يطلع الله أولياءه على نزول القضاء ولا يطلعهم على نزول اللطف فيترل ذلك القضاء مصحوباً باللطف فيترل خفيفاً سهلاً حتى يظن أنه لم يترل وقد شهدنا هذا وما قبله من أنفسنا ومن أشياخنا رضي الله عنهم فلم ينقص صدقنا و لم يخمد نور سريرتنا فلله الحمد ربنا تنبيه كان شيخناً الفقيه العلامة سيدي التأودي بن سودة يستشكل هذه الحكمة ويقول كيف يتصور تعيين الزمان إن كان بالوحي فقد انقطع وإن كان بالإلهام فلا يلزم من الشك فيه القدح في البصيرة إذ لا يجب الإيمان به قلنا كلامنا مع المريدين الصديقين السائرين أو الواصلين وهم مطالبون بالتصديق للأشياخ في كل ما نطقوا به إذ هم ورثة الأنبياء فهم على قدمهم فللإنبياء وحي الأحكام وللإولياء وحي الإلهام لأن القلوب إذا صفت من الأكدار والأغيار وملئت بالأنوار والأسرار لا يتجلى فيها إلا الحق فإذا نطقوا بشيء من وعد أو وعيد يجب على المريد تصديقه فإذا دخله تشكيك أو تردد فيما وعده الله على لسان نبيه أو شيخه قدح ذلك في نور بصيرته وأخمد سريرته فإذا لم يعين زمنه أنتظر وقوعه وإن طال وإن عين زمنه و لم يقع تأول فيه ما تقدم في حق الرسل من توقفه على أسباب وشروط خفية وبهذا فرقوا بين الصديق والمصادق لأن

الصديق لا يتردد ولا يتعجب والصادق يتردد ثم يجزم وأن رأى خرق عادة تعجب وأستغرب والله تعالى أعلم ولما كانت التعرفات القهرية ظاهرها جلال وباطنها جمال لما يعقبها من أوصاف الكمال وربما يشك المريد فيما وعد الحق عليها من الخيرات وما رتب عليها من الفتوحات نبه الشيخ على ذلك فقال إذ فتح لك وجهة من للتعرف فلا تبال معها أن قل عملك فإنه ما فتحها عليك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك فتح هنا بمعنى هيأ ويسر والغالب إستعماله في الخير فأشع الإتيان به هنا أن جهة التعريف من الأمور الجميلة والوجهة هي الجهة والمراد هنا الباب والمدخل والتعرف طلب المعرفة تقول تعرف لي فلان إذا طلب مني معرفته والمعرفة تمكن حقيقة العلم بالمعروف من القلب حتى لا يمكن الإنفكاك عنه بحل والمبالاة التهمم

بفوات الشيء قلت إذا تجلى لك الحق تعالى بإسمه الجليل أو بإسمه القهار وفتح لك منها باباً ووجهة لتعرفه منها فإعلم أن الله تعالى قد أعتنى بك وأراد أن يجتبيك لقربه ويصطفيك لحضرته فإلتزم الأدب معه بالرضي ولتسليم وقابله بالفرح والسرور ولا تبال بما يفوتك بها معها من الأعمال البدنية فإنما هي وسيلة للأعمال القلبية فإنه ما فتح هذا الباب إلا وهو يريد أن يرفع بينك وبينه الحجاب ألم تعلم أن التعرفات الجلالية هو الذي أوردها عليك لتكون عليه وارداً والأعمال البدنية أنت مهديها إليه لتكون إليه بها وأصلاً وفرق كبير بين ما تهديه أنت من الأعمال المدخولة والأحوال المعلولة وبين ما يورده عليك الحق تعالى من تحف المعارف الربانية والعلوم اللدنية فطب نفساً أيها المريد بما يترل عليك من هذه التعرفات الجلالية والنوازل القهرية ومثل ذلك كالأمراض والأوجاع والشدائد والأهوال وكل ما يثقل على النفس ويؤلمها كالفقر والذل وأذية الخلق وغير ذلك مما تكرهه النفوس فكل ما يترل بك من هذه الأمور فهي نعم كبيرة ومواهب غزيرة تدل على قوة صدقك إذ بقدر ما يعظم الصدق يعظم التعرف أشدكم بلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل والصدق متبوع وإذا أراد الله أن يطوي مسافة البعد بينه وبين عبده سلط عليه البلاء حتى إذا تخلص وتشحر صلح للحضرة كما تصفي الفضة والذهب بالنار لتصلح لخزانة الملك وما زالت الشيوخ والعارفون يفرحون بهذه النوازل ويستعدون لها في كسب المواهب كان شيخ شيوخنا سيدي على العمراني رضي الله عنه يسميها ليلة القدر ويقول أل الحيزة هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وذلك لأجل ما يجتنيه العبد منها من أعمال القلوب التي الذرة منها أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وقد قلت في ذلك بيتين وهما

إذا طرقت بابي من الدهر فاقة	فتحت لها باب المسرة والبشر
وقلت لها أهلاً وسهلاً ومرحباً	فوقتك عندي أحظى من ليلة القدر

وأعلم أن هذه التعرفات الجلالية هي أختبار من الحق ومعيار للناس وبها تعرف الفضة والذهب من النحاس فكثير من المدعين يظهرون على ألسنتهم المعرفة واليقين فإذا وردت عليهم عواصف رباح الأقدار ألقتهم في مهاوي القنط والإنكار من أدعى ما ليس فيه فضحته شواهد الإمتحان وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول العجب كل العجب ممن يطلب معرفة الله ويحرص عليها فإذا تعرف له الحق تعالى هرب منه وأنكر وقال شيخنا البزيدي رضي الله عنه هذه التعرفات الجلالية على ثلاثة أقسام قسم عقوبة وطرد وقسم تأديب وقسم زيادة وترق أما الذي هو عقوبة وطرد فهو الذي يسيء لأدب فيعاقبه الحق تعالى ويجهل فيها فيسخط ويقنط وينكر فيزداد من الله طرداً وبعداً وأما القسم الذي هو

تأديب فهو الذي يسيء الأدب فيؤدبه الحق تعالى فيعرفه فيها وينتبه لسوء أدبه وينهض من غفلته فهي في حقه نعمة في مظهر النقمة وأما الذي هي في حقه زيادة وترق فهو الذي تترل به هذه التعرفات من غير سبب فيعرف فيها ويتأدب معها ويترقى بها إلى مقام الرسوخ والتمكين اه بالمعنى قلت ولذلك قال بعضهم بقدر الأمتحان يكون الإمتكان وقال أيضاً أختبار الباقي يقطع التباقي فائدة إذا أردت أن يسهل عليك الجلال فقابله بضده وهو الجمال فإنه ينقلب جمالاً في ساعته وكيفية ذلك أنه إذا تجلى بإسمه القابض في الظاهر فقابله أنت بالبسط في الباطن فإنه ينقلب بسطاً وإذا تجلى لك بإسمه القوي فقابله أنت بالضعف أو تجلي بإسمه العزيز فقابله بالذل في الباطن وهكذا يقابل الشيء بضده قياماً بالقدرة والحكمة وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول ما هي إلا حقيقة واحدة أن شربتها عسلاً وجدتها عسلاً وأن شربتها لبناً وجدتها لبناً وأن شربتها حنظلاً وجدتها حنظلاً فأشرب يا أخي المليح ولا تشرب القبيح اه ومعنى كلامه رضي الله عنه هو كما تقابله يقابلك والله تعالى أعلم ولما تكلم على الأعمال وثمراتها وهو الأدب ومرجعه إلى السكون تحت مجاري الأقدار من غير تدبير ولا أختيار ولا تعجيل لما تأخر ولا تأخر لما تعجل بل يكون مخط نظره إلى ما يبرز من عنصر القدرة فيتلقاه بالمعرفة تكلم على تنويعها وتهذيبها بتهذيب عاملها فقال تنوعت أجناس الأعمال بتنوع واردات الأحوال تنويع الشيء تكثيره والأعمال هنا عبارة عن حركة الجسم والواردات والأحوال عبارة عن حركة القلب فالخاطر والوارد والحال محلها واحد وهو القلب لكن ما دام القلب تخطر فيه الخواطر الظلمانية والنورانية سمى ما يخطر فيه خاطراً وأن أنقطعت عنه الخواطر الظلمانية سمى ما يخطر فيه وارداً أو حالاً فإضافة أحدهما إلى الآخر أضافة بيانية وكلاهما يتحولان فإن دام ذلك سمي مقاماً قلت قد تنوعت أجناس الأعمال الظاهرة بتنوع الأحوال الباطنة أو تقول أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب فإن ورد على القلب قبض ظهر على الجوارح أثره من السكون وإن ورد عليه بسط ظهر على الجوارح أثره من الخفة والحركة وإن ورد على القلب زهد وورع ظهر على الجوارح أثره وهو ترك وإحجام أي تأخر وأن ورد على القلب رغبة وحرص ظهر على الجوارح أثره وهو كد وتعب وأن ورد على القلب محبة وشوق ظهر على الجوارح أثره وهو شطح ورقص وأن ورد على القلب معرفة وشهود ظهر على الجوارح أثره وهو راحة وركود إلى غير ذلك من الأحوال وما ينشأ عنها من الأعمال وقد تختلف هذه الأحوال على قلب واحد فيتلون الظاهر في أعماله وقد يغلب على قلب واحد حال واحد فيظهر عليه أثر واحد فقد يغلب على الشخص القبض فيكون مقبوضاً في الغالب وقد يغلب عليه البسط كذلك إلى غير ذلك من الأحوال والله تعالى أعلم وفي الحديث أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب قلت ولأجل هذا المعنى إختلفت أحوال الصوفية فمنهم عباد ومنهم زهاد ومنهم الورعون والمريدون والعارفون

قال الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعده قاعدة النسك الأخذ بكل مسلك من الفضائل من غير مراعاة لغير ذلك فإن رام التحقيق في ذلك أي النسك فهو العابد وإن مال للأخذ بالإحوال فهو الورع وإن آثر جانب الترك طالباً للسلامة فهو الزاهد وأن أرسل نفسه في مراد الحق فهو العارف وإن أخذ بالتخلق والتعلق فهو المريد اه المراد منه وقال في قاعدة أخرى لا يلزم من إختلاف المسالك إختلاف المقاصد بل يكون

متحداً مع إختلاف مسالكه كالعبادة والزهادة والمعرفة مسالك لقرب الحق على سبيل الكرامة وكلها متداخلة فلا بد للعارف من عبادة وإلا فلا عبرة بمعرفته إذ لم يعبد معروفه ولا بد له من زهادة وإلا فلا حقيقة عنده إذ لم يعرض عما سواه ولا بد للعابد منهما إذ لا عبادة إلا بمعرفة أي في الجملة وإلا فراغ للعبادة إلا بزهد والزاهد كذلك إذ لا زهد إلا بمعرفة أي في الجملة ولا زهد إلا بعبادة والأعاد بطالة نعم من غلب عليه العمل فعابد أو الترك فزاهد أو النظر لتصريف الحق فعارف والكل صوفية والله أعلم اه ولما كان الإخلاص شرطاً في كل عمل ذكره بأثره فقال الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها الأعمال هنا عبارة عن الحركة الجسمانية أو القلبية والصور جمع صورة وهو ما يتشخص في الذهن من الكيفيات والروح السر المودع في الحيوانات وهو هنا عبارة عما يقع به الكمال المعتبر في الأعمال والأخلاص أفراد القلب لعبادة الرب وسره لبه وهو الصد ق المعبر عنه بالتبري من الحول والقوة إذ لا يتم إلا به وأن صح دونه إذ الإخلاص نفي الرياء والشرك الخفي وسره نفي العجب وملاحظة النفس والرياء قادحة في صحة العمل والعجب قادح في كماله فقط قلت الأعمال كلها أشباح وأجساد وأرواحها وجود الإخلاص فيها فكما لا قيام للأشباح إلا بالأرواح وإلا كانت ميتة ساقطة كذلك لا قيام للأعمال البدنية والقلبية إلا بوجود الأخلاص فيها وإلا كانت صوراً قائمة وأشباحاً خاوية لا عبرة بها قال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء وقال تعالى فاعبد الله مخلصاً له الدين وقال صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله تعالى يقول أنا أغني الشركاء من أشرك معي غيري تزكته وشريكه وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي وهو الرياء وفي رواية اتقوا هذا الشرك الخفي فإنه يدب دبيب النمل قيل وما الشرك الخفي قال الرياء اه بالمعنى لطول العهد به وفي حديث مسلسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الأخلاص فقال حتى أسأل جبريل فلما سأله قال حتى أسأل رب العزة فلما سأله قال له هو سر من أسراري أودعه قلب من أحببت من عبادي لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده قال بعضهم هو مقام الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه والإخلاص على ثلاث درجات درجة العوام والخواص وخواص الخواص، فإخلاص العوام هو إخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والأخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحور، وإخلاص الخواص طلب

الحظوظ الأخروية دون الدنيوية، وإخلاص خواص الخواص أخراج الحظوظ بالكلية فعبادهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية أو محبة وشوقاً إلى رؤيته كما قال ابن الفارض

ليس سؤلي من الجنان نعيماً غير أني أحبها لأراكاً

وقال آخر

كلهم يعبدون من خوف نار ويرون النجاة حظاً جزيلاً
أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا في رياض ويشربوا السلسبيلاً
ليس لي في الجنان والنار رأى أنا لا أبتغي بحبي بديلاً

قال الشيخ أبو طالب رضي الله عنه الإخلاص عند المخلصين إخراج الخلق من معاملة الحق وأول الخلق النفس والإخلاص عند المحبين أن لا يعملوا عملاً لأجل النفس وإلا دخل عليها مطالعة العوض أو الميل إلى حظ النفس والإخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر إليهم في الأفعال وعدم السكون والإستراحة إليهم في الأحوال وقال بعض المشايخ صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة اه كلامه وقال بعض العارفين لا يتحقق الإخلاص حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينه ولذلك قال آخر كلما سقطت من عين الخلق عظمت في عين الحق وكلما عظمت في عين الخلق سقطت من عين الحق يعني مع ملاحظتهم ومراقبتم وسمعت شيخنا يقول ما دام العبد يراقب الناس ويهابهم لا يتحقق إخلاصه أبداً وقال أيضاً لا تجتمع مراقبة الحق مع مراقبة الخلق أبداً إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه اه والحاصل لا يمكن الخروج من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ أبداً والله تعالى أعلم ولما كان الخمول من مضامن الإخلاص بل لا يتحقق في الغالب إلا به إذ لاحظ فيه للنفس ذكره بعده فقال أدفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه الدفن هو التغطية والستر والخمول سقوط المترلة عند الناس ونتائج الشجرة ثمرها أستعير هنا للحكم والمواهب والعلوم التي يجتنيها العبد من المعرفة بالله وذلك عند موت نفسه وحياة روحه قلت استر نفسك أيها المريد وأدفنها في أرض الخمول حتى تستأنس به وتستحليه ويكون عندها أحلى من العسل ويصير الظهور عندها أمر من الحنظل فإذا دفنتها في أرض الخمول وأمتدت عروقها فيه فحينئذ تجني ثمرها ويتم لك نتاجها وهو سر الإخلاص والتحقق بمقام خواص الخواص وأما إذا لم تدفنها في أرض الخمول وتركتها على ظهر الشهرة تحول ماتت شجرها أو أسقطت ثمرها فإذا جني العارفون ما غرسوه من جنات معارفهم من العلوم وما دفنوه من كنوز الحكم ومخازن الفهوم بقيت أنت فقيراً سائلاً أو سارقاً صائلاً قال سيدنا عيسى عليه

السلام لأصحابه أين تنبت الحبة قالوا في الأرض قال كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب كالأرض اه وقال بعض العارفين كلما دفنت نفسك أرضاً أرضاً سماً قلبك سماء سماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبوا عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره في قسمه وكان عليه الصلاة والسلام جالساً مع الأقرع بن حابس كبير بني تميم فمر عليه رجل من فقراء المسلمين فقال عليه السلام للأقرع بن حابس ما تقول في هذا فقال هذا يا رسول الله من فقراء المسلمين حقيق أن خطب أن لا يزوج وإن استأذن أن لا يؤذن له وإن قال أن لا يسمع له ثم مر بهما رجل من المترفين فقال له عليه السلام وما تقول في هذا فقال هذا حقيق أن خطب أن يزوج وإن استأذن أن يؤذن له وأن قال أن يسمع له فقال له صلى الله عليه وسلم هذا يعني الفقير خير من مل الأرض من هذا وفي مدح الخمول أحاديث كثيرة وفضائل مشهورة ولو لم يكن فيه إلا الراحة وفراغ القلب لكان كافياً وأنشد بعضهم وهو الحضرمي

عش خامل الذكر بين الناس وأرض به — فذاك أسلم للدنيا وللدين

من عاشر الناس لم تسلم ديانته — ولم يزل بين تحريك وتسكين

وقال بعض الحكماء الخمول نعمة والنفس تأباه والظهور نقمة والنفس تهواه وقال آخر طريقتنا هذه لا تصلح إلا بقوم كنست بأرواحهم المزابل قلت ويجب على من أبتلى بالجاه والرياسة أن يستعمل من الخراب ما يسقط به جاهه وأن كان مكروهاً دون الحرام المتفق عليه بقصد الدواء كالسؤال في الحوانيت أو الديار والأكل في السوق وحيث يراه الناس وكالرقاد فيه وكالسقي بالقربة وحمل الزبل على الرأس بوقاية وكالمشي بالحفا وإظهار الحرص والبخل والشح وكلبس المرقعة وتعليق السبحة الكبيرة وكل ما يثقل على النفس من المباح أو المكروه دون الحرام قال الشيخ زروق رضي الله عنه وكما لا يصلح دفن الزرع في أرض رديئة لا يجوز الخمول بحالة غير مرضية وقياس ذلك بالغصة لا يصح لأن فوت الحياة الحسية مانع من كل خير واجباً ومندوباً وتفويتها مع أمكان إبقائها محرم إجماعاً لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بخلاف الخمول لا يفوت به شيء من ذلك إنما يفوت به الكمال وهو نفي الجاه والمترلة وأصله الإباحة اه وأجاب بعضهم بأنه إذا حاز لفوت الحياة الفانية فأولى أن يجوز لفوت الحياة الدائمة وهي المعرفة فتأمله وقصة لص الحمام تشهد له والله تعالى أعلم ولقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول الفقير الصديق يقتل نفسه بأدنى شيء من المباح والفقير الكذاب يقع في المحرم ولا يقتلها وكان كثيراً

ما ينهي عن الأحوال الظلمانية ويقول عندنا من المباح ما يغنينا عن المحرم والمكروه وأما السؤال فإنما هو مكروه أو حرام لقصد قوت الأشباح مع الكفاية وأما لقصد قوت الأرواح فليس بحرام وقد ذكر القسطلاني في شرح البخاري عن ابن العربي الفقير أنه واجب على الفقير في بدايته فأنظره وقد ذكره في المباحث الأصلية مستوفي فأنظره وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله عند قوله لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق ألخ فإن قلت هذا الخراب الذي ذكرت فيه شهرة أيضاً إذ الخمول هو الخفاء عن أعين الناس وهذا فيه ظهور كبير قلت الخمول هو إسقاط المترلة عند الناس وكتمان السر الولاية وكل ما يسقط المترلة عندهم وينفي تهمة الولاية فهو خمول وإن كان في الحس ظهوراً ولذلك كان شيخنا رضي الله عنه يقول طريقتنا منها الخمول في الظهور والظهور في الخمول وقال النجيبي في الأنالة ما نصه ومن يقل من الصوفية أن المرقعة شهرة فجوابه أن سلمان الفارسي سافر في زيارة أبي الدرداء من العراق إلى الشام راجلاً وعليه كساء غليظ غير مضموم فقيل له أشهرت نفسك فقال الخير خير الآخرة وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد فإذا أعتقت لبست حلة لا تبلى حواشيها اه ومن ذلك قصة الغزالي رضي الله عنه من حمله جلد الثور على ظهره حين ملاقاة شيخه الخراز وكنسه السوق واستعماله القربة ليسقي الناس كذا سمعتها من الشيخ مراراً و لم أقف عليها عند أحد ممن عرف به وأنظر ما جرى له مع ابن العربي عند قوله رب عمر أتسعت آماده وقلت أمداده وكذلك قصة الششتري رضي الله عنه مع شيخه ابن سبعين لأن الششتري كان وزيراً وعالماً وأبوه كان أميراً فلما أراد الدخول في طريق القوم قال له شيخه لا تنال منها شيئاً حتى تبيع متاعك وتلبس قشابة وتأخذ بنديراً وتدخل السوق ففعل جميع ذلك فقال له ما تقول في السوق فقال قل بدأت بذكر الحبيب فدخل السوق يضرب بنديره ويقول بدأت بذكر الحبيب فبقي ثلاثة أيام وخرقت له الحجب فجعل يغني في الأسواق بعلوم الأذواق ومن كلامه رضي الله عنه

شويخ من أرض مكناس ... في وسط الأسواق يغني
اش علي من الناس ... واش على الناس مني

ثم قال

اش حد من حد ... أفهموا ذي الأشاره
وأنظروا كبر سني ... والعصا والغراره
هكذا عشت بفاس ... وكدهان هوني
آش علي من الناس ... وآش على الناس مني
وما أحسن كلامه ... إذا يخطر في الأسواق

وترى أهل الحوانت	تلتفت لو بالأعناق
بالغرارة في عنقو	بعكيكز وبغراف
شيخ يبني على ساس	كأنشاء الله يبني
اش علي من الناس	واش على الناس مني

وكذا قصة الرجل الذي كان مع أبي يزيد البسطامي بقي معه ثلاثين سنة فكان لا ينقطع عن مجلسه ولا يفارقه فقال له يوماً يا أستاذ أنا منذ ثلاثين سنة أصوم النهار وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد في قلبي شيئاً من هذا الذي تذكر البتة وأنا أو من بكل ما تقول وأصدقه فقال له أبو يزيد رضي الله عنه لو صليت ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك عليه لا تجد منه ذرة قال فلم يا أستاذ قال لأنك محجوب بنفسك قال أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل قال بل أقبل وأعمل ما تقول قال له أبو يزيد إذهب الساعة إلى الحجام وأحلق رأسك ولحيتك وأنزع هذا اللباس وأتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة وأملأها جوزاً وأجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك يا صبيان من تصفعني صفعة أعطه جوزة وأدخل سوقك الذي تعظم فيه وأنت على هذه الحالة حتى ينظر إليك كل من عرفك فقال يا أبا يزيد سبحان اله أيقال لمثلي هذا وتحسب أني أفعله فقال له قولك سبحان الله شرك فقال له وكيف فقال أبو يزيد لأنك عظمت نفسك فسبحتها قال يا أبا يزيد لست أقدر على هذا ولا أفعله ولكن دلني على غير هذا حتى أفعله فقال له أبو يزيد إبدأ بهذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك بما يصلح لك قال لا أطيق هذا قال أنك قد قلت أنك تقبل وتعمل وأنا أعلم أن لا مطمع لعبد فيما حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى يموت نفسه ويخرق عوائد العامة فح تحرق له العوائد وتظهر له الفوائد اه وكذلك قصة أبي عمران البردعي مع شيخه أبي عبد الله التاودي بفاس من حلق رأسه ولبسه جلابية وأخذه خبزة ينادي عليها من يخلصها ففعل جميع ذلك وكذلك قصة شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب من أكله التين عند أشجار الناس وغنائه بالأسواق وخرابه بالقصر مشهور حتى طوف بها مراراً وكذلك قصة سيدي علي العمراني فخرابه بفاس مشهور كنار على علم سكن السفليات حتى مات رضي الله عنه وكذلك قصة شيخ شيخنا مولاي العربي من لبسه الغرارة وسقيه بالقربة وغير ذلك مما هو معلوم فهذه الحكايات تدل على أن الخمول ليس هو ما يفهمه العوام من لزوم البيوت والفرار إلى الجبال فذلك هو عين الظهور عند المحققين وإنما الخمول هو كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه تحقق النفس بوصفها الأدنى وشعورها به أبداً ووصفها الأدنى هو الذل وكل ما يثقل

عليها فمرجعه للتحقق بوصف التواضع وفائدته تحصيل العمل وكمال الحقيقة اه فإن قلت في فعل هذه الأحوال التعرض لكلام الناس وإيقاعهم في الغيبة قلت هذا مبني على القصدوالية وكل من فعل شيئاً من ذلك فإنما قصده قتل نفسه وتحقيق إخلاصه ودواء قلبه وهم مسامحون لمن قال فيهم عاذرون له قال سيدي علي في كتابه نحن نعذر من عذرنا ونعذر من لم يعذرنا وقال الشيخ زروق في قواعده قاعدة حكم الفقه عام في العموم لأن مقصوده إقامة رسم الدين ورفع مناره وإظهار كلماته وحكم التصوف خاص في الخصوص لأنه معاملة بين العبد وربه من غير زائد على ذلك فمن ثم صح أنكار الفقيه على الصوفي و لم يصح إنكار الصوفي على الفقيه ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه في الأحكام لا في الحقائق اه تنبيه هذه الأدوية التي ذكرنا إنما هي في حالة المرض وأما من تحقق شفاؤه وكمل فناؤه فهو عبد الله سواء أظهره أو أخفاه وفي هذا قال أبو العباس المرسي رضي الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء وعبد الله سواء عليه أظهره أم أخفاه اه ولما كان التخلص من دقائق الرياء ومخادع النفوس لا يكون في الغالب إلا بالفكرة ولا تتم الفكرة إلا بالعزلة ذكرها فقال ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة النفع إيصال الفائدة والقلب القوة المستعدة لقبول العلم والعزلة أنفراد القلب بالله وقد يراد بها الخلوة التي هي أنفراد القالب عن الناس وهو المراد هنا إذ لا ينفرد القلب في الغالب إلا إذا إنفرد القالب وميدان بالفتح والكسر في الميم مجال الخيل إستعير هنا للأفكار إذ ترددها في مواقعها كتردد الخيل في مجالها والفكرة سير القلب إلى حضرة الرب وهي على قسمين فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان على ما يأتي قلت لا شيء أنفع للقلب من عزلة مصحوبة بفكرة لأن العزلة كالحمية والفكرة كالدواء فلا ينفع الدواء من غير حمية ولا فائدة في الحمية من غير دواء فلا خير في عزلة

لا فكرة فيها ولا نهوض لفكرة لا عزلة معها إذ المقصود من العزلة هو تفرغ القلب والمقصود من التفرغ هو جولان القلب وإشتغال الفكرة والمقصود من إشتعال الفكرة تحصيل العلم وتمكنه من القلب وتمكن العلم بالله من القلب هو دواؤه وغاية صحته وهو الذي سماه الله القلب السليم قال الله تعالى في شأن القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم أي صحيح وقد قالوا إن القلب كالمعدة إذا قويت عليها الأخلاط مرضت ولا ينفعها إلا الحمية وهي قلة موادها ومنعها من كثرة الأخلاط وفي الحديث المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وكذلك القلب إذا قويت عليه الخواطر وأستحوذ عليه الحس مرض وربما مات ولا ينفعه إلا الحمية منها والفرار من مواطنها وهي الخلطة فإذا إعتزل عن الناس وإستعمل الفكرة نجح دواؤه وإسقام قلبه وإلا بقي سقيماً حتى يلقى الله بقلب سقيم بالشك والخواطر الرديئة نسأل الله العافية قال الجنيد رضي الله عنه أشرف المجالس الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه ثمار العزلة الظفر بمواهب المنة وهي أربعة كشف الغطاء وتنزل الرحمة وتحقق المحبة ولسان الصدق في الكلمة قال الله تعالى فلما إعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له الآية اه وأعلم أن في الخلوة عشر فوائد الأولى السلامة من آفات اللسان فإن من كان وحده لا يجد معه من يتكلم وقد قال عليه السلام رحم الله عبداً سكت فسلم أو تكلم فغنم ولا يسلم في الغالب من آفاته إلا من آثر الخلوة على الإجتماع وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه إذا رأيت الفقير يؤثر الخلوة على الإجتماع والصمت على الكلام والصيام على الشبع فأعلم أن حبجه قد عسل وإذا رأيته يؤثر الخلطة والكلام والشبع على ضدها فأعلم أن حبجه خاوي وقال في القوت وفي كثرة الكلام قلة الورع وعدم التقوى وطول الحساب ونشر الكتاب وكثرة الطالبين وتعلق المظلومين بالظالمين وكثرة الإشهاد من الكرام الكاتبين ودوام الإعراض عن الملك الكريم لأن الكلام مفتاح كبائر اللسان وفيه الكذب وفيه الغيبة والنميمة والزور والبهتان ثم قال وفي الخبر أكثر خطاياً ابن آدم في لسانه وأكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم خوضاً في مالاً يعني اه الفائدة الثانية حفظ البصر والسلامة من آفات النظر فإن من كان معتزلاً عن الناس سلم من النظر إليهم وإلى ما هم منكبون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها قال تعالى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه فتمنع بذلك النفس من التطلع إليها والإستشراف لها ومنافسة أهلها وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه إياك وفضول النظر فإنها تؤدي إلى فضول الشهوة وقال بعض الأدباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا أن العين سبب الحين أي الهلاك ومن أرسل طرفه أقتنص حتفه وأن النظر بالبصر إلى الأشياء يوجب تفرقة القلب اه الفائدة الثالثة حفظ القلب وصوته عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض قال بعض الحكماء من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقال بعض الصوفية قلت لبعض الأبدال المنقطعين إلى الله كيف الطريق إلى التحقيق قال لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة قلت لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة قلت لا بد لي قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم خسران وحسرة ووحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة قلت هذا لعله يكون قال يا هذا تنظر إلى الاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن إلى الهالكين وتريد أن تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله هيهات هذا لا يكون أبداً ثم غاب عني وقال القشيري رضي الله عنه فأرباب المجاهدة إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا إلى المستحسنات أي من الدنيا قال وهذا أصل كبير لهم في المجاهدات في أحوال الرياضة الفائدة الرابعة حصول الزهد في الدنيا والقناعة منها وفي ذلك شرف العبد وكماله وسبب محبته عند مولاه لقوله صلى الله عليه وسلم أزهد في الدنيا يحبك الله أزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس اه ولا شك أن من انفرد عن الناس و لم ينظر إلى ما

هم فيه من الرغبة في الدنيا والإنكباب عليها يسلم من متابعتهم في ذلك ويسلم من متابعة الطباع الرديئة

والأخلاق الدنيئة وقل من يخالطهم أن يسلم من ما هم فيه وقد روي عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتي فتموت قلوبكم قالوا من الموتى يا روح الله قال المحبون في الدنيا الراغبون فيها الفائدة الخامسة السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأرذال وفي مخالطتهم فساد عظيم وخطر جسيم ففي بعض الأخبار مثل الجليس السوء كمثل الكير إذا لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وقال سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه الجلسة مع غير الأخيار ترذل ولو تكون صافياً أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام يا داوود مالي أراك منتبذاً وحدانياً فقال إلهي قلبت الخلق من أجلك فقال يا داوود كن يقظان وأرتد لنفسك أخواناً وكل أخ لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فإنه لك عدو نفسي قلبك ويباعدك مني اه فإن أردت الصحبة فعليك بصحبة الصوفية فإن صحبتهم كتر لأنفاد له قال الجنيد رضي الله عنه إذا أراد الله تعبد خيراً أوقعه إلى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال آخر والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح الفائدة السادسة التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر ولا شك أن العبد إذا كان وحده تفرغ لعبادة ربه وأنجمع عليها بجوارحه وقلبه لقلة من يشغله عن ذلك قال في القوت وأما الخلوة فأنها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بالخالق وتقوي العزم على الثبات ألخ كلامه الفائدة السابعة وجدان حلاوة الطاعات وتمكن لذيذ المناجات لفراغ سره وهذا مجرب صحيح قال أبو طالب ولا يكون المريد صادقاً حتى يجد في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية وحتى يكون أنسه في الوحدة وروحه في الخلوة وأحسن أعماله في السر اه الفائدة الثامنة راحة القلب والبدن فإن في مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب بالإهتمام بأمرهم وتعب البدن بالسعي في أغراضهم وتكميل مرادهم وإن كان في ذلك الثواب فقد يفوته ما هو أعظم وأهم وهو جمع القلب في حضرة الرب الفائدة التاسعة صيانة نفسه ودينه من التعرض لشرور والخصومات التي توجبها الخلطة فإن للنفس تولعاً وتسارعاً للخوض في مثل هذا إذا اجتمعت بأرباب الدنيا وزاحمتهم فيها وللشافعي رضي الله عنه

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها	وسيق إلى عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غروراً وباطلاً	كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة	عليها كلاب همهن أجتذابها
فإن تجتنبها عشت سلماً لأهلها	وأن تجتذبها ناهشتك كلابها
فطوبي لنفس أوطأت قعر بيتها	مغلقة الأبواب مرخي حجابها

الفائدة العاشرة التمكن من عبادة التفكر والإعتبار وهو المقصود الأعظم من الخلوة وفي الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكان عيسى عليه السلام يقول طوبي لمن كان كلامه ذكراً وصمته تفكراً ونظره عبرة، وأن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر من التفكر وكان أفضل عبادة أبي الدرداء التفكر وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء وتبيين الحق من الباطل ويطلع بها أيضاً على خفايا آفات النفوس ومكائدها وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن رضي الله عنه الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك ويطلع بها أيضاً على عظمة الله وجلاله إذا تفكر في آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضاً على آلائه ونعمائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالاً سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بها على طاعة ربه قاله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه فهذه ثمرات عزلة أهل البداية وأما أهل النهاية فعزلتهم مصحوبة معهم ولو كانوا وسط الخلق لأنهم أقوياء رضي الله عنهم محجوبون بالجمع عن الفرق وبالمعنى عن الحس استوي عندهم الخلوة والخلطة لأنهم يأخذون النصيب من كل شيء ولا يأخذ النصيب منهم شيئاً وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه

الخلق نوار وأنا أرعيت فيهم   هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم

فإن أضاف المريد إلى العزلة الصمت والجوع والسهر فقد كملت ولايته وظهرت عنايته وأشرقت عليه الأنوار وأنمحت من مرآة قلبه صور الأغيار وقد أشار الشيخ إلى بعض ذلك متعجباً من ضده فقال كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته يشرق بضم الياء أي يستنير ويضيء وصور الأكوان أشخاصها وتماثيلها الحسية والمعنوية والأكوان أنواع المخلوقات دقت أو حلت ومنطبعة أي ثابتة وأنطبع الشيء في الشيء ظهر أثره فيه والمرآة بكسر الميم آلة صقيلة ينطبع فيها ما يقابلها فكلما قوى صقلها قوى ظهور ما يقابلها فيها وأستعيرت هنا للبصيرة التي هي عين القلب التي تتجلى فيها الأشياء حسنها وقبيحها قلت جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كا ما يقابلها وليس لها إلا وجهة واحدة فإذا أراد الله عنايته عبد شغل فكرته بأنوار ملكوته وأسرار جبروته و لم يعلق قلبه بمحبة شيء من الأكوان الظلمانية والخيالات الوهمية فأنطبعت في مرآة قلبه أنوار الإيمان والإحسان وأشرقت فيها أقمار التوحيد وشموس العرفان وإلى ذلك أشار الششتري في بعض أزجاله بقوله، أغمض الطرف ترى، وتلوح أخبارك، وأفن عن ذي الورى، تبدو لك أسرارك، وبصقل المري، به يزول إنكارك، ثم قال، الفلك فيك يدور، ويضيء ويلمع، ولشموس والبدور، فيك تغيب وتطلع، أي وبصقل مرآة قلبك يزول إنكارك للحق فتعرفه في كل

شيء فيصير قلبك قطب فلك الأنوار فيه تبدو أقمار التوحيد وشموس العرفان، وإذا أراد الله تعالى خذلان عبد بعدله وحكمته أشغل فكرته بالأكوان الظلمانية والشهوات الجسمانية فأنطبعت تلك الأكوان في مرآة قلبه فأنحجب بظلماتها الكونية وصورها الخيالية عن أشراق شموس العرفان وأنوار الإيمان فكلما تراكمت فيها صور الأشياء إنطمس نورها وأشتد حجابها فلا ترى إلا الحس ولا تتفكر إلا في الحس فمنها ما يشتد حجابها وينطمس نورها بالكلية فتنكر وجود النور من أصله وهو مقام الكفر والعياذ بالله ومنها ما يقل صداها ويرق حجابها فتقر بالنور ولا يشاهده وهو مقام عوام المسلمين وهم متفاوتون في القرب والبعد وقوة الدليل وضعفه كل على قدر يقينه وقلة تعلقاته الدنيوية وعوائقه الشهوانية وخيالاته الوهمية وفي الحديث أن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وأن الإيمان يخلق أي يبلى كما يخلق الثوب الجديد الحديث وفي حديث آخر لكل شيء مصقلة ومصقلة القلوب ذكر الله وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع وأستغفر صقلت وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون أو كما قال عليه السلام وإذا علمت أن القلب ليس له إلا وجهة واحدة إذا قابلها النور أشرقت وإذا قابلتها الظلمة أظلمت ولا تجتمع الظلمة والنور أبداً علمت وجه تعجب الشيخ بقوله كيف يشرق قلب بنور الإيمان والإحسان وصور الأكوان الظلمانية منطبعة في مرآة قلبه فالضدان لا يجتمعان قال الله تعالى "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه" فمالك أيها الفقير إلا قلب واحد إذا أقبلت على الخلق أدبرت عن الحق وإذا أقبلت على الحق أدبرت عن الخلق فترحل من عالم الملك إلى الملكوت ومن الملكوت إلى الجبروت وما دمت مقيداً في هذا العالم بشهواتك وعوائدك فلا يمكنك الرحيل إلى ربك وإلى ذلك أشار بقوله أم كيف يرجل إلى الله وهو مكبل بشهواته الرحيل هو النهوض والإنتقال من وطن إلى وطن وهو هنا من نظر الكون إلى شهود المكون أو من الملك إلى الملكوت أو من الوقوف مع الأسباب إلى رؤية مسبب الأسباب أو من وطن الغفلة إلى اليقظة أو من حظوظ النفس إلى حقوق الله أو من عالم الأكدار إلى عالم الصفا أو من رؤية الحس إلى شهود المعنى أو من الجهل إلى المعرفة أو من علم اليقين إلى عين اليقين أو من عين اليقين إلى حق اليقين أو من المراقبة إلى المشاهدة أو من مقام السائرين إلى وطن المتمكنين والمكبل هو المقيد والمراد بالشهوات كل ما تشتهيه النفس وتميل إليه قلت الرحيل مع التكبيل لا يجتمعان فما دام القلب محبوساً بالميل إلى شيء من هذا العرض الفاني ولو كان مباحاً في الشرع فهو مقيد به ومكبل في وطنه فلا يرحل إلى الملكوت ولا تشرق عليه أنوار الجبروت فتعلق القلب بالشهوات مانع له من النهوض إلى الله لإشتغاله بالإلتفات إليها وعلى تقدير النهوض معها تكون
مثبطة له عن الإسراع بالميل إليها وعلى تقدير الإسراع فلا يأمن العثار معها لإنس النفس بها ولذلك ترك

الأكابر لذتها حتى قال بعضهم لدغ الزنابير على الأجسام المقرحة أيسر من لدغ الشهوات على القلوب المتوجهة اه قال الشيخ زروق رضي الله عنه قلت هذا إن تعلق القلب بطلبها قبل حصولها وإلا فلا لعدم تعلق القلب بها وقد تقدم في حقيقة التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة وكان شيخنا رضي الله عنه يقول إن شئتم أن نقسم لكم لا يدخل عالم الملكوت من في قلبه علقة اه فأقطع عنك يا أخي عروق العلائق وفر من وطن العوائق تشرق عليك أنوار الحقائق ولهذا كانت السياحة والهجرة من الأمور المؤكدة على المريد إذ الإقامة في وطنه الحسي لا يخلو معها من التعلقات الحسية وقد قالوا الفقير كالماء إذا طال في موطن واحد تغير وإذا جرى عذب وبقدر ما يسير في الحس يسير في المعنى وبقدر ما يسير القالب يسير القلب والهجرة سنة نبوية ومنذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن له راحة إلا في السفر للجهاد حتى فتح الله عليه البلاد وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يستقر في وطنه إلا القليل منهم حتى فتح الله على أيديهم سائر البلاد وهدى الله بهم العباد نفعنا الله ببركاتهم آمين وإذا رحل القلب من وطن شهواته وتطهر من لوث غفلاته وصل إلى حضرة ربه وتنعم بشهود قربه ولذلك أشار بقوله أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته الحضرة هي حضور القلب مع الرب وهي على ثلاثة أقسام حضرة القلوب وحضرة الأرواح وحضرة الأسرار فحضرة القلوب للسائرين وحضرة الأرواح للمستشرفين وحضرة الأسرار للمتمكنين أو تقول حضرة القلوب لأهل المراقبة وحضرة الأرواح لأهل المشاهدة وحضرة الأسرار لأهل المكالمة وسر ذلك أن الروح ما دامت تتقلب بين الغفلة والحضرة كانت في حضرة القلوب فإذا إستراحت بالوصال سميت روحاً وكانت في حضرة الأرواح وإذا تمكنت وتصفت وصارت سراً من أسرار الله سميت سراً وكانت في حضرة الأسرار والله تعالى أعلم قلت الحضرة مقدسة منزهة مرفعة لا يدخلها إلا المطهرون فحرام على القلب الجنب أن يدخل مسجداً الحضرة وجنابة القلب غفلته عن ربه قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا" أي لا تقربوا صلاة الحضرة وأنتم سكارى بحب الدنيا وشهود السوي حتى تتيقظوا وتتدبروا ما تقولون في حضرة الملك ولا جنباً من جماع الغفلة وشهود السوى حتى تتطهروا بماء الغيب الذي أشار إليه الحاتمي رضي الله عنه كما في الطبقات الشعرانية في ترجمة أبي المواهب بقوله.

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر — وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر

وقدم إما ما كنت أنت إمامه — وصل صلاة الظهر في أول العصر

فهذي صلاة العارفين بربهم — فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

يعني تطهر من شهود نفسك بماء الغيبة عنها بشهود ربك أو تطهر من شهود الحس بشهود المعنى أو تطهر من شهود عالم الشهادة بماء شهود عالم الغيب أو تطهر من شهود السوى بماء العلم بالله فإنه بغيب عنك كل ما سواه وإذا تطهرت من شهود السوى تطهرت من العيوب كلها وإلى ذلك أشار الششتري رضي الله عنه بقوله

طهر العين بالمدامع سكباً   من شهود السوي تزل كل عله

وهذا الماء الذي هو ماء الغيب هو النازل من صفاء بحار الجبروت إلى حياض رياض الملكوت فتغرقه سحائب الرحمة وتثيره رياح الهداية فتسوقه إلى أرض النفوس الطيبة فتملأ منه أودية القلوب المنورة وخلجان الأرواح المطهرة وإليه الإشارة بقوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فأحتمل السيل زبداً رابياً الآية شبه الحق تعالى العلم النافع بالمطر النازل من السماء فكما أن المطر تعمر منه الأودي والغدران وتجري منه العيون والأنهار كل على قدر سعته وكبره كذلك العلم النافع نزل من سماء عالم الغيب إلى أرض عالم الشهادة فسالت به أودية القلوب كل على قدر طاقته وحسب استعداده وكما أن المطر يطهر الأرض من الأوساخ وهو معنى قوله تعالى فأحتمل السيل زبداً رابياً أي مرتفعاً على وجه الماء كذلك العلم النافع يطهر النفوس من الأدناس والقلوب من الأغيار والأرواح من الأكدار والأسرار من لوث الأنوار وهذا الماء هو الذي أشار إليه بقوله توضأ بماء الغيب أن كنت ذا سر أي كنت صاحب سر والشهود شهود الوحدة ونفي الكثرة أو شهود العظمة بالعظمة ومن لم يتحقق بهذا فلا يمكنه التطهير بماء الغيب بالكلية لفقده ذلك الماء أو لعدم قدرته عليه فينتقل للتيمم الذي هو رخصة للضعفاء وطهارة المرضى وإلى ذلك أشار بقوله وإلا تيمم بالصعيد أو بالصخر أي وإن لم تقدر على الطهارة الأصلية وهي الغيبة عن السوى لمرض قلبك مع عدم صدقك فأنتقل للطهارة الفرعية التي هي العبادة الظاهرية أو تقول وإن لم تقدر على الطهارة الحقيقية التي هي الطهارة الباطنية فأنتقل للطهارة المجازية التي هي الطهارة الظاهرية أو تقول وإن لم تقدر على طهارة المقربين فأنتقل لطهارة أهل اليمين أو تقول وإن لم تقدر على طهارة أهل المحبة فأنتقل لطهارة أهل الخدمة قوم أقامهم الله لخدمته وقوم إختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً فطهارة أهل المحبة الفكرة والنظرة وطهارة أهل الخدمة بالمجاهدة والمكابدة بين عبادة ظاهرة كصلاة وصيام وذكر وتلاوة وتعليم وغير ذلك وبين عبادة خفية كخوف ورجاء وزهد وصبر وورع ورضى وتسليم ورحمة وشفقة وغير ذلك مما لا يظهر للعيان وهذا هو تصوف أهل الظاهر وأما تصوف أهل الباطن فهو الغيبة عن الأكوان بشهود المكون أو الغيبة

عن الخلق بشهود الملك الحق وهو الذي عبر عنه الناظم بماء الغيب فكل من لم يدرك تصوف أهل الباطن فهو من أهل التيمم فإن كان مشغولاً بالعمل الظاهر كالصلاة والصيام ونحوهما فهو كالمتيمم بالصعيد لظهورها كظهور أثر التراب على الجوارح وإن كان مشغولاً بالعبادة الخفية كالزهد والورع ونحوهما فهو كالمتيمم بالصخر لعدم ظهورها في الغالب كعدم ظهور أثر الصخر ولما أمرك بالغيبة عن السوى خاف عليك إنكار الواسطة وإسقاط الحكمة فتقع في الزندقة فقال وقدم إماماً كنت أنت إمامه والمراد بالأمام هو النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه ممن جمع بين الحقيقة والشريعة فأمرك بإتباع الشريعة المحمدية في حال غيبتك عن السوى فيكون ظاهرك سلوكاً وباطنك جذباً ظاهرك مع الحكمة وباطنك مع القدرة ولا بد أن تقتدي بإمام كامل سلك الطريقة على يد شيخ كامل يعلمك كيفية العمل بالشريعة ويدلك على الحقيقة وإلا بقيت مريضاً على الدوام تستعمل طهارة المرضى على الدوام وأنظر قول القرافي رضي الله عنه لما سقط على شيخ التربية قال تيممت بالصعيد زماناً والآن سقطت على الماء إذ لا تجد ماء الغيب ولا تقدر على إستعماله إلا بصحبة أهل هذا الماء الذين شربوه وسكروا به ثم صحوا من سكرتهم وسلكوا من جذبتهم فتملكهم زمام أمرك وتنقاد إليهم بكليتك بعد أن أطلعك الله على خصوصيتهم وكشف لك عن أسرارهم فشهدت لهم روحك بالتقديم وسرك بالتعظيم فتقدمهم أمامك بعد إن كنت أنت أمامهم وهم يطلبونك للحضرة وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس إلى الله وهم فارون إمامه فلما عرفوا الحق قدموه أمامهم وهذا معنى قوله كنت أنت إمامه وقوله وصل صلاة الفجر في أول العصر وفي بعض النسخ وصل صلاة الظهر في أول العصر أي اجمع ظهر الشريعة لعصر الحقيقة وفي أكثر النسخ وصل صلاة الفجر في أول العصر أي إرجع إلى البقاء بعد كمال الفناء أو إلى السلوك بعد الجذب إذ الغالب على المريد أن يتقدمه السلوك ثم يأتيه الجذب فأوله سلوك

وآخره جذب كما أن أول النهار صلاة الفجر وآخره صلاة العصر أي إرجع إلى صلاة الفجر التي كانت في أول نهارك فصلها في آخر نهارك فأرجع إلى السلوك الذي كان في أول أمرك فأجعله في آخر أمرك وهو معنى قولهم منتهى الكمال مبدأ الشرائع وقالوا أيضاً نهاية السالكين بداية المجذوبين ونهاية المجذوبين بداية السالكين وقالوا أيضاً علامة النهاية الرجوع إلى البداية وسيأتي الكلام على هذا في محله إن شاء الله وقوله فهذي صلاة العارفين بربهم لأنهم تطهروا الطهارة الأصلية وصلوا الصلاة الدائمة قال الله تعالى، "الذين هم على صلاتهم دائمون" فالعوام حد صلاتهم أوقاتهم والعارفون في الصلاة على الدوام قيل لبعضهم هل للقلوب صلاة فقال نعم إذا سجد لا يرفع رأسه أبداً أي إذا سجدت الروح لهيبة الجلال والجمال لا ترفع رأسها أبداً وإليه أشار الششتري بقوله فأسجد لهيبة الجلال عند التداني ولتقرأ آية الكمال سبع المثاني، وقوله فإن كنت منهم فأنضح البر بالبحر أي فإن كنت من العارفين المحققين فأنضح

بر شريعتك ببحر حقيقتك بحيث ترش على شريعتك من بحر حقيقتك حتى تغمرها وتغطيها فتصير الشريعة عين الحقيقة والحقيقة عين الشريعة حتى يصير عملك كله بالله والله تعالى أعلم وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإذا دخل القلب حضرة القدس ومحل الأنس فهم دقائق الأسرار وملئ بالمواهب والأنوار وإلى ذلك أشار بقوله أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته الرجاء تمنى الشيء مع السعي في أسبابه وإلا فهو أمنية والفهم حصول العلم بالمطلوب ودقائق الأسرار غوامض التوحيد والتوبة الرجوع عن كل وصف ذميم إلى كل وصف حميد وهذه توبة الخواص والهفوات جمع هفوة وهي الزلة والسقطة قلت فهم دقائق الأسرار لا يكون أبداً مع وجود الإصرار أو تقول فهم غوامض التوحيد لا يكون إلا بقلب فريد فمن لم يتب من هفواته ويتحرر من رق شهواته فلا يطمع في فهم غوامض التوحيد ولا يذوق أسرار أهل التغريد قال أحمد بن أبي الحواري وسمعت شيخي أبا سليمان الداراني رضي الله عنه يقول إذا أعتادت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً قال أحمد بن حنبل صدقت يا أحمد وصدق شيخك ما سمعت في الإسلام بحكاية أعجب إلى من هذه من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وقيل للجنيد رضي الله عنه كيف الطريق إلى التحقيق قال بتوبة تزيل الإصرار وخوف يقطع التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل فقيل له بماذا يصل إلى هذا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد اه فإذا إنفرد القلب بالله وتخلص مما سواه فهم دقائق التوحيد وغوامضه التي لا يمكن التعبير عنها وإنما هي رموز وإشارات لا يفهمها إلا أهلها ولا تفشى إلا لهم وقليل ومن أفشى شيئاً من أسرارها مع غير أهلها فقد أباح دمه وتعرض لقتل نفسه كما قال أبو مدين رضي الله عنه

وفي السر أسرار دقاق لطيفة ... تراق دمانا جهرة لو بها بحنا

وقال آخر

ولي حبيب عزيز لا أبوح به ... أخشى فضيحة وجهي يوم ألقاه

وهذه الأسرار هي أسرار الذات وأنوار الصفات التي تجلى الحق بها في مظهر الأكوان وإلى ذلك أشار بقوله الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه الكون ما كونته القدرة وأظهرته للعيان والظلمة ضد النور وهي عدمية والنور وجودي وأناره أي صيره نوراً وظهور الحق تجليه قلت الكون من حيث كونيته وظهور حسه كله ظلمة لأنه حجاب لمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه ولأنه سحاب يغطي شمس المعاني لمن وقف مع ظاهر حس الأواني وإليه أشار الششتري بقوله لا تنظر إلى الأواني، وخض بحر المعاني، لعلك تراني، فصار الكون بهذا الإعتبار كله ظلمة وإنما أناره تجلي الحق به وظهوره فيه فمن نظر إلى ظاهر حسه

رآه حساً ظلمانياً ومن نقد إلى باطنه رآه نوراً ملكوتياً قال الله تعالى "الله نور السموات والأرض" فتحمل أن قول الشيخ الكون كله ظلمة إنما هو في حق أهل الحجاب لإنطباع ظاهر صور الأكوان في مرآة قلوبهم وأما أهل العرفان فقد نفذت بصيرتهم إلى شهود الحق فرأوا الكون نوراً فائضاً من بحر الجبروت فصار الكون عندهم كله نوراً قال الله تعالى "قل أنظروا ماذا في السموات والأرض" أي من نور ملكوته وأسرار جبروته أو من أسرار المعاني القائمة بالأواني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أحتجب عن أهل السماء كما أحتجب عن أهل الأرض وأن أهل الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم وأنه ما حل في شيء ولا غاب عن شيء اه وهذه المعاني إنما هي أذواق لا تدرك بالعقل ولا بنقل الأوراق وإنما تدرك بصحبة أهل الأذواق فسلم ولا تنتقد، إن لم تر الهلال فسلم، لأناس رواه بالأبصار، ثم قسم الناس في شهود الحق على ثلاثة أقسام عموم وخصوص وخصوص الخصوص فقال فمن رأى الكون و لم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار فأهل مقام البقاء يشهدون الحق بمجرد وقوع بصرهم على الكون فهم يثبتون الأثر بالله ولا يشهدون بسواه إلا أنهم لكما لهم يثبتون الواسطة والموسوطة فهم يشهدون الحق بمجرد شهود الواسطة أو عندها بلا تقديم ولا تأخير ولا ظرفية ولا مظروف

مذ عرفت الإله لم أر غيراً وكذا الغير عندنا ممنوع

وقال الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه لأبي الحسن رضي الله عنه يا أبا الحسن حدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء وتحت كل شيء وقريباً من كل شيء ومحيطاً بكل شيء بقرب هو وصفه وبحيطة هي نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب بالمسافات وعن الدور بالمخلوقات وأمحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو هو كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان اه وقال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه و لم أره حديثاً وإنما هو من قول بعض العارفين فأهل السير من المريدين يشهدون الكون ثم يشهدون المكون عنده وبأثره فيمتحق الكون من نظرهم بمجرد نظرهم إليه وهذا حال المستشرفين وأهل مقام الفناء يشهدون الحق قبل شهود الخلق بمعنى أنهم لا يرون الخلق أصلاً إذ لا ثبوت له عندهم لأنهم لسكرتهم غائبون عن الواسطة فانون عن الحكمة غرقي في بحر الأنوار مطموس عليهم الآثار وفي هذا المقام قال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان إنما يشهدون الكون ولا يشهدون المكون لا قبله ولا بعده إنما يستدلون على وجوده بوجود الكون وهذا لعامة المسلمين من أهل اليمين قد أعوزهم أي فاتهم وجود الأنوار

ومنعوا منها وحجبت عنهم شموس المعارف بسحب الآثار بعد طلوعها وأشراق نورها لكن لا بد للشمس من سحاب وللحسناء من نقاب ولله در القائل

وما أحتجبت إلا برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر

وقال آخر

لقد ظهرت فلا تخفي على أحد إلا على أكمه لا يبصر القمرا

لكن بطنت بما أظهرت محتجباً وكيف يعرف من بالعزة أستترا

ثم إحتجابه تعالى في حال ظهوره مما يدلك على وجود قهره كما أشار إليه بقوله مما يدلك على وجود قهره سبحانه إن حجبك عنه بما ليس بموجود معه قلت من أسمائه تعالى القهار ومن مظاهر قهره إحتجابه في ظهوره وظهوره في بطونه وبطونه في ظهوره ومما يدلك أيضاً على وجود قهره إن إحتجب بلا حجاب وقرب بلا إقتراب بعيد في قربه قريب في بعده إحتجب عن خلقه في حال ظهوره لهم وظهر لهم في حال إحتجابه عنهم فاحتجب عنهم بشيء ليس بموجود وهو الوهم والوهم أمر عدمي مفقود فما حجبه إلا شدة ظهوره وما منع الأبصار من رؤيته إلا قهارية نوره فتحصل إنفراد الحق بالوجود وليس مع الله موجود قال تعالى كل شيء هالك إلا وجهه وأسم الفاعل حقيقة في الحال وقال تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن وقال تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله وقال تعالى وهو معكم أينما كنتم وقال تعالى وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس وقال تعالى "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" وقال تعالى "أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله" الآية وقال صلى الله عليه وسلم أفضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد، ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكل نعيم لا محالة زائل، وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا عبدي مرضت فلم تعدني فيقول يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول الله إما أنه مرض عبدي فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده ثم يقول يا عبدي إستطعمتك فلم تطعمني ثم يقول أستسقيتك فلم تسقني الحديث فدل الحديث على أن هذه الهياكل والأشخاص خيالات لا حقيقة لها فهي أشبه شيء بالظلال قال الششتري رضي الله عنه

الخلق خلقكم والأمر أمركم فأي شيء أنا لكنت من ظلل

ما للحجاب مكان في وجودكم إلا بسر حروف أنظر إلى الجبل

أنتم دللتم عليكم منكم ولكم ديمومة عبرت عن غامض الأزل

عرفتم بكم هذا الخبير بكم أنتم هم يا حياة القلب يا أملي

قوله الخلق خلقكم ألخ المراد بالخلق صور الأشباح وبالأمر سر الأرواح أي الأشباح حكمتكم والأرواح سر من أسراركم فأنا لا وجود لي أصلاً فأي شيء قدرت نفسي وجدهما لكم ومظهراً من مظاهركم وإنما أنا ظلل من ظلل وجودكم ثم قال ما للحجاب مكان في وجودكم أي لا موضع للحجاب الحسي في وجودكم إذ لو كان للحجاب مكان في وجودكم لكان أقرب إلينا منكم وهو محال لأنك قلت ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله إلا بسر حروف إلخ الإستثناء منقطع أي موضعه للحجاب الحسي بيننا وبينكم لكن حجاب القهرية ورداء العزة والكبرياء هو الذي منع الأبصار من رؤية نوركم الأصلي الجبروتي إذ لو ظهر ذلك النور لأضمحلت المكونات ولا أحترقت من نور السبحات ولهذا السر أمر الله سيدنا موسى عليه السلام حين طلب الرؤية بالنظر إلى الجبل لما أراد الله تعالى أن يتجلى له بشيء من ذلك النور فلما لم يثبت الجبل لشيء قليل منه علمناً أنه لا طاقة للعبد الضعيف في هذه الدار على الرؤية الواحد القهار إلا بواسطة الأكوان الكثيفة بعد أن نشر عليها الأردية المعنوية وهذا معنى قوله إلا بسر حروف أنظر إلى الجبل أي الأبحجاب القهرية المفهوم من سر قوله تعالى أنظر إلى الجبل أو إلا حجاباً ملتبساً بسر الحكمة المفهوم من قوله تعالى أنظر إلى الجبل وكأنه تعالى يقول يا موسى لن تقدر أن تراني من غير حجاب الحكمة ولكن أنظر إلى الجبل فإن أطاق ذلك فسوف تراني أنت فلما تجلى له الحق تعالى من غير واسطة الحس جعله دكاء والله تعالى أعلم وقال أيضاً في هذا المعنى

لقد أنا شيء عجيب	لمن رآني
أنا المحب والحبيب	ليس ثم ثاني
يا قاصداً عين الخبر	غطاه أينك
الخمر منك والخبر	والسر عندك
أرجع لذاتك وأعتبر	ما ثم غيرك

فقوله يا قاصداً عين الخبر أي عين خبر التحقيق وقوله غطاه أينك أي مكان وجودك الوهمي إذ لو غبت عن وجودك لوقعت على عين التحقيق وقوله الخمر منك أي شربة خمرة المحبة منك وهذا كما قال، مني علي دارت كؤسي، وقوله والخبر أي والخبر عن عين التحقيق منك أيضاً وسر الربوبية عندك لأنك كتز مطلسم فإذا أردت أن تعرفه فأرجع لذاتك وأعتبر تجد الوجود كله واحداً وأنت ذلك الواحد قال الشاعر

هذا الوجود وإن تعدد ظاهراً	وحياتكم ما فيه إلا أنتم

وقال أيضاً رضي الله عنه، لقد فشي سري بلا مقال، وقد ظهر عني في ذا المثال، نرى وجود غيري من المحال، وكلما دوني خيال في، متحد في كل شيء، أنا هو المحبوب وأنا الحبيب، والحب لي مني شيء عجيب، وحدي أنا فافهم سري غريب، فمن نظر ذاتي رآني شيء، وفي حلا ذات طواني طي، صفاتي لا تخفي لمن نظر، وذاتي معلومة تلك الصور أفن عن الإحساس تري عبر، في السر والمعنى خفيت كي، لأنه مني ستر على، وقد أتفقت على هذا المعني وهو سر الوحدة مقالات العارفين ومواجيد المحبين وأشعارهم كل على قدر ذوقه وشربه جزاهم الله عنا وعن المسلمين خيراً ولا يفهم هذه العبارات إلا أهل الأذواق والإشارات وحسب من لم يبلغ لها فهمه و لم يحط بها علمه أن يسلم ويكل فهمها إلى أربابها وليعتقد كمال التتريه وبطلان التشبيه لأن هذه المعاني أذواق لا تنال إلا بصحبة أهل الأذواق ثم أستدل على بطلان وجود الحجاب في حقه تعالى بعشرة أمور متعجباً من كل واحد لظهوره مع خفائه أي لشدة ظهوره عند العارفين وشدة خفائه عند الغافلين الجاهلين فأشار إلى الأول بقوله كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء والظاهر هو الباطن ما بطن في عالم الغيب هو الذي ظهر في عالم الشهادة فحياض الجبروت متدفقة بأنوار الملكوت، أنظر جمالي شاهداً في كل إنسان، الماء يجري نافداً، في أس الأغصان، تجده ماء واحداً، والزهر ألوان، يا عجباً كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف، عجبت لمن يبغي عليك شهادة، وأنت الذي أشهدته كل شاهد، ثم ذكر الثاني فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر بكل شيء بباء الجر أي تجلي بكل شيء فلا وجود لشيء مع وجوده فكيف يحجبه شيء والغرض أن لاشيء قال صاحب العينية رضي الله عنه

تجليت في الأشياء حين خلقتها فها هي ميطت عنك فيها البراقع

ثم ذكر الثالث فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء بقدرته وحكمته القدرة باطنة والحكمة ظاهرة فالوجود كله بين قدرة وحكمة وبين جمع وفرق وقد تقدم قول بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه أي بقدرته وحكمته فلولا ظهور أنوار الصفات ما عرفت الذات ولا الحس ما قبضت المعني ولولا الكثيف ما عرفت اللطيف وللششتري رحمه الله، محبوبي قد عم الوجود، وقد ظهر في بيض وسود، وفي النصاري مع اليهود، وفي الخنازير مع القرود، وفي الحروف مع النقط، أفهمني قط أفهمني قط، ثم قال، عرفته طول الزمان، ظهر لي في كل أوان، وفي المياه وفي الدلوان، وفي الطلوع وفي الهبوط، أفهمني قط أفهمني قط، ثم ذكر الرابع فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر لكل شيء بلام الجر أي المتجلي لكل شيء بأسرار ذاته وأنوار صفاته ولما تجلى لكل شيء وعرفه في الباطن كل شيء وسبح بحمده كل شيء فلم يحجبه شيء عن شيء قال الله تعالى "وأن من شيء إلا يسبح بحمده" يقول

بلسان حاله سبحان المتجلي لكل شيء الظاهر بكل شيء يفقهه العارفون ويجهله الغافلون ثم ذكر الخامس فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء فكل ما ظهر فمنه وإليه فكان في أزله ظاهراً بنفسه ثم تجلى لنفسه بنفسه فهو الغني بذاته عن أن يظهر بغيره أو يحتاج إلى من يعرفه غيره فالكون كله مجموع والغير عندنا ممنوع ثم ذكر السادس فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء إذ لا وجود للأشياء مع وجوده ولا ظهور لها مع ظهوره وعلى تقدير ظهورها فلا وجود لها من ذاتها فلولا ظهوره في الأشياء ما وقع عليها أبصار

من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال

فالعبد في حالة الحجاب تكون نفسه وجودها عنده ضرورياً ووجود الحق تعالى عنده نظرياً فإذا عرف الحق وفني عن نفسه وتحقق بزوالها صار عنده وجود الحق ضرورياً ووجود نفسه نظرياً بل محال ضروري قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنا لننظر إلى الله ببصر الإيمان والإيقان فأغنانا عن الدليل والبرهان وأنا لا نري أحداً من الخلق فهل في الوجود أحد سوي الملك الحق وأن كان ولا بد فكالهباء في الهواء إن فتشتهم لم تجدهم شيئاً اه زاد في لطائف المنن ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إلى الله فليت شعري هل لها وجود معه حتي توصل إليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وإن كانت الكائنات موصلة له فليس ذلك لها من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل إليه غير إلهيته ولكن الحكيم هو واضع الأسباب وهي لمن وقف معها ولا ينفذ إلى قدرته عين الحجاب فظهور الحق أجلي من كل ما ظهر إذ هو السبب في ظهور كل ما ظهر وما أختفى إلا من شدة ما ظهر ومن شدة الظهور الخفاء وإلى هذا المعني أشار الرفاعي بقوله

يا من تعاظم حتى رق معناه ولا تردى رداء الكبر إلا هو

أي يا من تعاظم في ظهوره حتى خفي معناه ثم ذكر السابع فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء لتحقق وحدانيته أزلاً وأبداً كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أفي الله شك فكل ما ظهر للعيان فإنما هو مظاهر الرحمن قال صاحب العينية رضي الله عنه

تجلى حبيبي في مرائي جماله ففي كل مرءاً للحبيب طلائع

فلما تجلى حسنه متنوعاً تسمى بإسماء فهن مطالع

فالحق تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله فلا شيء قبله ولا شيء بعده ولا شيء معه ثم ذكر الثامن فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء قال تعالى "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" وقال تعالى "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" وقال تعالى "وكان الله على كل شيء رقيباً وأن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى" وقربه تعالى قرب علم وإحاطة وشهود لأقرب مسافة إذ لا مسافة بينك وبينه وتقدم في الحديث وأن الله ما حل في شيء ولا غاب عن شيء وقال سيدنا علي كرم الله وجهه الحق تعالى ليس من شيء ولا في شيء ولا فرق شيء ولا تحت شيء إذ لو كان من شيء لكان مخلوقاً ولو كان فوق شيء لكان محمولاً ولو كان في شيء لكان محصوراً ولو كان تحت شيء لكان مقهوراً اه وقيل له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أين كان ربنا أو هل له مكان فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال قولكم أين الله سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان ثم خلق الزمان والمكان وهو الآن كما كان دون مكان ولا زمان اه وقال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قيل لي يا علي بي قل وعلى دل وأنا الكل اه هذا كما في حديث البخاري يقول الله تعالى بسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر وتفسيره ما في الحديث قبله والله تعالى أعلم ثم ذكر التاسع فقال كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه لما ظهر وجود كل شيء قال تعالى "وخلق كل شيء فقدره تقديراً" وقال تعالى "إنا كل شيء خلقناه بقدر" فكل ما ظهر في عالم الشهادة فهو فائض من عالم الغيب وكل ما برز في عالم الملكوت فهو فائض من بحر الجبروت فلا وجود للأشياء إلا منه ولا قيام لها إلا به ولا نسبة لها معه إذ هي عدم محض وعلى توهم وجودها فهي حادثة فانية ولا نسبة للعدم مع الوجود ولا للحادث مع القديم ولذلك تعجب الشيخ من إجتماعهما فقال يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم قلت وهذا هو العاشر فالوجود والعدم ضدان لا يجتمعان والحادث والقديم متنافيان لا يلتقيان وقد تقرر أن الحق واجب الوجود وكل ما سواه عدم على التحقيق فإذا ظهر الوجود أنتفي ضده وهو العدم فكيف يتصور أن يحجبه وهو عدم فالحق لا يحجبه الباطل قال تعالى "فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال" فلا وجود للأشياء مع وجوده فأنتفي القول بالحلول إذ الحلول يقتضي وجود السوي حتى يحل فيه معنى الربوبية والفرض أن السوي عدم محض فلا يتصور الحلول وإلى هذا أشار في العينية بقوله

ونزهه في حكم الحلول فما له سوى وإلى توحيده الأمر راجع

والقديم والحادث لا يلتقيان فإذا قرن الحادث بالقديم تلاشي الحادث وبقي القديم قال رجل بين يدي الجنيد رضي الله عنه الحمد لله و لم يقل رب العالمين فقال له الجنيد كمله يا أخي فقال له الرجل وأي قدر للعالمين حتي يذكروا معه فقال الجنيد قله يا أخي فإن الحادث إذا قرن بالقديم تلاشي الحادث وبقي القديم اه فقد تقرر أن الأشياء كلها في حيز العدم إذ لا يثبت الحادث مع من له وصف القدم فأنتفى القول بالإتحاد إذ معنى الإتحاد هو إقتران القديم مع الحادث فيتحدان حتي يكونا شيئاً واحداً وهو محال إذ هو مبني أيضاً على وجود السوي ولا سوي وقد يطلقون الإتحاد على الوحدة كقول ابن الفارض

وهامت بها روحي بحيث تمازجا إتحاداً ولا جرم تخلله جرم

فأطلق الإتحاد على إتصال الروح بأصلها بعد صفائها ولذلك قال بعده ولا جرم تخلله إلخ فتحصل أن الحق سبحانه واحد في ملكه قديم أزلي باق أبدي منزه عن الحلول والإتحاد مقدس عن الشركاء والأضداد كان ولا أين ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان ومما ينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه

رأيت ربي بين قلبي فقلت لا شك أنت أنت
أنت الذي حزت كل أين بحيث لا أين ثم أنت
فليس للأين منك أين فيعلم الأين أين أنت
وليس للوهم فيك وهم فيعلم الوهم كيف أنت
أحطت علماً بكل شيء فكل شيء أراه أنت
وفي فنائي فنا فنائي وفي فنائي وجدت أنت

وسئل أبو الحسن النوري رضي الله عنه أين الله من مخلوقاته فقال كان الله ولا أين والمخلوقات في عدم فكان حيث هو وهو الآن حيث كان إذ لا أين ولا مكان فقال له السائل وهو علي بن ثور القاضي في قصة محنة الصوفية فما هذه الأماكن والمخلوقات الظاهرة فقال عز ظاهر وملك قاهر ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه لا هي متصلة به ولا منفصلة عنه فرغ من الأشياء و لم تفرغ منه لأنها تحتاج إليه وهو لا يحتاج إليها قال له صدقت فأخبرني ماذا أراد الله بخلقها قال ظهور عزته وملكه وسلطانه قال صدقت فأخبرني ما مراده من خلقه قال ما هم عليه قال أو يريد من الكفرة الكفر قال أفيكفرون به وهو كاره ثم قال أخبرني ماذا أراد الله بإختلاف الشيع وتفريق الملل قال أراد إبلاغ قدرته وبيان حكمته وإيجاب لطفه وظهور عدله وإحسانه اه المراد منه وفيه إشارة إلى أن تجليات الحق على ثلاثة أقسام قسم أظهرهم ليظهر فيهم كرمه وإحسانه وهم أهل الطاعة والإحسان وقسم أظهرهم ليظهر فيهم عفوه وحلمه وهم أهل

العصيان من أهل الإيمان وقسم أظهرهم ليظهر فيهم نقمته وغضبه وهم أهل الكفر والطغيان فهذا سر تجليه تعالى في الجملة والله تعالى أعلم فذلكة حاصل ما اشتمل عليه هذا الباب من أول الكتاب ثلاثة أمور عمل الشريعة والطريقة والحقيقة أو تقول عمل الإسلام والإيمان والإحسان وهي البداية والوسط والنهاية ومن علامة النجح في النهاية الرجوع إلى الله في البداية فأمرك بالرجوع إليه والإعتماد عليه دون الأعتماد على العمل مع وجود العمل ثم ذلك على الأدب في حال التجريد والأسباب ثم نهاك في حالة المسير عن شغل باطنك بكد التدبير فإنه سبب التكدير ثم أنهضك إلى الإجتهاد في الأعمال المطلوبة منك مع التقصير فيما هو مضمون لك ليكون سبباً في فتح بصيرتك ومن جملة ما هو مضمون ما تطلبه بدعائك فلا تستعجل ما تأخر عن وقته ولا تيأس من رحمته وإذا وعدك بشيء فلا تشك في وعده ولا تتهمه فيما يترل بك من تعرفاته وقهره فهذه أعمال أهل البدايات أختلفت أجناسها بإختلاف أحوالهم فقوله من علامة الإعتماد على العمل إلى قوله الأعمال صور قائمة كله من عمل الشريعة الذي هو مقام الإسلام وقوله الأعمال صور قائمة إلى قوله الكون كله ظلمة هو من عمل الطريقة الذي هو مقام الإيمان ومداره على تخليص الباطن وتهذيبه فأمرك بالإخلاص والصدق وهو سر الإخلاص والخمول لأنه محله ومظهره والعزلة لتتمكن من الفكرة وتصفية مرآة القلب من صور الأكوان لتتهيأ لأشراق شموس العرفان ثم فتح لك الباب ورفع عنك الحجاب وقال لك ها أنت وربك وهو قوله الكون كله ظلمة إلى آخر الباب فقد قطع لك توهم الحجاب من جميع الوجوه فجزاه الله أحسن جزائه ومتعه برضوانه مع أنبيائه وأحبائه وخرطنا في سلكهم مع كافة الأحباب أمين ولما أدخلك الحضرة دلك على آدابها فقال في أول الباب الثاني مترجماً عنها من بعض التلامذة بقوله وقال رضي الله عنه وجملة أبوابه خمسة وعشرون باباً وثلاث رسائل وجواب ثم مناجات فلما فرغ من الباب الأول أشار إلى الباب الثاني فقال وقال رضي الله عنه ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله فيه الجهل هو ضد العلم وقيل هو عدم العلم بالمقصود وهو على قسمين بسيط ومركب فالبسيط أن يجهل ويعلم أنه جاهل والمركب أن يجهل جهله وأقبح الجهل الجهل بالله وإنكاره بعد طلب معرفته قلت من آداب العارف الحقيقي أن يقر الأشياء في محلها ويسير معها على سيرها فكلما أبرزته القدرة للعيان فهو في غاية الكمال والإتقان وفي ذلك قال صاحب العينية رضي الله عنه

وكل قبيح إن نسبت لحسنه	أتتك معاني الحسن فيه تسارع
يكمل نقصان القبيح جماله	فما ثم نقصان ولا ثم باشع

وقال أبو الحسن النوري رضي الله عنه مراد الله من خلقه ما هم عليه فإذا أقام الله عبداً في مقام من المقامات فالواجب على العارف أن يقره فيه بقلبه كائناً ما كان فإن كان لا تسلمه الشريعة رغبة في الخروج عنه بالسياسة وينظر ما يفعل الله قال بعضهم من عامل الخلق بالشريعة طال خصمه معهم ومن عاملهم بالحقيقة عذرهم والواجب أن يعاملهم في الظاهر بالشريعة فيذكرهم وفي الباطن بالحقيقة فيعذرهم ومن أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله تعالى في نفسه أو في غيره فقد جمع الجهل كله و لم يترك منه شيئاً حيث عارض القدر ونازع القادر وقد قال تعالى إن ربك فعال لما يريد ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وفي بعض الأخبار يقول الله تبارك وتعالى من لم يرض بقضائي و لم يصبر على بلايي فليخرج من تحت سمائي وليتخذ رباً سواي وقال عبد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما لأن الحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان وقال أبو عثمان رضي الله عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلني إلي غيره فسخطته وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه في كتابه من عرف أهل حقائق الظاهر و لم ينكر عليهم شيئاً من أحوالهم يظفر بما في أيديهم ولا يمنع خيرهم قطعاً ومن عرف أهل حقائق الباطن و لم ينكر عليهم شيئاً من أحوالهم يظفر بما في إأيديهم على كل حال العارف بالله يجمع بين خير الفرقتين يصطحب معهما جميعاً وكل فرقة يتلون على لونها كشيخ شيوخنا رضي الله عنهم سيدي أحمد اليماني نفعنا الله به كان رضي الله عنه ممن لا ينكر حالاً من أحوال الخلق أهل الظاهر يتلمذهم في ظواهرهم ويدفعهم إليها ويقرهم فيها وأهل البواطن يتلمذهم في بواطنهم ويدفعهم إليها ويقرهم فيها فحصل له خير الفرقتين بما رزقه الله من المعرفة والحكمة قيل أن الولي الكامل يتطور بجميع الأطوار يقضي جميع الأوطار اه قلت ومن تأمل الأحاديث النبوية وجدها على هذا المنوال لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان سيد العارفين وقدوة المربين فكان يقر الناس على ما أقامهم الله في حكمتهم ويرغبهم فيها فلذلك تجد الأحاديث متعارضة ولا تعارض في الحقيقة فإذا نظرت في أحاديث الذكر قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث الجهاد قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث فضل العلم قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث الزهد والتجريد من أسباب الدنيا قلت أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث الكسب والخدمة على العيال كذلك فكل حكمة رغب النبي صلى الله عليه وسلم فيها حتى تقول لا أفضل منها تطييباً لخاطر أهلها ليكونوا فيها على بينة من ربهم و لم يأمرهم عليه السلام بالإنتقال عنها إذ مراد الله منهم هو تلك الحكمة فأقرهم عليه السلام عليها ورغبهم فيها حتى يظن من يسمع أحاديثها أنه لا أفضل منها وهو كذلك إذ لا أفضل

منها في حق أهلها والحاصل أن العارف لا ينكر شيئاً ولا يجهل شيئاً وقد قال بعض العارفين ليس في الإمكان أبدع مما كان وتأويله أن ما سبق في علم الله يكون لا يمكن غيره فلا أبدع منه وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب الثاني من آداب الحضرة القدسية وهي ترك الرعونات البشرية فقال أحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس الإحالة على الشيء هو تسليطه وإغراؤه عليه والمراد هنا توقف الأمر عليه بحيث لا يتوجه له حتى يتيسر وجوده والفراغ من الشيء خلوه منه وفراغ القلب خلوه مما يشغله وفراغ الجوارح خلوها من الأشغال والرعونة نوع من الحمق قلت من آداب العارف أن يكون كامل العقل ثاقب الذهن ومن علامة العقل إنتهاز الفرصة في العمل ومبادرة العمر من غير تسويف ولا أمل إذ ما فات منه لا عوض له وما حصل لا قيمة له وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا وأن من علامة العقل التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والتزود لسكني القبور والتأهب ليوم النشور وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمني على الله الأماني اه والكيس هو العاقل ودان نفسه حاسبها وفي صحف إبراهيم عليه السلام وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على
عقله أن تكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة من غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه اه فاحالتك الأعمال وتأخيرها إلى وقت آخر تكون فيه فارغ القلب أو القالب من علامة الرعونة والحمق وهو غرور ومن أين لك أن تصل إلى ذلك الوقت والموت هاجم عليك من حيث لا تشعر وعلى تقدير وصولك إليه لا تأمن من شغل آخر يعرض لك وفراغ الأشغال من حيث هو نادر لقوله عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ أي كثير من الناس فقدوهما وغبنوا فيهما إذ كثير منهم لا تجده إلا مشغولاً بدنياً أو مفتوناً بهوى أو مريضاً مبتلى ومفهوم الكثير أن القليل من الناس رزقهم الله الصحة والفراغ فإن عمر وهما بطاعة مولاهم فقد شكروا وربحوا ربحاً عظيماً وإن ضيعوهما فقد خسروا خسراناً مبيناً وكفروا بهاتين النعمتين فجدير أن تسلبا عنهم وهو أيضاً من علامة الخذلان وسيأتي من كلام الشيخ الخذلان كل الخذلان أن تقل عوائقك ثم لا تقبل عليه فالواجب على الإنسان أن يقطع علائقه وعوائقه ويخالف هواه ويبادر إلى خدمة مولاه ولا ينتظر وقتاً آخر إذ الفقير ابن وقته فلا تجده مشغولاً إلا بفكرة أو نظرة أو ذكر أو مذاكرة أو خدمة شيخ يوصله إلى مولاه وقد قلت لبعض الإخوان الفقير الصديق ليس له فكرة ولا هدرة إلا في الحضرة أو ما يوصله للحضرة والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب الثالث وهو إقامته حيث أقامه الله فقال لا

تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لأستعملك من غير إخراج قلت من آداب العارف الإكتفاء بعلم الله والإستغناء به عما سواه فإذا أقامه الله تعالى في حالة من الأحوال فلا يستحقرها ويطلب الخروج منها إلى حالة أخرى فلو أراد الحق تعالى أن يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها لأستعمله من غير أن يطلب منه أن يخرجه بل يمكث على ما أقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذي يتولى أخراجه كما تولى أدخاله وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق فالمدخل الصدق هو أن تدخل فيه بالله والمخرج الصدق هو أن تخرج منه بالله وهذا هو الفهم عن الله وهو من علامة تحقق المعرفة بالله فالعارف بالله إذا كان أعزب لا يتمني التزويج وإذا كان متزوجاً لا يتمنى الفراق وإذا كان فقيراً لا يتمنى الغني وإذا كان غنياً لا يتمنى الفقر وإذا كان صحيحاً لا يتمنى المرض، وإذا كان مريضاً لا يتمنى الصحة، وإذا كان عزيزاً لا يتمنى الذل وإذا كان ذليلاً لا يتنى العز. وإذا كان مقبوضاً لا يتمنى البسط وإذا كان مبسوطاً لا يتمني القبض وإذا كان قوياً لا يتمنى الضعف وإذا كان ضعيفاً لا يتمني القوة وإذا كان مقيماً لا يتمنى السفر وإذا كان مسافر لا يتمنى الأقامة وهكذا باقي الأحوال ينظر ما يفعل الله به ولا ينظر ما يفعل بنفسه لتحقق زواله بل يكون كالميت بين يدي الغاسل أو كالقلم بين الأصابع كما قال الصاحب العينية رضي الله عنه

أراني كالآلات وهو محركي أنا قلم والأقتدار أصابع

قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة وقال تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وأوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام فقال يا داوود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لي ما أريد أتيتك بما تريد وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون ألا ما أريد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة جف القلم بما أنت لاق وفي حديث آخر جفت الأقلام وطويت الصحف وقال شيخ شيوخنا سيدي أحمد اليماني رضي الله عنه حين سأله وأصحابه عن حقيقة الولاية فقال لهم حقيقة الولاية هو إذا كان صاحبها جالساً في الظل لا تشتهي نفسه الجلوس في الشمس وإذا كان جالساً في الشمس لا تشتهي نفسه الجلوس في الظل اه وهذا كله مع الإختيار دون الأمر الضروري وقد تقدم قول شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه من أوصاف الولي الكامل أن لا يكون محتاجاً إلا على الحال الذي يقيمه مولاه فيه في الوقت يعني ماله مراد إلا ما يبرز من عنصر القدرة لا تشتهي نفسه غيره اه قلت فإذا تجلى في العارف شيء من هذه الأمور أعني الإنتقال من حال إلى حال فليتأن وليصبر حتى يفهم أنه من الله بإشارة ظاهرة أو باطنة أو هاتف حسي أو معنوي ولينصت إلى الهواتف فإن الله تعالى يخاطبه بما

يفعل وهذا أمر مجرب صحيح عند العارفين حتى أنهم لا يتصرفون إلا بإذن من الله ورسوله إذ لا فرق عند أهل الجمع جعلنا الله منهم آمين وهذا كله إذا كان الحال الذي هو فيه موافقاً للشريعة وإلا فليطلب الخروج منه بما يمكن. ثم ذكر الأدب الرابع وهو رفع الهمة عن الأكوان ودوام الترقي في مقامات العرفان فقال ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر همة السالك هي القوة الباعثة له على السيرو وقوفها مع الشيء هو إعتقادها أن ما وصلت إليه هو الغاية أو فيه كفاية وهواتف الحقيقة هي لسان حال الكشف عن عين التحقيق وتبرج الشيء ظهوره في حال الزينة لقصد الإمالة وظواهر المكونات هو ما كساها من الحسن والحكمة وتزيينها هو خرق عوائدها له وأنقيادها لحكمه وحقائقها نورها الباطني وهو تجلي المعنى فيها قلت السالك هو الذي يشهد الأثر فإن كان يشهده في نفسه سالك فقط وهو في حالة السير وإن كان يشهده بالله فهو سالك مجذوب والمقامات التي يقطعها ثلاث فناء في الأفعال وفناء في الصفات وفناء في الذات أو تقول فناء في الإسم وفناء في الذات وفناء في الفناء وهو مقام البقاء ثم الترقي ما لا نهاية له فإذا كشف للسالك عن سر توحيد الأفعال وذاق حلاوته وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء في الصفات الذي تطلب أمامك وإذا ترقي إلى مقام الفناء في الصفات وكشف له عن سر توحيد الصفات وأستشرف على الفناء في الذات وأرادات همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة الفناء في الذات الذي تطلب أمامك وإذا ترقي إلى الفناء في الذات وكشف له عن سر توحيد الذات وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هواتف حقيقة فناء الفناء أو حقيقة البقاء الذي تطلب أمامك وإذا وصل إلى البقاء نادته هواتف العلوم الغيبية وقل رب زدني علماً وقد قال عليه السلام لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أو تقول إذا كشف للمريد عن الفناء في الإسم وذاق حلاوة العمل والذكر وأرادت همته أن تقف معها نادته هواتف حقائق الفناء في الذات الذي تطلب أمامك فإذا ترقي إلى مقام الفناء في الذات وذاق حلاوته و لم يتمكن وقنع بذلك وأرادت همته أن تقف مع ذلك نادته هواتف حقيقة التمكين الذي تطلب أمامك وإذا تمكن و لم يطلب زيادة الترقي نادته هواتف الترقي الذي تطلب أمامك وهكذا كل مقام ينادي على ما قبله يا أهل يثرب لا مقام لكم وإذا تبرجت أي ظهرت بزينتها وحللها للسالك أو للعارف ظواهر المكونات بخرق عوائدها وأنقيادها له وتصرفه فيها بهمته كالمشي على الماء والطيران في الهواء ونبع الماء وجلب الطعام وغير ذلك من الكرامات الحسية وأرادت همة السالك أن تقف مع ظواهرها وتشتغل بحلاوة حسها نادته هواتف المعاني الباطنة إنما نحن فتنة لك نختبرك هل تقنع بها دون معرفة مالكها ومنشيها المتجلي فيها أو تعرض عنها وتنفذ إلى نور معانيها وشهود مالكها ومجريها فلا تكفر وتجحد

المتجلي بها فتنكره فتكون من الجاهلين وقد ضرب الساحلي في البغية مثلاً لهذه المقامات والسير فيها فقال مثل ذلك كملك ظهر بالمشرق مثلاً وأرسل لنا رسلاً بكتاب من عنده فقرؤا علينا كتاب الملك وشوقوناً إليه غاية التشويق بذكر كرمه ومحاسنه فمن الناس من أعرض عن طاعته والأنقياد إليه وهم الكفار ومن الناس من قبل وآمن و لم يقدر على النهوض إلى حضرة الملك وهم عوام المسلمين ضعفاء المحبة واليقين ومن الناس من تشوق للملك ونهض إلى حضرته فقالت له الرسل نحن نسيرك ونعرفك الطريق فتقدموا أمامهم يسيرون بهم ثم أن الملك بني دياراً ومنازل يترلوها كل مترل أعظم من الذي قبله هكذا إلى حضرته فإذا نزلوا أول المنازل ورأوا حسنه وبهجته أرادوا أن يقيموا فيه فتقول لهم الرسل الذين جاؤا من عند الملك الذي تطلبون أمامكم فينهضونهم من ذلك المترل فإذا نزلوا الثاني وجدوه أعظم من الأول فيريدون أن يقيموا فيه فترحلهم الرسل إلى ما بعده هكذا يقطعون بهم المنازل مترلاً مترلاً حتي يوقفوهم على الملك فيقولون لهم ها أنتم وربكم فيستريحون من تعب ويتمتعون بالمجالسة والنظر والمراد بالرسل هنا الأنبياء الذين بعثهم الله وخلفاؤهم ممن كان على قدمهم ممن جمع بين الحقيقة والشريعة وهذه المنازل هي المقامات التي يقطعها المريد اه بالمعني مع الأختصار لطول العهد به وقد أشار الششتري إلى التنبيه على عدم الوقوف مع هذه المقامات والكرامات فقال

فلا تلتفت في السير غيرا وكل ما ... سوي الله غير فإتخذ ذكره حصناً
وكل مقام لا تقم فيه أنه ... حجاب فجد السير وأستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي ... عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب ... فلا صورة تجلي ولا طرفة تجني

وأعلم أن هذه الآداب التي ذكرها الشيخ في هذا الباب قد تكون خاصة بالعارف وقد يشاركه فيها غيره فلذلك يعبر بعبارة واسعة لتكون عامة لأن المريد قد يترقي إلى مقام وقد بقيت عليه بقية مما قبله فيكملها فيه والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب الخامس وهو ترك الطلب من حيث هو قال فيما يأتي ربما دلهم الأدب على ترك الطلب فقال طلبك منه أتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقلة حيائك منه وطلبك من غيره لوجود بعدك منه قلت طلبك منه يكون بالتضرع والأبتهال وطلبك له يكون بالبحث والأستدلال وطلبك لغيره يكون بالتعرف والأقبال وطلبك من غيره يكون بالتملق والسؤال وحاصلها أربعة طلب الحق ومنه طلب الباطل ومنه وكلها مدخولة عند المحققين أما طلبك منه فلوجود تهمتك له لأنك إنما طلبته مخافة أن يهملك أو يغفل عنك فإنما ينبه من يجوز منه الأغفاء وإنما يذكر من يمكن منه

الأهمال وما الله بغافل عما تعلمون أليس الله بكاف عبده وقال صلى الله عليه وسلم من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين فالسكون تحت مجاري الأقدار أفضل عند العارفين من التضرع والأبتهال وكان شيخ شيوخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول الفقير الصادق لم تبق له حالة يطلبها وأن كان ولا بد من الطلب فليطلب المعرفة اه قلت وإذا ورد منهم الدعاء فإنما هو عبودية وحكمة لا طلباً للقسمة إذا ما قسم لك واصل إليك ولو سألته أن يمنعكه ما أجابك وفي المسألة خلاف بين الصوفية هل السكوت أولى أو الدعاء والتحقيق أن ينظر ما يتجلى فيه وينشرح له الصدر فهو المراد منه وأما طلبك له فهو دليل على غيبتك عنه بوجود نفسك فلو حضر قلبك وغبت عن نفسك ووهمك لما وجدت غيره

أراك تسأل عن نجد وأنت بها ... وعن تهامة هذا فعل متهم

وقال ابن المرحل السبتي رضي الله عنه

ومن عجب أني أحن إليهم ... وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم بسوادها ... ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

وللرفاعي رضي الله عنه

قالوا أتنسى الذي تهوى فقلت لهم ... يا قوم من هو روحي كيف أنساه
وكيف أنساه والأشياء به حسنت ... من العجائب ينسي العبد مولاه
ما غاب عني ولكن لست أبصره ... إلا وقلت جهاراً قل هو الله

وأما طلبك لغيره أي لمعرفة غيره فلقلة حيائك منه وعدم أنسك به أما وجه قلة حيائك منه فلأنه يناديك إلى الحضرة وأنت تفر منه إلى الغفلة ومثال ذلك كمن كان في حضرة الملك والملك مقبل عليه ثم يجعل هو يريد الخروج منها ويلتفت إلى غيره فهذا يدل على قلة حيائه وعدم أعتنائه بالملك فهو حقيق بأن يطرد إلى الباب أو إلى الباب أو إلى سياسة الدواب وقد قالوا أنكر من تعرف ولا تتعرف لمن لا تعرف وأما وجه عدم أنسك به فلأنك لو أنست به لأستوحشت من خلقه فلا يتصور منك طلب معرفتهم وأنت تفر منهم فإذا آنسك به أوحشك من خلقه وبالعكس والأستئناس بالناس من علامة الأفلاس إقبالك على الحق أدبارك عن الخلق وإقبالك على الخلق إدبارك عن الحق وقد عدوا من أصول الطريق الأعراض عن الخلق في الأقبال والأدبار وأمتا طلبك من غيره فلوجود بعدك عنه إذ لو تحققت بقربه منك وهو كريم ما أحتجت إلى سؤال غيره وهو لئيم وسيأتي في المناجاة أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما قطعت عادة الأمتنان وفي بعض الكتب المترلة يقول الله تبارك وتعالى إذا أنزلت بعبدي حاجة فرفعها إلى أعلم ذلك من

نيته لو كادته السموات السبع والأرضون السبع لجعلت من أمره فرجاً ومخرجاً وإذا أنزلت بعبدي حاجة فرفعها إلى غيري أضحت الأرض من تحته وأسقطت السماء من فوقه وقطعت الأسباب فيما بيني وبينه أو كما قال لطول العهد به فتحصل أن الأدب هو الأكتفاء بعلم الله والتحقق بمعرفة الله والأستغناء به عما سواه والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب السادس وهو التسليم والرضى بما يجري به القدر والقضاء فقال ما من نفس تبديه ألا وله قدر فيك يمضيه قلت النفس بفتح الفاء عبارة عن دقيقة من الزمان قدر ما يخرج النفس ويرجع وهو أوسع من الطرفة والطرفة أوسع من اللحظة وهي رمق البصر ورده والقدر هو العلم السابق للأشياء قبل أن تظهر وهو أعلم أوقاتها وأماكنها ومقاديرها وعدد أفرادها وما يعرض لها من الكيفيات وما يترل بها من الآفات فإذا علمت أيها الأنسان أن أنفاسك قد عمها القدر ولا يصدر منك ولا من غيرك إلا ما سبق به علمه وجرى به قلمه لزمك أن ترضى بكل ما يجري به القضاء فأنفاسك معدودة وطرفاتك ولحظاتك محصورة فإذا أنتهى آخر أنفاسك رحلت إلى آخرتك وإذا كانت الأنفاس معدودة فما بالك بالخطوات والخطوات وغير ذلك من التصرفات ولله در القائل

مشيناها خطى كتبت علينا	ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن قسمت منيته بأرض	فليس يموت في أرض سواها

وحقيقة الرضى هو تلقي المهالك بوجه ضاحك وحقيقة التسليم أستواء النقمة والنعيم بحيث لا يختار في أيهما يقيم وهذا هو مقام أهل الكمال الذين تحققوا بالزوال نفعنا الله بذكرهم وخرطنا في سلكهم أمين ثم ذكر الأدب السابع وهو دوام المراقبة ومواصلة المشاهدة فقال لا تترقب فراغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه الترقب هو الأنتظار والأغيار جمع غير بكسر الغين وهو ما يغير القلب عن حاله والغالب أستعماله فيما يغيره من حالة الكمال إلى حالة النقص وعند الصوفية كل ما يشغل عن الحضرة ويغير القلب عنها فهو غير والمراقبة هي العسة على القلب لئلا يخرج من حضرة الرب والمراد بها في كلام الشيخ مطلق العسة فتصدق بمراقبة القلب كما تقدم وتصدق بمراقبة الروح وهي عسها على دوام الشهود وبمراقبة السر وهي عسته على دوام الترقي والأدب قلت إذا أقامك الحق تعالى في حال يغلب فيها وجود الأغيار لغلبة الحس فيها كما إذا أقامك في شغل دنيوي في الظاهر لا محيد لك عنه فجاهد قلبك في العسة عليه في الحضور لئلا تسرقك الغفلة أو جاهد روحك في العسة عليها في دوام الشهود لئلا يسرقك الحس أو جاهد سرك في أستمداد الموهب والعلوم لئلا يحصل ذلك فتور ولا تترقب أي تنتظر فراغ شغل يدك من تلك الأغيار فتؤخر حضور قلبك إلى تمام شغل يدك فيفوتك وجود المراقبة

في تلك الحال التي أقامك الحق فيها فيكون في حقك سوء أدب وفيه أيضاً تضييع ذلك الوقت وخلوه من معاملة الحق وصرف الأوقات لا يمكن قضاؤها ولقد بلغني أن شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه كان إذا رأى أصحابه في شغل وخاف عليهم أن يسرقهم الحس نادي عليهم بأعلى صوته أنت أنت تنبيهاً لهم وأيقاظاً من شهود الحس وقد ذكر الشعراني في العهود عن بعض أشياخه أنه كان لا يغيب عن الله ولو في حالة الجماع وهذا شأن أهل الأعتناء من العارفين وهذا هو جمع الجمع والله تعالى أعلم تنبيه ليس هذا تكراراً مع ما تقدم في قوله أحالتك الأعمال على وجود الفراغ الخ لأن ذلك في عمل الجوارح وهذا في عمل القلوب يدلك على ذلك تعبيره هنا بالمراقبة وتعبيره ثم الأعمال والأفادة خير من الأعادة وبالله التوفيق وإذا حصلت لك المراقبة أو المشاهدة في حال الأغيار فلا تستغرب ما تراه من الأكدار لئلا يحصل لك الأنكار وإلى هذا أشار بقوله لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها الأستغراب تصيير الشيء غريباً حتى يتعجب منه والأكدار كل ما يكدر على النفس ويؤلمها ومستحق وصفها ما تستحق أن توصف به وواجب نعتها ما يجب أن تنعت به قال بعضهم الوصف يكون بالأمور اللازمة والنعت يكون بالعوارض الطارئة فالأمور اللازمة كالبياض والسواد والطول والقصر والعوارض كالمرض والصحة والفرح والحزن وغير ذلك والمراد هنا بالأوصاف ما يتكرر وقوعه كالموت والأمراض وما يقع كثيراً وبالنعوت ما يقل وقوعه في العادة كالفتن والهرج والزلازل لأنهم يقولون الأوصاف لوازم والنعوت عوارض وقيل شيء واحد وهو الأصح قلت من آداب العارف أن لا يستغرب شيئاً من تجليات الحق ولا يتعجب من شيء منها كائنة ما كانت جلالية أو جمالية فإن نزلت به نوازل قهرية أوة وقعت في هذه الدار أكدار وأغيار جلالية فلا يستغرب وقوع ذلك لأن تجليات هذه الدار جلها جلالية لأنها دار أهوال ومنزل فرقة وأنتقال وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض خطبه أيها الناس إن هذه الدار دار التواء أي هلاك لا دار أستواء ومنزل ترح أي حزن لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخائها و لم يحزن لشقائها إلا وأن الله خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي وأنها لسريعة التوي وشيكة الأنقلاب فأحذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها وأهجروا لذيذ عاجلها لكربة آجلها ولا تسعوا في عمران دار قد قضي الله خرابها ولا تواصلوها وقد أراد لله منكم أجتنابها فتكونوا لسخطه متعرضين ولعقوبته مستحقين وقال الجنيد رضي اله عنه ليس أستبشع مما يرد على من العالم لأني أصلت أصلاً وهو أن الدار دارهم وغم وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ومن حكمه أنه يتلقاني بكل ما أكره فإن تلقاني بما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول وفي

ذلك قيللك قيل

يمثل ذو اللب في لبه	شدائده قبل أن تنز لاً
فإن نزلت بغتة لم ترعه	لما كان في نفسه مثلاً
رآى الأمر يفضي إلى آخر	فصير آخره أو لاً
وذو الجهل يأمن أيامه	وينسى مصارع من قد خلا
فإن دهمته صروف الزما	ن ببعض مصائبه أعو لاً
ولو قدم الحزم من نفسه	لعلمه الصبر عند البلا

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري يا أحمد جوع قليل وعري قليل وذل قليل وصبر قليل وقد أنقضت عنك أيام الدنيا اه فلا تستغرب أيها العارف ما يقع بك أو لغيرك من الأكدار ما دمت مقيماً في هذه الدار لأنها ما برز فيها من التجليات الجلالية إلا ما هو مستحق أن تتصف به وواجب أن تنعت به فلا تستغرب شيئاً ولا تتعجب من شيء بل الواجب عليك أن تعرف الله في الجلال والجمال والحلوة والمرة وأما أن كنت لا تعرفه إلا في الجمال فهذا هو مقام العوام والمعرفة في الجلال هو السكون والأدب والرضى والتسليم فينبغي للفقير أن يكون كعشب السمار إذا جاءت حملة الوادي حني رأسه وإذا ذهبت رفع رأسه وكما لا تستغرب وقوع الأكدار بحيث لا تحزن ولا تخف ولا تجزع كذلك لا تتعجب من وقوع المسار وهو الجمال بحيث لا تفرح ولا تبطر فإن الجلال مقرون بالجمال والجمال مقرون بالجلال يتعاقبان تعاقب الليل والنهار.

والعارف يتلون مع كل واحد منهما لا يستغرب شيئاً ولا يتعجب من شيء إذ كل ما يبرز من عنصر القدرة كله واحد وبهذا وقع التفريق بين الصادق والصديق لأن الصديق لا يتعجب من شيء ولا يتردد في شيء وعد به بخلاف الصادق فقط فإنه مهما رأى شيئاً مستغرباً تعجب منه وإذا وعد بشيء قد يتردد في أمتثاله وقد وصف الله تعالى السيدة مريم بالصديقية و لم يصف السيدة سارة بها لأنها لما بشرت بالولد على وجه خرق العادة أستغربت وقالت أن هذا لشيء عجيب فلذلك قالت لها الملائكة أتعجبين من أمر الله بخلاف مريم فلم تتعجب وإنما سألت سؤال أستفهام فقط أو سألت عن وقت ذلك أو كيفيته هل بالتزوج أو بغيره والله تعالى أعلم، ثم ذكر الأدب الثامن وهو أن يكون تصرفه بالله ولله ومن الله وإلى الله وهو مقام الصدق الذي هو لب الأخلاص وأخلاص خواص الخواص فقال ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك التوقف الحبس والتعذر والمطلب ما يطلب قضاؤه والتيسر التسهيل قلت إذا عرضت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة وأردت أن تقضي لك سريعاً فأطلبها بالله ولا تطلبها بنفسك فإنك إذا طلبتها بالله تيسر أمرها وسهل قضاؤها وإن طلبتها بنفسك صعب قضاؤها

وتعسر أمرها ولا يتوقف ويحبس أمر طلبته بربك ولا يتيسر ويسهل أمر طلبته بنفسك قال تعالى حاكياً عن سيدنا موسى عليه السلام وقال موسى لقومه "أستعينوا بالله وأصبروا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" فكل من أستعان بالله وصبر في طلب حاجته كانت العاقبة له وكان من المتقين وقال تعالى "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" أي كافيه كل ما أهمه وقال صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه وهو سويد بن غفلة لا تطلب الإمارة فإنك أن طلبتها وكلت إليها وأن أتتك من غير مسألة أعنت عليها وعلامة الطلب بالله هو الزهد في ذلك الأمر والاشتغال بالله عنه فإذا جاء وقته تكون بإذن الله وعلامة الطلب بالنفس هو الحرص والبطش إليه فإذا تعذر عليه أنقبض وتغير عليه فهذا ميزان من كان طلبه بالله وطلبه بنفسه فمن طلب حوائجه بالله قضيت معنى وأن لم تقض حساً ومن طلب حوائجه بنفسه خاب سعيه وضاع وقته وأن قضيت همته وحاجته وها هنا ضابط يعرف به أهل العناية من أهل الخذلان وأهل الولاية من أهل الخسران ذكره الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فقال:

إذا أكرم الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جري ما قدر له ولا يلتفت إليها كأنه في معزل عنها وإذا أهان الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه وستر عنه عبوديته فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله عنه بمعزل وأن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر قال وهذا باب من الولاية والأهانة وأما الصديقية العظمي والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق كلها سواء عند ذوي البصيرة لأنه بالله فيما يأخذ ويترك اه نقله الشيخ زروق في بعض شروحه والحاصل أن تصرفات العارف كلها بالله وتصرفات غيره كلها بالنفس ولو كانت بالله فالعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب المثوبة العمل بالله صاحبه داخل الحجاب في مشاهدة الأحباب والعمل لله يوجب الثواب من وراء الباب العمل بالله من أهل التحقيق والعمل لله من أهل التشريع العمل لله من أهل قوله تعالى إياك نعبد والعمل بالله من أهل قوله تعالى وإياك نستعين.

وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه بين العمل بالله والعمل لله ما بين الدينار والدرهم اه وبالله التوفيق ومن كان علمه بالله كان راجعاً إليه في كل شيء ومعتمداً عليه في كل حال وإليه أشار بقوله من علامة النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات النجح في الشيء هو بلوغ القصد والمراد فيه ونجحت مطالبه إذا قضيت وبلغ منها ما أحب ونهاية الشيء تمامه وبدايته أوله قلت إذا توجهت همتك أيها المريد إلى طلب شيء أي شيء كان وأردت أن ينجح أمره وتبلغ مرادك فيه وتكون نهايته حسنة وعاقبته محمودة فأرجع إلى الله في بداية طلبه وأنسلخ من حولك وقوتك وقل كما قال عليه السلام إن يكن من عند الله يمضه فلا تحرص عليه ولا تهتم بشأنه فما شاء الله كان وما لم يشأ ربنا لم يكن فلو

إجمعت الأنس والجن على أن ينفعوك بشيء لم يقدره الله لك لم يقدروا على ذلك ولو أجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقدره الله عليك لم يقدروا على ذلك جفت الأقلام وطويت الصحف كما في الحديث فإذا طلبت شيئاً وكنت فيه معتمداً على الله ومفوضاً أمرك إلى الله تنظر ما سبق في علم الله كان ذلك علامة نجح نهايتك وحصول مطلبك قضيت في الحس أو لم تقض لأن مرادك مع مراد الله لا مع مراد نفسك.

قد إنقلبت حظوظك حقوقاً لا تشتهي إلا ما قضي الله ولا تنظر إلا ما يبرز من عند الله قد فنيت عن حظوظك وشهواتك وإن طلبت شيئاً بنفسك معتمداً على حولك وقوتك حريصاً على قضائها جاهداً في طلبها كان ذلك علامة على عدم قضائها وخيبة الرجاء فيها وعدم نجح نهايتها وإن قضيت في الحس وكلت إليها فتعبت بسببها ولم تعن على شؤونها ومآربها وهذا كله مجرب صحيح عند العام والخاص وهذه الحكمة تتميم لما قبلها وشرح لها والله تعالى أعلم، ثم كمل هذه المسئلة بقاعدة كلية تصدق بما تقدم وبغيره فقال من أشرقت بدايته أشرقت نهايته قلت إشراق البداية هو الدخول فيها بالله وطلبها بالله والأعتماد فيها على الله مع السعي في أسبابها والأعتناء في طلبها قياماً بحق الحكمة وأدباً مع القدرة ويعظم السعي في السبب بقدر عظمة المطلب فبقدر المجاهدة تكون بعدها المشاهدة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين إن رحمة الله قريب من المحسنين.

وقال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه لا تحسبوها رخيصة، رآه وأكل المعشوق غالي، ما تنحصد صابت الصيف، إلا ببرد الليالي، فمن رأيناه في بدايته جاداً في طلب الحق معرضاً عن الأنس بالخلق مستغرقاً في خدمة مولاه ناسياً لحظوظه وهواه علمنا أن نهايته مشرقة وعاقبته محمودة ومآربه مقضية ومن رأيناه مقصراً في طلب مولاه لم يخرج عن نفسه وهواه علمنا أنه كاذب في دعواه فنهايته الحرمان وعاقبته الخذلان إلا أن يتداركه الكريم المنان هذا في طريق الوصول إلى حضرة الحق وأما إشراق البداية في طلب حوائج الدنيا أو المقامات أو المراتب أو الخصوصية مثلاً فهو بالزهد فيها والأعراض عنها والأشتغال بالله عنها قال بعضهم لا تدرك المراتب إلا بالزهد فيها.

قال الشيخ أبو الحسن كنت أنا وصاحب لي نعبد الله في مغارة ونقول في هذا الشهر يفتح الله علينا في هذه الجمعة يفتح الله علينا فوقف علي باب المغارة رجل عليه سماء الخير فقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام وقلنا له كيف أنت فنهض علينا وقال كيف يكون حال من يقول في هذا الشهر يفتح الله في هذه الجمعة يفتح الله لا فتح ولا فلاح هلا عبدنا الله كما أمرنا ثم غاب عنا ففهمنا من أين أخذنا فرجعنا على أنفسنا باللوم ففتح الله علينا اه بالمعنى ذكره في التنوير فمن طلب الخصوصية كان عبد الخصوصية وفاته

حظه من الله حتى يتوب ومن كان عبد الله نال حظه من العبودية وأدركته الخصوصية من غير التفات إليها ولا طلب والله تعالى أعلم ثم إن هذه الأمور التي تشرق بها البداية وتكون علامة على إشراق النهاية هي أمور باطنية كالأعتماد على الله والرجوع إليه أو كثرة الشوق والأشتياق إليه لكن لا بد من ظهور أثرها على الظاهر وإليه أشار بقوله ما أستودع من غيب السرائر ظهر في شهادة الظاهر إستودع أي وضع فالأستيداع هو وضع الشيء في محل ليحفظ وغيب السرائر هو باطنها والمراد بالسرائر هو القلوب والأرواح وشهادة الظواهر هي ظاهر الجوارح قلت ما أستودع الله سبحانه في القلوب وجعله فيها من خير أو شر من نور أو ظلمة من علم أو جهل من رحمة أو قسوة من بخل أو شح أو كرم وسخاء وقبض وبسط ويقظة أو غفلة ومعرفة أو نكران أو غير ذلك من الأخلاق المحمودة أو المذمومة لا بد أن يظهر آثار ذلك على الجوارح من أدب وتهذيب وسكون وطمأنينة ورزانة وبذل وعفو أو طيش وقلق وغضب وغير ذلك من الأحوال القلبية والأعمال القالبية قال تعالى "تعرفهم بسيماهم" وقال "سيماهم في وجوههم" وقال صلى الله عليه وسلم من سر سريرة كساه الله رداءها فأفعال الجوارح تابعة لا حوال القلوب فمن أودع في سر غيبه معرفة مولاه لم يطلب من سواه ومن أودع في سر غيبه الجهل بمولاه تعلق بما سواه وهكذا أحوال الظاهر تابعة لأحوال الباطن كما تقدم في قوله تنوعت أجناس الأعمال لتنوع وارادات الأحوال فالأسرة تدل على السريرة والكلام صفة المتكلم وما فيك ظهر على فيك وكل إناء بالذي فيه يرشح وما خامر القلوب فعلى الوجوه أثره والله تعالى أعلم وأعظم ما أستودع في غيب السرائر معرفة الله وهي على قسمين معرفة البرهان ومعرفة العيان أشار إلى الفرق بينهما فقال شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به

عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من وجود أصله والأستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا فمتي غاب حتى يستدل عليه ومتي بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه شتان بمعنى بعد وأفترق ولا تكون إلا في إفتراق المعاني دون الحسيات قلت أعلم أن الحق سبحانه لما أراد أن يتجلى بأسرار ذاته وأنوار صفاته أظهر بقدرته قبضة من نوره الأزلي فأقتضت القدرة ظهور آثارها وشهود أنوارها وأقتضت الحكمة إسدال حجابها وإظهار أستارها فلما فرغت القدرة نورها في مظاهر الكون أسدلت عليها الحكمة رداء الصون فصارت الأكوان كلها نوراً في حجاب مستور ثم إن الحق سبحانه قسم الخلق على قسمين وفرقهم فرقتين قسم أختصهم بمحبته وجعلهم من أهل ولايته ففتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب فأشهدهم أسرار ذاته و لم يحجبهم عنه بأثار قدرته وقسم أقامهم لخدمته وجعلهم من أهل حكمته أسدل عليهم حجاب الوهم وغيب عنهم نور العلم والفهم فوقفوا مع ظواهر القشور و لم يشهدوا بواطن النور مع شدة الظهور فسبحان من أخفي سره بحكمته وأظهر نوره بقدرته فأما أهل المحبة وهم أهل الولاية والعرفان من أهل

الشهود والعيان فهم يستدلون بالنور على وجود الستور فلا يرون إلا النور وبالحق على وجود الخلق فلا يجدون إلا الحق وبقدرته على حكمته فوجدوا قدرته عين حكمته وحكمته عين قدرته فغابوا بشهود الحق عن رؤية الخلق إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه وأما أهل الخدمة من أهل الحكمة فهم يستدلون بظهور الستور على وجود النور وبالخلق على وجود الحق غابوا عنه في حال حضوره وحجبوا عنه بشدة ظهوره قال بعض العارفين أثبت الله تعالى للعامة المخلوق فأثبتوا به الخالق وأثبت للخاصة نفسه فأثبتوا به المخلوق اه فشتان أي فرق كبير بين من يستدل به على ظهور أثره وبين من يستدل بظهور أثره على وجوده لأن من يستدل به عرف الحق وهو الوجود الحقيقي لأهله أي لمن هو أهل له ويستحقه وهو الله الواجب الوجود الملك المعبود وأثبت الأمر وهو القدم للوجود الحقيقي من وجود أصله وهو الجبروت الأصلي القديم الأزلي يعني أن من عرف الله حتى صار عنده صرورياً عرف الوجود إنما هو الله وأنتقى عنه وجود ما سواه وأثبت القدم لأوله ومنتهاه أو تقول عرف الحق وهو الوجود الأصلي لأهله وهو الله تعالى.

وأثبت الأمر وهو الوجود الفرعي من وجود أصله أي الحقه بأصله فإذا ألتحق الفرع بالأصل صار الجميع جبروتياً أصلياً ويحتمل أن يكون معناهما واحداً ويكون التقدير عرف الوجود الحقيقي لأهله وأثبت ذلك الأمر من أصله كقولك عرفت هذا الحكم وأثبت به من أصله والله تعالى أعلم وأما من يستدل عليه فلعبده عنه في حال قربه منه ولغيبته عنه في حال حضوره معه بعده الوهم وغيبه عدم الفهم وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه إذ هو أقرب إليك من حبل الوريد ومتى بعد حتى تكون الآثار الوهمية هي التي توصل إليه وهو معكم أينما كنتم إذ أثر القدرة هو عينها فالصفة لا تفارق الموصوف إذ لا قيام لها إلا به ولا ظهور لها إلا منه وسيأتي له في المناجاة ألهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك والله تعالى أعلم ولما كان المستدلون بالله قد وسع الله عليهم دائرة العلوم وفتحت لهم مخازن الفهوم بخلاف المستدلين عليه قد قتر الله عليهم أرزاق العلم بوجود حجاب الوهم أشار إلى ذلك بقوله لينفق ذو سعة من سعته الواصلون إليه ومن قدر عليه رزقه السائرون إليه السعة هي الغني وقدر عليه ضيق عليه قلت أما الواصلون إليه فلأنهم لما نفذت أرواحهم من ضيق الأكوان إلى قضاء الشهود والعيان.

أو تقول لما عرجت أرواحهم من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح أو من عالم الملك إلى عالم الملكوت أتسعت عليها دائرة أرزاق العلوم وفتحت لها مخازن الفهوم فأنفقوا من سعة غناهم جواهر العلم المكنون

ومن مخازن كنوزهم يواقيت السر المصون فأتسع لهم ميدان المجال وركبوا أجياد البلاغة وفصاحة المقال فما أسرع الغنى لمن واجهته منهم العناية وما أعظم فتح من لحظته منهم الرعاية إن لله رجالاً من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وهم أهل السر والحال وأما السائرون إلى الله فلأنهم باقون في ضيق الأكوان وفي عالم الأشباح مسجونون في سجن الوهم لم يفتح لهم شيء من مخازن الفهم مشغولون بجهاد نفوسهم ومعاناة تصفية قلوبهم مضيق عليهم في العلوم ومقتر عليهم في سائر الفهوم فإن جدوا في السير وصلوا وأنتقلوا من ضيق الأكوان ورحلوا وتبختروا في رياض العلوم ورفلوا فظفروا بما أملوا وإستغنوا بعدها أن ملوا وإن رجعوا من الطريق أو قصروا فقد خابوا وخسروا تنبيه أن أردت أن يتسع عليك علم الأذواق فأقطع عنك مادة الأوراق فما دمت متكلاً على كتر غيرك لا تحفر على كترك أبداً فأقطع عنك المادة وإفتقر إلى الله تفيض عليك المواهب من الله إنما الصدقات للفقراء والمساكين إن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك وقد قال الشيخ الدباس لتلميذه ابن ميمونة حين تأخر عنه الفتح فرصده فوجده يطالع رسالة القشيري أطرح كتابك وأحفر في أرض نفسك يخرج لك ينبوع وإلا فإذهب عني اه وبالله التوفيق ثم ذكر سبب أتساع العلوم على الواصلين دون السائرين وهو أن الواصلين لم يفقوا مع شهود الأنوار بل نفذوا إلى نور الأنوار بخلاف السائرين فإنهم واقفون مع الأنوار مفتقرون إليها مملوكون في يدها فقال أهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالأولون للأنوار.

وهؤلاء الأنوار لهم لأنهم لله لا لشيء دونه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قلت أنوار التوجيه هي أنوار الإسلام والإيمان وأنوار المواجهة هي أنوار الأحسان أو تقول أنوار التوجيه أنوار الطاعة الظاهرة والباطنة وأنوار المواجهة هي أنوار الفكرة والنظرة أو تقول أنوار التوجه أنوار الشريعة والطريقة وأنوار المواجهة أنوار الحقيقة أو تقول أنوار التوجه أنوار المجاهدة والمكابدة وأنوار المواجهة هي أنوار المشاهدة والمكالمة وبيان ذلك أن الحق سبحانه إذا أراد أن يوصل عبده إليه توجه إليه أو لا بنور حلاوة العمل الظاهر وهو مقام الأسلام فيهتدي إلى العمل ويفني فيه ويذوق حلاوته ثم يتوجه إليه بنور حلاوة العمل الباطن وهو مقام الإيمان من الأخلاص والصدق والطمأنينة والأنس بالله والتوحش مما سواه فيهتدي إليه ويفني فيه ويذوق حلاوته ويتمكن من المراقبة وهذا النور أعظم من الأول وأكمل ثم يتوجه إليه بنور حلاوة المشاهدة وهو عمل الروح وهو أول نور المواجهة فتأخذه الدهشة والحيرة والسكرة فإذا أفاق من سكرته وصحا من جذبته وتمكن من الشهود وعرف الملك المعبود ورجع إلى البقاء كان الله وبالله فأستغني عن النور بمشاهد نور النور لأنه صار عين النور فصار مالكاً للأنوار بعد أن كانت مالكة له لأفتقاره لها قبل وصوله إلى أصلها فلما وصل صار عبداً لله حراً مما سواه ظاهره عبودية وباطنه حرية والحاصل أن

المريد ما دام في السير فهو يهتدي بأنوار التوجه مفتقراً إليها لسيره بها فإذا وصل إلى مقام المشاهدة حصلت له أنوار المواجهة فلم يفتقر إلى شيء لأنه لله لا لشيء دونه.

فالراحلون وهم السائرون للأنوار لأفتقارهم إليها وفرحهم بها وهؤلاء الواصلون الأنوار لهم لأستغنائهم عنها بالله فهم لله وبالله لا لشيء دونه ثم تلي الشيخ هذه الآية على طريق أهل الأشارة قل الله بقلبك وروحك وغب عما سواه ثم ذر الناس أي أتركهم في خوضهم يلعبون أي يخوضون في السوي لاعبين في الهوى وقد أعترض بعض المفسرين على الصوفية أستشهادهم بهذه الآية و لم يفهم مرادهم قد علم كل أناس مشربهم وكان الشيخ ابن عباد يقول لا تجعلوا أهل الظاهر حجة على أهل الباطن اه أي لأن أهل الباطن نظرهم دقيق وغزلهم رقيق لا يفهم أشارتهم غيرهم نفعنا الله بهم وخرطنا في سلكهم آمين هذا آخر الباب الثاني وحاصلها آداب العرف وعلاماته فالآداب ثمانية والعلامات أربع الرجوع إليه في كل شيء والأعتماد عليه في كل حال والغيبة فيه عن كل شيء والأستدلال به على كل شيء وأتساع أرزاق العلوم وفتح مخازن الفهوم والوصل إلى مواجهة الأنوار والغيبة عنها بشهود الواحد القهار ثم أفتتح الباب الثالث بذكر التخلية والتحلية فقال وقال رضي الله عنه تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب التشوف إلى الشيء الأهتمام به والتطلع له قلت تشوفك أيها الأنسان إلى ما بطن فيك من العيوب كالحسد والكبر وحب الجاه والرياسة وهم الرزق وخوف الفقر وطلب الخصوصية وغير ذلك من العيوب والبحث عنها والسعي في التخلص منها أفضل من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب كالأطلاع على أسرار العباد وما يأتي به القدر من الوقائع المستقبلة وكالأطلاع على أسرار غوامض التوحيد قبل الأهلية له لأن تشوفك إلى ما بطن من العيوب سبب في حياة قلبك وحياة قلبك سبب في الحياة الدائمة والنعيم المقيم والأطلاع على الغيوب إنما هو فضول وقد يكون سبباً في هلاك النفس كأتصافها بالكبر ورؤية المزية على الناس وسيأتي للشيخ من أطلع على أسرار العباد و لم يتخلق بالرحمة الألهية كان إطلاعه فتنة عليه وسبباً يجر الوبال إليه وأعلم أن العيوب ثلاثة عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح فعيوب النفس تعلقها بالشهوات الجسمانية كطيب المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن والمناكح وشبه ذلك وعيوب القلب تعلقه بالشهوات القلبية كحب الجاه الرياسة والعز والكبر والحسد والحقد وحب المنزلة والخصوصية وشبه ذلك مما يأتي أن شاء الله في أوصاف البشرية وعيوب الروح تعلقها بالحظوظ الباطنية كطلب الكرامات والمقامات والقصور والحور وغير ذلك من الحروف فتشوف المريد إلى شيء من ذلك كله قادح في عبوديته مانع له من القيام بحقوق ربوبيته فأشتغاله بالبحث عن عيوبه النفسانية والقلبية والروحانية وسعيه في التطهير من جميع ذلك أولى من تشوفه

إلى ما حجب عنه من علم الغيوب كما تقدم وبالله التوفيق ولما ذكر التخلية ذكر ثمرتها وهي التحلية بالمعرفة إذ ما منع منها إلا تشوف النفس أو القلب أو الروح إلى حظوظها الوهمية فقال الحق ليس بمحجوب عنك إنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده قلت الحق تعالى محال في حقه الحجاب فلا يحجبه شيء لأنه ظهر بكل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء فلا ظاهر معه ولا موجود في الحقيقة سواه فهو ليس بمحجوب عنك وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه لأعتقادك الغيرية وتعلق قلبك بالأمور الحسية فلو تعلق قلبك بطلب المولى وأعرضت بالكلية عن رؤية السوى لنظرت إلى نور الحق ساطعاً في مظاهر الأكوان وصار ما كان محجوباً عنك بالوهم في معد الشهود والعيان ولله در القائل

لقد تجلى ما كان مخبي والكون كله طويت طي
مني على دارت كؤسي من بعد موتي تراني حي

فالناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وكلهم في البحر ولا يشعرون وسمعت شيخناً رضي الله عنه يقول والله ما حجب الناس عن الله إلا الوهم والوهم أمر عدمي لا حقيقة له اه وسيأتي للشيخ ما حجبك عن الحق وجود موجود معه إذ لا شيء معه وإنما حجبك عنه توهم موجود معه اه إد لو حجبه تعالى شيء حسي لستره ذلك الحجاب ولو كان له ساتر حسي لكان لوجوده حاصر إذ محال أن يستره من جميع الوجوه ولا يحصره وكل حاصر لشيء فهو له قاهر كيف والله تعالى يقول وهو القاهر فوق عباده أي لأنهم في قبضته وتحت تصريف قدرته وتخصيص إرادته ومشيئته والفوقية عبارة عن رفعة الجلال والمكانة لا المكان كما يقال السلطان فوق الوزير والسيد فوق عبده والمالك فوق المملوك وغير ذلك مما يثبت الكبرياء وينفي سماة الحدوث والله تعالى أعلم ولما كان حجاب الروح عن المعرفة أمراً وهمياً عدمياً لا حقيقة له وهو مرضها بأوصاف البشرية فلو صحت لعرفت أشار إلى ذلك بقوله أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حضرته قريباً قلت أوصاف البشرية هي الأخلاق التي تناقض خلوص العبودية ومرجعها إلى أمرين الأول تعلق القلب بأخلاق البهائم وهي شهوة البطن والفرج وما يتبعهما من حب الدنيا وشهواتها الفانية قال الله تعالى "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث" الآية الثاني تخلقه بأخلاق الشياطين كالكبر والحسد والحقد والغضب والحدة وهي القلق والبطر وهي خفة

العقل والأشر وهو التكبر وحب الجاه والرياسة والمدح والقسوة والعطاء والفظاظة والغلظة وتعظيم الأغنياء وأحتقار الفقراء وكخوف الفقر وهم الرزق والبخل والشح والرياء والعجب وغير ذلك مما لا يحصي حتى قال بعضهم للنفس من النقائص مالله من الكمالات وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي كتاباً في عيوب النفس وأدويتها ونظمه الشيخ زروق في نحو ثمانمائة بيت ومن ألقاه الله إلى شيخ التربية فلا يحتاج إلى شيء سوى الأستماع والأتباع فإذا خرج المريد من أخلاق البهائم تخلق بأخلاق الروحانيين كالزهد والورع والقناعة والعفة والغنى بالله والأنس به وإذا خرج من أخلاق الشياطين تخلق بأخلاق المؤمنين أو بأخلاق الملائكة كالتواضع وسلامة الصدور والحلم والسكينة والرزانة والطمأنينة والسهولة والليونة والخمول والأكتفاء بعلم الله والشفقة والرحمة وتعظيم الفقراء والمساكين وأهل النسبة وجميع الأمة والكرم والسخاء والجود والأخلاص والصدق والمراقبة والمشاهدة والمعرفة فإذا تخلق العبد بهذه الأخلاق وتحقق بها ذوقاً بعد أن تخلص من أضدادها كان عبداً خالصاً لمولاه حراً مما سواه وكان لندائه مجيباً ومن حضرته قريباً فإذا قال له ربه يا عبدي قال له يا رب فكان صادقاً في أجابته لصدق عبوديته بخلاف ما إذا كان منهمكا في شهواته الظاهرة والباطنة كان عبداً لنفسه وشهواته فإذا قال يا رب كان كاذباً إذ من أحب شيئاً فهو عبد له وهو لا يحب أن تكون عبداً لغيره وإذا تخلص من رق الشهوات والحظوظ كان أيضاً قريباً من حضرة الحق بل عاطفاً فيها إذ ما أخرجنا عن الحضرة إلا حب هذه الخيالات الوهمية فإذا تحررنا منها وتحققنا بالعبودية وجدنا أنفسنا في الحضرة وأعلم أن هذه الأوصاف البشرية التي أحتجبت بها الحضرة إنما جعلها الله منديلاً لمسح أقذار القدر كالنفس والشيطان والدنيا فجعل الله النفس والشيطان منديلاً للأفعال المذمومة وجعل البشرية منديلاً للأخلاق الدنيئة وما ثم إلا مظاهر الحق وتجليات الحق وما ثم سواه ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم إن هذه العيوب سبب بقائها في الأنسان بإعتبار الحكمة هي الغفلة عن البحث عنها وسبب الغفلة عن البحث عنها هو الرضى عن النفس إذ لو أساء ظنه بها لبحث عن مساويها فأستخرجها وتطهر منها فلذلك قال أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس قلت إذ كل من رضي عن نفسه أستحسن أحوالها وغطي مساويها لقول الشاعر، وعين الرضى عن كل عيب كليلة، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها قلت لأن من أتهم نفسه وأساء ظنه بها ونظر إليها بعين السخط بحث عن عيوبها وأستخرج مساويها لقول الشاعر، ولكن عين السخط تبدي المساويا، فأبحث أيها المريد عن مساويك وأتهم نفسك ولا تستحسن شيئاً من أحوالها فإنك إذا رضيت عنها وأستحسنت أحوالها لدغتك وأنت لا تشعر وحجبتك عن الحضرة وأنت تنظر قال أبو حفص الحداد من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلي مكروهها في سائر أيامه مغروراً ومن نظر إلى نفسه بإستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه

والكريم ابن الكريم إبن الكريم يقول وما أبريء نفسي أن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي اه وفي معنى ذلك أنشدوا

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس أخبث من سبعين شيطاناً

وقال السري من عرف الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يروح ويغدو في لاش، والعاقل عن عيوبه فتاش، اه فإبحث يا أخي عن عيوبك أن أردت نصح نفسك فإذا بحثت عن عيوبها وفضحت عوراتها تخلصت وتحررت وتحققت ودخلت الحضرة وأتسعت لك النظرة وأشتكت لك الفكرة وكان شيخ شيخنا يقول لعنة الله على من ظهرت له عورة فلم يفضحها وكان أيضاً كثيراً ما يوصي بعدم المراقبة للناس وعدم المبالاة بهم إذ لا يتخلص من دقائق الرياء إلا بإسقاطهم من عينه وسقوطه هو من عينهم ومن أراد أن يتخلص فليصحب من تخلص ولذلك قال ولأن تصحب جاهلاً لا يرضي عن نفسه خير من أن تصحب عالماً يرضي عن نفسه قلت إذ صحبة من لا يرضي عن نفسه خير محض لتحققه بالأخلاص فيسري ذلك في الصاحب حتى يتحلى بالأخلاص ويصير من جملة الخواص وصحبة من يرضي عن نفسه شر محض ولو كان أعلم أهل الأرض لأن الطباع تسرق الطباع إذ الجهل الذي يقرب للحضرة أحسن من العلم الذي يبعد عن الحضرة ولذلك قال بعض العارفين أشد الناس حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد لوقوفهم مع علمهم وعبادتهم وزهدهم والجهل الذي يوصل إلى الله علم على الحقيقة والعلم الذي يحجب عن الله جهل على الحقيقة ولذلك قال فأي علم لعالم لم يرضي عن نفسه قلت لأنه صار حجاباً له عن ربه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه قلت إذ بعدم الرضى عن نفسه بحث عنها وتخلص من رقها فصار عبداً حقيقة لله فحينئذ أحبه سيده وأصطفاه لحضرته وإجتباه لمحبته وأطلعه على مكنون علمه فكان أعلم خلقه والله تعالى أعلم وإذا تخلص العبد من حظوظه وأوصاف بشريته قرب من حضرة ربه لصحة قلبه وأشراقه بنور ربه ثم أمتحى وجوده في وجود محبوبه وشهوده في شهود معبوده وإلى ذلك أشار بقوله شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة تشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لأعدمك ولا وجودك كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان قلت البصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القالب فالبصيرة ترى المعاني اللطيفة النورانية والبصر يرى المحسوسات الكثيفة الظلمانية الوهمية ثم البصيرة بإعتبار أدراك نور المعاني اللطيفة على خمسة أقسام قسم فسد ناظرها فعميت فأنكرت نور الحق من أصله قال سيدي البوصيري

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سم

وهذه بصيرة الكفار قال تعالى فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وقسم صح ناظرها لكنها مسدودة لضعف ناظرها لمرض أصابه فهي تقر بالنور لكنها لا تقوى على مشاهدته ولا تشهد قربه منها ولا بعده عنها وهي لعامة المسلمين وقسم صح ناظرها وقوي شيئاً ما حتى قرب أن يفتح عينه لكن لشدة الشعاع لم يطق أن يفتح عينه فأدرك شعاع النور قريباً منه وهو العامة المتوجهين ويسمى هذا المقام شعاع البصيرة وقسم قوي ناظرها ففتح عين بصيرته فأدرك النور محيطاً به حتى غاب عن نفسه بمشاهدة النور وهذا لخاصة المتوجهين ويسمى هذا المقام عين البصيرة وقسم صحت بصيرته وإشتد نورها فأتصل نورها بنور أصلها فلم تر إلا النور الأصلي وأنكرت أن يكون ثم شيء زائد على نور الأصل كان اله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان ويسمى هذا حق البصيرة ووجه تسميته بشعاع البصيرة أن صاحبها لما كان يرى وجود الأكوان أنطبعت في مرآة بصيرته فحجبته عن شهود النور من أصله لكن لما رقت كثافتها وتنورت دلائلها رأي شعاع النور من ورائها قريباً منه فأدرك الشعاع و لم يدرك النور وهذا هو نور الإيمان وهو مقام علم اليقين ووجه تسمية عين البصيرة أن البصيرة لما صحت وقويت أنفتحت عينها فرأت النور محيطاً ومتصلاً بها فسميت عين البصيرة لأنفتاحها وإدراكها ما خفي على غيرها وهذا مقام عين اليقين ووجه تسمية حق البصيرة أن البصيرة لما أدركت الحق من أصله وغابت عن نور الفروع بنور الأصول سميت حق البصيرة لما أدركته من الحق وغابت عن شهود الخلق وهذا مقام حق اليقين فشعاع البصيرة هو نور الإيمان لأهل المراقبة وعين البصيرة هو نور الأحسان لأهل المشاهدة وحق البصيرة هو نور الرسوخ والتمكين لأهل المكالمة أو تقول شعاع البصيرة نور علم اليقين وعين البصيرة هو نور عين اليقين وحق البصيرة هو نور حق اليقين فعلم اليقين لأهل الدليل والبرهان وعين اليقين لأهل الكشف والبيان وحق اليقين لأهل الشهود والعيان مثال ذلك كمن سمع بمكة مثلاً و لم يرها فهذا عنده علم اليقين فإذا أستشرف عليها ورآها و لم يدخلها فهو عين اليقين فإذا دخلها وتمكن فيها فهو حق اليقين وكذلك طالب الحق فما زال من وراء الحجاب فانياً في الأعمال فهو في علم اليقين فإذا أستشرف على الفناء في الذات و لم يتمكن من الفناء فهو عين اليقين فإذا رسخ وتمكن فهو في حق اليقين أو تقول شعاع البصيرة لأهل عالم الملك وعين البصيرة لأهل عالم الملكوت وحق البصيرة لأهل عالم الجبروت أو تقول شعاع البصيرة لأهل الفناء في الأعمال وعين البصيرة لأهل الفناء في الذات وحق البصيرة لأهل الفناء في الفناء فشعاع البصيرة يشهدك قرب الحق منك أي يوجب لك شهود قرب نور الحق منك قال تعالى ولقد خلقنا الأنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقال تعالى "وهو معكم أينا كنتم" وعين البصيرة يشهدك عدمك أي زوالك بزوال وهمك لوجوده أي وجود الحق إذ محال أن تشهده

وتشهد معه سواه فإذا زال عنك الوهم وفنيت عن وجودك شهدت ربك بربك وهو علامة فتح البصيرة وعلاج السريرة كما قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب

من رأي المكون بالكون عزه في عمي البصيرة

ومن رأى الكون بالمكون صادف علاج السريرة

فظاهره أن عامة المسلمين عميت بصيرتهم والتحقيق هو ما تقدم من التفصيل وأنها مسدودة فقط مع صحة ناظرها بخلاف بصيرة الكفار فإنها عمياء وحق البصيرة يشهدك وجود الحق وحده لا وجودك لأنك مفقود من أصلك ولا عدمك إذ لا يعدم إلا ما ثبت له وجود و لم يكن مع الله موجود كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان وهذه الزيادة وإن لم تكن في الحديث لكن معناها صحيح إذا لتغير عليه تعالى محال قال محيى الدين بن محمد بن علي بن العربي الحاتمي رضي الله عنه من شهد الخلق لأفعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل اه قلت ومن شهدهم بعين العدم فقد تمكن وصاله وأنشدوا

من أبصر الخلق كالسراب فقد ترقي عن الحجاب

إلى وجود تراه رتقا بلا أبتعاد ولا أقتراب

فلا خطاب به إليه ولا مشير إلى الخطاب

والله تعالى أعلم ثم إذا تقرر أنفراد الحق بالوجود فلا تتعد همتك إلى غيره إذ هو مفقود وإلى ذلك أشار بقوله في أول الباب الرابع وقال رضي الله عنه لا تتعد نية همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال قلت لا تتعد أي لا تتجاوز ونية الهمة قصدها الذي تتوجه به والهمة القوة المنبعثة في طلب المقاصد والآمال قصود القاصدين ومعنى لا تتخطاه أي لا تتجاوز إلى غيره قلت إذا تعلقت همتك أيها المريد بشيء تريد تحصيله فردها إلى الله ولا تتعلق بشيء سواه لأنه سبحانه كريم على الدوام ونعمه سحاء على مر الليالي والأيام والكريم لا تتخطاه الآمال وهو يحب أن يسئل فيجيب السؤال وقد قالوا في تفسير أسمه تعالى الكريم هو الذي إذا سئل أعطي ولا يبالي كم أعطي ولا لمن أعطي وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى وإذا جفى عفا وإذا عاتب ما أستقصي فهذا من كمال كرمه وتمام أحسانه وأنعامه وفي ذلك يقول سيدي إبراهيم التازي في قصيدة له

كمال الله أكمل كل حسن فلله الكمال ولا مماري

وحب الله أشرف كل أنس فلا تنس التخلق بالوقار

وذكر الله مرهم كل جرح وأنفع من زلال للأوار

ولا موجود إلا الله حقاً فدع عنك التعلق بالفشار

وإذا علمت كرمه وجوده وكماله وإحسانه فلا ترفع إلى غيره ما هو مورده عليك كما قال لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك قلت قد علمت أن ما سوى الحق خيال وهمي لا حقيقة لوجوده فإذا أنزل الله بك حاجة كفاقة أو شدة أو غير ذلك من العوارض فإنزلها بالله وأجعلها تحت مشيئة الله وغب عنها في ذكر الله ولا تلتفت إلى ما سواه تعلقاً ولا تملقاً ففي الحديث من لم يسئل الله يغضب عليه وقال أبو علي الدقاق من علامة المعرفة أن لا تسأل حوائجك كلها إلا من الله قلت أو جلت مثل موسى عليه السلام أشتاق إلى رؤيته فقال رب أرني أنظر إليك وأحتاج يوماً إلى رغيف فقال رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير اه ثم تعجب ممن رفع أحكام الحق إلى غيره معى عجزه وضعفه فقال فكيف يرفع إلى غيره ما كان هو له واضعاً قلت من قلة حياء الأنسان أن يرفع إلى غيره ما أنزله عليه الحق تعالى من أحكام قهره مع علمه تعالى بإحسانه وبره وعدم أنفكاك لطفه عن قدره قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من نفع غيري لها ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وقال بعض العارفين من المكاشفين رضي الله عنهم قيل لي في نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة فإضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك إلى حد عبوديتك إنما أبتليتك بالفاقة لتفزع إلى منها وتتضرع بها لدي وتتوكل فيها على سبكتك بالفاقة لتصير بها ذهباً خالصاً فلا تزيغن بعد السبك وسمتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغني فإن وصلتها بي وصلتك بالغنى وأن وصلتها بغيري قطعت عنك مواد معونتي وحسمت أسبابك من أسبابي طرداً لك عن بابي فمن وكلته إلى ملك ومن وكلته إليه هلك اه ثم بين وجه التعجب فقال من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً قلت من عجز عن أصلاح نفسه فكيف يقدر أن يصلح غيره ضعف الطالب والمطلوب قال بعضهم من أعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم الذي لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد إلا على من يدوم لك منه العطاء والفضل اه ثم أن الأعتماد على الله ورفع الحوائج إليه والرجوع في كل النوازل إليه سببه حسن الظن به كما أشار إليه بقوله أن لم تحسن ظنك به لأجل وصفه حسن ظنك به لأجل معاملته معك فهل عودك إلا حسناً وهل أسدي إليك إلا مننا قلت الناس في حسن الظن بالله على قسمين خواص وعوام أما الخواص فحسن ظنهم بالله تعالى ناشيء عن شهود جماله ورؤية كماله فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله

أو بجلاله لأن أتصافه تعالى بالرحمة والرأفة والكرم والجود لا ينقطع فإذا تجلى لهم بجلاله أو قهريته علموا ما في طي ذلك من تمام نعمته وشمول رحمته فغلب عليهم شهود الرحمة والجمال فدام حسن ظنهم على كل حال وأما العوام فحسن ظنهم بالله ناشيء عن شهود أحسانه وحسن معاملته وأمتنانه فإذا نزلت بهم قهرية أو شدة نظروا إلى سالف أحسانه وحسن ما أسدي إليهم من حسن لطفه وأمتنانه فقاسوا ما يأتي على ما مضى فتلقوا ما يرد عليهم بالقبول والرضى وقد يضعف هذا الظن بضعف النظر والتفكر ويقوي بقوتهما بخلاف الأول فإنه ناشيء عن شهود الوصف والوصف لا يتخلف والثاني ناشيء عن شهود الفعل وهو يتخلف فإن لم تقدر أيها المريد أن تحسن ظنك بالله لشهود وصفه بالرأفة والرحمة التي لا تتخلف فحسن ظنك به لوجود معاملته معك بلطفه ومننه فهل عودك الحق تعالى الأبرا حسناً ولطفاً جميلاً وهل أسدي إليك أي أوصل إليك إلا مننا كبيرة ونعماً غزيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذيكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إنا لا نحب إلا الله فقال رجل أبي ذلك جدك يا سيدي بقوله جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فقال الشيخ أبو الحسن إنا لما لم نر محسناً غير الله لم نحب سواه اه وقال أيضاً رضي الله عنه قرأت ليلة قل أعوذ برب الناس إلى أن بلغت فيها من شر الوسواس فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك أفعالك السيئة وينسيك أفعالك الحسنة ويكثر عندك ذات الشمال ويقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه إلى سوء الظن بالله ورسوله فإحذروا هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل

الطاعة والسداد اه وقال رضي الله عنه أيضاً العارف من عرف شدائد الزمان في الألطاف الحارية من الله عليه وعرف إساءته في إحسان الله إليه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون اه وإذا كان الحق تعالى ما عودك إلا الأحسان وما أسدي إليك إلا الأمتنان فمن العجب أن تتركه وتطلب ما سواه وإلى ذلك أشار بقوله العجب كل العجب ممن يهرب مما لا أنفكاك له منه ويطلب مالا بقاء له معه فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور قلت ما لا أنفكاك منه هو الحق تعالى وقضاؤه وقدره وما لا بقاء له هو الدنيا أو ما تدبره النفس وتقدره فمن أعجب العجائب أن يفر العبد من مولاه ويتوجه بالطلب لما سواه مع أنه لا أنفكاك له منه ولا محيد له عنه إذ لا وجود له إلا منه ولا قيام له إلا به فكيف يهرب منه بترك طلب معرفته وبالتقرب به بأمتثال أمره وأجتناب نهيه ويطلب مالا بقاء له من حظوظ الدنيا الفانية التي أن لم تزل عنها في الحياة زالت عنك بالممات فأطلب ما يبقي دون ما يفني ولله در القائل

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى زوال

وما دنياك إلا مثل ظل أظلك ثم آذن بأرتحال

أو تقول من العجب كل العجب أن يهرب العبد مما لا أنفكاك له عن قدر الله وقضائه ويطلب مالا بقاء له من حظوظ تدبيره وأختياره إذ كل ما تدبره وأبرمه فسخه القضاء وهدمه،

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه و غيرك يهدم

وهذا كله من عدم فتح البصيرة أو عماها ولذلك قال فإنها لا تعمى الأبصار عن أدراك الحس لأنها أدركته وحجبت به ولكن تعمي القلوب عن أدراك المعنى فلا ترى إلا الحس ولا تحب إلا أياه ولا تطلب شيئاً سواه نسأل الله عافيته وهداه قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه عمي البصيرة في ثلاث أرسال الجوارح في معاصي الله والطمع في خلق الله والتصنع بطاعة الله اه ثم إذا طلبت الحق الذي لا أنفكاك لك عنه ورحلت إليه فأطلب معرفة ذاته لا زخارف جناته إذ هي كون من مكوناته ولذلك قال لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي أرتحل إليه هو الذي أرتحل عنه ولكن أرحل من الأكوان إلى المكون وأن ربك المنتهي قلت الرحيل من الكون إلى الكون هو الرحيل من السوى إلى طلب السوى وذلك كمن زهد في الدنيا وأنقطع إلى الله بطلب بذلك راحة بدنه وأقبال الدنيا عليه لقوله صلى الله عليه وسلم من أنقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ولقوله أيضاً من كانت الآخرة نيته جمع الله عليه أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي صاغرة وكمن زهد فيها يطلب الخصوصية كأقبال الخلق والعز وتربية المهابة في قلوب الناس أو زهد فيها يطلب الكرامة وخوارق العادات أو زهد فيها يطلب القصور والحور فهذا كله رحيل من كون إلى كون فمثله كحمار الطاحونة يسير الليل والنهار وهو في موضعه فالذي أرتحل منه هو الذي أرتحل إليه فمن كانت همته الحظوظ النفسانية فحاله حال حمار الساقية في السير دائم وهو في موضعه قائم يظن أنه قطع مسافة مما طلب. وما زاد إلا نقصاً مع تعب، قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه قف بباب واحد لا لتفتح لك الأبواب تفتح لك الأبواب وأخضع لسيد واحد لا لتخضع لك الرقاب تنخضع لك الرقاب قال تعالى "وأن من شيء إلا عندنا خزائنه" اه فينبغي لك أيها المريد أن ترفع همتك إلى الملك المجيد فترحل من رؤية الأكوان إلى طلب شهود الملك الديان أو ترحل من الدليل والبرهان إلى رتبة الشهود والعيان وهو غاية القصد وبلوغ المنتهي وأن إلى ربك المنتهي ولا ترحل من كون إلى كون بأن تترك حظاً من حظوظ نفسك طلباً لحظأ آخر فتكون كحمار الرحى الذي سار منه هو الذي عاد إليه وتشبيهه بالحمار دليل على بلادته وقلة فهمه إذ لو فهم عن الله لرحل عن حظوظ نفسه وهواه قاصداً الوصول إلى حضرة مولاه فلا ترحل أيها المريد من

كون مخلوق إلى كون مخلوق مثلك ولكن أرحل من الكون إلى المكون وأن إلى ربك المنتهي والرحيل إلى المكون يكون بثلاثة أمور الأول قصر همتك عليه دون ما سواه حتى يطلع على قلبك فلا يجده محباً لسواه الثاني الرجعي إليه بإقامة الحقوق والفرار من الحظوظ الثالث دوام اللجاء إليه والأستعانة به والتوكل عليه والأستسلام لما يورده عليك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أربعة من كن فيه أحتاج الخلق إليه وهو غني عن كل شيء المحبة لله والغنا بالله والصدق واليقين الصدق في العبودية واليقين في أحكام الربوبية من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون اه قاله الشيخ زروق رضي الله عنه ثم أستدل على طلب رفع الهمة إلى الله مع الأعراض عما سواه بحديث الهجرة الذي في الصحيح فقال وأنظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو أمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فأفهم قوله عليه السلام فهجرته إلى ما هاجر إليه وتأمل هذا الأمر أن كنت ذا فهم والسلام قلت الهجرة هي الأنتقال من وطن إلى وطن آخر بحيث يهجر الوطن الذي خرج منه ويسكن الوطن الذي أنتقل إليه وهي هنا من ثلاثة أمور من وطن المعصية الطاعة ومن وطن الغفلة إلى وطن اليقظة ومن وطن عالم الأشباح إلى وطن عالم الأرواح أو تقول من وطن الملك إلى وطن الملكوت أو من وطن الحس إلى وطن المعنى أو من وطن علم اليقين إلى وطن عين اليقين أو حق اليقين فمن هاجر من هذه المواطن قاصداً بهجرته الوصول إلى رضي الله ورسوله أو الوصول إلى معرفة الله ورسوله فهجرته موصلة له إلى الله ورسوله على حسب قصده وهمته ومن كانت هجرته إلى حظوظ نفسه وهواه فقد خاب قصده ومسعاه وغاية هجرته ما هاجر إليه وكانت هجرته زيادة في جر الوبال إليه فأفهم أيها السامع قوله عليه السلام فهجرته إلى ما هاجر إليه وتدبره وأعرضه على قلبك

ونفسك وأنظر هل فيك بقية من الألتفات إلى ما هاجرت منه أو فيك حظ سوى ما هاجرت إليه من رضوان الله ورسوله أو معرفة الله ورسوله فإن الله غيور لا يحب لمن طلبه أن يطلب معه سواه ولن يوصل إليه من بقي فيه بقية من حظه وهواه قال الششتري

أن ترد وصلنا فموتك شرط ... لا ينال الوصال من فيه فضله

وقال أيضاً

ليس يدرك وصالي ... كل من فيه بقيا

وسمعت شيخنا اليزيدي رضي الله عنه يقول أن أردتم أن تعرفوا هل رحلت أنفسكم من هذا العالم إلى عالم الملكوت أو لم ترحل فأعرضوا عليها الأمور التي كانت تشتهيها وتميل إليها واحداً بعد واحد فإن وجدتموها رحلت عنها وخرجت محبتها من قلبها و لم تركن إلى واحد منها فأستبشروا فقد رحلت

أرواحكم إلى عالم الملكوت وأن وجدتموها ركنت أو مالت بالمحبة إلى شيء من هذا العالم فجاهدوها وأخرجوها عنه بالكلية حتى ترحل إلى ربها اه بالمعنى وختم هذا الباب بالسلام لما أشتملت عليه من الرحيل والمقام فكلها تدل على سفر القلب من شهود الخلق إلى شهود الخالق فناسب ختمها بالسلام لما فيه من ذكر السلامة ولما كان السفر لا بد فيه من دليل وإلا ضل عن سواء السبيل أفتتح الباب الخامس بذكر الصحبة وشروط المصحوب وآدابها فقال لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله قلت الذي ينهضك حاله هو الذي ذا رأيته ذكرت الله فقد كنت في حال الغفلة فلما رأيته نهض حالك إلى اليقظة أو كنت في حالة الرغبة.

فلما رأيته نهض حالك إلى الزهد أو كنت في حالة الأشتغال بالمعصية فلما رأيته نهض حالك إلى التوبة أو كنت في حالة الجهل بمولاك فنهضت إلى معرفة من تولاك وهكذا والذي يدلك على الله مقاله هو الذي يتكلم بالله ويدل على الله ويغيب عما سواه إذا تكلم أخذ بمجامع القلوب وإذا سكت أنهضك حاله إلى علام الغيوب فحاله يصدق مقاله ومقاله موافق لعلمه فصحبة مثل هذا أكسير يقلب الأعيان وهو مفهوم من قول الشيخ لا تصحب من لا ينهضك حاله إلخ أي بل أصحب من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله والصحة في طريق التصوف أمر كبير في السير إلى الله تعالى حسبما جرت به عادة الله تعالى وحكمته حتى قال بعضهم من لا شيخ له فالشيطان شيخه وقال آخر الأنسان كالشجرة النابتة في الخلاء فإن لم تقطع وتلقم كانت دكارة وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه كل من لا شيخ له في هذا الشأن لا يفرح به ومن شروط الشيخ أربعة علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية فالعلم الصحيح هو ما يتقن به فرضه ولا بد أن يكون عالماً بالمقامات والمنازل التي يقطعها المريد وبغرور النفس ومكايدها قد سلك ذلك على يد شيخ كامل وذاق ذلك ذوقاً لا تقليداً وهو المراد بالذوق الصريح والهمة العالية هي المتعلقة بالله دون ما سواه والحالة المرضية هي الأستقامة بقدر الأستطاعة ولا بد أن يكون جامعاً بين حقيقة وشريعة وبين جذب وسلوك فيجذبه بجذب القلوب وبسلوكه يخرجها من حالة الحذب إلى البقاء فالسالك فقط ظاهري لا يجذب ولا يحقق المجذوب فقط لا يسير ولا يوصل وفساد صحبته أكثر من نفعها قال في أصول الطريقة ومن فيه خمس لا تصح مشيخته الجهل بالدين وأسقاط حرمة المسلمين ودخول ما لا يعني وأتباع الهوى في كل شيء وسوء الخلق من غير مبالات اه فصحبة مثل هذا ضرر محض وإليه أشار بقوله ربما كنت مسيأ فأراك الأحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالاً منك قلت رب هنا للتكثير وصحبتك فاعل بأراك والأحسان مفعول مقدم والتقدير ربما تكون مسيئاً في حالك مقصراً في عملك فإذا صحبت من هو أسوأ حالاً منك أراك أي أبصرتك صحبتك إلى من هو أسوأ حالاً منك الأحسان منك لما ترى ما يصدر منها من الأحسان ومن المصحوب من التقصير والنقصان فتعتقد

المزية عليه لأن النفس مجبولة على رؤية الفضل لها ومشاهدة التقصير من غيرها علماً أو عملاً أو حالاً.

بخلاف ما إذا صحبت من هو أحسن حالاً منها فإنها لا ترى من نفسها إلا التقصير وفي ذلك خير كثير قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي أوصاني حبيبي فقال لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس إلا حيث تأمن غالباً من معصية الله ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقيناً وقليل ما هم وقال له أيضاً لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئم ولا من يؤثرك على نفسه فإنه قل ما يدوم وأصحب من إذا ذكر ذكر الله فالله يغني به إذا شهد وينوب عنه إذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مفاتيح الغيوب اه وحاصله لا تصحب من تتكلف له فوق جهدك ولا من يتكلف لك كذلك وخير الأمور أوساطها وهذا والله أعلم في صحبة الأخوة وأما صحبة الشيخوخة فكل ما أمر به الشيخ أو أشار إليه أو فهمت أنه يحب ذلك فلا بد أن تبادر إليه بقدر الأمكان ولو كان محالاً عادة لأخذت في التهيئ للفعل قال شيخ شيوخنا سيدي العربي بن أحمد ابن عبد الله الفقير الصديق هو الذي إذا قال له شيخه أدخل في عين المخياط لا يتردد ويقوم يبادر في أمتثال ما أمر ولو كان لا يتأتي منه ذلك وقال أيضاً صاحبي هو الذي نفتله بشعره اه وقال سيدي علي رضي الله عنه في كتابه أعلم أنه لا يقرب طالب الله إلى الله شيء مثل جلوسه مع عارف بالله أن وجده وإن لم يجده فعليه بذكر الله ليلاً ونهاراً قائماً وقاعداً مع العزلة عن أبناء الدنيا بعدم الجلوس معهم وعدم الكلام كذلك وعدم النظر فيهم لأنهم سم خارق ولا يبعد من الله شيء مثل جلوسه مع فقي جاهل الفقير الجاهل أقبح من العامي الغافل بألف ضعف الجلوس مع العارف بالله أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين والجلوس مع العامي الغافل.

أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل لا شيء في الوجود يسود قلب المريد مثل جلسة مع الفقير الجاهل كما أن العارف بالله يجمع بين العبد ومولاه بنظرة أو بكلمة كذلك الفقير الجاهل بالله ربما أتلف المريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة فما فوقها يرحم الله المجذوب حيث يقول في بعض كلامه، الجلسة مع غير الأخيار، ترذل ولو تكون صافي اه وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه أحذر صحبة ثلاث من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين اه وزاد الشيخ زروق علماء الظاهر قال لأن نفوسهم غالبة عليهم اه قلت الجلوس معهم اليوم أقبح من سبعين عامياً غافلاً وفقيراً جاهلاً لأنهم لا يعرفون إلا ظاهر الشريعة ويرون أن من خالفهم في هذا الظاهر خاطيء أو ضال فيجهدون في رد من خالفهم يعتقدون أنهم ينصحون وهم يغشون فليحذر المريد من صحبتهم والقرب منهم ما أستطاع فإن توقف في مسئلة و لم يجد من يسئل عنها من أهل الباطن فليسأله على حذر ويكون معه كالجالس مع القرب والحية والله ما رأيت أحداً قط من الفقراء قرب منهم وصحبهم فأفلح أبداً في طريق الخصوص

ويرحم الله أباذر الغفاري رضي الله عنه حيث قال والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين اه قال هذا في علماء الصحابة الأخيار رضي الله عنهم فما بالك اليوم حين أشتغلوا بجمع الدنيا وتزيين الملابس وتكبير العمائم وتحسين المأكل والمساكن والمراكب ورأوا ذلك سنة نبوية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكان يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه يقول لعلماء وقته يا معشر العلماء دياركم هامانية ومراكبكم قاونية وأطعمتكم فرعونية وولأئمكم جالوتية ومواسمكم جاهلية وقد صيرتم مذاهبكم شيطانية فأين الملة المحمدية ومما يتأكد النظر إليه في المصحوب الزهد في الدنيا ورفع الهمة عنها ولو قل عمله في الظاهر وإلى ذلك أشار بقوله ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب قلت الزهد في الشيء هو خروج محبته من القلب وبرودته منه وعند القوم بغض كل ما يشغل عن الله ويحبس عن حضرة الله ويكون أولاً في المال وعلامته أن يستوي عنده الذهب والتراب والفضة والحجر والغني والفقر والمنع والعطاء ويكون ثانياً في الجاه والمراتب.

وعلامته أن يستوي عنده العز والذل والظهور والخمول والمدح والذم والرفعة والسقوط ويكون ثالثاً في المقامات والكرامات والخصوصيات وعلامته أن يستوي عنده الرجاء والخوف والقوة والضعف والبسط والقبض يسير بهذا كما يسير بهذا أو يعرف في هذا كما يعرف في هذا ثم يكون الزهد في الكون بأسره بشهود المكون وأمره فإذا تحقق المريد بهذه المقامات في الزهد أو جلها كان عمله كله عظيماً كبيراً في المعني عند الله وإن كان قليلاً في الحس عند الناس وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وأي بدعة أعظم ولا أشنع من حب الدنيا والأنكباب عليها بالقلب والقالب الذي لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الصحابة حتي ظهرت الفراعنة فبنوا وشيدوا وزخرفوا فهذه هي البدعة الحقيقة فعمل هؤلاء قليل في المعنى وإن كان كثيراً في الحس إذ لا عبرة بحركة الأشباح وإنما العبرة بخضوع الأرواح عبادة الزاهد بالله لله وعبادة الراغب بالنفس للنفس عبادة الزاهد حية باقية وعبادة الراغب ميتة فانية عبادة الزاهد متصلة على الدوام وعبادة الراغب منقطعة بلا تمام عبادة الزاهد في مساجد الحضرة التي أذن الله أن ترفع وعبادة الراغب في مزابل القذرات التي أذن الله أن توضع ولذلك قال بعضهم عبادة الغني كالمصلي على المزبلة وما مثل عبادة الزاهد مع قلتها في الحس وكثرتها في المعنى وعبادة الراغب مع كثرتها في الحس وقلتها في المعنى إلا كرجلين أهديا للملك أحدهما أهدى يا قوتة صافية صغيرة قيمتها ستون قنطاراً والآخر أهدى ستين صندوقاً خاوية فارغة فلا شك أن الملك يقبل الياقوتة ويكرم صاحبها ويرد الصناديق ويهين صاحبها ويغضب عليه لكونه أستهزأ بالملك حيث أهدي له خشباً خاوية شهرتها أعظم من منفعتها وسمعت شيخناً رضي الله عنه يقول الراغب في الدنيا غافل ولو

كان يقول الله الله بلسانه على الدوام إذ لا عبرة باللسان والزاهد في الدنيا ذاكر على الدوام ولو قل ذكره باللسان اه قلت وبهذا فسر بعضهم قوله تعالى لا يذكرون الله إلا قليلاً أي مع الغفلة والرغبة ولو كثر في الحس اه وقال سيدنا على كرم الله وجهه كونوا لقبول العمل أشد منكم أهتماماً للعمل فإنه لم يقل عمل مع التقوي وكيف يقل عمل يتقبل اه وقال ابن مسعود رضي الله عنه ركعتان من زاهد عالم خير وأحب عند الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً وقال بعض السلف لم يفتكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاة ولا صيام إلا أنهم كانوا أزهد في الدنيا اه.

وفي بعض الأخبار أن سيدنا عيسى عليه السلام مر برجل نائم والناس يتعبدون فقال له عيسي عليه السلام قم تتعبد مع الناس فقال تعبدت يا روح الله فقال له وما عبادتك قال تركت الدنيا لأهلها فقال له نم نعمت العبادة هذه أو كما قال عليه السلام وقال رجل للشيخ أبي الحسن رضي الله عنه مالي أرى الناس يعظمونك و لم أر لك كبير عمل فقال بسنة واحدة أفترضها الله على رسوله تمسكت بها فقال له وما هي قال الأعراض عنكم وعن دنياكم اه قال الشيخ زروق رضي الله عنه وإنما كانت للزهاد هذه الفضلية لثلاثة أوجه أحدها ما فيه من فراغ القلب عن الشواغل والشواغب الثاني لأنه شاهد بوجود الصدق في المحبة إذ الدنيا محبوبة لا تترك إلا بما هو أحب قال عليه السلام الصدقة برهان قيل على حب العبد ربه الثالث لأنه دليل على المعرفة بالله والثقة به لأن بذل الموجود من الثقة بالمعبود ومنع الموجود من سوء الظن بالمعبود اه ولما كان حسن العمل الظاهر وأتقانه الذي يكون به كماله ونقصانه إنما هو نتائج حسن الباطن وأحواله أشار إلى ذلك بقوله حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الأنزال قلت الأعمال حركة الجسم بالمجاهدة والأحوال حركة القلب بالمكابدة والمقامات سكون القلب بالطمأنينة مثال ذلك مقام الزهد مثلاً فإنه يكون أولاً عمله مجاهدة بترك الدنيا وأسبابها ثم يكون مكابدة بالصبر على الفاقة حتى يصير حالاً ثم يسكن القلب ويذوق حلاوته فيصير مقاماً وكذلك التوكل يكون مجاهدة بترك الأسباب ثم يكون مكابدة بالصبر على مرارة تصرفات الأقدار ثم يصير حالاً ثم يسكن القلب فيه ويذوقه فيصير مقاماً وكذلك المعرفة تكون مجاهدة بالعمل في الظاهر كخرق العوائد من نفسه ثم تكون مكابدة بالمعرفة والأقرار عند التعرفات ثم تصير حالاً فإذا سكنت الروح في الشهود وتمكنت صارت مقاماً فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب يعني أن الأحوال مواهب من الله جزاء لثواب الأعمال فإذا دام العمل وأتصل الحال صار مقاماً فالأحوال تتحول تذهب وتجيء فإذا سكن القلب في ذلك المعنى صار مقاماً وهو مكتسب من دوام العمل وأعلم أن المقام والحال لكل واحد علم وعمل فالمقام يتعلق به العلم أولاً ثم يسعي في عمله حتى يكون حالاً ثم يصير مقاماً وكذلك الحال

يتعلق به العلم أولاً ثم العمل ثم يصير مقاماً حالاً والله تعالى أعلم فعلامة التحقق بمقامات الأنزال هو حسن الحال وعلامة حسن الحال هو حسن العمل فأتقان الأعمال وحسنها هو ثمرة ونتيجة حسن الأحوال وحسن الأحوال وأتقانها هو نتيجة التحقق بمقامات الأنزال أي التحقق بالأنزال في المقامات أو تقول حسن الأحوال دليل على التحقق بالمقامات التي يترل الله عبده فيها وحسن الأعمال دليل على حسن الأحوال والتحقق بالحال والسكون في المقام أمر باطني ويظهر أثره في عمل الجوارح والحاصل أن حركة القالب تدل على صلاح القلب أو فساده لقوله صلى الله عليه وسلم أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب فإذا تحقق القلب بالزهد مثلاً وصار له حالاً أو مقاماً ظهر ذلك على جوارحه من الثقة بالله والأعتماد عليه وقلة الحركة عند الأسباب المحركة لقوله عليه السلام ليس الزهد بتحريم الحلال ولا بأضاعة المال إنما الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك وقال الصديق رضي الله عنه لأبي الحسن الشاذلي في النوم علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجدو وجود الراحة منها عند الفقد، وعلامة التحقق بالأنزال في مقام التوكل السكون والطمأنينة عند محركات الأسباب وعلامة التحقق بالأنزال في مقام المعرفة هو الأدب ظاهراً وباطناً وحسن الخلق مع كل مخلوق ولذلك قال أبو حفص الحداد رضي الله عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه اه وراجع ما تقدم من شرح قوله تنوعت أجناس الأعمال بتنوع واردات الأحوال ففيه زيادة شرح على هذا المحل والله تعالى أعلم وأفضل الأعمال التي يقطع بها المريد المقامات وأقربها هو ذكر الله ولذلك ذكره بأثره فقال لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر

مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عن ما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز قلت الذكر ركن قوي في طريق القوم وهو أفضل الأعمال قال الله تعالى أذكروني أذكركم وقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكراً كثيراً" والذكر الكثير أن لا ينساه أبداً قال ابن عباس رضي الله عنهما كل عبادة فرضها الله تعالى جعل لها وقتاً مخصوصاً وعذر العباد في غير أوقاتها إلا الذكر لم يجعل الله له وقتاً مخصوصاً قال تعالى "أذكروا الله ذكراً كثيراً" وقال تعالى "فإذا قضيتم الصلاة فإذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم" وقال رجل يا رسول الله كثرت على شعائر الأسلام فأوصني بأمر أدرك به ما فاتني وأوجز فقال لا يزال لسانك رطباً بذكر الله وقال عليه السلام لو أن رجلاً في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل وقال صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم

فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وعن علي كرم الله وجهه قلت يا رسول الله أي الطرق أقرب إلى الله وأسهلها على عباد الله وأفضلها عند الله تعالى فقال يا علي عليك بمداومة ذكر الله فقال على كل الناس يذكرون الله فقال صلى الله عليه وسلم يا علي لا تقوم الساعة حتى لا يبقي على وجه الأرض من يقول الله فقال له على كيف أذكر يا رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم غمض عينيك وأسمع مني ثلاث مرات ثم قل مثلها وأنا أسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه ثم قالها على كذلك ثم لقنها علي للحسن البصري ثم الحسن لحبيب العجمي ثم حبيب لداوود الطائي ثم داوود لمعروف الكرخي ثم معروف للسري ثم السري للجنيد ثم أنتقلت إلي أرباب التربية فلا مدخل على الله إلا من باب الذكر فالواجب على العبد أن يستغرق فيه أوقاته ويبذل فيه جهده فإن الذكر منشور الولاية ولا بد منه في البداية والنهاية فمن أعطي الذكر فقد أعطي المنشور ومن ترك الذكر فقد عزل وأنشدوا

والذكر أعظم باب أنت داخله ... لله فأجعل له الأنفاس حراساً

فبقدر ما يفني في الأسم يفني في الذات وبقدر ما يتفتر في الفناء في الأسم يكون متفتراً في الفناء في الذات فليلتزم المريد الذكر على كل حال ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور قلبه فيه بل يذكره بلسانه ولو كان غافلاً بقلبه فإن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره لأن غفلتك عن ذكره أعراض عنه بالكلية وفي وجود ذكره أقبال بوجه ما وفي شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله وفي فقده تعرض لأشتغالها بالمعصية قبل لبعضهم ما لنا نذكر الله باللسان والقلب غافل فقال أشكر الله على ما وفق من ذكر اللسان ولو أشغله بالغيبة ما كنت تفعل فليلزم الأنسان ذكر اللسان حتى يفتح الله في ذكر الجنان فعسى أن ينقلك الحق تعالى من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة أي أنتباه لمعاني الذكر عند الأشتغال به ومن ذكر مع يقظة إلى ذكر مع وجود حضور المذكور وأرتسامه في الخيال حتى يطمئن القلب بذكر الله ويكون حاضراً بقلبه مع دوام ذكره وهذا هو ذكر الخواص والأول ذكر العوام فإن دمت على ذكر الحضور رفعك إلى ذكر مع الغيبة عما سوي المذكور لما يغمر قلبك من النور وربما يعظم قرب نور المذكور فيغرق في النور حتي يغيب عما سوي المذكور حتي يصير الذاكر مذكوراً والطالب مطلوباً والواصل موصولاً وما ذلك على الله بعزيز أي بممتنع فقد يرفع في أعلى الدرجات من كان في أسفل الدركات وها هنا يسكت اللسان وينتقل الذكر للجنان فيصير ذكر اللسان غفلة في حق أهل هذا المقام كما قال الشاعر

ما أن ذكرتك إلا هم يلعنني ... سري وقلبي وروحي عند ذكراك

حتى كان رقيباً منك يهتف بي | إياك ويحك والتذكار إياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده | وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطي مشيراً إلى هذا المقام الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه اه يعني أن الذاكرين الله بالقلوب هم في حال ذكرهم لله بلسانهم أكثر غفلة من التاركين لذكره لأن ذكره باللسان وتكلفه يقتضي وجود النفس وهو شرك والشرك أقبح من الغفلة هذا معنى قوله لأن ذكره سواه أي لأن ذكر اللسان يقتضي أستقلال الذاكر والفرض أن الذاكر محو في مقام العيان قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه حقيقة الذكر الأنقطاع عن الذكر إلى المذكور وعن كل شيء سواه لقوله وأذكر أسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً وقال القشيري رضي الله عنه الذكر أندراج الذاكر في مذكوره وأستظلام السر عند ظهوره وفي معني ذلك أنشدوا

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة | وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وصرت بلا وجد أهيم من الهوى | وهام على القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد أنك حاضري | شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم | وشاهدت موجوداً بغير عيان

وفي هذا المقام يتحقق المريد بعبادة الفكرة أو النظرة وفكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة ولذلك قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه أوقاتنا كلها ليلة القدر أي عبادتنا كلها مضاعفة مع خفائها وتحقيق الأخلاص فيها إذ لا يطلع عليها ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده وفي ذلك قال بعضهم قيل هو الحلاج

قلوب العارفين لها عيون | ترى ما لا يرى للناظرين
والسنة بأسرار تناجي | تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريش | إلى ملكوت رب العالمين

وقد ذيلتها ببيتين فقلت

وأفئدة تهيم بعشق وجد | إلى جبروت ذي حق يقينا
فإن تردن تباكر ذي المعاني | فبذل الروح منك يقل فينا

ولما كان الذكر هو سبب حياة القلب وتركه سبب موته وفي الحديث مثل الذي يذكر ربه والذي لا

يذكر ربه كمثل الحي والميت ذكر علامة حياته وموته في أول الباب السادس فقال وقال رضي الله عنه من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلت من وجود الزلات قلت موت القلب سببه ثلاثة أشياء حب الدنيا والغفلة عن ذكر الله وأرسال الجوارح في معاصي الله وسبب حياته ثلاثة أشياء الزهد في الدنيا والأشتغال بذكر الله وصحبة أولياء الله وعلامة موته ثلاثة أشياء عدم الحزن على ما فات من الطابعات وترك الندم على ما فعلت من الزلات وصحبتك للغافلين الأموات وذلك لأن صدور الطاعة من العبد عنوان السعادة وصدور المعصية علامة الشقاوة فإن كان القلب حياً بالمعرفة والإيمان آلمه ما يوجب شقاوته وأفرحه ما يوجب سعادته أو تقول صدور الطاعة من العبد علامة على رضي مولاه وصدور المعصية علامة على غضبه فالقلب الحي يحس بما يرضيه عند مولاه فيفرح وما يسخطه عليه فيحزن والقلب الميت لا يحس بشيء قد أستوى عنده وجود الطاعة والمعصية لا يفرح بطاعة وموافقة ولا يحزن على زلة ولا معصية كما هو شأن الميت في الحس وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من سرته حسناته وساءته فهو مؤمن وقال عبد الله بن مسعود المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فأطاره اه لكن لا ينبغي للعبد أن يغلب النظر إلى جانب الذنب فيقل رجاؤه ويسئ الظن بسيده كما أشار إليه بقوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله قلت الناس في الخوف والرجا على ثلاثة أقسام أهل البداية ينبغي لهم تغليب جانب الخوف وأهل الوسط ينبغي لهم أن يعتدل خوفهم ورجاؤهم وأهل النهاية يغلبون جانب الرجاء أما أهل البداية فلأنهم إذا غلبوا جانب الخوف جدوا في العمل وأنكفوا عن الزلل فبذلك تشرق نهايتهم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأما أهل الوسط فلأنهم قد أنتقلت عبادتهم إلى تصفية بواطنهم فعبادتهم قلبية فلو غلبوا جانب الخوف لرجعوا إلى عبادة الجوارح والمطلوب منهم عبادة البواطن على رجاء الوصول وخوف القطيعة فيعتدل خوفهم ورجاؤهم وأما الواصلون فلا يرون لأنفسهم فعلاً ولا تركا فهم ينظرون إلى تصريف الحق وما يجري به سابق القدر فيتلقونه بالقبول والرضاء فإن كان طاعة شكروا وشهدوا منة الله وأن كان معصية أعتذروا وتأدبوا و لم يقفوا مع أنفسهم إذ لا وجود لها عندهم وإنما ينظرون إلى ما يبرز من عنصر القدرة فنظرهم إلى حمله وعفوه وأحسانه وبره أكثر من نظرهم إلى بطشه وقهره ويرحم الله الشافعي حيث قال

فلما قسي قلبي وضاقت مذاهبي — جعلت الرجا مني لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته — بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا جود وفضل ومنة — تجود وتعفوا منة وتكرماً

فياليت شعري هل أصير لجنة		أهنا وإما للسعير فأندما

قال تعالى "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم" وتأمل قضية الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً ثم سأل راهباً فقال له هل لي من توبة فقال له لا توبة لك فكمل به المائة ثم أتى عالماً فسأله فقال له من يحول بينك وبينها ولكن أذهب إلى قرية كذا ففيها قوم يعبدون الله فكن فيهم حتي تموت فلما توسط الطريق أدركه الموت فأختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحي الله إليهم أن قيسوا القرية التي خرج إليها والقرية التي خرج منها فألى أيهما كان أقرب فهو من أهلها فأوحي الله إلى القرية التي يريد أن تقاربي وإلى القرية التي خرج منها أن تباعدي فوجد أقرب إلى القرية التي يريد بشبر فأخذته ملائكة الرحمة والحديث في الصحيحين نقلته بالمعني وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه العامة إذا خوفوا خافوا وإذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا وتى رجوا خافوا قال في لطائف المنن ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة واقفون مع ظواهر الأمر فإذا خوفوا خافوا إذ ليس لهم نفوذ إلى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لأهل الله وأهل الله إذا خوفوا رجوا عالمين أن من وراء خوفهم وما خوفوا به أوصاف المرجو الذي لا ينبغي أن يقنط من رحمته ولا أن ييئس من منته فأحتالوا على أوصاف كرمه علماً منهم ما خوفهم إلا ليجمعهم عليه وليردهم بذلك إليه وإذا رجوا يخافون غيب مشيئته الذي هو من وراء رجائهم وخافوا أن يكون ما ظهر من الرجاء أختباراً لعقولهم هل تقف مع الرجاء أو تنفذ إلى ما بطن في مشيئته فلذلك أثار الرجاء خوفهم اه ودخل الجنيد رضي الله عنه على شيخه السري فوجده مقبوضاً فقال له مالك أيها الشيخ مقبوضاً فقال دخل علي شاب فقال لي ما حقيقة التوبة فقلت له أن لا تنسي ذنبك فقال الشاب بل التوبة أن تنسي ذنبك ثم خرج عني قال الجنيد فقلت الصواب ما قاله الشاب لأني إذا كنت في حالة الجفاء ثم نقلني إلى شهود الصفاء فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء اه قلت نظر السري إلى أهل البداية ونظر الجنيد إلي أهل النهاية والكل صواب والله تعالى أعلم ثم ذكر موجب تصغير الذنب فقال فإن من عرف ربه أستصغر في جنب كرمه ذنبه قلت بل من عرف ربه غاب عن رؤية ذنبه لفنائه عن نفسه بشهود ربه فإن صدر منه فعل يخالف الحكمة غلب عليه شهود النعمة قال تعالى نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأما قوله تعالى "وأن عذابي هو العذاب الأليم" فإنما هو لمن لم يتب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذنبتم حتى تبلغ خطاياً كم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم ولو أن العباد لم يذنبو لذهب الله بهم ثم جاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم والله أفرح بتوبة عبده من الظمآن الوارد ومن العقيم

الوالد ومن الضال الواحد لكن لا ينبغي أن يصغر عنده ذنبه حتى يغتر بحلم الله وقد أوحى الله إلى داوود عليه السلام يا داوود قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فأني أن أقم عليهم عدلي وقسطي أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي المذنبين لا يقنطوا فإنه لا يعظم على ذنب أغفره لهم اه وقال الجنيد رضي الله عنه إذا بدت عين من الكريم ألحقت المشيء بالمحسن وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه في حزبه ألهي معصيتك نادتني بالطاعة وطاعتك نادتني بالمعصية ففي أيهما أخاف وفي أيهما أرجو أن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفاً وأن قلت بالطاعة قابليني بعدلك فلم تدع لي رجاء فليت شعري كيف أرى أحساني مع أحسانك أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك اه ومعنى كلام الشيخ رضي الله عنه أن العبد إذا كان في المعصية شهد قهرية الحق وعظمته وضعف نفسه وعجزه أكتسب من المعصية أنكساراً وذلاً لنفسه وتعظيماً وأجلالاً لربه وهذا أفضل الطابعات فقد نادته معصيته التي هو فيها بالطاعة التي يجتنيها منها وإذا كان في الطاعة ربما شهد فيها نفسه وقصد متعته وحظه فأشرك بربه وأخل بأدبه وهذه معصية فإذا كان في الطاعة نادته بهذه المعصية التي يجتنيها منها فلا يدري من أيهما يخاف وأيهما يرجو وقوله أن قلت بالمعصية إلخ أي أن نظرت إلى صورة المعصية قابلتني بفضلك فأمتحي أسمها وأندرس رسمها وأن نظرت إلى صورة الطاعة قابلتني بعدلك فأضمحلت وأمتحت وبقي محض الرجاء من الكريم الوهاب الذي يعطي بلا سبب ويغطي

بحلمه المناقشة والعتاب والله تعالى أعلم فتحصل أن العارف لا يقف مع معصية وأن جلت ولا مع طاعة وأن عظمت وهو معنى قوله لا صغيرة إذا قابلك عدله ولا كبيرة إذا واجهك فضله قلت الصغيرة هي الجريمة التي لا وعيد فيها من القرآن ولا من الحديث والكبيرة هي التي توعد عليها بالعذاب أو الحد في القرآن أو في السنة وقيل غير ذلك هذا كله بالنظر لظاهر الأمر وأما بإعتبار ما عند الله من أمر غيبه وبالنظر إلى حلمه وعدله فقد يبرز خلاف ما يظن قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فمن سبقت له العناية لا تضره الجناية فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وأن كانت الأعمال علامات فقد تختلف في بعض المقامات فوجب أستواء الرجاء والخوف في بعض المقامات والتسليم لله في كل الأوقات إذ قد تمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته فإذا قابلك الحق سبحانه وتعالى بعدله وجلاله لم تبق لك صغيرة وعادت صغائرك كبائر وإذا واجهك الحق تعالى بفضله وكرمه وأحسانه وجماله لم تبق لك كبيرة وعادت كبائرك صغائر قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه إذا أنالهم فضله لم تبق لهم سيئة وإذا وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة اه وقيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه ما رجح أحدهما على الآخر بل المؤمن كالطائر بين جناحين أو كما قيل قاله الشيخ زروق رضي الله عنه قلت وحديث الرجل الذي تمد له تسع وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم تخرج له بطاقة قدر الأنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله

فتطيش تلك السجلات يدل على عظيم حمله ورحمته وشمول كرمه ومنته ولما ذكر رضي الله عنه علامة موت القلب ذكر الأعمال التي توجب حياته فقال لا عمل أرجي للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويتحقر عندك وجوده قلت هكذا هي نسخة الشيخ بلفظ القلوب وهي أوفق بالسياق إذ الكلام كله في موت القلوب وحياتها يعني أنه لا عمل أرجي لحياة القلوب من عمل يكون بالله ولله غائباً فيه عما سواه غير ملاحظ فيه حظوظه وهواه متبرءاً فيه من حوله وقواه فإذا أظهرته عليه القدرة غاب عن شهوده وصغر في عينه صورة وجوده لما تجلى في قلبه من عظمة مولاه فصغر عنده كل ما سواه فمثل هذا العمل تحيي به القلوب وتحظي بمشاهدة علام الغيوب وهو روح اليقين وهو حياة قلوب العارفين فإذا أراد الله أن يتولى عبده أنهضه للعمل وصغره في عينه فلا يزال جاداً في عمل الجوارح حتى ينقله إلى عمل القلوب فتستريح الجوارح من التعب ولا يبقي إلا شهود العظمة مع الأدب قال النهر جوري رحمه الله من علامات من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في أخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع أحواله عنده مرضية ويزداد فقراً إلى الله في قصده وسيره حتي يغني عن كل شيء دونه اه وإذا حيي القلب بمعرفة الله كان محلاً لتجلي الواردات الألهية وإلى ذلك أشار بقوله إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً قلت الوارد نور إلهي يقذفه الله في قلب من أحب من عباده وهو على ثلاثة أقسام على حسب البداية والوسط والنهاية أو تقول على حسب الطالبين والسائرين والواصلين القسم الأول وارد الأنتباه وهو نور يخرجك من ظلمة لغفلة إلى نور اليقظة وهو لأهل البداية من الطالبين فإذا تيقظ من نومه وأنتبه من غفلته أستوى على قدمه طالباً لربه فيقبل عليه بقلبه وبقالبه وينجمع عليه بكليته القسم الثاني وارد الأقبال وهو نور يقذفه الله في قلب عبده فيحركه لذكر مولاه ويغيبه عما سواه فلا يزال مشتغلاً بذكره غائباً عن غيره حتى يمتلأ القلب بالنور ويغيب عما سوى المذكور فلا يرى إلا النور فيخرج من سجن الأغيار ويتحرر من رق الآثار القسم الثالث وارد الوصال وهو نور يستولي على قلب العبد ثم يستولي على ظاهره وباطنه فيخرجه من سجن نفسه ويغيبه عن شهود حسه وقد أشار إلى القسم الأول وهو وارد الأنتباه بقوله إنما أورد عليك إلخ أي إنما أشرق عليك نور اليقظة والأنتباه وهو الوارد لتكون بسببه وارداً عليه وسائراً إليه ولو لم يورد عليك هذا الوارد لبقيت في وطن غفلتك نائماً في سكرتك دائماً في حسرتك ثم أشار إلى القسم الثاني وهو وارد الأقبال فقال أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار أي إنما أورد عليك وارد الأقبال ليؤنسك بذكر الكبير المتعال فإذا إشتغلت بذكره وغبت

عن غيره تسلمك أي أنقذك من يد لصوص الأغيار بعد أن شدوا أوثاقك بحبل هواك وسجنوك في سجن حظوظك ومناك وليحررك ويعتقك أيضاً من رق الآثار بعد أن ملكتك بما أظهرته لك من زخرف

الأغترار فإذا تسلمت من بد الأغيار أفضيت إلى شهود الأنوار وإذا تحررت من رق الآثار ترقيت إلى شهود الأسرار فالأنوار أنوار الصفات والأسرار أسرار الذات فالأنوار لأهل الفناء في الصفات والأسرار لأهل الفناء في الذات ثم أشار إلى القسم الثالث وهو وارد الوصال فقال أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك أي إنما أورد عليك وارد الوصال بعد أن أهب عليك نفحات الأقبال ليخرجك من سجن رؤية وجودك إلى فضاء أي أتساع شهودك لربك فرؤيتك وجودك مانعة لك من شهود ربك إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وأنشد الجنيد

وجودي أن أغيب عن الوجود ... بما يبدو على من الشهود

فالفناء عن النفس وزوالها أصعب من الفناء عن الكون وهدمه فمهما زالت النفس وهدمت أنهدم الكون ولم يبق له أثر وقد يهدم الكون وتبقي في النفس بقية فلذلك قدم الشيخ رق الأكوان على سجن وجود الأنسان والله تعالى أعلم ثم فسر تلك الواردات فقال الأنوار مطايا القلوب والأسرار قلت النور نكتة تقع في قلب العبد من معنى أسم أو صفة يسري معناها في كليته حتى يبصر الحق والباطل أبصاراً لا يمكنه التخلف معه عن موجبه قاله الشيخ زروق والمطايا جمع مطية وهي الناقة المهيئة للركوب والقلوب جمع قلب وهو الحقيقة القابلة للمفهومات والأسرار جمع سر وهو الحقيقة القابلة للتجليات والسر أدق وأصفي من القلب والكل أسم للروح فإن الروح ما دامت متظلمة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب سميت نفساً فإذا أنزجرت وأنعقلت أنعقال البعير سميت عقلاً فما زالت تتقلب في الغفلة والحضور سميت قلباً فإذا أطمأنت وسكنت وأستراحت من تعب البشرية

سميت روحاً فإذا تصفت من غبش الحس سميت سراً لكونها صارت سراً من أسرار الله حين رجعت إلى أصلها وهو سر الجبروت فإذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده إلى حضرة قدسه ويحمله إلى محل أنسه أمده بواردات الأنوار كالمطايا فيحمل عليها في محفة العناية مروحاً عليه بنسيم الهداية محفوفاً بنصرة الرعاية فترحل الروح من عوالم البشرية إلى عوالم الروحانية حتى تصير سراً من أسرار الله لا يعلمها إلا الله قل الروح من أمر ربي فالأنوار التي هي الواردات مطايا القلوب تحملها إلى حضرة علام الغيوب وهي أيضاً مطايا الأسرار تحملها إلى جبروت العزيز الجبار فالسلوك هداية والجذب عناية فوارد الأنتباه والأقبال حمله سلوك ووارد الوصال حمله جذب فالأنوار التي هي مطايا القلوب تحملهم على وجهة السلوك إلا أنهم محمولون فيه بحلاوة نور الأنتباه والأقبال فصار سلوكهم كأنه جذب وأما الأنوار التي تحملهم على مطايا الأسرار فأنها تحملهم على جهة الجذب ممزوجاً بسلوك فيكونون بين جذب وسلوك وهذا الحمل أعظم والله تعالى أعلم ثم بين كيفية السير على هذه المطايا وما يعوقها عن السير فقال النور جند القلب كما أن

الظلمة جند النفس فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار قلت الظلمة نكتة تقع من الهوى في النفس عن عوارض الوهم فتوجب العمى عن الحق لتمكن الباطل من الحقيقة فيأتي العبد ويذر على غير بصيرة قاله الشيخ زورق قلت قد تقدم أن النفس والعقل والقلب والروح والسر أسماء لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية النورانية المودعة في هذا القالب الجسماني الظلماني وإنما أختلفت أسماؤها بأختلاف أحوالها وتنقل أطوارها ومثال ذلك كماء المطر النازل في أصل الشجر ثم يصعد في فروعها فيظهر ورقاً ثم نوراً وأزهاراً ثم يعقد ثمرة ثم ينمو حتى يكمل فالماء واحد وأختلفت أسماؤه بإختلاف أطواره هكذا قال الساحلي في بغيته وقد نظمت في ذلك قصيدة ذكرت في غير هذا الكتاب فعلى هذا يكون تقابل القلب مع النفس بالمحاربة كناية عن صعوبة أنتقال الروح من وطن الظلمة التي هي محل النفس إلى وطن النور الذي هو القلب وما بعده فالقلب يحاربها لينقلها إلى أصلها وهي تتقاعد وتسقط إلى أرض البشرية وشهواتها فالقلب له أنوار الواردات تقربه وتنصره حتى يترقي إلى الحضرة التي هي أصله وفيها كان وطنه وكأنها جنود له من حيث أنه يتقوى بها وينتصر على ظلمة النفس.

وهذه الأنوار هي الواردات المتقدمة والنفس لمار كنت إلى الشهوات وأستحلتها صارت كأنها جنود لها وهي ظلمة من حيث أنها حجبتها عن الحق ومنعتها من شهود شموس العرفان فإذا هاجت النفس بجنود ظلماتها وشهواتها إلى معصية أو شهوة رحل إليها القلب بجنود أنواره فيلتحم بينهما القتال فإذا أراد الله عناية عبده ونصره أمد قلبه بجنود الأنوار وقطع عنه من جهة النفس مدد الأغيار فيستولي النور على الظلمة وتولي النفس منهزمة وإذا أراد الله خذلان عبده أمد نفسه بالأغيار وقطع عن قلبه شوارق الأنوار فيأتي المنصور بالأمر على وجهه والمخذول بالشيء على عكسه قال الشيخ زروق رضي الله عنه وأمداد الأنوار ثلاثة أولها يقين لا يخالطه شك ولا ريب الثاني علم تصحبه بصيرة وبيان الثالث الهام يجري معد العيان وإمداد الظلم ثلاثة أولها ضعف اليقين الثاني غلبة الجهل على النفس الثالث والشفقة على النفس وذلك كله أصله الرضي عن النفس وعدمه ومظهره الثلاث المرتبة عليه وهي المعاصي والشهوات والغفلات وأضدادها المتقدمة في الباب الثالث فأفهم اه ولما كان النور هو جند القلب لأنه يكشف عن حقائق الأشياء فيتميز الحق من الباطل فيحق الحق ويبطل الباطل فينتصر القلب بإقباله على الحق على بينة واضحة وتنهزم النفس بأنهزام جند ظلماتها إذ لابقاء للظلمة مع وضوح النور كما أشار إلى ذلك بقوله النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الأقبال والأدبار قلت النور من حيث هو من شأنه أن يكشف الأمور ويوضحها حتى حسنها من قبيحها ومن شأن البصيرة المفتوحة أن تحكم على الحسن

بحسنه وعلى القبيح بقبحه والقلب يقبل على ما يثبت حسنه ويدبر عن ما يثبت قبحه أو تقول يقبل على ما فيه نفعه ويدبر عما فيه ضرره ومثال ذلك رجل دخل بيتاً مظلماً فيه عقارب وحيات وفيه سبائك ذهب وفضة فلا يدري ما يأخذ ولا ما يذر ولا ما فيه نفع ولا ضرر فإذا أدخل فيه مصباحاً رأى ما ينفعه وما يضره وما يأمنه وما يحذره كذلك قلب المؤمن العاصي لا يفرق بين مرارة المعصية وحلاوة الطاعة فإذا استضاء بنور التقوى عرف ما يضره وما ينفعه وفرق بين الحق والباطل قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً" أي نوراً يفرق بين الحق والباطل وقال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس وقال تعالى أفمن شرح الله صدره للأسلام فهو على نور من ربه وهذا النور الذي يكشف الأمور هو نور الواردات المتقدمة الذي هو مطايا القلوب إلى علام الغيوب أولها نور وارد الأنتباه ومن شأنه أن يكشف ظلمة الغفلة ويظهر نور اليقظة فتحكم البصيرة بقبح الغفلة وحسن اليقظة فيقبل القلب حينئذ على ذكر ربه ويدبر عما يغفله عن ربه وهذا هو نور الطالبين الثاني نور وارد الأقبال ومن شأنه أن يكشف ظلمة الأغيار ويظهر بهجة المعارف والأسرار فتحكم البصيرة بضرر الأغيار وحسن الأسرار فيقبل القلب على بهجة الأسرار.

ويدبر عن ظلمة الأغيار وهذا هو نور السائرين الثالث نور وارد الوصال ومن شأنه أن يكشف ظلمة الكون ورداء الصون ويظهر نور تجليات المكون فيقبل القلب على مشاهدة مولاه ويدبر عن الألتفات إلى ما سواه وهذا هو نور الواصلين وهو نور المواجهة ونور ما قبله نور التوجه وأن شئت قلت هو نور الأسلام والإيمان والأحسان فنور الأسلام يكشف ظلمة الكفر والعصيان ويظهر نور الأنقياد والأذعان فتحكم البصيرة بقبح الكفر والعصيان وحسن نور الأسلام والأذعان فيقبل القلب على طاعة ربه ويعرض عما يبعده من ربه ونور الإيمان يكشف ظلمات الشرك الخفي ويظهر بهجة الأخلاص والصدق الوفي فتحكم البصيرة بقبح الشرك وضرره وحسن الأخلاص وخيره فيقبل القلب على توحيد ربه ويعرض عن الشرك وشره ونور الأحسان يكشف ظلمة السوي ويظهر نور وجود المولى فتحكم البصيرة بقبح ظلمة الأثر وحسن نور المؤثر فيقبل القلب على معرفة مولاه ويغيب بالكلية عما سواه وأن شئت قلت هذا النور هو نور الشريعة والطريقة والحقيقة فنور الشريعة يكشف ظلمة البطالة والتقصير ويظهر نور المجاهدة والتشمير فتحكم البصيرة بقبح البطالة وحسن المجاهدة فيقبل القلب على مجاهدة الجوارح في طاعة مولاه ويدبر عن متابعة حظوظه وهواه ونور الطريقة يكشف ظلمة المساوي والعيوب ويظهر بهجة الصفاء وما يثمره من علم الغيوب فتحكم البصيرة بقبح العيوب وحسن الصفا وعلم الغيوب فيقبل القلب على ما يوجب التصفية ويدبر عما يمنعه من التخلية والتحلية ونور الحقيقة يكشف ظلمة الحجاب ويظهر له

محاسن الأحباب أو تقول نور الحقيقة يكشف له ظلمة الأكوان ويظهر نور الشهود والعيان فيقبل القلب على مشاهدة الأحباب داخل الحجاب ويدبرعما يقطعه عن الأدب مع الأحباب جعلنا الله معهم على الدوام في هذه الدار وفي دار السلام آمين.

ولما كان أصل كل نور وسر وخير هو طاعة الله وأصل كل ظلمة وحجاب وبعد هو معصية الله ومن علامة حياة القلب فرحه بالطاعة وحزنه على صدور المعصية نبهك الشيخ على وجه الفرح بالطاعة التي هي سبب نور القلوب ومفاتيح الغيوب فقال لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وأفرح بها لأنها برزت من الله إليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قلت قد تقدم في الحديث من سرته وحسناته وساءته وسيئاته فهو مؤمن والناس في الفرح بالطاعة على ثلاثة أقسام قسم فرحوا بها لما يرجون عليها من النعيم ويدفعون بها من عذابه الأليم فهم يرون صدورها من أنفسهم لأنفسهم لم يتبرؤا فيها من حولهم وقوتهم وهم من أهل قوله تعالى إياك نعبد وقسم فرحوا بها من حيث أنها عنوان الرضي والقبول وسبب في القرب والوصول فهي هدايا من الملك الكريم ومطايا تحملهم إلى حضرة النعيم لا يرون لأنفسهم تركاً ولا فعلاً ولا قوة ولا حولاً يرون أنهم محمولون بالقدرة الأزلية مصرفون عن المشيئة الأصلية وهم من أهل قوله تعالى إياك نستعين فأهل القسم الأول عبادتهم لله وأهل القسم الثاني عبادتهم بالله وبقدرة الله وبينهما فرق كبير وقسم ثالث فرحهم بالله دون شيء سواه فانون عن أنفسهم باقون بربهم فإن ظهرت منهم طاعة فالمنة لله وأن ظهرت منهم معصية أعتذروا لله أدباً مع الله لا ينقص فرحهم أن ظهرت منهم زلة ولا يزيد أن ظهرت منهم طاعة أو يقظة لأنهم بالله ولله من أهل لا حول ولا قوة إلا بالله وهم العارفون بالله فإن ظهرت منك أيها المريد طاعة أو أحسان فلا تفرح بها من حيث أنها برزت منك فتكون مشركاً بربك فإن الله تعالى غني عنك وعن طاعتك وغنى عن أن يحتاج إلى من يطيعه سواه قال الله تعالى ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه أن الله لغني عن العالمين وقال صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه عز وجل يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئاً الحديث.

وأفرح بها من حيث أنها هدية من الله إليك تدل على إنك من مظاهر كرمه وفضله وإحسانه فالفرح إنما هو بفضل الله وبرحمته قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ففضل الله هو هدايته وتوفيقه ورحمته هو إجتباؤه وتقريبه وقيل فضل الله الأسلام ورحمته القرآن وقيل فضل الله هداية الدين ورحمته جنة النعيم وقيل فضل الله توحيد الدليل والبرهان ورحمته توحيد الشهود والعيان وقيل غير ذلك والله تعالى أعلم ولما كان الفرح بالطاعة قد يتوهم أنه فرع رؤيتها والنظر إليها رفع ذلك بقوله قطع السائرين له

والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها قلت قطع هنا بمعنى عيب ولو عبر به لكان أظهر وأسهل لما في التعبير بالقطع من الشؤمة وفي عبارته شيء من النقص فلو قال غيب السائرين له عن رؤية أعمالهم وأحوالهم والواصلين إليه عن رؤية وجودهم أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا فيها الصدق مع الله وأما الواصلون فلأنهم لم يشهدوا مع الله سواه يعني أن الحق تعالى غيب السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم الظاهرة وشهود أحوالهم الباطنية أما السائرون فلأنهم يتهمون أنفسهم على الدوام فمهما صدر منهم إحسان ولاح لهم يقظة أو وجدان رأوها في غاية الخلل والنقصان فأستحيوا من الله أن يعتمدوا عليها أو يعتدوا بها فغابوا عن أعمالهم وأحوالهم وأعتمدوا على فضل ربهم فالصدق هو لب الأخلاص وسره أي لم يتحققوا بسر الأخلاص فيها فلم يروها و لم يركنوا إليها سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك إياه وأنقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال زين العابدين رضي الله عنه كل شيء من أفعالك إذا أتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لم يقبل لأن المقبول مرفوع مغيب عنك وما أنقطعت عنه رؤيتك فذاك دليل على القبول اه وأما الواصلون فلأنهم فانون عن أنفسهم غائبون في شهود معبودهم فحركاتهم وسكناتهم كلها بالله ومن الله وإلى الله إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه فإن ظهرت عليهم طاعة أو صدر منهم إحسان شهدوا في ذلك الواحد المنان حكي عن الواسطي رحمه الله أنه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبي عثمان بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بإلتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشيها اه قال القشيري أراد صيانتهم عن الأعجاب ودلالتهم على الآداب اه فضمير قطع يعود إلى الحق سبحانه وتعالى والسائرين والواصلين مفعول به وأعلم أن السائرين في كلام الشيخ هم القسم الثاني الذين فرحهم بالطاعة من حيث أنها عنوان القبول ولا يلزم من الفرح بها رؤيتها إذ قد يفرح بها من حيث أنها منة من الله ويقطع رؤيته عنها من حيث أعتماده على الله والواصلون هنا هم القسم الثالث الذين هم فرحهم بالله دون شيء سواه والله تعالى أعلم هذا آخر الباب السادس وبه أنتهي ربع الكتاب وحاصلها علاج القلوب وعلامة موتها ومرضها وصحتها وأستمداد أنوارها وأتصال وارداتها حتي تغيب عن شهود أعمالها وأحوالها وتفني عن دائرة حسها بأتساع فضاء شهودها وفي ذلك شرفها وعزها وفي ضد ذلك وهو رؤية المخلوق والركون إليه ذلها وهوانها وبذلك أفتتح الباب السابع فقال وقال رضي الله عنه ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع قلت ألبسوق هو الطول قال تعالى "والنخل باسقات" أي طويلات والبذر الذريعة والطمع تعلق القلب بما في أيدي الخلق وتشوف القلب إلى غير الرب وهو أصل شجرة الذل فما بسقت أغصان شجرة الذل إلا على زريعة الطمع ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسي

والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق وإنما كان الطمع هو أصل الذل لأن صاحب الطمع ترك رباً عزيزاً وتعلق بعبد حقير فأحتقر مثله ترك رباً كريماً وتعلق بعبد فقير فأفتقر مثله ترك رفع همته إلى الغنى الكريم وأسقط همته إلى الدني اللئيم إن الله يرزق العبد على قدر همته وأيضاً كان عبد الله حراً مما سواه صار عبداً للمخلوق وعبداً لنفسه وهواه لأنك مهماً أحببت شيئاً وطمعت فيه إلا كنت عبداً له ومهما أيست من شيء ورفعت همتك عنه إلا كنت حراً منه وفي ذلك يقول الشاعر

أبت المطامع أن تهشمني | إني لمعولها صفا صلد

العبد حر ما عصي طمعاً | والحر مهما طاعه عبد

قال في التنوير وكن أيها العبد إبراهيمياً فقد قال أبوك إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لا أحب الآفلين وكل ما سوى الله آفل إما وجوداً وإما إمكاناً وقد قال سبحانه ملة أبيكم إبراهيم فواجب على المؤمن أن يتبع ملة إبراهيم ومن ملة إبراهيم رفع الهمة عن الخلق فإنه يوم زج به في المنجنيق تعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى قال فأسئله قال حسبي من سؤالي عمله بحالي فأنظر كيف رفع إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه همته عن الخلق ووجهها إلى الملك الحق فلم يستغث بجبريل ولا أحتال على السؤال من الله بل رأى الحق سبحانه أقرب إليه من جبريل ومن سؤله فلذلك سلمه من نمروذ ونكاله وأنعم عليه بنواله وأفضاله وخصه بوجود إقباله ومن ملة إبراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالود إلى الله لقوله تعالى "فأنهم عدو لي إلا رب العالمين" والغني إن أردت الدلالة عليه فهو في اليأس وقد قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيأس من نفع غيري لها ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وهذا هو الكيمياء والأكسير الذي من حصل له حصل له غني لا فاقة فيه وعز لاذل معه وأنفاق لأنفاد له وهو كيميا أهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه صحبني أنسان وكان ثقيلاً على فباسطته فأنبسط وقلت يا ولدي ما حاجتك و لم صحبتني قال يا سيدي قيل لي أنك تعلم الكيمياء فصحبتك لأتعلم منك فقلت له صدقت وصدق من حدثك ولكن أخالك أي أظنك لا تقبل فقال بل أقبل فقلت نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت إلى الأعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكوني بشوكة لم يردني الله بها فقطعت نظري عنهم ثم تعلقت بالأحباء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعوني بشيء لم يردني الله به فقطعت يأسي منهم وتعلقت بالله فقيل لي إنك لا تصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى تقطع يأسك منا كما قطعته من غيرنا أن نعطيك غير ما قسمنا لك في الأزل وقال مرة أخرى لما سئل عن الكيمياء قال أخرج الخلق من قلبك وأقطع يأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك وليس يدل على فهم العبد

كثرة علمه ولا مداومته على ورده إنما يدل على نوره وفهمه غباه بربه وأنحياشه إليه بقلبه وتحرزه من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال وتزكوا الأحوال قال تعالى "أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً" فحسن الأعمال إنما هو الفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الأغتناء بالله والأكتفاء به والأعتماد عليه ورفع الحوائج إليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره إلا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم علي رضي الله عنه البصرة فدخل جامعاً فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى وجد الحسن البصري فقال يا فتى أني سائلك عن أمر فإن أجبت عنه أبقينك وإلا أقمنك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتاً وهدياً فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك الدين قال قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال أجلس فمثلك يتكلم على الناس قال وسمعت شيخناً أبا العباس المرسي رضي الله عنه يقول كنت في أبتداء أمري بالأسكندرية فجئت إلى بعض من يعرفني منه حاجة بنصف درهم فقلبت في نفسي لعله لا يأخذه مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبداً ألا ترى أن حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم شأن الرزق فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك وأسمع ما قال بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لما ضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل اه وقال أبو الحسن الوراق رحمه الله من أشعر نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شيء ذل له وبذله هلك وقال أبو بكر الوراق لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور فلو قيل له ما حرفتك لقال أكتساب الذل فلو قيل له ما غايتك لقال الحرمان اه وفي معنى هذا أنشدوا

أضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... وأقنع بعز فإن العز في اليأس
وأستغن عن كل ذي قربي وذي رحم ... أن الغني من أستغني عن الناس

ولما كان سبب وجود الطمع هو الوهم والجزع ذكره بأثره فقال ما قادك شيء مثل الوهم قلت يقال قاد الشيء يقوده جره إليه وقدت البهيمة جررتها إليك والوهم أول الخاطر وهو أضعف من الشك والمراد هنا ما خالف اليقين فيصدق بالظن والشك يقول رضي الله عنه ما جرك شيء وقادك إلى الطمع في الخلق والتملق لهم والتذلل لما في أيديهم شيء مثل الوهم يعني أنك لما توهمت أن بيدهم نفعاً أو ضراً أو عطاء أو منعاً طمعت فيهم وتذللت لهم وأعتمدت عليهم وخفت منهم ولو حصل لك اليقين أن أمرهم بيد الله

وأنفسهم في قبضة الله عاجزين عن نفع أنفسهم فكيف يقدرون على نفع غيرهم لقطعت يأسك منهم ولرفعت همتك عنهم ولتعلقت همتك برب الأرباب ولنبذت الأصحاب والأحباب أو تقول ما قادك شيء عن حضرة الشهود والعيان إلا توهمك وجود الأكوان ولو أنهتك عنك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان ولو أشرق نور الأيقان لغطي وجود الأكوان قال في التنوير وإنما منع العباد من السبق إلى الله جواذب التعلق بغير الله فكلما همت قلوبهم أن ترحل إلى الله جذبها ذلك التعلق إلي ما به تعلقت فكرت راجعة إليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه وممنوعة على من هذا نعته قال بعض العارفين لا تظن أن تدخل الحضرة الألهية وشيء من ورائك يجذبك وافهم هنا قوله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذي لا تعلق له بشيء دون الله وقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة يفهم منه أيضاً أنه لا يصح مجيئك إلى الله بالوصول إليه إلا إذا كنت فرداً مما سواه وقوله تعالى "ألم يجدك يتيماً فآوى" يفهم أنه لا يأويك إليه إلا إذا صح يتمك مما سواه وقوله عليه السلام أن الله وتر يحب الوتر أي يحب القلب الذي لا يشفع بثنوية الآثار ثم قال وقال بعضهم لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى أشهده معه اه فتحصل أن الوهم حجب عن الله العوام والخواص وأما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء أما العوام فقادهم إلى التعلق بالخلق ومنعهم عن السير إلي الملك الحق فأشتغلوا بمراقبة الأحباب وعداوة من عاداهم من الأصحاب ففاتهم محبة الحبيب ومراقبة الرقيب وأما الخواص فقادهم الوهم إلى ثبوت الآثار والوقوف مع الأنوار فقنعوا بذلك و لم يتشوفوا إلى ما وراء ذلك فالقناعة من الله حرمان وليس الخبر كالعيان وسمعت شيخناً رضي الله عنه يقول والله ما حجب الناس عن الله إلا الوهم والوهم أمر عدمي لا حقيقة له اه وأما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء قطعوا حجاب الوهم وحصل لهم من الله العلم والفهم فلم يتعلقوا بشيء و لم يحجبهم عن الله شيء جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ولما كان الوهم ينشأ عنه الطمع والطمع ينشأ عنه الذل والعبودية واليقين ينشأ عنه الورع والورع ينشأ عنه العز والحرية نبه عليه بقوله أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت فيه طامع قلت إنما كان الأنسان حراً مما أيس منه لأنه لما أيس من ذلك الشيء رفع همته عنه وعلقها بالملك الحق فلما علق همته بالملك الحق سخر الحق له تعالي له سائر الخلق فكانت الأشياء كلها عبيداً له ومسخرة لأمره أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شهدت المكون كانت الأكوان معك فمن كان عبداً لله كان حراً مما سواه وإنما كان الأنسان عبداً لما طمع فيه لأن الطمع في الشيء يقتضي المحبة له والخضوع والأنقياد إليه فيكون عند أمره ونهيه لأنك حبك لشيء يعمي ويصم وهذه حقيقة لعبودية وفي هذا المعنى قيل العبد حر ما قنع، والحر عبد ما طمع، وما أقبح الأنسان الذي يريد سيده منه أن يكون ملكاً وهو يريد أن يكون مملوكاً يريد سيده أن يجعله حراً وهو يريد أن يكون عبداً خلق له

سيده الكون بأسره خادماً له عند نهيه وأمره فجعل هو يخدم الكون بنفسه ويتعبد لأقل شيء وأخسه يقول المصنف في التنوير في مناجاة الحق تعالى على ألسنة الهواتف أنا أجللنا قدرك أيها العبد أن نشغلك بأمر نفسك فلا تضعن قدرك يا من رفعناه ولا تذلن بحوالتك على غيري يا من أعززناه ويحك أنت أجل عندنا من أن تشتغل بغيرنا لحضرتي خلقتك وإليها طلبتك وبجواذب عنايتي لها جذبتك فإن أشتغلت بنفسك حجبتك وأن أتبعت هواها طردتك وأن أخرجت عنها قربتك وأن تودت لي بإعراضك عما سواي أحببتك اه فتحصل أن محبة الأشياء والطمع فيها هو سبب

الذل والهوان والتعبد لسائر الأكوان وأن الأياس من الأشياء ورفع الهمة عنها هو سبب العز والحرية والتيه على الأقران ولله در القائل حيث قال

رأيت القناعة رأس الغنى ... فصرت بأذيالها ممتسك
فألبسني عزها حلة ... يمر الزمان ولا تنهتك
فصرت غنياً بلا درهم ... أتيه على الناس تيه الملك

قلت وهذا هو الغنى الأكبر والأكسير عند الأكياس ويسمى في أصطلاح الصوفية الورع أعني الورع الخاص وهو رفع الهمة عن السوي قال في لطائف المنن وأعلم رحمك الله أن ورع الخصوص لا يفهمه إلا قليل فإن من جملة ورعهم تورعهم أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد أطماعهم بالطمع في غير فضله وخيره ومن ورعهم عن الخوف مع الوسائط والأسباب وخلع الأنداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادرات والأعتماد على الطاعات والسكون إلى أنوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن أن تفتنهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وفاء وعن الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير وإذا بالدنيا قد عرضت علي بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها ومزيناها ومشتهياها فأعرضت عنها فعرضت علي الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الأولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك قال الشيخ عبد الرحمن المغربي.

وكان مقيماً بشرقي الأسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الأسكندرية فإذا النداء على أنك العام القابل عندنا فقلت في نفسي إذا كنت العام القابل ها هنا فلا أعود إلى الأسكندرية فخطر على الذهاب إلى اليمن فأتيت إلى عدن فأنا يوماً على ساحلها أمشي وإذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فإذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فإذا على يقال من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال أبو

الحسن الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه فقد أنتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يفترقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عنه ثواباً لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميرائه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقاراً لربه واحتقاراً لنفسه وتواضعاً لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيراً من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيراً من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فأستعذ بالله أنه هو السميع البصير اه.

فانظر فهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبائه هذا الورع الذي ذكره هذا الشيخ رضي الله عنه هل كان فهمك يصل إلى هذا النوع من الورع ألا ترى قوله قد أنتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهذا هو ورع الأبدال والصديقين لا ورع المتنطعين الذي ينشأ عن سوء الظن وغلبة الواهم اه قلت هذا الورع الذي ذكره الشيخ هو ورع الخواص أو خواص الخواص وهو الذي يقابل الطمع كما تقدم في قول الحسن البصري صلاح الدين الورع وفساد الدين الطمع لا ورع العوام الذي هو ترك المتشابه والحرام فإنه لا يقابل الطمع كل المقابلة وحاصله صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون إليه وعكوف الهم عليه وطمأنينة القلب به حتى لا يكون له ركون إلى شيء من السوى فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر وهو إلا تتحرك إلا لله وورع في الباطن وهو أن لا يدخل قلبك إلا الله ذكران بعضهم كان حريصاً على أن يرى أحداً ممن صفته فجعل يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل إليه بأن يأخذ الشيء بعد الشيء من ماله ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه خذلا لك فكانوا يأخذون ولا يسمع من أحد منهم جواباً مطابقاً لما أراده إلى أن ظفر ذات يوم ببغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك أنه قال لأحدهم خذلا لك فقال له آخذه لا منك فإن كان للعبد أستشراف إلى الخلق أو سبقية نظر إليهم قبل مجيء الرزق أو بعده فمقتضي هذا الورع والواجب في حق الأدب إلا ينيل نفسه شيئاً مما يأتيه على هذا الحال عقوبة لنفسه في نظره إلى أبناء جنسه.

كقصة أيوب الحمال مع أحمد بن حنبل رضي الله عنهما وهي معروفة وكما روي عن الشيخ أبي مدين رضي الله عنه أنه أتاه حمال بقمح فنازعته نفسه وقالت يا ترى من أين هذا فقال أنا أعرف من أين هو يا عدوة الله وأمر بعض أصحابه أن يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل أن أحل الحلال ما لم يخطر على بال ولا سألت فيه أحداً من النساء والرجال قال الشيخ عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه الورع إلا تتحرك ولا تسكن إلا وترى الله في الحركات والسكون فإذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقي مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه فإذا رأيت الله ذهبت وقال أيضاً أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ما أخذ من يد الله بسقوط الوسائط وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسي الله فيه اه علي نقل ابن عباد رضي الله عنه وإذا أراد الله تعالى أن يعز عبده ويرفعه إلى هذا المقام قطع عنه زمام الوهم والجزع وحرره من رق الطمع فقاده إليه بملاطفة الإحسان أو بسلاسل الامتحان كما أشار إلى ذلك بقوله من لم يقبل على الله بملاطفات الأحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان قلت قد قسم الله تعالى عباده ثلاثة أقسام أهل الشمال وأهل اليمين والسابقون أما أهل الشمال فلا كلام عليهم إذ لا إقبال لهم على الله أصلاً وأما أهل اليمين فلهم أقبال بوجه ما لكن لا خصوصية لهم لأنهم قنعوا بظاهر الشريعة و لم يلتفتوا إلى سلوك طريقة ولا حقيقة وقفوا مع الدليل والبرهان و لم ينهضوا إلى مقام الشهود والعيان ولا كلام معهم أيضاً وأما السابقون فقد أقبلوا على الله متوجهين إليه طالبين الوصول إلى معرفته وهم في ذلك على قسمين قسم أقبل على الله بملاطفة إحسانه وقياماً بشكر إنعامه وأمتنانه وهم أهل مقام الشكر وقسم أقبل على الله بسلاسل الأمتحان وضروب البلايا والمحن وهم أهل مقام الصبر أهل المقام الأول فأقبلوا على الله طوعاً وأهل المقام الثاني أقبلوا على الله كرهاً قال تعالى "ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً" قال أبو مدين رضي الله عنه سنة الله استدعاء العباد لطاعته بسعة الأرزاق ودوام المعافاة ليرجعوا إليه بنعمته فإن لم يفعلوا أبتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لأن مراده عز وجل رجوع العباد إليه طوعاً وكراهاً اه.

فقوم بسط الله عليهم النعم وصرف عنهم البلايا والنقم ورزقهم الصحة وأمدهم بالأموال والعافية فأدوا حقها وقاموا بشكرها وتشوقوا إلى معرفة المنعم بها فكانت مطية لهم على السير إليه ومعونة لهم على القدوم عليه أخرجوها من قلوبهم وجعلوها في أيديهم وقليل ما هم قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وفي مثل هؤلاء ورد الحديث نعمت الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر أو كما قال عليه السلام قال بعض أصحابنا جعل عليه السلام الدنيا مطية للمؤمن حاملة له و لم يجعل المؤمن مطية لها

حتى يتكلف حملها فهذا يدل على أنها في يده يستعين بها على السير إلى ربه لا أنها في قلبه حتى يرتكب المشقة في طلبها والله تعالى أعلم وقوم أمدهم الله بالنعم وبسط لهم في المال والعافية وصرف عنهم النقم فشغلهم ذلك عن النهوض إليه ومنعهم من المسير إلى حضرته فسلب ذلك عنهم وضربهم بالبلايا والمحن فأقبلوا على الله بسلاسل الأمتحان عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل وقد مدح الله الغني الشاكر والفقير الصابر بمدح واحد فقال تعالى في حق سليمان عليه السلام ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب وقال في حق أيوب عليه السلام إنا وجدناه صابراً نعم العبد أنه أواب وقال بعضهم لأن أعطي فأشكر أحب إلى من أن أبتلي فأصبر وكان الشيخ أبو العباس المرسي يرجح الغني الشاكر على الفقير الصابر وهو مذهب ابن عطاء ومذهب أبي عبد الله الترمذي الحكيم.

ويقول الشكر صفة أهل الجنة والفقر ليس كذلك قاله في لطائف المنن والتحقيق أن الفقير الصابر هو الغني الشاكر وبالعكس لأن الغني أنتا هو بالله فإذا أستغنى القلب بالله فصاحبه هو الغني الشاكر ولا عبرة بما في اليد فقد تكون اليد معمورة والقلب فقير وقد يكون القلب غنياً بالله واليد فقيرة وقد تكون اليد معمورة والقلب مع الله غنياً به عما سواه قال بعض المشايخ كان رجل بالمغرب من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجد والأجتهاد وكان عيشه مما يصيده من البحر وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فأراد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا الزاهد إذا دخلت على بلدة كذا فأذهب إلى أخي فلان فأقرئه مني السلام وأطلب منه الدعاء فإنه ولي من أولياء الله تعالى قال فسافرت حتي قدمت تلك البلدة فسألت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للملوك فتعجبت من ذلك وطلبته قيل لي هو عند السلطان فأزداد تعجبي فبعد ساعة وإذا هو قد أتى في أفخر مركب وملبس وكأنما هو ملك في مركبه قال فأزداد تعجبي أكثر من الأولين فهممت بالرجوع وعدم الأجتماع به ثم قلت لا يمكنني مخالفة الشيخ فأستأذنت فأذن لي فلما دخلت رأيت ما هالني من العبيد والخدم والشارة الحسنة فقلت له أخوك فلان يسلم عليك قال لي جئت من عنده قلت نعم قال إذا رجعت إليه فقل له إلى كم اشتغالك بالدنيا وإلى كم إقبالك عليها وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها فقلت والله هذا أعجب من الأولى فلما رجعت إلى الشيخ قال أجتمعت بأخي فلان قلت نعم قال فما الذي قال لك قلت لا شيء قال لا بد أن تقول لي فأعدت عليه ما قال فبكي طويلاً وقال صدق أخي فلان هو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده وعلى ظاهره وأنا أخذها من يدي ولي إليها بقايا التطلع اه.

من لطائف المنن للمؤلف رحمه الله ورضي عنه فأحوال الأولياء لا تنضبط بفقر ولا غني لأن الولاية أمر قلبي لا يعلمها إلا من خصهم بها وبالله التوفيق ومن أقبل على الله بملاطفة إحسانه وجب عليه شكر ما

أسدي إليه من لطائف كرمه وأمتنانه وإلا زالت عنه بسبب كفره وعصيانه وإلى ذلك أشار بقوله من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها قلت أتفقت مقالات الحكماء على هذا المعني وأن الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا أيضاً من أعطي و لم يشكر سلب منها و لم يشعر فمن شكر النعمة فقد قيدها بعقالها ومن كفرها فقد تعرض لزوالها قال تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي أن الله لا يغير ما بقوم من النعم حتي يغيروا ما بأنفسهم من الشكر وتغييرهم الشكر هو أشتغالهم بالمعاصي والكفر ولذلك قال الجنيد رضي الله عنه الشكر أن لا يعصي الله بنعمه وقيل الشكر فرح القلب بالمنعم لأجل نعمته حتي يتعدي ذلك إلى الجوارح فتنبسط بالأوامر وتنكف عن الزواجر وقال ف لطائف المنن الشكر على ثلاثة أقسام شكر اللسان وشكر الأركان وشكر الجنان فشكر اللسان التحدث بنعم الله قال تعالى "وأما بنعمة ربك فحدث" وشكر الأركان العمل بالطاعة لله تعالى قال تعالى "أعملوا آل داوود شكراً" وشكر الجنان بالأعتراف بأن كل نعمة بك أو يأحد من العباد هي من الله تعالى قال الله تعالى "وما بكم من نعمة فمن الله" ومن القسم الأول قول النبي صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ومن الثاني أنه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له أتتكلف كل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً اه وسئل أبو حازم رضي الله عنه ما شكر العينين قال إذا رأيت بهما خيراً أعلنته وإذا رأيت بهما شراً سترته قال فما شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيراً وعيته وإذا سمعت بهما شراً دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقاً هو الله فيهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبراً وأعلاه علماً قال شكر الفرج قل كما قال الله تعالى "والذين هم لفروجهم حافظون" إلى قوله غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال أن رأيت شيئاً غبطته أستعملتهما وأن رأيت شيئاً مقته كففتهما اه وأعلم أن الناس في الشكر على ثلاث درجات عوام وخواص وخواص الخواص فشكر العوام على النعم فقط وشكر الخواص على النعم والنقم وشكر خواص الخواص الغيبة في المنعم عن شهود النعم والنقم، والنعم التي يقع الشكر عليها ثلاثة أقسام دنيوية كالصحة والعافية والمال الحلال ودينية كالعلم والعمل والتقوى والمعرفة وأخروية كالثواب على العمل القليل بالعطاء الجزيل وأجل النعم الدينية التي يتأكد الشكر عليها نعمة الأسلام والإيمان والمعرفة وشكرها هو أعتقاد أنها منة من الله تعالي بلا واسطة ولا حول ولا قوة قال الله تعالى "ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان" ثم قال "فضلاً من الله ونعمة" قال أبو طالب المكي رضي الله عنه بعد كلام فلو قلب قلوبنا في الشك والضلال كما يقلب نياتنا في الأعمال أي شيء كنا نصنع وعلى أي شيء نعول وبأي شيء كنا نطمئن ونرجو فهذا من كبائر النعم ومعرفته هو شكر نعمة الإيمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الإيمان توجب العقوبة وأدعاء

الإيمان أنه عن كسب معقول أو أستطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الإيمان وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الإيمان لأنه بدل شكر نعمة الإيمان كفرا اه فإن غفل العبد عن شكر هذه النعم ثم دامت صورهما عنده فلا يغتر فقد يكون ذلك أستدراجاً كما أشار إلى ذلك بقوله خف من وجود أحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك أستدراجاً سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الأستدراج هو كمون المحنة في عين المنة وهو مأخوذ من درج الصبي أي أخذ في المشي شيئاً بعد شيء ومنه الدرج الذي يرتقي عليه إلى العلو كذلك المستدرج هو الذي تؤخذ منه النعمة شيئاً بعد شيء وهو لا يشعر قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أي نأخذهم بالنعم حتى نجرهم إلى النقم وهم لا يشعرون قاله الشيخ زروق رضي الله عنه فخف أيها المريد من دوام إحسان الحق إليك بالصحة والفراغ وسعة الأرزاق ودوام الأمداد الحسية أو المعنوية مع دوام أساءتك معه بالغفلة والتقصير

وعدم شكرك للملك الكبير أن يكون ذلك أستدراجاً منه تعالى قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها

فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء رضي الله عنه كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة ونسيناهم الأستغفار من تلك الخطيئة ثم قال الحق تعالى وأملي لهم أي نمدهم بالعوافي والنعم حتى نأخذهم بغتة قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون أي فلما غفلوا عما ذكروا به من العقوبة والعذاب فتحنا عليهم أبواب النعم وبسطنا عليهم الأرزاق الحسية حتى إذا فرحوا بما أوتوا من النعم وتمكنوا منها أخذناهم بالهلاك بغتة أي فجأة فإذا هم مبلسون آيسون من كل خير وهكذا عادة الله في خلقه أن يرسل إليهم من يذكرهم بالله ويدلهم على الله فإذا أعرضوا عنه وردوا عليه قوله بسط عليهم النعم الحسية حتى إذا أطمأنوا وفرحوا بها دمرهم الله وأخذهم بغتة ليكون ذلك أشد في العقوبة قال الشاعر، وأعظم شيء حين يفجؤك البغت، وقال تعالى ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا أثماً ولهم عذاب مهين فالواجب على الأنسان إذا أحس بنعمة ظاهرة أو باطنة حسية أو معنوية أن يعرف حقها ويبادر إلى شكرها نطقاً وأعتقاداً وعملاً فالنطق الحمد والشكر باللسان والأعتقاد شهود المنعم في النعمة وأسنادها إليه والغيبة عن الواسطة بالقلب مع شكرها باللسان من لم يشكر الناس لم يشكر الله أشكركم لناس أشكركم لله فإذا قال له جزاك الله خيراً فقد أدى شكرها والشكر بالعمل صرفها في طاعة الله كما تقدم فإن لم يقم بهذا الواجب خيف عليه السلب والأستدراج وهو أقبح والحاصل أن الشكر هو الأدب مع المنعم ومن جاءت على يديه فإن أساء الأدب أدب وقد يؤدب في الباطن وهو لا يشعر كما أشار إلى ذلك بقوله من جهل المريد أن يسيىء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع

الأمداد وأوجب البعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد وقد تقام مقام البعد وأنت لا تدري ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد قلت من الأمور المؤكدة على المريد الصادق أن برعي الأدب مع الله في كل شيء ويلتزم التعظيم لكل شيء ويحفظ الحرمة في كل شيء فإن أخل بشيء من هذه الأمور وأساء الأدب مع ربه فليبادر بالتوبة والأعتذار مع الذلة والأنكسار فإن أخر التوبة إلى وقت آخر أنقطعت عنه الأمداد وأستوجب الطرد والبعاد وقد لا يشعر بذلك في الحين فيحتج لنفسه ويقول لو كان هذا سوء أدب لا نقطع عني المدد وهذا منه جهل قبيح يفضي إلى العطب أن لم تدركه العناية من رب الأرباب وإنما كان هذا جهلاً من المريد لأنتصاره لنفسه وقت سوء أدبه وعدم شعوره بنقصان قلبه إذ لو كان عالماً بمخادع النفس لأتهمها وما أنتصر لها ولو كان عارفاً بربه لشعر بنقصان قلبه فقد جمع بين جهالة وجهل فالجهالة هي سوء الأدب الذي صدر منه والجهل هو مخاصمته عن نفسه وأنكاره أن يكون ما صدر منه سوء أدب وما أحتج به من كونه لم يحس بالعقوبة ولو كان ذلك سوء أدب لأحس بقطع الأمداد ولأوجب الطرد والبعاد لا ينهض فقد يقطع عنه المدد وهو لا يشعر ومثال ذلك الأشجار التي على الماء فإذا قطع عنها الماء لا يظهر أثر العطش عليها إلا بعد حين فإذا طال الأمر يبست شيئاً فشيئاً كذلك قلب المريد قد لا يحس بقطع المدد في القرب حتى يغرق في الوهم ويحترق بالحس فإن كانت له سابقة خير تاب وأصلح ما أفسد فيرجع إليه المدد وأن لم تكن له سابقة رجع إلى وطنه وأقام في بعده نسأل الله السلامة من سلب نعمته بعد عفائه ولو لم يكن من العقوبة إلا منع المزيد من السير أو الترقي لكان كافياً لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن كان يومه شراً من أمسه فهو في الخسران وقوله في الأحتجاج أيضاً لو كان هذا سوء أدب لا وجب البعاد فقد يقام مقام البعد وهو يظن أنه في محل القرب لأن مراتب القرب والبعد لا نهاية لها وما من مقام في القرب إلا وما بعده أعظم منه حتى يكون ذلك القرب بالنسبة إلى ما بعده بعداً ولو لم يكن ذلك البعد إلا أن يتركك مع ما تريد لكان كافياً في الطرد والبعد إذ ترك البعد مع هواه وشهواته من علامة الأهمال وأخراج العبد عن هواه وما تركن إليه نفسه من علامة الأعتناء والأقبال فإذا أعتني الله تعالى بعبد وأراد أن يوصله إلى حضرته شوش عليه كل ما تركن إليه نفسه وأزعجه طوعاً أو كرهاً

حتى يوئسه من هذا العالم و لم يبق له ركون إلى شيء منه فحينئذ يصطفيه لحضرته ويجتبيه لمحبته فليس له حينئذ عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار وأصل ذلك قضية سيدنا موسى عليه السلام لما علم الله تعالى محبته لعصاه وركونه إليها قال له الحق تعالى "وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى" أي حوائج أخر قال له ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى فلما فرعنها وقطع يأسه منها قال له خذها ولا تخف لأنها لا تضرك حيث رجعت إليها بالله ويقال

للفقير وما تلك بيمينك أيها الفقير فيقول هي دنياي أعتمد عليها وأقضي بها مأربي فيقال له ألقها من يدك فإذا هي حية تسعى كانت تلدغه وهو لا يشعر فإذا أيس منها وأستأنس بالله وأطمأن به قيل له خذها ولا تخف لأنك تأخذها بالله لا بنفسك والله تعالى أعلم ومواطن الآداب التي يخل بها المريد فيعاقب عليها ثلاثة آداب مع الله ورسوله وآداب مع الشيخ وآداب مع الأخوان فأما الآداب مع الله بأعتبار العوام فبأمتثال أمره وأجتناب نهيه ومع رسوله بأتباع السنة ومجانبة أهل البدعة فإذا قصروا في الأمر أو خالفوا في النهي عوقبوا عاجلاً في الحس أو آجلاً في المعنى والحس وبإعتبار الخواص مع الله بالأكثار من ذكره ومراقبة حضوره وإيثار محبته زاد الشيخ زروق وحفظ الحدود والوفاء بالعهود والتعلق بالملك الودود والرضى بالموجود وبذل الطاقة والمجهود اه ومع رسوله صلى الله عليه وسلم بإيثار محبته والأهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه فإذا قصروا في ذكره أو جالت قلوبهم في غير حضرته أو مالت محبتهم إلى شيء سواه أو قصروا في شيء مما تقدم أو حلوا عقدة عقدوها مع الله عوقبوا في الحس بالضرب أو السجن أو الأذاية باللسان أو في المعني وهو أشد كقطع المدد وإيجاب الطرد والأقامة مقام البعد وبإعتبار خواص الخواص وهم الواصلون يكون مع الله بالتواضع معه في كل شيء والتعظيم لكل شيء ودوام معرفته في تجليات الجلال والجمال أو مع أختلاف الآثار وتنقلات الأطوار ومع رسوله صلى الله عليه وسلم بالتحقق بحسبه وتعظيم أمته وشهود نوره كما قال أبو العباس المرسي لي ثلاثون سنة ما غاب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولو غاب عني ما أعددت نفسي من المسلمين فإذا قصر العارف فيما تقدم في حقه أو في حق غيره من الآداب عوقب في الحس أو في المعنى والغالب تيقظه في الحين فيستدرك ما فات أن الذين أتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فهذه جملة الآداب التي تكون مع الله من العوام والخواص وخواص الخواص أو تقول من الطالبين والسائرين والواصلين والله تعالى أعلم وأما الآداب التي تكون مع الشيخ فمرجعها إلى ثمانية أمور أربعة ظاهرة وأربعة باطنة فأما الظاهرة فأولها أمتثال أمره وإن ظهر له خلافه وأجتناب نهيه وأن كان فيه حتفه فخطأ الشيخ أحسن من صواب المريد وثانيها السكينة والوقار في الجلوس بين يديه فلا يضحك بين يديه ولا يرفع صوته عليه ولا يتكلم حتى يستدعيه للكلام أو يفهم عنه بقرائن الأحوال كحال المذاكرة بخفض صوت ورفق ولين ولا يأكل معه ولا بين يديه ولا ينام معه أو قريباً منه قال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه في كتابه ومن آداب المريد مع الشيخ أن لا يأكل معه ولا ينام معه ولا يضحك بين يديه ولا ينام في فراشه ولا يجلس في موضع جلوسه ولا يتكلم في مجلس الشيخ ولو كلمة واحدة والكلام فيه سوء الأدب أكثر من كل شيء وكل ما يشبه هذه الأوصاف يؤدي لعدم التعظيم والأزدراء بجانب الشيخ وذلك هو الخسران المبين والعياذ بالله من السلب بعد العطاء والطرد بعد الأقبال قالوا أجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً وقال الشاعر، أدب العبد تذلل، والعبد لا يدع

الأدب، فإذا تكامل ذله، نال المودة وأقترب، وثالثها المبادرة إلى خدمته بقدر الأمكان بنفسه أو بماله أو بقوله، فخدمة الرجال، سبب الوصال، لمولي الموالي، وقال سيدي عبد الله الهبطي الزجلي رضي الله عنه في منظومة له في السلوك

أن الخديم ظنه جميل — دل على فلاحه دليل

أهل نفسه لخدمة الرجال — لكي ينال من حبيبه الوصال

ذل المحب في طلب القرب — عز عزيز عند أهل الحب

ابن بيوت القرب من أبوابها — ففتحت له إذا بأسرها

طوبى له بشرى له أستفاد — ونال خير قربة وساد

ثم قال

مقامك أعرف أيها الخديم — فإنه مفخم عظيم

أمسيت للمخدوم في جواره — مشاركاً كذلك في أسراره

لا تغتبط سوي مقامك الرفيع — فالخير كله لديك مجتمع

ورابعها دوام حضور مجلسه فإن لم يكن فتكرير الوصول إليه إذ بقدر تكرير الوصال إليه يقرب الوصال فمدد الشيخ جار كالساقية أو القادوس فإذا غفل عن الساقية أو القادوس تحزم وأنقطع الماء إلى غيره وأيضاً تكرير الوصول يدل على شدة المحبة وبقدر المحبة تكون الشربة وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه

لا محبة إلا بأصول — ولا وصول الأغالي

ولا شراب إلا مختوم — ولا مقام الأعالي

وقال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه في كتابه أعلم أنه لا يقرب طالب الوصول إلى الله تعالى شيء مثل جلوسه مع عارف بالله أن وجده ثم قال الجلوس مع العارف بالله أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين والجلوس مع العامي الغافل أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل كما إن العارف بالله يجمع بين المريد ومولاه بنظرة أو بكلمة كذلك الفقير الجاهل بالله ربما أتلف المريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة فما فوقها يرحم الله سيدي المجذوب حيث بقول، الجلسة مع غير الأخيار، ترذل ولو تكون صافي اه المراد منه وأما الآداب الباطنية فأولها أعتقاد كما له وأنه أهل للشيخوخة والتربية

لجمعه بين شريعة وحقيقة وبين جذب وسلوك وأنه على قدم النبي صلى الله عليه وسلم وثانيها تعظيمه وحفظ حرمته غائباً وحاضراً وتربية محبته في قلبه وهو دليل صدقه وبقدر التصديق يكون فمن لا صدق له لا سير له ولو بقي مع الشيخ ألف سنة ويرحم الله سيدي محمداً الشرقي حيث قال من لا صدق، ما عند باش ينفق من لا حقق ما جاب إيماراريا بابا وثالثها أنعزاله عن عقله ورياسته وعمله وعمله إلا ما يرد عليه من قبل شيخه كما فعل شيخ طريقتنا الشاذلي رضي الله عنه عند ملاقاته بشيخه فهي سنة في طريقه فكل من أتى شيخه في هذه الطريقة الشاذلية فلا بد أن يغتسل من عمله وعمله قبل أن يصل إلى شيخه لينال الشراب الصافي من بحر مدده الوافي ورابعها عند الأنتقال عنه إلى غيره وهذا عندهم من أقبح كل قبيح وأشنع كل شنيع وهو سبب تسويس بذرة الأرادة فتفسد شجرة الأرادة لفساد أصلها وهذا كله مع شيوخ التربية كما تقدم وأما شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن ينتقل عنهم إلى أهل الباطن أن وجدهم ولا يحتاج إلى إذن والله تعالى أعلم وأما الآداب مع الأخوان فأربعة أولها حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين فلا يغتاب أحداً ولا ينقص أحداً فلا يقول أصحاب سيدي فلان كمال وأصحاب سيدي فلان نقص أو فلان عارف أو فلان ليس بعارف أو فلان ضعيف وفلان قوي أو غير ذلك فهذه عين الغيبة وهي حرام بالأجماع لا سيما في حق الأولياء فإن لحومهم سموم قاتلة كلحوم العلماء والصالحين فليحذر المريد جهده من هذه الخصلة الذميمة وليفر ممن هذا طبعه فراره من الأسد فمن أولع بهذا فلا يفلح أبداً فالأولياء كالأنبياء فمن فرق بينهم حرم خيرهم وكفر نعمتهم وقد قال بعض الصوفية من كسره الفقراء لا يجبره الشيخ ومن كسره الشيخ فقد يجبره الفقراء وهو صحيح مجرب لأن أذاية ولي واحد ليس كأذاية أولياء كثيرة ومن كسره الشيخ يشفع فيه الأخوان فيجبر قلب الشيخ بخلاف قلوب الفقراء إذا تغيرت قل أن تتفق على الجبر والله تعالى أعلم وثانيها نصيحتهم بتعليم جاهلهم وأرشاد ضالهم وتقوية ضعيفهم ولو بالسفر إليه فإن فيهم أهل بدايات ونهايات والقوى والضعيف فكل واحد يذكره بما يليق بمقامه خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون كما في الحديث وثالثها التواضع لهم والأستنصاف من نفسك معهم وخدمتهم بقدر الأمكان فخديم القوم سيدهم فمن عرض له شغل لا ينفك عنه فالواجب أعانته ليتفرغ منه إلى ذكر الله أن كان خفيفاً قال تعالى "وتعاونوا على البر والتقوى" فكل ما يشغل قلب الفقير فدفعه جهاد وبر ورابعها شهود الصفا فيهم وأعتقاد كما لهم فلا ينقص أحداً ولو رأى منه ما يوجب النقص في الظاهر فالمؤمن يلتمس المعاذر فليلتمس له سبعين عذراً فإن لم يزل عنه موجب نقصه فليشهده في نفسه فالمؤمن مرآة أخيه ما كان في الناظر يظهر فيه فأهل الصفا لا يشهدون إلا الصفا وأهل التخليط لا يشهدون إلا التخليط أهل الكمال لا يشهدون إلا الكمال وأهل النقص لا يشهدون إلا النقص وتقدم في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله

وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله وبالله التوفيق فهذه من جملة الآداب التي يجب على الفقير مراعاتها والتحفظ عليها سواء كان طالباً أو سائراً أو واصلاً وقد تقدمت في أول الباب الأول ثمانية آداب بعضها في حق العارف وبعضها في حق السائر فليراجعها وليعمل بمقتضاها فإن الطريق كلها آداب حتى قال بعضهم أجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً وقال أبو حفص رضي الله عنه التصوف كله آداب لكل وقت آداب ولكل حال آداب ولكل مقام آداب فمن لزم الأدب

بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب مردود من حيث يظن القبول وقال بعضهم ألزم الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحد الأدب ظاهراً إلا عوقب في الظاهر وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب في الباطن وقال في المباحث الأصلية

والأدب الظاهر للعيان — دلالة في الأنسان

وهو أيضاً للفقير سند — وللغني زينة وسؤدد

وقيل من يحرم الأدب — فهو بعيد ما تداني وأقترب

وقيل من تحبسه الأنساب — فإنما تطلقه الآداب

فالقوم بالآداب حقاً سادوا — منه إستفاد القوم ما أستفادوا

وقال أبو حفص السراج رحمه الله والناس في الآداب على ثلاث طبقات أهل الدنيا وأهل الدين وأهل الخصوصية من أهل الدين، فأما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في البلاغة وأخبار الملوك وأشعار العرب، وأما أهل الدين فأكثر آدابهم حفظ العلوم ورياضة النفوس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات وأجتناب الشبهات والمسارعة إلى الخيرات، وأما أهل الخصوصية من أهل الدين فآدابهم حفظ القلوب ومراعاة الأسرار وإستواء السر والعلانية، فالمريدون يتفاضلون بالعلم، والمتوسطون بالآداب، والعارفون بالهمم اه ثم ما ذكره الشيخ من لزوم الجهل للمريد مقيد بما ذكره من إحتجاجه لنفسه ومدافعته عنها لأنه في هذه الحالة صاحب جدل لتركيبه المقدمة والنتيجة وعليه يفهم قولهم ما ألهم قوم الجدل إلا حرموا العمل وأما لو إعترف بإساءته وأنصف من نفسه لم يكن ذلك في حقه جهلاً ولا جهالة وقد قالوا عدم الأدب أن كان يجر إلى الأدب فهو أدب والله تعالى أعلم ومن جملة الآداب ألا يستحقر مقاماً أقام الحق تعالى فيه عبداً من عباده كائناً ما كان كما أشار إليه بقوله إذا رأيت عبداً أقامه الله بوجود الأوراد، وأدامه عليها مع طول الأمداد، فلا تستحقرن ما منحه مولاه، لأنك لم تر عليه سيما العارفين، ولا بهجة المحبين، فلولا وارد ما كان ورد قلت ما ذكره الشيخ هنا من مؤكدات هذه الباب كلها في الآداب وهو أن لا يستحقر شيئاً من تجليات الحق على أي حال كانت فلا ينبغي أن ينازع

مقتدر ولا أن يضاد قهار ولا أن يعترض على حكيم فإذا رأيت عبداً أقامه الحق تعالى بوجود الأوراد ككثرة صلاة وصيام وذكر وتلاوة وإجتهاد وأدامه عليها مع طول الأمداد بكسر الهمزة أي إستمراره معه وهو تقويته في البطن وصرف الشوغل والشواغب في الظاهر لكنه لم يفتح عليه في علم الأذواق وعمل القلوب فلا تستحقرن حاله وما منحه مولاه لأجل أنك لم تر عليه سيما العارفين من السكينة والطمأنينة وراحة الجوارح والقلب بسبب هبوب نسيم الرضى والتسليم على أرواحهم وقال الشيخ زروق سيما العارفين ثلاث أولها الأعراض عما سوى معروفهم بكل حال وعلى كل وجه الثاني الأقبال عليه بترك الحظوظ وأقامة الحقوق الثالث الرضى عنه في مجاري أقداره اه ولا تستحقر حاله أيضاً لأجل إنك لم تر عليه بهجة المحبين وهي الفرح بمحبوبه والأكثار من ذكره والقيام بشكره والأغتباط بمحبته والمسارعة إلى محابه وطلب مرضاته والخضوع لعظمته والتذلل لقهره وعزته

تذلل لمن تهوي فليس الهوى سهل — إذا رضي المحبوب صح لك الوصل
تذلل له تحظى برؤيا جماله — ففي وجه من تهوي الفرائض والنفل

فكيف تستحقر من دامت خدمته وأتصلت أوراده فلولا وجود الوارد الألهي في باطنه ما قدر على أدامة أوراده فلولا وارد ما كان ورد فالوارد ما منه إليك والورد ما منك إليه فلو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً ولولا فضل الله عليكم ورحمته لأتبعتم الشيطان إلا قليلاً يحبهم ويحبونه ثم تاب عليهم ليتوبوا فالعناية سابقة والهداية لاحقة والأمر كله بيده وفي التحقيق ما ثم إلا سابقة التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين وأقم عليهم الحدود وأهجرهم رحمة بهم لا تقذرا لهم وقال الشيخ زروق رضي الله عنه فالمنتسب لجانب الحق يتعين إكرامه مراعاة لنسبته ثم إن كان كاذباً فالأمر بينه وبين من إنتسب إليه فإن أمرنا بإقامة حقه عليه بحيث يتعين عليه كنا معه كعبد السيد يضرب ولد سيده بإذنه يؤدبه ولا يحتقره ولأبي الحسن الحراني رحمه الله

إرحم بني جميع الخلق كلهم — وأنظر إليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهم وإرحم صغيرهم — وراع في كل خلق حق من خلقه

ثم إن الإقامة على دوام الأوراد وهي خدمة الجوارح من شأن أهل الخدمة وهم العباد والزهاد والأنتقال منها إلى عمد القلوب من شأن أهل المحبة والمعرفة وهم العارفون وكلهم عباد الله ومن أهل عنايته فلا يستحقرهم إلا جاهل أو مطرود كما بين ذلك بقوله قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم أختصهم بمحبته كلا

نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً قلت العباد المخصوصون بالعناية على قسمين قسم وجههم الحق لخدمته وإقامهم فيها وهم أنواع فمنهم من أنقطع في الفيافي والقفار لقيام الليل وصيام النهار وهم العباد والزهاد ومنهم من وجهه الحق لأقامة الدين وحفظ شرائع المسلمين وهم العلماء والصلحاء ومنهم من أقامه الحق لنصرة الدين وإعلاء كلماته وهم المجاهدون في سبيل رب العالمين ومنهم من أقامه الحق لتمهيد البلاد وتسكين العباد وهم الأمراء والسلاطين وقسم أقامهم الحق لمحبته وأختصهم بمعرفته وهم العارفون الكاملون سلكوا سواء الطريق ووصلوا إلى عين التحقيق وبينهما فرق كبير لأن أهل الخدمة طالبون الأجور وأهل المحبة رفعت عنهم الستور أهل الخدمة يأخذون أجورهم وراء الباب وأهل المحبة في مناجاة الأحباب أهل الخدمة مسدول بينهم وبينه الحجاب وأهل المحبة مرفوع بينهم وبينه الحجاب أهل الخدمة من أهل الدليل والبرهان وأهل المحبة من أهل الشهود والعيان أهل الخدمة لا تنفك عنهم الحظوظ وأهل المحبة تصب عليهم الحظوظ أهل الخدمة محبتهم مقسومة وأهل المحبة محبتهم مجموعة فلذلك دام أهل الخدمة في خدمتهم ونفذ المحبون إلى شهود محبوبهم فلو تركوا الحظوظ وحصروا محبتهم في محبوب واحد لنفذوا إلى محبوبهم وشهدوه ببصر إيقانهم وأستراحوا من تعب خدمتهم ولكن حكمة الحكيم أقامتهم في خدمتهم فوجب تعظيمهم في الجملة ولا يلزم منه عدم تفضيل أهل المعرفة والمحبة عليهم أنظر كيف قال تعالى بعد ذلك، أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، فدل على تفضيل بعضهم على بعض لكن عبيد الملك كلهم معظمون في الجملة ولا يحب الملك أن تحقر له عبداً من عباده وأن كانوا متفاوتين عنده والله تعالى أعلم وقال أبو يزيد رضي الله عنه أطلع الله على قلوب أوليائه فمنهم من لم يصلح لحمل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة وقال أبو العباس الدينوري رضي الله عنه أن لله عباداً لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهلهم لمحبته وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة اه يعني أن الزاهد أصطاده الله من الدنيا فقبضه وأدخله الجنة والعارف أصطاده الحق من الجنة فأدخله الحضرة أصطاده من جنة الحس وجعله في جنة المعنى وهي جنة المعارف وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه في كتابه، سبحان من هيأ أقواماً لخدمته وأقامهم فيها، وهيأ أقواماً لمحبته وأقامهم فيها أهل الخدمة تجلى لهم الحق بصفة الجلال والهيبة فصاروا مستوحشين من الخلق قلوبهم شاخصة لما يرد عليها من حضرة الحق قد نحلت أجسادهم وأصفرت ألوانهم وخمصت بطونهم وبالشوق دابت أكبادهم وقطعوا الدياجي بالبكاء والنحيب وأستبدلوا الدنيا بالمجاهدة في الدين ورغبوا في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين وأهل المحبة تجلي لهم الحق تعالى بصفة الجمال والمحبة وسكروا بخمر لذيذ القربة شغلهم المعبود عن أن يكونوا من العباد ولا من الزهاد أشتغلوا بالظاهر والباطن وهو الله فحجبوا عن كل ظاهر وباطن

زهدوا في التنعم والأنعام وأشتغلوا بمشاهدة الملك العلام اه كلامه رضي الله عنه هذا آخر الباب السابع وحاصلها رفع الهمة وشكر النعمة وحسن الأدب في الخدمة ونفوذ العزيمة بالأنتقال من دوام الخدمة إلى المحبة والمعرفة وإذا أراد الله أن يصطفي عبداً لحمل معرفته وينقله من تعب خدمته قوي عليه الواردات الألهية فجذبته إلى الحضرة الربانية وهي مواهب لا مكاسب تنال بأعمال ولا بحيل وقل أن تأتي إلا بغتة كما أشار إلى ذلك في أول الباب الثامن فقال وقال رضي الله عنه قل ما تأتي الواردات الألهية إلا بغتة صيانة لها أن يدعها العباد بوجوب الأستعداد قال القشيري الوارد هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون للعبد فيه تحمل والواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو ما تضمن معناه والواردات تكون

وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط إلى غير ذلك من المعاني وهو قريب من الحال وسئل الشيخ عبد القادر الجيلاني نفعنا الله بذكره عن صفات الواردات الألهية والطوارق الشيطانية فقال الوارد الألهي لا يأتي بإستعداد ولا يذهب بسبب ولا يأتي على نمط واحد ولا في وقت واحد، والطوارق الشيطانية بخلاف ذلك غالباً اه قلت والمراد به هنا نوع خاص وهو نفحات إلهية يهب نسيمها على القلوب والأرواح أو الأسرار فتغيب القلوب في حضرة علام الغيوب وتغيب الأرواح والأسرار في جبروت العزيز الجبار فتطيش فرحاً وسروراً وترقص شوقاً وحبوراً. إذا إهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا، ترقصت الأشباح يا جاهل المعنى، وقل ما تكون هذه الواردات الألهية إلا بغتة لأنها لا تنال بأكتساب وإنما هي فتح من الكريم الوهاب ولو كانت تنال بجد وأجتهاد لا دعاها العباد والزهاد بوجوب التأهب والأستعداد فتصير حينئذ مكاسب والأحوال والواردات إنما هي مواهب، يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ونسخة الشيخ زروق العباد بالتخفيف جمع عبد وهي أعم قال والحكمة في إتيانها بغتة ثلاثة أمور أحدها ليعرف منة الله فيها الثاني ليقدر قدرها ويعظم الفرح بها الثالث الغيرة عليها وتعزيزها لأن ما كان من العزيز لا يكون إلا عزيزاً اه ثم إن هذه الواردات الألهية والمواهب الأختصاصية أسرار من الكريم الغفار لا يمنحها إلا لأهل الصيانة والأمانة لا لأهل الأفشاء والخيانة كما أشار إلى ذلك بقوله من رأيته مجيباً عن كل ما يسئل ومعبرا عن كل ما شهد وذاكراً لكل ما علم فأستدل بذلك على وجود جهله قلت أما وجه جهله في كونه مجيباً عن كل ما سئل فلما يقتضيه حاله من الأحاطة بالعلوم وقد قال تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً فأي جهل أعظم ممن يعارض كلام الله ولما فيه أيضاً من التكلف وقد قال تعالى قل لا أسألكم عليه أجراً وما أنا من المتكلفين وقال عليه الصلاة والسلام أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف ولا يخلو صاحب التكلف من التصنع والتزين وهو من شأن الجهل بالله إذ لو كان عالماً به لأكتفى بعلمه وعرف قدره ففي بعض الأخبار عاش من عرف قدره وسئل بعضهم عن العلم النافع فقال

أن تعرف قدرك ولا تتعدي طورك وقال بعض المحققين إذا قال العالم لا أدري أصيبت مقاتله وقال في الأحياء كان السلف الصالح يسئل أحدهم عن المسئلة الواحدة فيدفع السائل إلى غيره ثم يدفعه الثاني إلى آخر ثم كذلك حتى يرجع إلى الأول وكان بعضهم إذا سئل عن مسئلة يقول للسائل أذهب بها إلى القاضي فقلدها في عنقه وقد سئل مالك رحمه الله عن أثنتين وثلاثين مسئلة فأجاب عن ثلاث وقال في الباقي لا أدري فقال له السائل وما نقول للناس فقال قل لهم قال مالك لا أدري وأيضاً أجابة كل سائل جهل وضرر إذ قد يكون السائل متعنتا لا يستحق جواباً وقد تكون المسئلة التي سأل عنها لا تليق به لأنه لا يفهمها ولا يطيق معرفتها فتوقعه في الحيرة أو الأنكار وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وفي ذلك يقول الشاعر

سأكتم علمي عن ذوي الجهل طاقتي ... ولا أنثر الدر النفيس على البهم

فإن قدر الله الكريم بلطفه ... ولاقيت أهلاً للعلوم وللحكم

بذلت علومي وأستفدت علومهم ... وإلا فمخزون لدي ومكتتم

فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقال على كرم الله وجهه حدث الناس بقدر ما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقد قيل للجنيد رضي الله عنه يسألك الرجلان فتجيب هذا بخلاف ما تجيب به هذا فقال الجواب على قدر السائل قال عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم اه وقال رجل لبعض العلماء وقد سأله فلم يجبه أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علماً نافعاً ألجم يوم القيامة بلجام من النار فقال له العالم أترك اللجام وأذهب فإن جاء من يستحقه وكتمته فليلجمني به اه وأما وجه جهله في كونه معبراً عن كل ما شهد من الكرامات وما وصل إليه من المقامات وما ذاقه من الأنوار والأسرار فلأن هذه الأمور أذواق باطنية وأسرار ربانية لا يفهمها إلا أربابها فذكرها لمن لا يفهمها ولا يذوقها جهل بقدرها وأيضاً هي أمانات وسر من أسرار الملك وسر الملك لا يحل أفشاؤه فمن أفشاه كان خائناً وأستحق الطرد والعقوبة ولا يصلح أن يكون أميناً بعد ذلك، فكتم الأسرار من شأن الأخيار، وهتك الأسرار من شأن الأشرار، وقد قالوا قلوب الأحرار قبور الأسرار وقال الشاعر

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة ... فالسر عند خيار الناس مكتوم

وفي أفشائها قلة عملها ونفعها في الباطن ففائدة هذه الأحوال والواردات الألهية هي محو الحسي وأظهار المعنى أو محو الشك وتقوية اليقين فإذا أفشاها ضعف أعمالها وقلت نتيجتها والخير كله في الكتمان في الحديث أستعينوا على قضاء حوائجكم بكتمانها أو كما قال عليه السلام وينخرط في سلك الأحوال التي

يجب كتمانها خرق عوائد النفوس فمن خرق عادة في نفسه فلا يفشي ذلك لغيره فإن في ذلك دسيسة لها لأنها تحب أن تذكر بالقوة والنجدة فيكون كلما قتل منها أحياه في ساعته وفيه أيضاً نقص الأخلاص وأدخال الرباء وهو سبب الهلاك والعياذ بالله وأما وجه جهله في كونه ذكراً لكل ما علم من الحقائق والعلوم والمعارف فلأنه جهل قدرها وأستخف شأنها فلو كانت عنده رفيعة عزيزة ما أفشاها لغيره إذ صاحب الكتر لا يبوح به وإلا سلبه من ساعته وأنظر قول شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه

أحفر لسرك ودكو   في الأرض سبعين قامه
وخل الخلائق يشكو   إلى يوم القيامه

وإذا كان الله تعالى يقول "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم" فكيف بالعلم الذي هو لؤلؤ مكنون قال عليه الصلاة والسلام إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله فإذا أظهروه أنكره أهل الغرة بالله اه وقال أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من علم أما أحدهما فبثثته في الناس وأما الآخر فلو بثثته لقطع مني هذا البلعوم اه ولله در زين العابدين سيدنا علي بن الحسين بن علي كرم الله وجهه حيث يقول

يا رب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحل رجال مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسناً
أني لأكتم من علمي جواهره   كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

وقال الروذبادي رحمه الله علمنا هذا أشارة فإذا صار عبارة خفي وقال الأمام الغزالي قد تضر الحقائق بأقوام كما يتضرر الجعل بالود والمسك قلت قد يرخص للعارف الماهر ألقاء الحقائق مع من لا يعرفها بعبارة رقيقة وأشارة لطيفة وغزل رقيق بحيث لا يأخذ السامع منها شيأ فقد كان الجنيد رضي الله عنه يلقي الحقائق على رؤس الأشهاد فقيل له في ذلك فقال جانب العلم أحمى من أن يأخذه غير أهله أو علمنا محفوظ من أن يأخذه غير أهله والله تعالى أعلم ثم أن الأجابة عن كل ما سئل والتعبير عن كل ما شهد وذكر كل ما علم يوجب أقبال الخلق عليهم وتعظيمهم وأكرامهم في هذه الدار لأن من ظهرت مزيته وجبت خدمته، ومن شأن العامة تعظيم صاحب الكرامة فيجني ثمرة علمه وعمله في هذه الدار الفانية وتفوته درجات الصديقين في تلك الدار الباقية فأمره بكتمها ويقنع بعلم الله ويدخر الجزاء عليها ليوم لقاء الله وعلى ذلك نبه بقوله إنما جعل الدار الآخرة محلاً لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها قلت لا شك أن الله تعالى وسم

هذه الدار بدار الغرور، وحكم عليها بالهلاك والثبور، فهي دار دنية دانية زائلة فانية فلذلك سميت الدنيا أما لدنوها وإما لدناءتها فهي ضيقة الزمان والمكان ووسم الآخرة بدار القرار ومحل ظهور الأنوار، وأنكشاف الأسرار، محل النظرة والحبور، ودوام النعمة والسرور، محل شهود الأحباب، ورفع الحجاب، نعيمها دائم، ووجودها على الدوام قائم، فلذلك جعلها الحق تعالى محلاً لجزاء عباده المؤمنين، ومقعد صدق للنبيين والصديقين، و لم يرض سبحانه أن يجازيهم في دار لا بقاء لها ضيقة الزمان والمكان ومحل الأكدار والأغيار والذل والهوان، لأنها ضيقة لا تسع ما يريد أن يعطيهم أي لا يسع فيها ما يريد أن يكرمهم به تعالى زماناً ولا مكاناً لأن أدنى أهل الجنة يملك قدر الدنيا عشر مرات فكيف بأعلاهم قال تعالى "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون" وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولأنه جل وعلا أجل أي عظم أقدار عباده المؤمنين والمقربين أن يجازيهم في دار لا بقاء لها فعمارتها خراب، ووجودها سراب، ففي بعض الأخبار لو كانت الدنيا من ذهب يفني والأخرة من خزف يبقي لأختار العاقل الذي يبقي على الذي لا يبقي اه لا سيما بالعكس فالآخرة من ذهب يبقي والدنيا من خزف يفني فلا يختارها إلا من حكم الله عليه بالشقاء والعناء والخزف بالخاء والزاي والفاء المحركات الطين المصنوع للبناء وهو الآجر وفي حديث آخر الأوأن السعيد من أختار باقية يدوم نعيمها على فانية لا ينفك عذابها وقدم لما يقدم عليه مما هو الآن في يده قبل أن يخلفه لمن يسعد بأنفاقه وقد شقي هو بجمعه وأحتكاره اه وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حلوا أنفسكم بالطاعة وألبسوها قناع المخافة وأجعلوا آخرتكم لأنفسكم وسعيكم لمستقركم وأعلموا أنكم عن قليل راحلون وإلى الله سائرون ولا يغني عنكم هنالك إلا صالح عمل قدمتوه أو حسن ثواب جزيتموه أنكم إنما تقدمون على ما قدمتم وتجازون على ما أسلفتم فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات عالية فكأن قد كسف القناع وأرتفع الأرتياب ولاقي كل أمرء مستقره وعرف مثواه ومنقلبه اه ثم أن الجزاء في تلك الدار إنما يكون على العمل في هذه الدار بشرط كونه مقبولاً وقبوله مغيب لكن له علامات يعرف بها هنا أشار إليها بقوله من وجد ثمرة عمله عاجلاً فهو دليل على وجود القبول قلت ثمرة العمل هي لذيذ الطاعة وحلاوة المناجاة وأنس القلب بالمراقبة وفرح الروح بالمشاهدة والسر بالمكالمة قد علم كل أناس مشربهم ودليل وجود هذه الثمرة النشاط في النهوض إليها والأغتباط بها والمداومة عليها وزيادة المدد فيها وهي علامة حلول الهداية في القلب قال تعالى ويزيد الله الذين أهتدوا هدى وللبوصيري في همزيته

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

فمن رأيناه في زيادة الأعمال والترقي في الأحوال علمنا أنه وجد لعمله ثمرة فهي بشارة له على قبولها ومن رأيناه أنقطع عن عمله أو نقص من أحواله خفنا عليه عدم قبول أعماله ومن ثمرة العمل أيضاً الأستيحاش من الخلق والأنس بالملك الحق ومن ثمرة العمل أيضاً الأكتفاء بعلم الله والأستغناء به عما سواه زاد الشيخ زروق رضي الله عنه الحياة الطيبة ونفوذ الكلمة وأنتفاء الحزن للفرح بالمنة اه فدليل الأول قوله تعالى من عمل صالحاً من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قيل هي القناعة وقيل هي الرضى والتسليم والتحقيق أنها المعرفة ودليل الثاني وهو نفوذ الكلمة قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض فنفوذ الكلمة هي الخلافة وقال أيضاً وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وأما الثالث وهو أنتفاء الحزن فدليله في نفسه لأن حلاوة العمل تنسي الحزن والغم لأنها شبيهة بنعم الجنة قال تعالى في شأن أهل الجنة وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والله تعالى أعلم وسيأتي التحذير من الوقوف مع حلاوة الطاعة وأنها سموم قاتلة ولما ذكر ميزان مقادير الأعمال ذكر ميزان مقادير الرجال أو تقول لما ذكر ميزان العمل المقبول من المردود ذكر ميزان العامل المحبوب من المطرود فقال أن أردت أن تعرف قدرك عنده فأنظر فيماذا يقيمك قلت جعل الله تعالى بحكمته خلقه على قسمين أشقياء وسعداء وجعل السعداء قسمين أهل قرب وأهل بعد أو تقول أهل يمين ومقربين وهم السابقون فإن أردت أن تعرف نفسك هل أنت من أهل الشقاوة أو من أهل السعادة فأنظر في قلبك فإن كنت تصدق بوجود ربك وتوحده في ملكه وتنقاد لمن عرفك به وهو رسوله عليه السلام فأنت ممن سبقت له الحسني وإن كنت تنكر أو تشك في ربك أو تشرك به غيره في أعتقادك أو لم تذعن لمن عرفك به فأنت من أهل الشقاء ثم إن وجدت نفسك من أهل السعادة وأردت أن تعرف هل أنت من أهل القرب أو من أهل البعد فأنظر فإن كنت ممن يستدل بأثره عليه فأنت من أهل البعد من أصحاب اليمين وإن كنت ممن يستدل به على غيره فأنت من أهل القرب من المقربين ثم أن عرفت أنك من أهل اليمين وأردت أن تعرف قدرك عنده هل أنت من المكرمين أو من المهانين فأنظر فإن كنت تمتثل أمره وتجتنب نهيه وتسارع في مرضاته وتحبب إلى أوليائه وأحبائه فأنت من المكرمين المعظمين وأن كنت تتهاون في أمره وتتساهل في نواهيه وتتكاسل عن طاعته وتهتك حرمانه وتعادي أوليائه فأنت والله عنده من المهانين المحرومين المطرودين إلا أن تتداركك عناية من رب العالمين.

وأن تحققت أنك من أهل القرب وإنك بلغت مقام الشهود تستدل به على غيره فلا تري سواه فإن كنت تقرباً لواسطه وتثبت الحكمة وتعطي كل ذي حق حقه فأنت من المقربين الكاملين وأن كنت تنكر

الحكمة وتغيب عن الواسطة فإن كنت مجذوباً مغلوباً فأنت في هذا المحل ناقص وإن كنت صاحياً فأنت ساقط إلا أن يأخذ بيدك شيخ واصل أو عارف كامل وهنا ميزان آخر تعرف به نفسك في القرب والبعد فإن وجدت شيخاً مربياً كشف الله لك عن أنواره وأطلعك على خصائص أسراره فأنت قطعاً من أهل القرب بالفعل أو بالأمكان لقول الشيخ رضي الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه و لم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه وإن لم تجد شيخاً مربياً وغرك قول من قال أنه أنقطع وجوده فأنت قطعاً من أهل اليمين من عوام المسلمين هذا الغالب والنادر لا حكم له والله تعالى أعلم وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير والشر فطوبي لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يده وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يده وفي حديث آخر من أراد أن يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده وفي رواية من أراد أن يعلم مترلته عند الله فلينظر كيف مترلة الله تعالى من قلبه فإن الله تعالى يترل العبد حيث أنزله العبد من نفسه قال الله تعالى فأما من أعطي وأتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية والله تعالى أعلم ثم ذكر ميزاناً آخر تعرف به المقربين والأغنياء الشاكرين فقال متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فأعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة قلت الطاعة في الظاهر هي رسوم الشريعة والغنى به في الباطن هو شواهد الحقيقة فإذا جمع لك بين الطاعة في جوارحك والغني به عنها في باطنها فقد أسبغ عليك أي أكمل وأطال عليك نعمه ظاهرة وباطنة وهذه سيما العارفين المقربين الأغنياء بالله الفقراء مما سواه أستغنوا بمعبودهم عن رؤية عبادقم وبمعلومهم عن علمهم وبمصلحهم عن صلاحهم قال الشيخ أبو الحسن في حزبه الكبير نسئلك الفقر مما سواك، والغني بك حتى لا نشهد إلا إياك، فهؤلاء الأغنياء بالله الغائبون فيه عما سواه عبادقم بالله ولله ومن الله قياماً بشكر النعمة وأتماماً لوظائف الحكمة وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أحب العباد إلى الله الأغنياء الأخفياء الأتقياء أو كما قال عليه الصلاة والسلام وفي حديث آخر ليس الغني بكثرة العرض إنما الغني غني النفس اه وهو الغني بالله وهذه هي النعمة الحقيقية فالنعم الظاهرة هي تزيين الجوارح بالشريعة والنعم الباطنة هي إشراق الأسرار بالحقيقة وقيل النعم الظاهرة هي الكفاية والعافية والنعم الباطنة هي الهداية والمعرفة وقيل النعم الظاهرة راحة البدن من مخالفة أمره والباطنة سلامته من منازعة حكمه وحقيقة النعمة من حيث هي مالا يوجب ألماً ولا يعقب ندماً وقيل النعمة العظمي الخروج من رؤية النفس وقيل النعمة ما وصلك بالحقائق وطهرك من العلائق وقطعك عن الخلائق وبالله التوفيق هذا آخر الباب الثامن وحاصلها تحقيق الأداب مع الواردات الألهية لأنها مواهب أختصاصية فمن أراد مدد أنوارها فعليه بكتمان أسرارها وليؤخر جزاء ثوابها لدار يدوم بقاؤها فحينئذ يتحقق أخلاصه ويظهر أختصاصه فيذوق حلاوة الطاعة والإيمان ويعظم قدره عند الملك الديان فيغيبه به عما سواه ويسبغ عليه مننه ومهما

أغاك به أستغنيت به عن طلبه وأن كان ولا بد من الطلب منه ما هو طالبه منك كما أشار إليه في أول الباب التاسع فقال وقال رضي الله عنه خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قلت والذي طالبه منا هي الأستقامة ظاهراً وباطناً ومرجعها إلى تحقيق العبودية في الظاهر وكمال المعرفة في الباطن أو تقول الذي هو طالبه منا أصلاح الجوارح الظاهرة بالشريعة قياماً برسم الحكمة وأصلاح القلوب والأسرار الباطنة بالحقيقة قياماً بوظائف القدرة.

أو تقول الذي طلبه منا أمتثال أمره وأجتناب نهيه والأكثار من ذكره والأستسلام لقهره فالأكمل في حق العارف أن يستغني بعلم الله ويكتفي بسؤال الحال عن طلب المقال فإن تجلى فيه وارد الطلب فخير ما يطلبه من سيده ما هو طالبه منه وهو ما تقدم ذكره ففي بعض الأحاديث أن الله لا يسئل الخلق عن ذاته وصفاته ولا عن قضائه وقدره ولكن عن أمره ونهيه قلت لأن الأمر والنهي في كسبه ومكلف به ومعرفة الذات والصفات والرضى والتسليم إنما هي مواهب جزاء الأعمال ونتائج الأمتثال فإذا فعل ما أمره به سيده رزقه المعرفة به المعرفة العامة وهي معرفة الدليل فإذا أشتد عطشه قبض له من يأخذ بيده حتى يعرفه به المعرفة الخاصة وقال بعضهم إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله يعني من غير طلب ما لم يكن لك فيها حظ فتحجب عن الله اه قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما أكتسبوا وللنساء نصيب مما أكتسبن وأسئلوا الله من فضله، وفضله هو الغني به ومن دعاء الجنيد رضي الله عنه اللهم وكل سؤال فعن أمرك لي بالسؤال فأجعل سؤالي لك سؤال محابك ولا تجعلني ممن بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسئل القيام بواجب حقك ثم إذا طلبت منه فاطلب منه ما طلبه منك وهو الطاعة والاستقامة و لم تساعفك الأقدار ومنعت منها قبل أن تسئل فإن لم تنهض إليها بقلبك وتأسفت عليها بنفسك فذلك علامة الاغترار كما أشار إلى ذلك بقوله الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار قلت الحزن هو التحسر علي شيء فإن لم تحصله وندمت على تحصيله أو التوجع على شيء منعت منه و لم تقدر على تحصيله فإن كان حزنك على شيء منعت منه ونهضت إلى أسبابه الموصلة إليه فهو حزن الصادقين وفيه قال أبو علي الدقاق يقطع صاحب الحزن في شهر ما لا يقطعه غيره في سنين وأن لم تنهض إلى أسبابه فهو حزن الكاذبين وأن كان على ما فات ونهضت إلى إستدراك ما يمكن إستدراكه فهو حزن الصادقين وأن لم تنهض إلى إستدراكه فهو حزن الكاذبين وقد سمعت رابعة العدوية رجلاً يقول وأحزناه فقالت له قل واقلة حزناه فلو كان حزنك صادقاً لم يتهيأ لك أن تتنفس اه.
وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه ليس البكاء بتعصير العيون إنما البكاء أن تترك الأمر الذي تبكي عليه وقيل لا يغرنك بكاء الرجل فإن إخوة يوسف جاؤا أباهم عشاء يبكون وقد فعلوا ما فعلوا اه فالحزن

على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إلى إستدراك ما فات منها أو إلى تحصيل ما حضر منها من علامة الأغترار أي الغرور وهو الركون إلى ما لا حقيقة له فالأغترار قبول الغار والأنقياد إلى غروره وخدعه فالحزن ينقسم إلى ثلاثة أقسام حزن الكاذبين والصادقين والصديقين السائرين فحزن الكاذبين هو ما تقدم من عدم النهوض والأستدراك لما فات، وحزن الصادقين هو الحزن المصحوب بالجد والأجتهاد والتوسط في العمل والأقتصاد مع أغتنام ما بقي من الأوقات لأستدراك ما فات، وحزن الصديقين من السائرين هو الحزن على فوات الأوقات أو حصول شيء من الغفلات أو وقوع ميل أو ركون إلى الحظوظ والشهوات إلا أن حزنهم لا يدوم إذ لا يقفون مع شيء ولا يقبضهم شيء وأما الواصلون فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال تعالى "إلا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،" إذ الحزن إنما يكون على فقد شيء أو فوات غرض وماذا فقد من وجد الله وقالوا الحمد الله الذي أذهب عنا الحزن وفي هذا المقام ينقطع البكاء إذ لا بكاء في الجنة وقدر أي الصديق قوماً يقرؤن ويبكون فقال كذلك كنا ثم قست القلوب فعبر بالقسوة عن التمكين أدباً وتستراً لأن القلب في بدايته رطب يتأثر بالمواعظ وتحركه الأحوال فإذا أستمر معها وتصلب لم يتأثر بشيء ويكون كالجبل الراسي، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب تنبيه قال السيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من لم تطاوعه نفسه على النهوض إلى الطاعات وأخلدت إلى أرض الشهوات فدواؤه في حرفين الأول أن يعلم منة الله عليه بالهداية للأسلام ومحبة الإيمان فيشكر الله عليها ليحصن بقائها عنده الثاني دوام تضرعه وإبتهاله في مطان الأجابة قائلاً يا رب سلم سلم.

وأن أهمل هذين الأمرين فالشقاوة لازمة له اه بالمعنى وبالله التوفيق ثم إذا أعطاك ما طلبت من كمال الأستقامة ونهضت إليه نادماً على ما فاتك من الطاعة كانت نهايتك الوصول إلى الحبيب ومناجات القريب هناك تكل الألسن عن العبارة وتنقطع الأشارة كما أبان ذلك بقوله ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وأنطوائه في شهوده قلت الأشارة أرق وأدق من العبارة والرمز أدق من الأشارة فالأمور ثلاثة عبارات وأشارات ورموز وكل واحدة أدق مما قبلها فالعبارة توضح والأشارة تلوح والرمز يفرح أي يفرح القلوب بإقبال المحبوب وقالوا علمنا كله إشارة فإذا صار عبارة خفي أي خفي سره أي فإذا صار عبارة بأفصاح اللسان لم يظهر سره على الجنان فأشارة الصوفية هي تغزلاتهم وتلويحاتهم بالمحبوب كذكر سلمي وليلي وذكر الخمرة والكيسان والنديم وغير ذلك مما هو مذكور في أشعارهم وتغزلاتهم وكذكر الأقمار والنجوم والشموس والبدور واللوائح والطوالع وكذكر البحار والأغراق وغير ذلك مما هو مذكور في أصطلاحاتهم وأما الرموز فهي إيماء

وأسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهم.

ومنها في القرآن فواتح السور ومنها في الحديث كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر أريد أن أدعوك لأمر قال وما هو يا رسول الله قال هو ذاك فرمز لأمر بينهما لا يعرفه غيرهما وقال له أيضاً يا أبا بكر أتعلم يوم يوم بتكرير لفظ يوم قال نعم يا رسول الله سألتني عن يوم المقادير فهذه رموز بين الصديق وحبيبه قال الشيخ زروق رضي الله عنه في شرح الحزب الكبير وقد حارت العقول في رموز الحكماء فكيف بالعلماء فكيف بالأنبياء فكيف بالمرسلين فكيف يطمع في حقائق رب العالمين اه وأما الأشارات فيدركها أربابها من أهل الفن والناس في أدراكها وعدمه على أقسام فمنهم من لا يفهم منها شيئاً ولا يعرف إلا ظاهر العبارة وهم الجهال من عموم الناس ومنهم من يفهم المقصود ويجد الحق بعد الأشارة أي بعد سماع الأشارة وهم أهل البداية من السائرين، ومنهم من يفهم الأشارة ويجد المشار إليه وهو الحق أقرب إليه من ؟أشارته وهم أهل الفناء في الذات قب التمكين، ولهذا تجدهم يتواجدون عند السماع ويتحركون وتطيب أوقاتهم وتهيم أرواحهم أكثر مما يتواجدون عند الذكر لأن الأشارة تهيج أكثر من العبارة بخلاف المتمكنين قد رسخت أقدامهم وأطمأنت قلوبهم وتحقق وصولهم فاستغنوا عن الإشارة والمشير ولذلك قيل للجنيد مالك كنت تتحرك عند السماع وتتواجد واليوم لا نراك تتحرك بشيء قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اه وهذا هو العارف الذي لا إشارة له لفنائه في وجود الحق وأنطوائه في شهوده أو تقول لتحقق وصوله وتمكنه في شهوده فصار المشير عين المشار إليه لفناء وجوده في وجود محبوبه وأنطواء ذاته في ذات مشهوده أو تقول لزوال وهمه وثبوت علمه فتحققت الوحدة وأمتحت الغيرية

رق الزجاج ورقت الخمر	فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح	وكأنما قدح ولا خمر

فالأقداح أشباح والخمور أرواح أو تقول لذهاب حسه وأنطماس رسمه فأنكسرت الأواني وسطعت المعاني،

وطاح مقامي في الرواسم كلها	فلست أرى في الوقت قرباً ولا بعداً
فنيت به عني فبان به غيبي	فهذا ظهور الحق عند الفنا قصدا
أحاط بنا التعظيم من كل جانب	وعادت صفات الحق مما يلي العبدا

قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه أن لله عباداً محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاهم

بذاته وحملهم من أسراره ما تعجز عنه الأولياء وقال القطب الشيخ ابن مشيش رضي الله عنه ونفعنا ببركاته وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال اه وأطلق المزج على التبديل مناسبة للشراب وقال إمام الطريقة أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه في وصف العارف عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقه ناظر إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هدايته وصفاً شرابه من كأس وده تجلى له الجبار عن أستار غيبه فإن تكلم فبالله وأن سكت فمن الله وأن تحرك فبأذن الله وأن سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله ومن الله والي الله اه فهذه صفات العارف الحقيقي الراسخ المتمكن قد كل لسانه عن التعبير، وأستغنى عن الأشارة والمشير، فإذا صدرت منه أشارة أو تعبير، فإنما ذلك لفيضان وجد أو هداية فقير، وقد صدرت إشارات من المتمكنين فتحمل على هذا القصد كقول الشيخ أبي العباس رضي الله عنه

أعنك عن ليلى حديث محرر ... بإيراده يحيى الرميم وينشر
فعهدي بها العهد القديم وأنني ... على كل حال في هواها مقصر
وقد كان عنها الطيف قد ما يزورني ... ولما برز ما باله يتعذر
وهل بخلت حتى بطيف خيالها ... أم اعتل حتى لا يصح التصور
ومن وجه ليلى طلعة الشمس تستضي ... وفي الشمس أبصار الوري يتحير
وما إحتجبت إلا برفع حجابها ... ومن عجب أن الظهور تستر

هكذا وجدت بخط الشيخ وكان كثيراً ما يتمثل بها قاله المصنف في لطائف المنن فقول الشيخ ما العارف إلخ أي ليس العارف الكامل وهو الراسخ المتمكن وأما السائر فيحتاج إلى الأشارة ويجد الحق أقرب إليه من الأشارة أو معها وهي إعانة له وقوته كالعبارة للمتوجهين وسيأتي العبارة قوت لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل وقوله من إذا أشار أي أشير له وقوله بل العارف من لا أشارة له أي لا يحتاج إليها في نفسه وقد يشير لأجل غيره كما تقدم وأنما أستغني عن الأشارة لأن الأشارة والعبارة قوت الجائع وهو قد شبع وأستغنى أو تقول لأن الأشارة تقتضي البينونة والفرق وهو مجموع في فرقه ولذلك قال الشيخ أبو يزيد رضي الله عنه أبعدهم من الله أكثرهم أشارة إليه وقال ابن العريف في محاسنه الأشارة نداء على رأس البعد وبوح بعين العلة اه أي تصريح بعين علته وهي بعده وقال الروذبادي الأشارة إلا بانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه وفي الحقيقة الأشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من الحقائق وقال الشبلي رضي الله عنه كل أشارة أشار بهما والبينونة بدليل قوله حتى يشيروا إلى الحق بالحق وأنما نفي الطريق إلى

ذلك لأستغناء الحق عن الأشارة والمشير والله تعالى أعلم ويحتمل أن يريد بالأشارة أشارة القلب أو الفكرة إلى الوجود فإن القلب إذا أشار إلى الكون بأسره فني وتلاشي ووجد الحق أقرب إليه من أشارته لكونه كان فانياً قبل أشارته وهذا حال السائرين وأما الواصل فلا يحتاج إلى أشارة لكونه قد تحقق فناؤه وأنطوى وجوده في وجود محبوبه فلم يحتج إلى أشارة لتمكن حاله وتحقق مقامه والله تعالى أعلم وسئل أبو سعيد بن الأعرابي عن الفناء فقال هو أن تبدو العظمة والأجلال على البعد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار تفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق في التعظيم اه ولما كان المطلوب من العبد القيام بوظائف العبودية ومعرفة عظمةالربوبية تشوقت القلوب إلى نيلها وطمعوا في أدراكها ورجوا بلوغ آمالهم فيها فبين الشيخ علامة الرجاء الصادق من الكاذب فقال الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية قال بعض العلماء الرجاء تعلق القلب بمطموع يحصل في المستقبل مع الأخذ في العمل المحصل له وأقرب منه طمع يصحبه عمل في سبب المطموع فيه لأجل تحصيله اه والأمنية أشتهاء وتمني لا يصحبه عمل فإن كان مع الحكم والجزم فهو تدبير وهو أتم قبحاً قاله الشيخ زروق قلت فمن رجا أن يدرك النعيم الحسي كالقصور والحور فعليه بالجد والطاعة والمسارعة إلى نوافل الخيرات وإلا كان رجاؤه حمقاً وغروراً وقد قال معروف الكرخي رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وأرتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وأرتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقيل من زعم أن الرجاء مع الأصرار صحيح فكذلك فليزعم أن الربح مع الفقير ووقد النار من البحر صحيح ومن كان رجاؤه تحقيق العلوم وفتح مخازن الفهوم فعليه بالمدارسة والمطالعة ومجالسة أهل العلم المحققين العاملين مع تحليته بالتقوى والورع قال تعالى "وأتقوا الله ويعلمكم الله فإن فعل هذا كان طالباً صادقاً وإلى مارجاً وأصلاً وإلا كان باطلاً وبقي جاهلاً وقد قال بعض المحققين من أعطي كليته في العلم أخذ كليته ومن لم يعط كليته لم يأخذ بعضه ولا كليته وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم من يطلب الخير يؤته ومن يتق الشر يوقه اه والذي تفيده التقوى أنما هو فهم يوافق الأصول ويشرح الصدور ويوسع المعقول ومن كان رجاؤه الوصول إلى أدراك المقامات وتحقيق المنازلات ومواجيد المحبين وأذواق العارفين فعليه بصحبة الفحول من الرجال أهل السر والحال بحط رأسه وذبح نفسه والأخذ فيما كلفوه به من الأعمال مع الذل والأفتقار والخضوع والأنكسار فإن زعم أنه لم يجدهم فليصدق في الطلب فسر الله كله في صدق الطلب وليستغرق أوقاته في ذكر الله وليلتزم الصمت والعرلة وليحسن ظنه بالله وبعباد الله فإن الله يقيض له من يأخذ بيده، إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم قال في القواعد قاعدة طلب الشيء من وجهه وقصده أقرب لتحصيله وقد ثبت أن حقائق علوم الصوفية منح إلهية ومواهب إختصاصية لا تنال بمعتاد الطلب

فلزم مراعاة

وجه ذلك وهو ثلاث أولها العمل بما علم قدر الأستطاعة الثاني اللجاء إلى الله على قدر الهمة الثالث أطلاق النظر في المعاني حال الرجوع لأصل السنة فيجري الفهم وينتفي الخطأ ويتيسر الفتح وقد أشار الجنيد رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله ما أخذنا التصوف عن القيل والقال والمراء والجدال إنما أخذناه عن الجوع والسهر وملازمة الأعمال أو كما قال وفي الخبر عنه عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه إذا أعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف العلوم من غير أن يؤدي إليها عالم علماً اه فمن رجا أن يدرك هذه الأمور المتقدمة وشرع في أسبابها وتحصيل مباديها كان علامة على نجح مطلبه وكان رجاؤه صادقاً ومن طمع فيها من غير أن يأخذ بالجد في أسباب تحصيلها كان أمنية أي غروراً وحمقاً وكان الحسن رضي الله عنه يقول يا عباد الله أتقوا هذه الأماني فأنها أودية النوكي يحلون فيها فو الله ما أتى الله عبداً بأمنية خيراً في الدنيا والآخرة اه والنوكي بفتح النون جمع أنوك وهو الأحمق ولما كان من رجا شيئاً وطمع فيه الغالب أنه يطلبه بين الشيخ خير ما يطلبه العبد ويرجوه فقال مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية قلت المطلب مصدر بمعنى المفعول أو أسم مكان أي مطلوب العارفين ومقصودهم أو محل قصدهم ومحل نظرهم إنما هو تحقق الصدق في العبودية بحيث لا تبقي فيهم بقية إذ المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فما دام العبد مسجوناً بمحيطاته محصوراً في هيكل ذاته لا تنفك عنه الحظوظ إما دنيوية أو أخروية فلا تتحقق عبوديته لله وفيه عبودية لحظوظه وهواه فلا يكون صادقاً في عبوديته وهو مملوك لحظ نفسه فإذا قال أنا عبد الله نازعته حظوظه وهواه فلا تتحقق عبوديته لله حتى يتحرر من رق الأكوان ويتحقق بمقام الأحرار من أهل العرفان فحينئذ يكون سالماً لله حراً مما سواه قال الله تعالى ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون أي متخاصمون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً أي لا يستويان أبداً إذ العبد الخالص لسيد واحد يكون أحظي وأعز وأقرب من العبد المشترك وكذلك العبد الخالص لله أحظي بمحبة مولاه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس أي خاب وخسر عبد الدينار والدرهم والخميصة إذا أعطي رضي وإذا لم يعط سخط تحس وأنتكس وإذا شيك فلا أنتقش أي إذا أصابته شوكة فالله لا يخرجها منه بالنقش عليها وهو دعاء على من حظه هواه بالتنكيس وعدم الخروج مما يقع فيه وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه شتان بين من همه الحور والقصور وبين من همه الحضور ورفع الستور اه ولأجل هذا كان مطلب العارفين إنما هو التحقق بالهبودية لمولاهم بالتحرر من رق هواهم والقيام بوظائف الربوبية بالأدب والتعظيم والأجلال لمولاهم وهما متلازمان فمهما تحقق الصدق في العبودية إلا حصل القيام بوظائف الربوبية فإن النفس إذا ماتت بترك حظوظها حييت الروح

وإذا حييت الروح عرفت وإذا عرفت أذعنت وخضعت لهيبة الجلال وهذا هو القيام بحقوق الربوبية وهو مراد العارفين ومقصود السائرين ومحط نظر القاصدين والطالبين قيل لبعضهم ما مراد العارف قال مراد معروفه اه أي لا يريد إلا ما أراد سيده ولا يتمنى إلا ما يقضيه عليه مولاه وقيل لبعضهم ما تشتهي قال ما يقضي الله فهذا يتحقق للعارف فناؤه وبتحقيق فنائه يتحقق بقاؤه وأنشدوا

لو قيل ما تمنى والعبد يعطي مناه   لقلت منية قلبي في بقاه

أي بقائه مع مولاه والله تعالى أعلم فإذا طلب العبد من مولاه ما هو طالبه منه من أستقامة ظاهره بالنهوض إلى كمال الطاعات والحزن على ما سلف من الغفلات وأستقامة باطنه بمعرفة معبوده والفناء في شهوده فيكون ظاهره قائماً بوظائف العبودية وباطنه متحققاً بحقوق الربوبية ثم إذا أحس بإجابة المطلب وحصول المني والمرغب فرح قلبه وأنبسطت روحه حيث شمت نسيم الأقبال وروح الوصال فربما يقبضها البسط عن شهود مولاها فيخرجها منه إلى القبض ثم يرحلها عنهما إليه كما أشار الشيخ إلى ذلك بقوله بسطك كي لا يبقيك مع القبض وقبضك كي لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه قلت البسط فرح يعتري القلوب أو الأرواح إما بسبب قرب شهود الحبيب أو شهود جماله أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله وتجلى ذاته أو بغير سبب والقبض حزن وضيق يعتري القلب إما بسبب فوات مرغوب أو عدم حصول مطلوب أو بغير سبب وهما يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار فالعوام إذا غلب عليهم الخوف أنقبضوا وإذا غلب عليهم الرجاء أنبسطوا والخواص إذا تجلى لهم بوصف الجمال أنبسطوا وإذا تجلى لهم بوصف الجلال أنقبضوا وخواص الخواص أستوى عندهم الجلال والجمال فلا تغيرهم واردات الأحوال لأنهم بالله ولله لا لشيء سواه فالأولون ملكتهم الأحوال وخواص الخواص مالكون الأحوال فمن لطفه بك أيها السالك أخرجك من الأغيار ودفعك إلى حضرة الأسرار فإذا أخذك القبض وتمكن منك الخوف وسكنت تحت قهره وأنست بأمره أخرجك إلى البسط لءلا يحترق قلبك ويذوب جسمك فإذا حبسك البسط وفرحت به وأنست بجماله قبضك لئلا يتركك مع البسط فتسيء الأدب وتجر إلى العطب إذ لا يقف مع الأدب في البسط إلا القليل هكذا يسيرك بين شهود جلاله وجماله فإذا شهدت أثر وصف الجلال أنقبضت وإذا شهدت أثر وصف الجمال أنبسطت ثم يفتح لك الباب ويرفع بينك وبينه الحجاب فتتنزه في كمال الذات وشهود الصفات فتغيب عن أثر الجلال والجمال بشهود الكبير المتعال فلا جلاله يحجبك عن جماله ولا جماله يحجبك عن جلاله ولا ذاته تحبسك عن صفاته ولا صفاته تحبسك عن ذاته تشهد جماله في جلاله في جماله وتشهد ذاته في صفاته وصفاته في

ذاته أخرجك عن شهود أثر الجلال والجمال لتمون عبد الله في كل حال أخرجك عن كل شيء لتكون حراً من كل شيء وعبداً له في كل شيء وأنشدوا

حرام على من وحد الله ربه — وأفرده أن يحتذي أحداً رفداً
فيا صاحبي قف بي على الحق وقفة — أموت بها وجداً وأحيا بها وجداً
وقل لملوك الأرض تجهد جهدها — فذا الملك ملك لا يباح ولا يهدا

قال فارس رضي الله عنه القبض أولاً ثم البسط ثانياً ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط لمعان في الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا اه وأعلم أن القبض والبسط لهما آداب فإذا أساء فيهما الأدب طرد إلى الباب أو إلى سياسة الدواب فمن آداب القبض الطمأنينة والوقار والسكون تحت مجاري الأقدار والرجوع إلى الواحد القهار فإن القبض شبيه بالليل والبسط شبيه بالنهار ومن شأن الليل الرقاد والهدو والسكون والحنو فأصبر أيها المريد وأسكن تحت ظلمة ليل القبض حتى تشرق عليك شموس نهار البسط إذ لا بد لليل من تعاقب النهار ولا بد للنهار من تعاقب الليل، يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل هذا آداب القبض الذي لا تعرف له سبباً وأما أن عرفت له سبباً فأرجع فيه إلى مسبب الأسباب ولذا بجانب الكريم الوهاب فهل عودك إلا حسناً وهل أسدي إليك إلا مناً فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الأختيار فالذي أنزل الداء هو الذي بيده الشفاء يا مهموم بنفسه لو ألقيتها إلى الله لأسترحت فما تجده القلوب من الأحزان فلا جل ما منعته من الشهود والعيان والحاصل أن سبب القبض أنما هو النظر للسوي والغفلة عن المولي وأما أهل الصفا فلا يشهدون إلا الصفا ولذلك كان عليه الصلاة السلام يقول من أصابه هم أو غم فليقل الله الله لا أشرك به شيئاً فإن الله يذهب همه وغمه أو كما قال عليه السلام والحديث صحيح فأنظر كيف دل عليه الصلاة والسلام المقبوض إلى الدواء وهو شهود التوحيد والغيبة عن الشرك فدلنا صلى الله عليه وسلم على القول والمراد منه المعنى فكأنه قال أعرفوا الله ووحدوه ينقلب قبضكم بسطاً ونقمتكم نعمة وكذلك في حديث آخر قال ما قال أحد اللهم أني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل أسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو أستأثرت به في علم الغيوب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وغمه وأبدل مكان همه فرحاً وسروراً فدلهم أولاً في الحديث الأول على شهود الربوبية وفي الحديث الثاني على القيام بوظائف العبودية وهو الصبر والرضي إذ من شأن العبد أن يصبر على أحكام سيده ويسلم ويرضي لما يجريه عليه من أوصاف

قهره ومن آداب البسط كف الجوارح عن الطغيان وخصوصاً جارحة اللسان فإن النفس إذا فرحت بطرت وخفت ونشطت فربما تنطق بكلمة لا تلقي لها بالأ فتسقط في مهاوي القطيعة بسبب سوء أدبها ولذلك كان يبسط مزلة أقدام فإذا أحس المريد بالبسط فليلجم نفسه بلجام الصمت وليتحل بحلية السكينة والوقار وليدخل خلوته وليلتزم بيته فمثل الفقير في حالة البسط والقوة كقدر على وفار فإن تركه يغلي أهراق أدامه وبقي شاحتاً وأن كفه وأخمد ناره بقي أدامه تاماً كذلك الفقير في حالة القوة والبسط يكون نوره قوياً وقلبه مجموعاً فإذا تحرك وبطش وتتبع قوته برد ورجع لضعفه وما ذلك إلا لسوء أدبه والله تعالى أعلم ولأجل هذا كان العارفون يخافون من البسط أكثر من القبض كما نبه عليه بقوله العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا قلت كل من فتح عليه في شهود المعاني فهو عارف فأن تمكن من شهود المعني على الدوام فهو واصل متمكن وإلا فهو سائر وأنما كان العارف إذا أنبسط أخوف منه إذا انقبض لأن القبض من شأنه أن يقبض النفس عن حظوظها ومن شأنه أيضاً السكون والسكون كله أدب ومن شأن البسط أن يبسط النفس وينشطها فربما تبطش لما فيه حظها فتزل قدم بعد ثبوتها بسبب قلة آدابها ولذلك قال ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل قلت وهم أهل الطمأنينة والتمكين لأنهم كالجبال الرواسي لا يحركهم قبض ولا بسط فهم مالكون الأحوال لا يخرجهم القبض ولا البسط عن حالة الأعتدال بخلاف السائرين وأن كانوا عارفين فإنهم ربما تؤثر فيهم الواردات فيرد عليهم وارد البسط فيخرجهم عن حد الأدب وقد قيل قف على البساط وإياك والأنبساط وقال رجل لأبي محمد الحريري رضي الله عنه كنت على بساط الأنس وفتح على طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السبيل إليه دلني على الوصول إلى ما كنت عليه فبكي أبو محمد وقال يا أخي الكل في قهر هذه الخطة لكني أنشدك أبياتاً لبعضهم وأنشد يقول

قف بالديار فهذه آثارهم	تبكي الأحبة حسرة وتشوقاً
كم قد وقفت بربعها مستخبراً	عن أهلها أو سائلاً أو مشفقاً
فأجابني داعي الهوى في رسمها	فارقت من تهوى فعز الملتقا

ثم علل عدم الوقوف على حدود الأدب في البسط فقال البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح، والقبض لاحظ للنفس فيه قلت لأن البسط جمال والقبض جلال ومن شأن الجمال أن يأتي بكل جمال وأين هو الجمال ثم هو عيد الجلال أين هو حبيبك ثم هو عدوك أين هو الربح ثم هو الخسارة ومعنى ذلك أن الموضع الذي يلائم النفس ويليق بها ثم هو خسارة القلب وحجاب الروح لأن الموضع الذي تحيى به

النفس يموت فيه القلب والموضع الذي تموت فيه النفس يحيى به القلب والروح ولذلك قال إبن الفارض رضي الله عنه

الموت فيه حياتي وفي حياتي قتلي

وقال الششتري رضي الله عنه

أن ترد وصلنا فموتك شرط لا ينال الوصال من فيه فضله

وكتب يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله إلى الجنيد رضي الله عنه لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك أن ذقتها لا تذق بعدها خيراً أبداً اه وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه القبض حق الحق منك والبسط حقك منه ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسط اه وهذا كله في حق السائرين وأما الواصلون المتمكنون فلا يؤثر فيهم جلال ولا جمال ولا يحركهم قبض ولا بسط كما تقدم لأنهم بالله ولله ومن الله وإلى الله بالله تصرفهم ولله عبوديتهم ومن الله ورودهم وإلى الله صدورهم لأنهم لله لا لشيء دونه قال الجنيد رضي الله عنه الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق يفرقني إذا قبضني بالخوف أفناني عني وإذا بسطني بالرجاء ردني على وإذا أجمعني بالحقيقة أحضرني وإذا فرقني بالحق أشهدني غيري فغطاني عنه فهو في كل ذلك محركي غير مسكني وموحشي غير مؤنسي بحضوري لذوق طعم وجودي فليته أفناني عني فمتعني أو غيبني عني فروحني اه قوله رضي الله عنه الخوف يقبضني لأن العبد في حالة الخوف يشهد ما منه إلى الله من الأساءة فينفتح له باب الحزن وفي حالة الرجاء يشهد ما من الله إليه من الأحسان فينفتح له باب الرجاء والبسط وقوله والحقيقة تجمعني أن تغنيني عن نفسي وتجمعني به فلا نشهد إلا ما من الله إلى الله فلا قبض ولا بسط وقوله والحق يفرقني المراد بالحق الحقوق اللازمة للعبودية فلا ينهض إليها إلا بشهود نوع من الفرق وأن كان نهوضه بالله وقوله إذا قبضني بالخوف أفناني عني أي تجلى لي بأسمه الجليل ذاب جسمي من هيبة المتجلي وإذا بسطني بالرجاء بأن تجلى لي بأسمه الجميل أو الرحيم رد نفسي ووجودي علي وإذا جمعني إليه بشهود الحقيقة أحضرني معه بزوال وهمي وإذا فرقني بالحق الذي أوجبه علي للقيام بوظائف حكمته أشهدني غيري حتى يظهر الأدب مني معه وقد يقوي الشهود فلا يشهد الأدب إلا منه إليه وقوله فغطاني عنه لأن العبد في حالة الترول إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ قد يرجع لمقام المراقبة لكنه غير لازم وسيأتي للمؤلف بل نزلوا في ذلك بالله ومن الله وإلى الله فعلى هذا لا تغطية للعبد في حالة الترول للحق أصلاً وقوله فهو في كل ذلك محركي غير مسكني يعني أن الحق تعالى حين يقبضه بالخوف أو يبسطه بالرجاء أو يجمعه بالحقيقة أو يفرقه بالحق هو محرك له

ليسيره إليه ويحوشه إليه غير مسكن له في مقام واحد وموحشه عن عالم نفسه غير مؤنس له بها بسبب حضوره مع عوالمه البشرية فيذوق طعم وجودها فإذا غيبه عنه عرف قدر ما من به عليه ولذلك قال فليته أفناني عني أي عن رؤية وجودي فمتعني بشهوده أو غيبني عن حسي فروحني من الحقوق التي تفرقني عنه بإسقاطها عني في حالة الغيبة وكأنه مال إلى طلب السلامة خوفاً من الوقوع فيما يجب الملامة وأن كان الكمال هو الجمع بين العبودية وشهود الربوبية والله تعالى أعلم ثم ذكر أسباب القبض والبسط وهو العطاء والمنع في الغالب فقال ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك قلت الغالب على النفس الأمارة واللوامة أن تنبسط بالعطاء تنقبض بالمنع لأن في العطاء متعتها وشهوتها فلا جرم أنها تنبسط بذلك وفي المنع قطع موادها وترك حظوظها ولا شك أنها تنقبض بذلك وذلك لجهلها بربها وعدم فهمها فلو فهمت عن الله لعلمت أن المنع عين العطاء والعطاء عين المنع كما يأتي فأفهم أيها الفقير عن مولاك ولا تتهمه فيما به أولاك فربما أعطاك ما تشتهيه النفوس فمنعك بذلك حضرة القدوس وربما منعك ما تشتهيه نفسك فيتم بذلك حضورك وأنسك ربما أعطاك متعة الدنيا وزهرتها فمنعك جمال الحضرة وبهجتها وربما منعك زينة الدنيا وبهجتها فأعطاك شهود الحضرة ونظرتها ربما أعطاك قوت الأشباح فمنعك قوت الأرواح وربما منعك من قوت الأشباح فمتعك بقوت الأرواح ربما أعطاك أقبال الخلق فمنعك من أقبال الحق وربما منعك من أقبال الخلق فأعطاك الأنس بالملك الحق ربما أعطاك العلوم وفتح لك مخازن الفهوم فحجبك بذلك عن شهود المعلوم ومعرفة الحي القيوم وربما منعك من كثرة العلوم وأعطاك الأنس بالحي القيوم فأحطت بكل مجهول ومعلوم ربما أعطاك عز الدنيا ومنعك عز الآخرة وربما منعك من عز الدنيا وأعطاك عز الآخرة ربما أعطاك التعزز بالخلق ومنعك من التعزز بالحق وربما منعك من التعزز بالخلق وأعطاك التعزز بالملك الحق ربما أعطاك خدمة الكون فمنعك من شهود

المكون وربما منعك من خدمة الكون وأعطاك شهود المكون ربما أعطاك التصرف في الملك ومنعك دخول الملكوت وربما منعك من التصرف في الملك ومنحك شهود الملكوت ربما أعطاك أنوار الملكوت فمنعك الترقي إلى بحر الجبروت وربما حجب عنك أنوار الملكوت فأعطاك الدخول إلى حضرة الجبروت ربما أعطاك القطبانية ومنعك التمتع بشهود الفردانية وربما منعك القطبانية ومتعك بشهود سر الوحدانية إلى غير ذلك مما لا يحصيه ألا علام الغيوب قال ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه إذا منعت فذاك عطاؤه وإذا أعطيت فذاك منعه فأختر الترك على الأخذ اه وشاهده قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم الآية فإذا فهمت هذا علمت أن المنع هو العطاء كما بينه بقوله متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء قلت إذا فهمت أيها العبد عن الله بعد تحققك برحمته ورأفته وكرمه وجوده ونفوذ قدرته وأحاطة علمه علمت أنك إذا سألته شيئاً أو هممت بشيئ أو أحتجبت إلى شيء فمنعك منه فإنما منعك

ذلك رحمة بك وأحساناً إليك إذ لم يمنعك من بخل ولا عجز ولا جهل ولا غفلة وإنما ذلك حسن نظر إليك وأتمام لنعمته عليك لكونه أتم نظر وأحمد عاقبة فعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون فربما دبرنا أمراً ظننا أنه لنا فكان علينا وربما أتت الفوائد من وجوده الشدائد والشدائد من وجوه الفوائد وربما كمنت المنن في المحن والمحن في المنن وربما أنتفعنا على أيدي الأعداء وأوذينا على أيدي الأحباء وربما تأتي المسار من حيث المضار وقد تأتي المضار من حيث المسار ولأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في حزبه اللهم أنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم فمتي فتح لك أيها المريد باب الفهم عنه في المنع وعلمت ما فيه من الشر والخير وحسن النظر لك عاد المنع في حقك هو عين العطاء ومثال ذلك كصبي رأى طعاماً حسناً أو حلواء أو عسلاً وفيه سم وأبوه عالم بما فيه فكلما بطش الصبي لذلك الطعام رده أبوه فالصبي يبكي عليه لعدم علمه وأبوه يرده بالقهر لوجود علمه فلو عقل الصبي ما فيه ما بطش إليه ولعلم نصح أبيه وشدة رأفته به ومثال آخر كرجل صنع طعاماً جيداً وعمل فيه بصاقاً ومخاطاً أو قذراً وأتي به لمن لا يعرفه فكل من رآه ولم يعرف ما فيه بطشت نفسه إليه فلو علم ما فيه ما بطشت نفسه فإذا نهاه عنه من علم ما فيه أتهمه لعدم فهمه كذلك العبد يبطش للدنيا أو الرياسة أو غير ذلك مما فيه ضرره فيمنعه الحق تعالى منه رحمة به وشفقة عليه وأعتناء به فإذا فهم عن الله سلم الأمر إلى مولاه ولم يتهمه فيما أبرمه وقضاه وإذا لم يفهم عن الله تحسر وربما سخط فإذا إنكشف له سر ذلك بعد علم ما كان في ذلك من الخير لكن فاتته درجة الصبر لقوله عليه السلام إنما الصبر عند الصدمة الأولى وأنظر قضية الرجل الذي كان يسكن في البادية وكان من العارفين فأتفق له ذات يوم أن مات حماره وكلبه وديكه فأتي إليه أهله فقالوا له حين مات الحمار مات حمارنا فقال خير ثم قالوا مات الكلب فقال خير ثم قالوا مات الديك فقال خير فغضب أهل الدار وقالوا أي خير في هذا متاعنا ذهب ونحن ننظر فأتفق أن بعض العرب ضربوا على ذلك الحي في تلك الليلة فأحتاحوا كل ما فيه وكانوا يستدلون على الخيام بنهيق الحمار ونباح الكلاب وصراخ الديكة فأصبحت خيمته سالمة إذ لم يكن بقي من يفضحها فأنظر كيف كان حسن نظر الحق لأوليائه وحسن تدبيره لهم وكيف فهم الرجل العارف ما في ذلك من السر في أول مرة فهذا هو الفهم عن الله رزقنا الله من ذلك الحظ الأوفر أمين قال الشبلي الصوفية أطفال في حجر الحق تعالى اه يعني أنه يتولى حفظهم وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم ولا يكلهم إلى أنفسهم والله تعالى أعلم وسبب عدم الفهم عن الله هو الوقوف مع ظواهر الأشياء دون النظر إلى بواطنها كما أبان ذلك بقوله الأكوان ظاهرا غرة وباطنها عبرة قلت الغرة بكسر الغين وقوع الغرور وإنما كانت الأكوان ظاهرها غرة لوجهين أحدهما ما جعل الله سبحانه على ظاهر حسها من البهجة وحسن المنظر وما تشتهيه

النفوس من أنواع المآكل والمشارب والملابس والمراكب وشهوة المناكح والمساكن والبساتين والرياضات وكثرة الأموال والبنين وكثرة الأصحاب

والعشائر والأجناد والعساكر وغير ذلك من بهجتها وزهرتها وزخرفها فأنكب جل الناس على الأشتغال بجمعها وتحصيلها والجري عليها الليل والنهار والشهور والأعوام حتى هجم عليهم هادم اللذات فأعقبهم الندم والحسرات و لم ينفع الندم وقد جف القلم سافروا بلا زاد، وقدموا على الملك بلا تأهب ولا إستعداد، فأستوجبوا من الله الطرد والبعاد ولأجل، هذا حذر الله سبحانه من غرورها وزخرفها والوقوف مع ظاهرها قال تعالى "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين" الآية ثم قال "قل أأنبؤكم بخير من ذلكم للذين أتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد" وقال تعالى "أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً" أي لنختبرهم أيهم أزهد فيها وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم أي أصنافاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها وأهتموا بآجل الدنيا حين أهتم الناس بعاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم فما عارضهم من نائلها عارض إلا رفضوه ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه خلقت الدنيا في قلوبهم فلم يجددوها وخربت بنياهم فما يعمرونها وماتت في صدورهم فما يحيونها بل يهدمونها فيبنون بها آخرتهم ويبيعونها ليشتروا بها ما يبقي لهم ونظروا إلى أهلها صرعي قد خلت بهم المثلاث فما يرون أماناً دون ما يرجون ولا خوفاً دون ما يحذرون اه وقال على كرم الله وجهه فيما كتبه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه إنما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون منها فإن صاحبها كلما أطمأن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه اه فقد جعل الحق سبحانه هذه الأكوان وهي الدنيا وما أشتملت عليه ظاهرها فتنة وباطنها عبرة فمن وقف مع ظاهرها كان مغروراً ومن نفذ إلى باطنها كان عند الله مبروراً فأهل الغفلة والبطالة وقفوا مع متعة عاجلها وبهجة ظاهرها فغرتهم بزخرفها وخدعتهم بغرورها حتى أخذتهم بغتة وأهل اليقظة والحرم نفذوا إلى باطنها فعرفوا سرعة ذهابها وقلة بقائها فأشتغلوا بجمع الزاد وتأهبوا ليوم المعاد أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكان السلف الصالح إذا أقبلت الدنيا قالوا ذنب عجلت عقوبته وإذا أقبل الفقر قالوا مرحباً بشعار الصالحين الوجه الثاني إنما جعل الله سبحانه الأكوان ظاهرها غرة تغطية لسره وإظهاراً لحمكته وذلك أن الحق سبحانه لما تجلى في مظاهر خلقه غطى سره بظهور حكمته أو تقول الأكوان ظاهرها ظلمة وباطنها نور فمن وقف مع

الظلمة كان محجوباً ومن نفذ إلى شهود النور كان عارفاً محبوباً أو تقول الأكوان ظاهرها حس وباطنها معنى فمن وقف نع الحس كان جاهلاً ومن نفذ إلى المعنى كان عارفاً أو تقول الأكوان ظاهرها ملك وباطنها ملكوت فمن وقف مع الملك كان من عوام أهل اليمين ومن نفذ إلى شهود الملكوت كان من خواص المقربين وقد أشرت إلى ذلك في قصيدتي التائية حيث قلت

إذا حبست نفس في سجن الهوى الذي	تقيد به العقل في قهر قبضة
وأشغلها علم الصوان لحكمة	فلم تر إلا الكون في كل وجهة
فذلك عين الملك وهم ثبوته	وناظره محجوب في سجن ظلمة
وأن نفذت روح المقدس سره	إل درك نور الحق فاض بقدرة
فذا ملكوت الله يسمى لوسعه	وعارفه يحظى بفتح بصيرة

والله تعالى أعلم ثم بين الشيخ الواقف مع الظواهر والنافذ إلى البواطن فقال فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها قلت إنما كانت النفس تنظر عبرتها إلى ظاهر غرتها لما فيها من متعة شهوتها وحظوظها فلا يخرجها عن ذلك الأشوق مقلق أو خوف مزعج أو عناية ربانية أما بواسطة شيخ كامل له أكسير يقلب به الأعيان أو بغير واسطة والله ذو الفضل العظيم وإنما كان القلب ينظر إلى باطن عبرتها لما فيه من نور العرفان الذي يفرق بين الحق والباطل ويميز بين النافع والضار وهو ثمرة التقوى والتصفية أو تقول لما فيه من عين البصيرة التي لا ترى إلا المعاني بخلاف عين البصر لا ترى إلا الحس فتحصل أن أهل النفوس وقفوا مع ظواهر الأشياء وأغتروا بعاجلها و لم يهتموا بآجلها فحجبوا عن العمل وغرهم الأماني وطول الأمل وفي مثلهم ورد الخبر عن سيدنا عيسى عليه السلام كان يقول ويلكم علماء السوء مثلكم كمثل قناة حش، ظاهرها جص، وباطنها نتن اه والحش هو بيت الخلاء وأهل القلوب لم يقفوا مع ظواهر الأشياء بل نفذوا إلى بواطنها وأهتموا بآجلها و لم يغتروا بعاجلها فأشتغلوا بالجد والأجتهاد وأخذوا في الأهبة والأستعداد وهم العباد والزهاد وأهل الأرواح والأسرار لم يقفوا مع الأكوان لا ظاهرها العاجل ولا باطنها الآجل بل نفذوا إلى نور الملكوت فأشتغلوا بتطهير القلوب والتأهب لحضرة علام الغيوب حتى صلحوا للحضرة وتترهوا في رياض الفكرة والنظرة، أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون، أولئك المقربون في جنات النعيم، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وهؤلاء ومن تعلق بهم هم الأعزاء عند الله تعززوا بطاعة العزيز فعزهم العزيز كما أشار إلى ذلك بقوله أن أردت أن يكون لك عز لا يفني فلا تستعزز بعزيفني قلت العز الذي لا يفني هو العز بالله والغنى بطاعة الله أو بالقرب ممن تحقق عزه بالله يكون بتعظيمه وأجلاله وهيبته ومحبته ومعرفته وحسن الأدب معه في كل شيء

وعلى كل حال ويكون بالرضى بأحكامه والخضوع تحت قهر جلاله وكبريائه وبالحياء والخوف منه ويكون بالذل والأنكسار كما قال الشاعر

تذلل لمن تهوي لتكسب عزة فكم عزة قد نالها المرء بالذل

إذا كان من تهوى عزيزاً ولم تكن ذليلاً له فأقر السلام على الوصل

وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله ما رأيت العز إلا في الذل وقال شيخ شيخنا مولاي العربي وأنا أقول والله ما رأيت الذل إلا في الفقر يعني أن الشيخ فسر الذل بالفقر إذ لا يتحقق ذل الأنسان إلا بالفقر فهو ذل الذل لأن النفس تموت بالفقر ولا يبقي لها عرق أصلاً والله أعلم وأما العز بطاعة الله فهو بالمبادرة لأمتثال أمره وإجتناب نهيه والأكثار من ذكره وبذل المجهود في تحصيل بره وأما العز بالقرب ممن تحقق عزه بالله فيكون بصحبتهم وتعظيمهم وخدمتهم وحسن الأدب معهم وهذا في التحقيق يرجع إلى التعزز بالله لكونه وسيلة إليه فإذا تحقق عزه بالله أستغنى بعز الله عن عز غيره فمن حصل هذا العز وتحقق به فقد تعزز بعز لا يفني أبداً ينسحب عليه وعلى أولاده وأولاد أولاده إلى يوم القيامة قال تعالى "من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً" وقال تعالى "ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون" والمراد بالذين آمنوا هم الأولياء أهل الإيمان الكامل وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون وقال سيدنا على كرم الله وجهه من أراد الغنى بغير مال والكثيرة بغير عشيرة فلينتقل من ذل المعصية إلى عز الطاعة اه فمن تحقق عزه بالله لم يقدر أحد أن يذله وأنظر قضية الرجل الذي أمر هارون الرشيد بالمعروف فحنق عليه فقال أربطوه مع بغلة سيئة الخلق لتقتله فلم تقض فيه شيئاً ثم قال أسحنوه وطينوا عليه البيتة ففعلوا فرؤى في بستان فأتى به فقال له من أخرجك من السجن فقال الذي أدخلني البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذي أخرجني من السجن فعلم هارون أنه لم يقدر على ذله فأمر هارون أن يركب على دابة وينادي عليه ألا أن هارون أراد أن يذل عبداً أعزه الله فلم يقدر اه وأما التعزز بالعز الذي يفني فهو التعزز بالمخلوق كتعزز ملوك الجور ومن أنتسب إليهم بكثرة الأتباع والأجناد وبالعصي والقهر وكالتعزز بالأموال والجاه في غير محله والرياسة وغير ذلك مما ينقطع ويبيد فمن تعزز بهذا مات عزه وأتصل ذله فإن التعزز بالمخلوق قطعاً يعقبه الذل عاجلاً وآجلاً وأنظر قضية الرجل الذي تكبر في الحرم فصار بعد ذلك يتكفف الناس وقال أني تكبرت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني في موضع ترتفع فيه الناس ذكر القضيتين في التنبيه ويقال لمن بالمخلوق أنظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً ودخل عارف على رجل

يبكي فقال له وما يبكيك فقال له مات أستاذي فقال له و لم جعلت أستاذك من يموت فنبهه على رفع همته وأنفاذ بصيرته وقد مات شيخه قبل أن يرشد والله تعالى أعلم فأن أردت أيها المريد أن يكون لك عز لا يفني فأستعز بالله وبطاعة الله وبالقرب من أولياء الله ولا تسعزن بعز مخلوق يفنى فإن من تعزز بمن يموت مات عزه قال الله تعالى أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً وقال أبو العباس المرسي رضي الله عنه والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق تنبيه وإرشاد إعلم أن سبب العز الذي يعطيه الله لأوليائه هو حبه لهم فالعز نتيجة الحب ففي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله عبداً نادي جبريل إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السموات أن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض فيحبه أهل الأرض وفي رواية يلقي له القبول في الماء فيشربه الناس فيحبونه جميعاً أو كما قال عليه السلام وسبب حب الله للعبد هو هو زهده في الدنيا ففي حديث الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أزهد في الدنيا يحبك الله وأزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ثم أعلم أن هذا العز الذي يعطيه الله لأوليائه لا يكون في بدايتهم ولا في أول أمرهم لئلا يفتنهم الخلق عن الوصول إلى الحق بل من لطف الله بهم وأغارته عليهم أن ينفر عنهم الخلق أو يسلط عليهم حتى يتخلصوا من رق الأشياء ويتحققوا بالوصول والتمكين فحينئذ أن شاء أظهر عزهم لينفع بهم عباده ويهدي بهم من شاء من خلقه وإن شاء أخفاهم وأستأثر بعزهم حتى يقدموا عليه فينشر عزهم ويظهر مكانتهم في دار لا فناء لها وسيأتي الكلام على هذا في محله إن شاء الله ثم ذكر الشيخ سبب العز الذي لا يفني وهو الزهد في الدنيا

كما ذكرنا فقال الطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك قلت الطي هو اللف والضم بحيث يصير الطويل قصيراً والكبير صغيراً يقال طويت الثوب أي ضممته وينقسم عند الصوفية إلى أربعة أقسام طي الزمان وطي المكان وطي الدنيا وطي النفوس فأما طي الزمان فهو أن يقصر في موضع ويطول في موضع آخر كمن مر عليه سنون في موضع وفي موضع آخر ساعة أو يوم كالرجل الذي خرج يغتسل في الفرات يوم الجمعة قرب الزوال فلما فرغ من غسله لم يجد ثيابه فسلك طريقاً حتى دخل مصر فتزوج فيها وولد له أولاد وبقي سبع سنين ثم ذهب يغتسل يوم الجمعة بنيل مصر فلما فرغ فإذا ثيابه الأولى فسلك طريقاً فإذا هو ببغداد قبل صلاة الجمعة من ذلك اليوم الذي خرج فيه والحكاية مطولة للفرغاني في شرح التائبة وأما طي المكان فمثاله أن يكون بمكة مثلاً فإذا هو بغيرها من البلدان وهذا مشهور لأولياء الله قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه والله ما صار الأولياء من قاف إلى قاف حتى يلقوا رجلاً مثلنا فإذا لا قوه كان بغيتهم وأما طي الدنيا فهو أن تطوي عنك مسافتها بالزهد فيها والغيبة عنها وحصول اليقين التام في قلبك حتى يكون الآتي عندك واقعاً أو كالواقع وسيأتي للشيخ لو

أشرق نور اليقين في قلبك لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها ولرأيت الدنيا وكسفة الفناء ظاهرة عليها وسيأتي تتمة الكلام على هذه الحكمة ثم أن شاء الله وأما طي النفوس فهو بالغيبة في الله عنها ولذلك يتحقق الزوال وتمام الوصال وقد ذكره الشيخ بقوله فيما يأتي ليس الشأن أن تطوي لك الأرض فإذا أنت بمكة أو غيرها من البلدان إنما الشأن أن تطوي عنك أوصاف نفسك فإذا أنت عند ربك اه وهذا هو الطي الحقيقي المعتبر عند المحققين لاطي الزمان أو المكان إذ قد يكون أستدراجاً أو مكراً أو تخيلاً وسحراً فالطي الحقيقي هو أن تطوي عنك مسافة الدنيا كلها حتى يكون الموت أقرب إليك من نفسك التي بين جنبيك وكما قال الصديق رضي الله عنه

كل أمرء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وحتى ترحل عنها بالكلية فلا تبقي فيك منها بقية هنالك ترحل إلى عالم الملكوت وتكشف لك أسرار الجبروت وقد قيل في قوله عليه السلام الدنيا خطوة مؤمن بمعنى أنه يتخطاها بالزهد فيها وفال بعضهم لا تتعجبوا ممن يدخل يده في جيبه فيخرج ما يريد ولكن تعجبوا ممن يضع يده في جيبه و لم يجد شيئاً و لم يتغير وقيل لأبي محمد المرتعش أن فلاناً يمشي على الماء قال عندي من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء وفي الهواء اه ومخالفة الهوى أنما تكون بالزهد في كل شيء والغيبة عن كل شيء وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول لا تفرحوا للفقير إذا رأيتموه يصلي كثيراً أو يذكر كثيراً أو يصوم كثيراً أ يعتزل كثيراً حتى تروه زهد في الدنيا ورحل عنها و لم يبق له التفات إليها فحينئذ يفرح به ولو قلت صلاته وصيامه وذكره وعزلته قلت ومثل هذا تقدم في قوله ما قل عمل برز من قلب زاهد وكذلك قال في التنوير لا تدل على فهم العبد كثرة عمله ولا مداومته على ورده وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وأنحياشه إليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحليه بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال وتزكوا الأحوال اه فما قاله شيخ شيخنا صحيح لكن لا يفهمه إلا أهل الفن من أهل الذوق إذ لا يجتمع مجاهدة ومشاهدة وإنما تكون المجاهدة أولاً فإذا حصلت المشاهدة في الباطن ركدت الجوارح في الظاهر وما بقي إلا فكرة أو نظرة والأدب مع الحضرة وربما يعترض على الشيخ من لم يعرف مقصوده من جهلة علم الطريق وبالله التوفيق وإنما يتحقق طي مسافة الدنيا بتحقق الزهد فيها ولا يتحقق الزهد فيها إلا برفع الهمة عن الخلق والتعلق بالملك الحق وبالأياس مما في أيدي الناس كما أبان ذلك بقوله العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله أحسان قلت إنما كان العطاء من الخلق حرماناً لثلاثة أوجه أحدها ما في ذلك من حظها وفرحها والتوصل إلى شهواتها وحظوظها وفي ذلك موت القلب وقسوته الوجه الثاني ما في ذلك من نقص

الدرجات والغض عن كمال المراتب والمقامات ولذلك ترك الأكابر التمتع بالشهوات لقوله تعالى أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقد يتعرض المريد للسؤال لأجل موت نفسه وحياة روحه فإذا كثر عليه العطاء من الخلق فرحت النفس وأنست فلا تموت به سريعاً بخلاف ما إذا واجهه المنع فأنها تموت سريعاً إذ لاحظ لها فيه فالجهاد الذي لاغنيمة فيه أعظم من الجهاد الذي فيه الغنيمة فقد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا خرجت طائفة للغزو فجاهدوا وغنموا فقد تعجلوا ثلثي أجرهم وإذا لم يغنموا رجعوا بأجرهم كاملاً أو كما قال صلى الله عليه وسلم الوجه الثالث ما في ذلك من الركون إليهم وميل القلب بالمحبة لهم إذ النفس مجبولة على حب من أحسن إليها فتسترق لهم وتكون أسيرة في أيديهم وفي وصية سيدنا على كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله منعماً وعد نعمة غيره عليك مغرماً وأنشد رضي الله عنه

لعمرك من أوليته منك نعمة ... ومد لها كفاً فأنت أميره
ومن كنت محتاجاً إليه فإنه ... أميرك تحقيقاً وأنت أسيره
ومن كنت عنه ذا غني وهو مالك ... أزمةأهل الدهر أنت نظيره
فعش قانعاً أن القناعة للفتى ... غناء وهذا مقتضى ما أشيره

وقال آخر

فلا ألبس النعما وغيرك ملبسي ... ولا أملك الدنيا وغيرك واهبي

وقال شيخ شيوخنا ومادة طريقنا بعد نبينا مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه لأبي الحسن رضي الله عنه يا أبا الحسن أهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو تصل به إلى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك اه وقال بعضهم عز النزاهة أكمل من سرور الفائدة ولأجل هذا المعنى قال عليه السلام إذا أسدي إليكم أحد معروفاً فكافئوه أي لتسقطوا منته عليكم وتقطعوا رقبته لكم والله تعالى أعلم وإنما كان المنع من الله أحساناً لوجهين أحدهما ما تقدم من أن الله سبحانه ما منعك بخلا ولا عجزاً وإنما هو حسن نظر لك إذ لعل ما طلبته لا يليق بحالك في الوقت وأخره لوقت هو أولى لك وأحسن أو أدخر لك ذلك ليوم فقرك الثاني ما في ذلك من دوام الوقوف ببابه واللياذ بجنابه وفي ذلك غاية شرفك ورفع لقدرك وفي الحديث إذا دعا العبد الصالح يقول الله تعالى للملائكة أخرجوا حاجته فإني أحب أن أسمع صوته وإذا دعا الفاجر قال للملائكة أقضوا حاجته فأني أكره صوته أو كما قال عليه

السلام لطول العهد به تنبيه ما ذكره الشيخ من كون العطاء من الخلق حرماناً إنما هو بأعتبار السائرين أو بإعتبار الزهاد والعباد وأما الواصلون إلى الله المتمكنون مع الله فقد تولاهم الحق وغيبهم عن شهود الخلق فهم يتصرفون بالله يأخذون من الله ويدفعون بالله ولا يرون في الوجود إلا الله

مذ عرفت الأله لم أر غيراً وكذا الغير عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت أفتراقاً فأنا اليوم واصل مجموع

فلا يرون العطاء إلا من الله ولا يرون الخلق البتة إلا ما يشهدون فيهم من واسطة الحكمة كما قال القائل

أذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً رأيت جميع الكائنات ملاحاً

وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله هذا آخر الباب التاسع وحاصلها علامة كمال العارف وآدابه ف الطلب وفي البسط والقبض وفي المنع والعطاء ومن جملة العطاء ما يعطيه الحق سبحانه عباده من الخيرات في مقابلة أعمالهم الصالحات كما أشار إلى ذلك في أول الباب العاشر بقوله وقال رضي الله عنه جل ربنا أن يعامله العبد نقداً فيجازيه نسيئة قلت النقد ما كان معجلاً والنسيئة ما كان مؤخراً ومن شأن الكريم إذا أشترى شيئاً أن ينجز نقده ويزيد أحسانه ورفده وقد أشترى الحق تعالى منا أنفسنا وأموالنا فعوضنا بها الجنة فمن باع نفسه وماله ونقدهما وسلمهما إليه عوضه الله جنة المعارف عاجلاً وزاده جنة الزخارف آجلاً مع ما يتحفه به من أنواع النعيم ودوام الشهود والنظر إلى وجهه الكريم فجل ربنا أي تنزه وترفع أن يعامله العبد نقداً أي معجلاً فيجازيه نسيئة أي مؤخراً بل لا بد أن يعجل له ما يليق به في هذه الدار ويدخر له ما يليق به في تلك الدار والذي عجل له سبحانه في هذه الدار أمور منها ما يدفع عنه من المضار ويجلب له من المنافع والمسار لقوله تعالى وهو يتولى الصالحين وقال تعالى "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب" وقال تعالى "ألا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون وقد يتعدى ذلك إلى عقبه كما تقدم ومنها ما يشرق عليه من الأنوار ويكشف لقلبه من الأسرار وهي أنوا ر التوجه وأنوار المواجهة قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً" وهو نور يفرق بين الحق والباطل وقال تعالى وأتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور يخرجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة ومن ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة ومن ظلمة الحس إلى نور المعنى أو من ظلمة الكون إلى نور المكون ومنها التوفيق والهداية لها قبل عملها حتى جعلك أهلاً للوقوف بين يديه وهو الذي أبانه بقوله كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا قلت لأن الملك لا يدعو لخدمته إلا من يريد أن يكرمه ولا يدخل لحضرته إلا من يريد أن

يعظمه ولا ينسب له إلا أهل الفضل والتكرمة، فلولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً، فالتوفيق لها أعظم منة وأكبر جزاء على وجودها لأنها تحقق للعبد ثلاثاً أولها تصحيح النسبة لمولاه بوجه ما الثاني وجود الأقبال عليه بصورة ما الثالث أقامة رسم العبودية في الجملة والله أعلم قاله الشيخ زروق رضي الله عنه ومنها ما يرد على قلبه حال عملها من المؤانسة به والقرب له وهو الذي ذكره بقوله كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته قلت والذي فتحه على قلوبهم في حالة العمل ثلاث محاضرة أو مراقبة أو مشاهدة فالمحاضرة للطالبين والمراقبة للسائرين والمشاهدة للواصلين فالمحاضرة للعموم والمراقبة للخصوص والمشاهدة لخصوص الخصوص والكل يسمى خشوعاً قال بعضهم الخشوع أطراق السر على بساط النجوى بأستكمال نعت الهيبة والذوبان تحت سلطان الكشف والأمحاء عند غلبات التجلي اه ويختص المقام الثالث بقرة العين وقال الشيخ زروق ما يجده في حالة الطاعة ثلاث أولها وجود الأنس به فيها بروح أقباله ومنه ما يقع من الرقة والخشوع، الثاني وجود التملق بين يديه وله حلاوة ينسي بها كل شيء، الثالث حصول الفهم والفوائد العلمية والألهامات اللدنية التي بها يترك كل شيء قال بعضهم في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة ولا إلى شيء و لم يستوحش أبداً قيل وما هي قال معرفة الله وقال بعض العلماء ليس في الدنيا ما يشبه نعيم الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وكان بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة أظهره الله في الدنيا لا يعرفه إلا هم ولا يجده سواهم روحاً لقلوبهم اه ومنها ما يجده من الثمرات بعد عملها وهو الذي أشار إليه بقوله وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته قلت هذه المؤانسة التي يجدها العامل بعد العمل على ثلاثة أقسام مؤانسة ذكر وهو لأهل الفناء في الأفعال ومؤانسة قرب وهو لأهل الفناء في الصفات وهم أهل الأستشراف، ومؤانسة شهود وهو لأهل الفناء في الذات فالأول لأهل الأسلام والثاني لأهل الإيمان والثالث لأهل الأحسان،

فمؤانسة الأول توجب له الفرار من الناس والوحشة منهم ومؤانسة الثاني توجب القرب لهم على حذر منهم ومؤانسة الثالث توجب الصحبة لهم ومخالظتهم لأنه يأخذ منهم ولا يأخذون منه فالأول لا تليق به إلا العزلة لضعفه والثاني تليق به الصحبة مع العسة ليتعلم القوة فهو يشرب منهم ولا يشربون منه لبعده منهم بقلبه والثالث لا تليق به إلا الصحبة لتحققه بالقوة فو يأخذ النصيب من كل شيء ولا يأخذ النصيب منه شيء يصفو به كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء ومؤانسة الذكر توصل لمؤانسة القرب ومؤانسة القرب توصل لمؤانسة الشهود فمن صعد عقبة أفضت به إلى راحة ما بعدها قال بعض العارفين ليس شيء من الطاعات إلا ودونه عقبة كؤود يحتاج فيها إلى الصبر فمن صبر على شدها أفضى إلى الاحة والسهولة وأنما هي مجاهدة النفس ومخالفة الهوى ثم والله مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم أي ثم تكون

لذة الطاعة وتنعم المعرفة ثم ينبغي لك أيها المريد ألا تقصد شيئاً من هذه الأمور التي يجازيك الحق تعالى بها كانت معجلة أومؤجلة فإن ذلك نقص في أخلاصك وناقض لصدق عبوديتك كما أشار إليه بقوله من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه قلت الناس في عبادة الله بإعتبار أخلاصهم على ثلاثة أقسام فمنهم من يعبد الله خوفاً من عقوبته معجلة أو مؤجلة أو طمعاً في رحمته وحفظه عاجلاً وآجلاً وهم عوام المسلمين وفيهم قال عليه السلام لولا النار ما سجد لله ساجد ومنهم من يعبد الله محبة في ذاته وشوقاً إلى لقائه لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره ونكاله وهم المحبون العاشقون من السائرين ومنهم من يعبد الله قياماً بوظائف العبودية وأدباً مع عظمة الربوبية أو تقول صدقاً في العبودية وقياماً بوظائف الربوبية وهم المحون العارفون فالقسم الأول عبادته بنفسه لنفسه والثاني عبادته بنفسه لله والثالث عبادته بالله لله ومن الله إلى الله فمن عبد الله تعالى لشيء يرجوه منه في الدنيا أو في الآخرة أو ليدفع عنه بطاعته ورود العقوبة في الدنيا أو في الآخرة فما قام بحق أوصاف الربوبية التي هي العظمة والكبرياء والعزة والغني وجميع أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال إذ نعوت الربوبية من العظمة والجلال تقتضي خضوع العبودية بالأنكسار والأذلال أرأيت أن لم تكن جنة ولا نار ألم يكن أهلاً لأن يعبد الواحد القهار أرأيت من أنعم بنعمة الإيجاد والأمداد أليس أهلاً لأن يشكره جميع العباد فمن كان عبداً مملوكاً لسيده لا يخدمه في مقابلة نواله ورفده بل يخدمه لأجل عبوديته ورقه وسيده لا محالة يقوم بمؤونته ورزقه أيبرزك لوجوده ويمنعك من جوده أيدخلك داره ويمنعك أبراره لقد أسأت الظن بالرب الكريم أن أعتقدت أنك أن لم تعبده منعك من جوده العظيم لقد أجري عليك منته ورزقه وأنت في ظلمة الأحشاء ثم حين أظهرك لوجوده وبسط لك من جوده جعلك تتصرف فيه كيف تشاء وتصنع به ما تشاء ومما وجد مكتوباً بقلم القدرة في حجر في الكعبة

تذكر جميلي فيك إذ كنت نطفة ... ولا تنس تصويري لشخصك في الحشا
وكن واثقاً بي في أمورك كلها ... سأكفيك منها ما يخاف ويختشي
وسلم إلى الأمر وأعلم بأنني ... أصرف أحكامي وأفعل ما أشا

فأستحي من الله أيها الأنسان أن تطلب أجراً على عبادة أجراها عليك الواحد المنان وأذكر قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وقوله تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالعبد السوء أن خاف عمل ولا كالأجير السوء أن لم يعط الأجرة لم يعمل وقال سيدنا عمر رضي الله عنه نعم

العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وقال وهب بن منبه في زبور داوود عليه السلام يقول الله تعالى ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع اه وفي أخبار داوود أيضاً عليه السلام أن الله أوحى إليه أن أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها اه ثم أن رفعت همتك عن طلب الحظوظ صبت عليك الحظوظ فقد ورد في بعض الأخبار أن الله يحفظ الأولاد وأولاد الأولاد بطاعة الأجداد لقوله تعالى وكان أبوهما صالحاً فقد حفظ الحق تعالى كنزهما بصلاح أبيهما فقد صبت الحظوظ على الأولاد وهو حفظهم بترك الآباء الحظوظ وكان سعيد بن المسيب يقول لولده أني لأطيل الصلاة من أجلك اه ومعناه أني أعبده مخلصاً لعله يحفظك ثم أن مدد الحق وهو لطفه وإبراره جار على الطائعين في كل وقت وحين سواء أعطاهم في الحس أو منعهم وسواء بسطهم أو قبضهم وهو ظاهر لمن يفهم عن الله كما أشار إليه بقوله متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك قلت من أسمائه تعالى اللطيف والرحيم فهو تعالى لطيف بعباده رحيم بخلقه في كل وقت وعلى كل حال سواء أعطاهم أو منعهم وسواء بسطهم أو قبضهم فإن أعطاهم أو بسطهم أشهدهم بره وأحسانه فعرفوا أنه سبحانه بار بعباده لطيف بخلقه رحيم كريم جواد محسن فتعظم محبتهم فيه ويكثر شوقهم وأشتياقهم إليه ويكثر شكرهم فيزداد نعيمهم وفي هذا مالا مزيد عليه من البر والأحسان والجود والأمتنان وأن منعهم أو قبضهم أشهدهم قهره وكبرياءه فعلموا أنه تعالى قهار كبير عظيم جليل فخافوا من سطوته وذابوا من خشيته وخضعوا تحت قهره فدامت عبادتهم وقلت ذنوبهم ومحيت مساويهم وأضمحلت خطيئتهم فوردوا يوم القيامة خفافاً مطهرين فرحين مبهجين إذ لا يجمع الله على عبده خوفين ولا أمنين فمن أخافه في الدنيا أمنه يوم القيامة ومن أمنه في الدنيا فأغتر أخافه يوم القيمة كما في الحديث فلا تتهم ربك أيها العبد في المنع ولا في العطاء فإنه متى أعطاك أشهدك بره ورحمته وكرمه فعرفت بذلك أنه بر كريم رؤوف رحيم فتتعلق بكرمه وجوده دون غيره فتتحرر من رق الطمع ويذهب عنك الغم والجزع وتتخلق أيضاً بوصف الكرم والرحمة والأحسان فإن الله يحب أن يتخلق عبده بخلقه وفي الحديث تخلقوا بأخلاق الرحمن وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن والقرآن فيه أوصاف الرحمن فكأنها قالت كان خلقه خلق الرحمن إلا أنها أحتشمت الحضرة وتأدبت مع الربوبية ومتى منعك أو قبضك أشهدك قهره وكبرياءه فعرفت أنه قهار جبار فيعظم خوفك وتشتد هيبتك وحياؤك منه فلا جرم أن الله يعظمك ويكرمك ويحفظك ويستحيي منك كما أستحييت منه فإن الله يترل عبده على قدر مترلته منه وإنما يطيع العبد ربه على قدر معرفته به وخوفه منه فهو سبحانه في كل ذلك من أعطاء ومنع وقبض وبسط متعرف إليك أي طالب منك أن تعرفه بصفاته وأسمائه وما من أسم من أسمائه تعالى إلا أقتضى ظهور ما يطلبه فأسمه الكريم أقتضى الأعطاء والأحسان

وهو ظاهر في خلقه وأسمه المانع أقتضي ظهور المنع فظهر في عباده أيضاً وأسمه المنتقم أقتضي ظهوره في قوم وجههم لمخالفته وأسمه القهار أقتضي ظهوره في قوم يقهرهم على ما يريد من منع أو غيره وظهر قهره أيضاً في عباده بالموت فهو من مقتضي أسمه القهار وهكذا كل أسم يقتضي ظهوره في الوجود وكلها في بني آدم فإذا تحققت هذا في حالة الأعطاء والمنع علمت أيضاً أنه تعالى مقبل بوجود لطفه وإبراره عليك إذ هو متعرف إليك في كل شيء ومقبل عليك في كل وجه فأطلب أيضاً أنت معرفته في كل حال وأعرف منته عليك في الجمال والجلال وأقبل عليه بكليتك وأستسلم لقهره بروحك وبشريتك تكن عبده حقاً وهو ربك حقاً وصدقاً والله تعالى أعلم ويؤخذ من هذه الحكمة أن المدار أنما هو على قوة

الروحانية التي هي المعرفة في الجلال والجمال لا على قوة البشرية لأن بمنعه يحصل للعبد الكمال وبالله التوفيق ثم هذا كله إنما يذوقه من يفهم عن الله كما تقدم وإليه أشار بقوله إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه قلت لأن الفهم عن الله يقتضي وجود المعرفة به ولا تكون المعرفة كاملة حتي يكون صاحبها يعرفه في الجلال والجمال والمنع والعطاء والقبض والبسط وأما إن كان لا يعرفه إلا في الجمال فهذه معرفة العوام الذين هم عبيد أنفسهم فإن أعطوا رضواً وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون وأيضاً من ثمرات المعرفة التسليم والرضى لما يجري به القضاء ومن ثمرات المحبة والهوى الصبر عند الشدائد والبلوى

تدعى مذهب الهوى ثم تشكوا ... أي دعواك في الهوي قل لي أينا
لو وجدناك صابراً لهواناً ... لأعطيناك كل ما تتمنا

فلا يكون المحب صادقاً في محبته ولا العارف صادقاً في معرفته حتى يستوي عنده المنع والعطاء والقبض والبسط والفقر والغنى والعز والذل والمدح والذم والفقد والوجد والحزن والفرح فيعرف محبوبه في الجميع كما قال القائل حبيبي ومحبوبي على كل حالة، ويرضي ويسلم له في الجميع فإن لم يجد ذلك عنده سواء فلا يدعي مرتبة العشق والهوى فيعرف قدره ولا يتعدى طوره ولا يترامى على مراتب الرجال من أدعي ما ليس فيه فضحته شواهد الأمتحان ولأبن الفارض رضي الله عنه

فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به ... شهيداً وإلا فالغرام له أهل

وقال إبراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان إحداهما الثقة بالله والأخرى الشكر لله فيما زوي عنه مما أبتلي به غيره من الدنيا وقيل لبعضهم ما الزهد عندكم قال إذا وجدنا شكرنا وإذا فقدنا صبرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ فقال وما الزهد عندكم أنتم قال إذا

فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا فهذا هو الفهم عن الله حيث شكر حين الفقد فقد عد الفقد نعمة والفاقة غني لما يجد فيها من المواهب والأسرار ولما يترقب بعدها من ورود الواردات والأنوار ولو لم يكن إلا التفرغ من الشواغل والأغيار وبهذا تزكوا الأحوال وتعظم الأعمال ويتأهل صاحبها للقبول والأقبال وإلا فلا عبرة بصور وجودها مع عدم قبولها كما نبه على ذلك بقوله ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول قلت لا عبرة بالطاعة إذا لم يصحبها قبول كما لا عبرة بالسؤال حيث لم يحصل به مأمول إذ الطاعة إنما هي وسيلة لمحبة المطاع وأقباله على المطيع بحيث يفتح في وجهه الباب ويرفع عن قلبه وجود الحجاب ويجلسه على بساط الأحباب فإذا فتح لك باب العمل وبلغت في تحصيله غاية الأمل غير أنك لم تجد له ثمرة و لم تذق له حلاوة من الأنس بالله والوحشة مما سواه ومن الغنى به والأنحياش إليه والأكتفاء بعلمه والقناعة بقسمته فلا تغتر بذلك أيها المريد فربما فتح لك باب طاعته وأنهضك إلى خدمته و لم يفتح لك باب القبول ومنعك بها من الوصول حيث أعتمدت عليها وركنت إليها وأنست بها وأشغلتك حلاوتها عن الترقي إلى حلاوة شهود المنعم بها ولذلك قال بعضهم أحذروا حلاوة الطاعات فإنها سموم قاتلة لأنها تقبض صاحبها في مقام الخدمة ويحرم من مقام المحبة وفرق كبير بين من شغله بخدمته وبين من أصطفاه لمحبته وأجتباه لحضرته فإجراء الذنب على العبد أحسن من مثل هذه الطاعة التي تكون سبب الحجاب كما نبه عليه بقوله وقضي عليك الذنب فكان سبباً في الوصول قلت وذلك أن العبد إذا كان سائراً لمولاه قاصداً لوصول حضرة حبيبه ورضاه قد يحصل له كلل أو يصيبه ملل أو يركبه كسل فسلط الحق عليه ذنباً أو تغلبه نفسه فيسقط فإذا قام من سقطته جد في سيره ونهض من غفلته ونشط من كسله فلا يزال جاداً في طلب مولاه غائباً عما سواه حتى يدخل حضرته ويشاهد طلعته وهي الحضرة التي هي تجليات الحق وأسرار ذاته ومثال ذلك رجل مسافر أصابه في الطريق نوم أو كسل فيسقط فيضربه حجر فإذا قام ذهب كسله وجد في سيره وفي الحديث رب ذنب أدخل صاحبه الجنة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال لا يزال تائباً فاراً منه خائفاً من ربه حتى يموت فيدخل الجنة أو كما قال عليه السلام وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم اه قال صلى الله عليه وسلم في شأن الطاعة التي لم تقبل رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع وقائم ليس له من قيامه إلا السهر فمثل هذه الطاعة المعصية التي يصحبها الأنكسار أحسن منها بكثير كما أبان ذلك بقوله معصية أورثت ذلاً وأفتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً وأستكباراً قلت أنما كانت المعصية التي توجب الأنكسار أفضل من الطاعة التي توجب الأستكبار لأن المقصود من الطاعة هو الخضوع والخشوع والأنقياد والتذلل والأنكسار أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي فإذا خلت الطاعة من هذه المعاني وأتصفت بأضدادها فالمعصية التي توجب هذه

المعاني وتجلب هذه المحاسن أفضل منها إذ لا عبرة بصورة الطاعة ولا بصورة المعصية وإنما العبرة بما ينتج عنهما أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم فثمرة الطاعة هي الذل والأنكسار وثمرة المعصية هي القسوة والأستكبار فإذا أنقلبت الثمرات أنقلبت الحقائق صارت الطاعة معصية والمعصية طاعة ولذلك قال المحاسبي رضي الله عنه إنما مراد الله سبحانه من عباده قلوبهم فإذا تكبر العالم أو العابد وتواضع الجاهل والعاصي وذل هيبة لله عز وجل وخوفاً منه فهو أطوع لله عز وجل من العالم والعابد بقلبه اه وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه كل أساءة أدب تثمر أدباً فليست بإساءة أدب وكان رضي الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان رضي الله عنه يكرم الناس على نحو رتبتهم عند الله حتى

أنه ربما يدخل عليه مطيع فلا يبالي به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله وناظر لفعله وذلك العاصي دخل بكثرة معصيته وذلته ومخالفته قاله المصنف في لطائفه وقال أبو يزيد رضي الله عنه نوديت في سري خزائني مملوءة بالخدمة فإن أردتنا فعليك بالذلة والأفتقار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب كذا في الصحيحين وقال عليه السلام لولا أن الذنب خير من العجب ما خلا الله بين مؤمن وذنب أبداً وقال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه أنكسار العاصي خير من صولة المطيع وقال شيخ شيوخنا رضي الله عنه معصية بالله خير من ألف طاعة بالنفس اه ومعنى كلام الشيخ أن العبد إذا أجريت عليه زلة لم يقصدها بقلبه وإنما جرته القدرة إليها رغماً على أنفه ثم ندم وأنكسر فهي في حقه خير من ألف طاعة يشهد فيها نفسه ويتبجح بها على عباد الله ولله در صاحب العينية حيث يقول

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ... ومالي عن حكم الحبيب تنازع
فطوراً تراني في المساجد راكعاً ... وإني طوراً في الكنائس رائع
أراني كالآلات وهو محركي ... أنا قلم والأقتدار أصابع
ولست بجبري ولكن مشاهد ... فعال مريد ماله من يدافع
فآونة يقضي على بطاعة ... وحيناً بما عنه نهتنا الشرائع
لذاك تراني كنت أترك أمره ... وآتى الذي أنهاه والجفن دامع
ولي نكتة غراء سوف أقولها ... وحق لها أن ترعويها المسامع
هي الفرق ما بين الولي وفاسق ... تنبه لها فالأمر فيه فظائع
وما هو إلا أنه قبل وقعه ... يخبر قلبي بالذي هو واقع

فأجني الذي يقضيه في مرادها وعيني له قبل الفعال تطالع
فكنت أرى منها الأرادة قبل ما أرى الفعل مني والأسير مطاوع
فأتى الذي تهواه نفسي ومهجتي لذلك في نار حوتها الأضالع
إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً فإني في علم الحقيقة طائع

فأشار إلى الفرق بين معصية الولي ومعصية الفاسق وذلك من ثلاثة أوجه الولي لا يقصدها ولا يفرح بها ولا يصر عليها والفاسق بالعكس في الجميع وقيل للجنيد أيزني العارف فقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً لكن معصية الولي حدها الظاهر ولذلك قال ابن عطاء الله ليت شعري لو قيل له أتتعلق همة العارف بغير الله لقال لا اه ولما كانت النعم تقتضي من العبد شكرها وشكرها هو العمل بطاعة الله فيها قال الجنيد الشكر ألا يعصي الله بنعمة بين الشيخ أصول النعم وفروعها فقال نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الأيجاد ونعمة الأمداد قلت أما نعمة الأيجاد فهي الأظهار من عالم الغيب إلى عالم الشهادة أو من عالم الأمر إلى عالم الخلق أو من عالم الأرواح إلى عالم الأشباح أو من عالم القدرة إلى عالم الحكمة أو من عالم التقدير إلى عالم التكوين وأما نعمة الأمداد فهي قيامه تعالى بالأشياء بعد وجودها وإمداده إياها بما تقوم به بنيتها وهاتان النعمتان عامتان وأختص الأنسان بما أجتمع فيه من الضدين وهما النور والظلمة واللطافة والكثافة فلو بقيت أيها الأنسان على ما كنت عليه من العدم في عالم القدم لم تتمتع بنعمتين نعمة الأشباح ونعمة الأرواح ولو تجلى فيك بوجهة واحدة لكنت ناقصاً في شهود المعرفة لأن مزية الآدمي في المعرفة أعظم إذ بقدر المجاهدة يكون الترقي في المشاهدة لما فيه من الكثافة واللطافة فكلما لطف من كثافة ترقي في مشاهدة ربه ولما فيه من النور والظلمة فكلما أنتفت الظلمة قوي النور بخلاف غيره من الجن والملائكة غير المقربين قال الله تعالى في حق الملائكة وما منا الأله مقام معلوم فما مثل الآدمي إلا كياقوتة سوداء وهي أعظم اليواقيت كلما صقلتها أشرقت وزاد نورها وجمالها ومثل الملائكة كالزجاج إذا صقل مرة كفاه ولا يزيد نوره على أصله فلو بقيت أيها الأنسان على ما كنت عليه من العدم أو من اللطافة بعد قبضة القدم لم يكن لك مزية على غيرك ومما يدلك على أن تجلي الآدمي أعظم أختصاصه بالجنة والنظر قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش والكلام إنما هو مع الخواص فخواص الآدمي أعني الأنبياء أعظم من خواص الملائكة وخواص الملائكة أعني المقربين أعظم من خواص الآدمي أعني العارفين والعارفون أعظم من عوام الملائكة وعوام الملائكة أعظم من عوام بني آدم والله تعالى أعلم فأنعم الحق سبحانه عليك أيها الأنسان أولاً بنعمة الإيجاد وأصحبك الرأفة والوداد لتظهر

مزيتك وتكمل نعمتك ثم أنعم عليك ثانياً بنعمة الأمداد حسية ومعنوية أما المدد الحسي فغذاء البشرية من أول النشأة إلى منتهاها وأما المدد المعنوي فغذاء الروح من قوت اليقين والعلوم والمعارف والأسرار ثم أن هذا المدد المعنوي من حيث هو ينقسم على ثلاثة أقسام منه ما لا يزيد ولا ينقص وهو مدد الملائكة قال تعالى فيهم وما منا إلا له مقام معلوم ومنه ما يزيد وينقص

وهو مدد عوام بني آدم ومنه ما يزيد ولا ينقص وهو مدد خواصهم كالرسل والأنبياء وأكابر الأولياء ومن تعلق بهم ممن دخل تحت حضانتهم ولزم عشهم من الفقراء والمريدين السائرين فمددهم في الزيادة على الدوام وهذا المدد ثابت للروح قبل أتصالها بالبشرية فلذلك أقرب بالربوبية في عالم الذر قال في التنوير أعلم أن الحق سبحانه تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك في كل ذلك بوجود أبرارك فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير يوم الست بربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك أن عرفك به فعرفته وتجلى لك فشهدته وأستنطقك وألهمك الأقرار بربوبيته فوحدته ثم أنه جعلك نطفة مستودعة في الأصلاب تولاك بتدبيره هنالك حافظاً لك وحافظاً لما أنت فيه موصلاً لك المدد بواسطة ما أنت فيه من الأباء إلى أبيك آدم ثم قذفك في رحم الأم فتولاك بحسن التدبير وجعل الرحم قابلة لك أرضاً يكون نباتك ومستودعاً تعطي فيها حياتك ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما فكنت عنهما لما بنيت عليه الحكمة الألهية من أن الوجود كله مبني على سر الأزدواج ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيئة لما يريد سبحانه أن ينقلها إليه ثم بعد العلقة مضغة ثم فتق سبحانه في المضغة صورتك وأقام فيها بنيتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك بدم الحيض في رحم الأم فأجري عليك رزقه من قبل أن يخرجك إلى الوجود ثم أبقاك في رحم الأم حتى قويت أعضاؤك وأشتدت أركانك ليهيئك إلى البروز إلى ما قسم لك أو عليك وليبرزك إلى دار يتعرف فيها بفضله وعدله إليك ثم لما أنزلت إلى الأرض علم سبحانه أنك لا تستطيع أن تتناول خشونات المطاعم وليس لك أسنان ولا أرحى تستعين بها على ما أنت طاعم فأجري الثديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما مستحث الرحمة التي جعلها في قلب الأم فكلما وقف اللبن على البروز أستحثته الرحمة التي جعلها لك في الأم مستحثاً لا يفتر ومستنهضاً لا يقصر ثم أنه شغل الأب والأم بتحصيل مصالحك والرأفة عليك والرحمة والنظر بعين المودة منهما إليك وما هي إلا رأفته ساقها للعباد في مظاهر الآباء والأمهات تعريفاً بالوداد وفي حقيقة الأمر ما كفلتك إلا ربوبيته وما حضنتك إلا الوهيته ثم ألزم الأب القيام بك إلى حين البلوغ.

وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ثم رفع قلم التكليف عنك إلى أوان تكمل الأفهام وذلك عند الأحتلام ثم إلى أن صرت كهلاً لم يقطع عنك نوالاً ولا فضلا ثم إذا أنتهيت إلى الشيخوخة ثم إذا قدمت عليه ثم

إذا حشرت إليه ثم إذا أقامك بين يديه ثم إذا سلمك من عقابه ثم إذا أدخلك دار ثوابه ثم إذا كشف عنك وجود حجابه وأجلسك مجالس أوليائه وأحبابه قال سبحانه أن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلاى أحسانه تشكر ولاي أياديه تذكر وأسمع قوله سبحانه، وما بكم من نعمة فمن الله: تعلم أنك لم تخرج عن أحسانه ولن يعدوك وجود فضله وأمتنانه اه كلامه في التنوير وهو شرح لهذه الحكمة لأشتماله على النعمتين إيجاداً وأمداداً ومن نعمة الأمداد المعنوي نعمة الأسلام والأحسان وحفظ ذلك وأدامته علينا في كل وقت وحين وزيادة الترقي في المعرفة واليقين إلى يوم الدين فالحمد لله رب العالمين ثم المقصود بالنظر إلى هاتين النعمتين هو الأنسان وأن كانتا عامتين في جميع الأكوان إذ هو المطلوب بشكرها والتحدث بذكرها ولذلك خصه بالخطاب أنعم عليك أولاً بالإيجاد وثانياً بتوالي الإمداد قلت توالي الأمداد هو تتابعه وأتصاله سواء كان حسياً أو معنوياً ففي كل ساعة ولحظة أنت مفتقر إلى أمداده قلباً وقالباً كما أبان ذلك بقوله فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرة لك بما خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض قلت الفاقة الذاتية هي الأصلية الحقيقة والأسباب المحركة لها هي العوارض الجلالية وهي كل ما يقهر النفس ويزعجها عن حظوظها وتصرفاتها العادية وإنما كانت فاقتناً ذاتية لا تفارقنا ساعة واحدة لأن نشأتنا مركبة من حس ومعنى ولا يقوم الحس إلا بالمعنى والمعني هو أسرار الربوبية القائمة بالأشياء فأشباحنا مفتقرة في كل لحظة إلى نعمة الأمداد بعد نعمة الإيجاد ولا الحكمة إلا بالقدرة ولا البشرية إلا بالروحانية والروح سر من أسرار الله قال تعالى قل الروح من أمر ربي فالبدن قائم بالروح والروح أمر من أمر الله وكل شيء قائم بأمر الله فأفتقار البشرية للروحانية حاصل على الدوام قال تعالى في نعمة الأيجاد يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد، فهذا هو الأفتقار إلى نعمة الإيجاد ثم قال في نعمة الأمداد أن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وهذا هو افتقارنا إلى النعمة الأمداد وقال تعالى في أفتقار بقية العالم أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا فالكون كله قائم بأمر الربوبية مظهر من مظاهرها لا قيام له بدونها قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه الحق سبحانه مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الجود فإذا أنقطعت المادة أنهد الوجود اه والمراد بالوجود ظهور الحس وعين الجود هو المعاني اللطيفة القديمة يعني أن الحق تعالى مستبد أي قائم بنفسه وظهور تجلياته مستمدة من باطن صفاته ومادة الأشياء كلها من عين الجود وهي نعمة الإيجاد والأمداد فإذا أنقطعت المادة أي مادة المعنى من الحس أضمحل الحس واضمحلت الأكوان فلو ظهرت صفاته أضمحلت مكوناته ففاقتك أي أفتقارك أيها الأنسان لك ذاتية أي أصلية حقيقية لكنها خفية وورود الأسباب المحركة لظهور تلك الفاقة وهي الشدة والحيرة وكل ما يلجئك إلي مولاك مذكرة لك ما خفي عنك منها يعني أن فاقتك لا تفارقك إذ كل لحظة تفتقر إلى من يمدك بالوجود في الساعة الثانية إلا أنها خفية لا تذكرها حتى يتحرك

عليك أسباب ظهورها كالفتن والمرض وغيرهما والفاقة الأصلية الذاتية لا ترفعها العوارض وهي الصحة والعافية فما دام العبد في العافية ففاقته خفية لا يتفطن لها إلا العارفون لأنه لا يزول أضطرارهم فإذا قام عليه جلال أو محرك ظهر أفتقاره وتحقق أضطراره مع أنه دائم في الفاقة حسه ومعناه والله تعالى أعلم ثم أن رجوع الشيء إلى أصله مرغب فيه وخروجه عن أصله لا خير فيه وأصلك أيها الأنسان هو الفاقة والأضطرار والذلة والأنكسار فكل ما يردك إلى أصلك فهو لك في غاية الحسن والأختيار كما أبان ذلك بقوله خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه إلى وجود ذلتك قلت إنما كان شهود الفاقة هو خير أوقاتك لوجهين أحدهما ما في ذلك من تحقيق العبودية وتعظيم شأن الربوبية وفي ذلك شرف العبد وكماله إذ بقدر تحقيق العبودية في الظاهر يعظم شهود الربوبية في الباطن أو تقول بقدر العبودية في الظاهر تكون الحرية في الباطن أو تقول بقدر الذل في الظاهر يكون العز في الباطن أو تقول بقدر وضع الظاهر يكون رفع الباطن من تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره وأنظر أشرف خلق الله وهم الأنبياء بماذا خاطبهم الله تعالى فما خاطبهم إلا بالعبودية قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً وأذكر عبادنا إبراهيم وأسحق ويعقوب وأذكر عبدنا داوود ذا الأيد وأذكر عبدنا أيوب.

وقد أختارها نبينا صلى الله عليه وسلم حين خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فأختار أن يكون نبياً عبداً فدل على أن أشرف حال الأنسان هو العبودية فبقدر ما يتحقق بها في الظاهر يعظم قدره في الباطن ومهما خرج منها في الظاهر بإظهار الحرية أدبته القدرة وردته القهرية حتى يرجع إلى أصله ويعرف ماله وعليه الوجه الثاني ما في الفاقة من مزيد المدد وطلب الأستمداد إنما الصدقات للفقراء والمساكين أن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك كما يأتي أن شاء الله وقد جعل الله النصر والفتح مقرونين بالفاقة والذلة وتحقيق الضعف والقلة قال الله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال تعالى وأذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وجعل الخذلان وعدم النصر والمعونة في أظهار الحرية والقوة قال تعالى ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وذلك لما وقع من بعض الصحابة الذين كانوا حديثي عهد بإسلام فأدبهم الله بإظهار الحرية لكن عمت الفتنة قال تعالى وأتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهذا وجه ذكر الآية قبل ذكر القضية والله تعالى أعلم فإذاً خير أوقاتك أيها المريد وقت تشهد فيه وجود فاقتك أي ظهورها وإلا فهي كامنة فيك كما تقدم وتسمى عند المتأخرين الحيزة وهي الشدة فهي خير لك من ألف شهر أن عرفت فيها ربك والمعرفة فيها أن تسكن عن التحرك والأضطراب وتقطع النظر عن التعلق بالأسباب وترجع فيها إلى مسبب الأسباب وتعلق همتك برب الأرباب وتكتفي بعلم الله الكريم الوهاب ولقد سمعت شيخنا اليزيدي رضي الله عنه يقول العجب من الأنسان يرى الخير أو الفتح واصلاً إليه وقادماً عليه ثم يقوم يبادر بسد الباب في

وجهه وهو أن يرى الفاقة قادمة عليه فيبادر إلى الأسباب التي تقطعها عنه قبل وصولها فقد كان الربح واصلاً إليه فقام فرده أو ما هذا معناه وخير أوقاتك أيضاً وقت تشهد فيه وجود ذلتك كما تقدم لأنه سبب عزك ونصرك إذ الأشياء كامنة في أضدادها العز في الذل والغنى في الفقر والقوة في الضعف والعلم في الجهل أي في إظهار الجهل إلى غير ذلك قال تعالى ونريد أن نمن على الذين أستضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وقال تعالى في حق الصحابة رضي الله عنهم حين كانوا في حالة الأستضعاف والأذاية تسلية لهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم الآية ومما جرت به العادة الألهية أن الفرج علي قدر الضيق فبقدر الفقر يكون الغنى وبقدر الذل يكون العز وبقدر العسر يكون اليسر والحاصل بقدر الجلال يكون الجمال عاجلاً وآجلاً قال تعالى، فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا، ولن يغلب عسر يسرين كما في الحديث حيث قال عليه السلام لأبن عباس رضي الله عنه وأعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا اه.

ثم إذا صح فقرك إليه وتحققت ذلتك بين يديه أتحفك بأنسه وزج بك في حضرة قدسه كما أشار إلى ذلك بقوله متى أوحشك من خلقه فأعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به قلت هذه سنة الله تعالى في خلقه إذا أراد أن يؤنس عبده بذكره ويتحفه بمعرفته أوحشه من خلقه وشغله بخدمته وألهمه ذكره حتى إذا أمتلأ قلبه بالأنوار وتمكن من حلاوة الشهود والأستبصار رده إليهم رحمة لهم لأنه حينئذ لقوته يأخذ منهم ولا يأخذون منه ومثاله في الحس كفتيلة شعلتها فما دامت ضعيفة لا بد أن تحفظها من الريح وتقصد بها المواضع الخفية فإذا أشتد نورها وأشعلتها في الحطب صعدت بها إلى ظهور الجبال فبقدر ما يصيبها الريح يعظم أشتعالها كذلك الفقير ما دام في البداية لا يليق به إلا الوحشة من الخلق والفرار منهم فإذا تمكن في الشهود فلا يليق به حينئذ إلا الخلطة معهم لأنهم لا يضرونه فمتي أوحشك أيها الفقير من خلقه وعزلك عنهم في قلبك فأعلم أنه تعالى أراد أن يؤنسك به ويغنيك بمعرفته فقد كان عليه السلام حين قرب أوان النبوة والرسالة حبب إليه الخلوة فكان يخلو بغار حراء وحكمة ذلك تصفية البواطن من الشواغل والشواغب لتتهيأ لقبول ما تتحمله من الأسرار والمواهب فإذا تطهر من الأكدار ملئ بالأنوار فأشرقت فيه شموس العرفان وتمكن من حضرة الشهود والعيان فهذه سنة الله في أوليائه وأصفيائه يفرون أولاً من الناس حتى يحصل لهم منهم الأياس ثم يردهم الحق إليهم رغماً على أنفهم لمقام الدلالة والأرشاد فينتفع بهم العباد وتحيا بوجودهم البلاد وفي مثلهم قال الشاعر

تحيا بكم كل أرض تنزلون بها　　كأنكم في بقاع الأرض أمطار
وتشتهي العين فيكم منظراً حسناً　　كأنكم في عيون الناس أزهار
ونوركم يهتدي الساري برؤيته　　كأنكم في ظلام الليل أقمار
لا أوحش الله ربعاً من زيارتكم　　يا من لهم في الحشا والقلب تذكار

نفعنا الله بهم وحققنا بمعرفتهم آمين ثم إذا فتح لك باب الأنس وتشوقت إلى حضرة القدس ثم أطلق لسانك بطلبها فأعلم أنه يريد أن يفتح لك بابها كما أشار إلى ذلك بقوله متى أطلق لسانك بالطلب فأعلم أنه يريد أن يعطيك قلت لأن الحق تعالى جعل الطلب سبباً من الأسباب فإذا أراد أن ينجز للعبد ما سبق له فتح له فيه باب الطلب فإذا حصل منه الطلب حصل ذلك الذي قسم له في الأزل أظهاراً لحكمته وأخفاء لقدرته وتغطية لسره فالدعاء من جملة الأسباب العادية كالحرث والدواء والزوج في الولد وغير ذلك وكل ذلك سبقت به المشيئة ونفذ به القضاء والقدر فما بقي الدعاء إلا أظهاراً للفاقة وإبقاء لرسم العبودية لا طلباً لحصول ما لم يكن جل حكم الأزل أن يضاف للأسباب والعلل فمتى أطلق لسانك أيها المريد بالطلب لشيء تجلى في قلبك أو إحتجت إليه فأعلم أن الحق تعالى أراد أن يعطيك ما طلبت منه فلا تحرص ولا تستعجل فكل شيء عنده بمقدار فإن أطلق لسانك في الدعاء من غير سبب فخير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك كما تقدم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة وقال أيضاً عليه السلام من أذن له في الدعاء منكم فقد فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئاً أحب إليه من العفو والعافية وقال الكتاني رضي الله عنه لم يفتح الله لسان المؤمن بالمعذرة إلا وقد فتح له بالمغفرة اه وقال الخفاف رحمه الله وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذاك ما منح الدعاء وفي ذلك قيل

لو لم ترد نيل ما أرجوا وأطلبه　　من فيض جودك ما علمتني الطلبا

ثم هذا كله قبل فتح باب المعرفة وإذا فتح لك الباب فلا تحتاج إلى طلب لغناك بمسبب الأسباب فيكون دعاؤك إنما هو إظهار للفاقة والأضطرار اللازمتين لك مع كل نفس وفي كل وقت وحال كما أشار إليه بقوله العارف لا يزول أضطراره ولا يكون مع غير الله قراره قلت أما وجه كونه لا يزول أضطراره فلتحقق قيومية الحق به إذ الحس لا يقوم إلا بالمعنى فحس العبودية لا يقوم إلا بمعنى الربوبية فبقدر تحقق العبد بقيومية الربوبية يشتد أضطراره في ظاهر العبودية وأيضاً العارف لا يزال في الترقي فهو متعطش للزيادة على الدوام كما قال النقشبندي رحمه الله

وذو الصبابة لو يسقي على عدد الأن　　فاس والكون كأس ليس يرويه

وقال آخر

سقاني الحب كأساً بعد كأسفما نفذ الشراب ولا رويت وقال بعضهم لو شربت في كل لحظة ألف بحر لا ترى ذلك إلا قليلاً وتشهد شفتيك يابسة وكل ذلك كناية عن عدم النهاية وأن المقصود غير منضبط فالعارف لا يزال مفتقراً للزيادة على الدوام فلا يزول أضطراره على الدوام وقد قال الله تعالى لسيد العارفين وقل رب زدني علماً فالأضطرار إلى زيادة العلم لا ينقطع ولو جمع علوم أهل السموات والأرض قال تعالى مخاطباً للكل وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً وأما وجه كونه لا يكون مع غير الله قراره فلأن قلب العارف رحل إلى الله من الكون بأسره فلم تبق له حاجة إلى غيره فقراره إنما هو شهود الذات الأقدس فإن نزل إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالأذن والتمكن والرسوخ في اليقين فالعارف ليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار وأيضاً سابق العناية لا يتركه يركن إلى غير مولاه فمهما ركن قلبه إلى شيء شوشته عليه العناية وأكتنفته الرعاية فهو محفوظ من الأغيار محفوف من كل جهة بمدد الأنوار إذا كان الله حرس السماء من أستراق السمع فكيف لا يحرس قلوب أوليائه من الأغيار وما تولاهم بمحبته حتى حفظهم من شهود غيره فكيف بالركون فكيف بالسكون هيهات هيهات هذا لا يكون من كان ظاهره محفوفاً بالأنوار وباطنه محشواً بالأسرار فكيف يركن إلى شهود الأغيار كما أبان ذلك بقوله أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه قلت أنوار الظواهر هي ما ظهر على تجليات الأكوان من تأثير قدرته وأبداع حكمته كتزيين السماء بالكواكب والقمر والشمس وما فيها من أبداع الصنع وتمام الأتقان وكتزيين الأرض بالأزهار والثمار والنبات وسائر الفواكه وكتزيين الأنسان بالبصر والسمع والكلام وسائر ما فيه من عجائب الصنعة قال تعالى لقد خلقنا الأنسان في أحسن تقويم وقال تعالى أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها فهذه أنوار الظواهر وأنوار الأوصاف هي العلوم والمعارف والأسرار والمراد بالأوصاف أوصاف البوبية كالعظمة والعزة والجلال والجمال والكبرياء والكمال وغير ذلك من أوصاف الذات العلية والذات لا تفارق الصفات فإذا أشرقت السرائر بأنوار معرفة الصفات فقد أشرقت بأنوار معرفة الذات للتلازم الذي بين الصفات والذات ثم الناس في شهود هذه الأنوار الباطنة التي هي أنوار الأوصاف على ثلاثة أقسام قسم يشهدونها على البعد وهم أهل مقام الأسلام وقسم يشهدونها على القرب وهم أهل المراقبة من مقام الإيمان وقسم يشهدونها على الأتصال وهم أهل المعرفة من مقام الأحسان فأهل مقام الأسلام أنوارهم ضعيفة كأنوار النجوم وأهل مقام الإيمان أنوارهم متوسطة كنور

القمر وأهل مقام الأحسان أنوارهم ساطعة كأنوار الشمس فتحصل أن أنوار الباطن ثلاثة نجوم الأسلام وقمر التوحيد وشمس المعرفة وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض بقوله

لها البدر كأس وهي شمس يديرها　　　هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

فالضمير لخمرة المحبة وهي أيضاً شمس المعرفة فإذا مزجت لتشرب ظهر نجم الأسلام وإذا وضعت في الكأس طلع قمر التوحيد وهو الإيمان وإذا شربت أشرقت شمس المعرفة والذي يديرها على الشاربين هلال الهداية هذا معنى كلامه في الجملة وتشبيه الأنوار المعنوية بالأنوار الحسية إنما هو تقريب وإلا فأنوار القلوب كلها عظيمة حتى قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض فما ظنك بنور المؤمن المطيع وقال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه لو كشف عن حقيقة الولي لعبد من دون الله وقال في لطائف المنن ولو كشف الحق عن مشرقات قلوب أنوار أوليائه لا نطوي نور الشمس والقمر في مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس والقمر يطرأ عليهما الكسوف والغروب وأنوار قلوب أوليائه لا كسوف لها ولا غروب لذلك قال قائلهم

هذه الشمس قابلتنا بنور　　　ولشمس اليقين أبهرنوراً

فرأينا بهذه النور لكن　　　بهاتيك قد رأينا المنيرا

فأنار الحق سبحانه ظواهر الكائنات بأنوار الظواهر وهي النجوم والقمر والشمس في الحسن وتزيين الخلق وأبداعه وتخصيصه وتقييده عن شكل معلوم في الأنوار الخفية وتهذيب الجوارح وتطهيرها من الأنوار المعنوية وأنار سبحانه القلوب والسرائر بأنوار أوصافه وهي عظيمة الربوبية وأوصافها فإذا أشرقت في سماء القلوب الصحية والأسرار الصافية غاب العبد عن شهود الأغيار وغرق في بحر الأنوار فتفني الأشكال والرسوم ولا يبقي إلا الحي القيوم ثم ذكر الفرق بين أنوار الظواهر وأنوار السرائر فقال لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر و لم تأفل أنوار القلوب والسرائر أي لأجل أن أنوار الظواهر إنما هي أنوار الأثر ومن شأن الأثر أن يتأثر ويتغير بالطلوع والغروب فأفلت أي غريب أنوار الظواهر أما بالغروب المعلوم أو بالعدم المحتوم و لم تأفل أي تغرب أنوار القلوب وهي أنوار الأسلام والإيمان وأنوار السرائر وهي أنوار الأحسان فأنوار الأسلام والإيمان هي أنوار التوجه وأنوار الأحسان هي أنوار المواجهة فالنور عبارة عن اليقين الذي يحصل في القلب يثمر حلاوة العمل فإذا قوي اليقين قوي النور وأشتدت الحلاوة حتى يتصل بحلاوة الشهود فيغطي حلاوة العمل فلذلك يقل عمل الجوارح عند العارف إذ حلاوة الشهود تغني عن كل شيء ليس الخبر كالعيان وفي بعض الأحاديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قل

العلم بالله قالوا يا رسول الله سألناك عن العمل قال العلم بالله ثم قال في الثالثة عمل قليل كاف مع العلم بالله وحقيقة النور في الأصل كيفية تنبسط من النيرين على سطح الجسم فينكشف ما عليه بواسطة البصر ثم شبه به العلم واليقين والمعرفة لما بينهما من الشبه في كشف حقيقة الأشياء وتمييزها فالنور الحسي ينقطع بأنقطاع أصله والنور المعنوي الذي هو نور القلوب لا ينقطع أبداً فلذلك أنشد الشيخ هذا البيت فقاله ولذلك قيل

أن شمس النهار تغرب بليل　　　　وشمس القلوب ليست تغيب

وليس هو من عند المؤلف بل هو لغيره وسيأتي في المناجاة بتمامه أن شاء الله قال الشيخ زروق رضي الله عنه فشمس القوب لا تغيب أبداً بل هي دائمة لا تنقطع وباقية لا تنصرم لبقاء مددها وهي معاني الأوصاف الربانية ودوام محالها وهي الأفاق الروحانية فالمتعلق بها متعلق بحقيقة لا تنصرم ومن هذا الوجه كان غني القوم بالله لا بالأسباب وتعلقهم به لا بشيء دونه اه هذا آخر الباب العاشر وحاصلها ذكر كيفية الجزاء على الأعمال والزجر على طلبه وتحقيق معرفته في عطائه ومنعه والأعتناء بأقباله وقبوله لا بخدمته ودوام الأضطرار بين يديه والأفتقار إلى نعمته والأستيحاش من خلقه بدوام أنسه ثم أشراق أنواره على قلوب أوليائه وأسرار أصفيائه جزاء لأقبالهم عليه وأنحياشهم إليه فإذا أتحفهم بذلك وهيأهم لما هنالك تلي عليهم قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية كما نبه عليه في أول الباب الحادي عشر بقوله وقال رضي الله عنه ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الأختيار قلت إذا أصابتك أيها الأنسان مصيبة أو نزلت بك بلية في بدن أو أهل أو مال فأذكر من أنزل ذلك عليك وما هو متصف به من الرحمة والرأفة بك والمحبة والعطف عليك لعلك تفهم ما في طي ذلك من النعم وما يعقبه من سوابغ الفضل والكرم ولو لم يكن ألا تطهيرك من الذنوب وتمحيصك من الغيوب وتقريبك من حضرة علام الغيوب فهل تعودت منه إلا الأحسان وهل رأيت منه إلا غاية المبرة والأمتنان فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الأختيار فالذي واجهتك منه أحكام قهره هو الذي عودك تمام أحسانه وبره فالذي واجهتك منه ظواهر المحن هو الذي أسبغ عليك بواطن المنن فالذي واجهتك من حضرة قهاريته الرزايا هو الذي أتحفك بأنواع الكرامات والهدايا ولله در صاحب العينية حيث يقول

تلذ لي الآلام إذ أنت مسقمي　　　　وأن تمتحني فهي عندي صنائع

تحكم بما تهواه في فانني　　　　فقير لسلطان المحبة طائع

قال الجنيد رضي الله عنه كنت نائماً بين يدي السري فأيقظني وقال لي يا جنيد رأيت كأني وقفت بين يديه فقال لي يا سري خلقت الخلق فكلهم أدعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر فخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم فما تريدن قالوا إنك تعلم ما نريد فقلت أني مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي أتصبرون قالوا أن كنت أنت المبتلي فافعل ما شئت هؤلاء عبادي حقاً اه وقال في التنوير وإنما يعينهم على حمل الأحكام فتح باب الأفهام وأن شئت قلت وأنما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن أختياره وأن شئت قلت وإنما يصبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه وأن شئت قلت إنما يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود إجماله وأن شئت قلت إنما صبرهم على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضى وأن شئت قلت إنما صبرهم على الأقدار كشف الحجب والأستار وإن شئت قلت إنما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وأبراره اه وإلى هذا الأخير أشار بقوله من ظن الفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره قلت من أعظم أحسان الله وبره كون لطفه لا ينفك عن قدره فما نزل القدر إلا سبقه الطف وصحبه وبهذا حكم النقل والعقل أما العقل فما من مصيبة تترل بالعبد إلا وفي قدرة الله ما هو أعظم منها وقد وجد ذلك فإذا نزلت بك أيها الأنسان مصيبة فأذكر من هو أعظم منك بلاء فكم من أنسان يتقطع بالأوجاع وكم من أنسان مبتلي بالجذام والبرص والجنون والعمى وكم من أنسان مطروح في الفنادق لا يجد من يبريه إلا من أبتلاه وكم من أنسان أعمي أو مقعداً أو محموم إلى ما لا يتناهي نسأل الله عافيته الدائمة في الدارين وأما من جهة النقل فقد ورد في ثواب الأمراض

والأوجاع أحاديث كثيرة وآيات قرآنية في مدح الصابرين منها قوله تعالى إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله تعالى بشر الصابرين الآية أن الله مع الصابرين إلى غير ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها وحتىالهم يهمه إلا كفر به سيأته وورد في الحمى أحاديث كثيرة وأن حمى ساعة تكفر سنة إلى غير ذلك وقد ذكر الشيخ ابن عباد رضي الله عنه منها جملة شافية فليطالعه من أراد تكثير الأجور ورفع الستور والرضى بالمقدور وما ذكرناه كاف أن شاء الله وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول كلام النية قصير وبالله التوفيق فالأمر واضح لمن هو لنفسه ناصح فلا يخاف عليك من الجهل بالحق وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى وجهلة الخلق كما أشار إلى ذلك بقوله لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك قلت لا شك أن الله سبحانه بين لنا طريق الوصول على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فبين لنا أعلام

الشريعة ومنار الطريقة وأنوار الحقيقة فقرر لنا شرائع الأسلام وقواعد الإيمان ومقام الأحسان فما ترك صلى الله عليه وسلم شيئاً يقربنا إلى الله إلا دلنا عليه ولا شيئاً يبعدنا عنه إلا حذرنا منه لم يأل جهداً في أرشاد العباد وإظهار طريق السداد فما رحل إلى الله تعالى حتى ترك الناس على الدين القويم والمنهاج المستقيم على طريق بيضاء لا يضل عنها إلا من كان أعمى قال تعالى "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الأسلام ديناً" وقال تعالى "لا أكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" وقال عليه السلام لقد تركتكم على الحنيفية السمحة وفي رواية على الملة البيضاء نهارها كليلها أو كما قال عليه السلام وقال أحمد بن حضرويه البلخي رضي الله عنه الطريق واضح والدليل لا ئح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى وسمعت رابعة العدوية صالحاً المري يقول من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت له الباب مفتوح وأنت تفر منه كيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق إليه في أول قدم اه كلامها رضي الله عنها فلا يخاف عليك أيها المريد أن تلتبس الطرق الموصلة إلى الله تعالى عليك لأنها في غاية الوضوح وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصمك ويعميك، أن الهوى ما تولى يصم أو يصم، فلا يخاف عليك التباس الهدى إنما يخاف عليك أتباع الهوى فلا

يخاف عليك التباس الحق وإنما يخاف عليك جهلة الخلق وأن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله فلا يخاف عليك عدم وجود أهل التحقيق وإنما يخاف عليك قطاع الطريق لا يخاف عليك من خفاء أهل الحق إنما يخاف عليك من قلة الصدق فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم والله ما حجبهم عنك إلا من عدم صدقك فلو حسنت ظنك بالله وبأولياء الله لرفع الله الحجاب بينك وبينهم ووجدتهم أقرب إليك من أن ترحل إليهم فسبحان من سترهم في حال ظهورهم وأظهرهم في حال خفائهم كما نبه عليه الشيخ بقوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية في أظهار العبودية قلت الخصوصية هي نور الحق يشرقه الله في قلوب خواص عباده امقربين بعد تطهيرها من الأكدار وتتريهها عن المساوي والأغيار بغيبون به عن شهود أنفسهم بشهود محبوبهم وسرها هو ما أحتوى عليه ذلك النور من الكمالات العلية والنعوت القدسية والصفات السنية التي تليق بالمتحلى به كالكبرياء والعز والقوة والعظمة والأجلال وكالأتصاف بالقدرة التامة والعلم المحيط وسائر أوصاف الكمال ثم أن الحق سبحانه من عظيم حكمته وباهر قدرته أن ستر تلك الأوصاف اللازمة لذلك النور بظهور أضدادها التي هي أوصاف العبودية فستر كبرياءه وعظمته بظهور الذل والفقر والضعف على العبد وستر قدرته وأراداته بظهور العجز والقهرية عليه وستر علمه المحيط بظهور الجهل والسهو إلى غير ذلك من أوصاف العبودية المقابلة لأوصاف الربوبية فسبحان من جعل الأشياء كامنة في أضدادها ستر كمالات الربوبية بنقائص العبودية ولولا ذلك لكان السر غير مصون والكتر غير مدفون وسيأتي قوله ستر أنوار السرائر بكثائف

الظواهر أجلالاً لها أن تبتذل بالأظهار وأن ينادي عليها بلسان الأشتهار اه ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه لو كشف عن نور الولي لعبد من دون الله وثبت عن الشيخ أبي يزيد رضي الله عنه أنه لما تجلى له هذا النور قال سبحاني ما أعظم شأني وقال الحلاج رضي الله عنه

أنا أنت بلا شك سبحانك سبحاني

توحيدك توحيدي وعصيانك عصياني

وقال أيضاً

سبحان من أظهر ناسوته سر سناء لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الآكل والشارب

حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

وبإظهار هذا وأمثاله قتل رضي الله عنه فمن لطف الله تعالى ورحمته أن ستر ذلك السر بظهور نقائصه صوتاً لذلك السر أن يظهر لغير أهله ومن أفشاه لغير أهله قتل كما فعل بالحلاج وكما ستر سر الخصوصية بظهور أضدادها ظهر بعظمة الربوبية في مظاهر العبودية قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه العبودية جوهرة أظهر بها الربوبية اه إذ الربوبية تقتضي مربوباً موصوفاً بضد ما أتصف به ربه من الكمالات الألهية والنعوت القدسية فما ظهرت أوصاف الربوبية التي هي الغنى والعز والقدرة وغير ذلك من الكمالات إلا في أضدادها من الفقر والذل والضعف وغير ذلك فالفقر الحقيقي شامل لسائر الموجودات والغنى المطلق واجب لمن تجلى في الأرض والسموات يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد فإذا تقرر هذا علمت أن الأضافة في سر الخصوصية ليست هي للبيان بل هي للتخصيص فسر الخصوصية غيرها إذا الخصوصية هي النور الذي يقذفه الله سبحانه في قلوب أوليائه وسرها هو الكمالات التي تلازم ذلك النور كما تقدم وأعلم أن سر الخصوصية الذي جعله الله في بواطن أوليائه وستره بظهور وصف بشريتهم قد يظهره عليهم على وجه خرق العادة فقد يظهر على وليه من قدرته وعلمه وسائر كمالاته ما تحار فيه العقول وتذهل فيه الأذهان لكن لا يدوم ذلك لهم بل يكون على سبيل الكرامات وخرق العادات يشرق عليهم شموس أوصافه فيتصفون بصفاته ثم يقبض ذلك عنهم فيردهم إلى حدودهم فنور الخصوصية وهي المعرفة ثابت لا يزول ساكن لا يحول وسرها وهو كمالاته تعالى تارة يشرق على أفق بشريتهم فيستنير بأوصاف الربوبيه وتارة ينقبض عنهم فيردون إلى حدودهم وشهود عبوديتهم فالمعرفة ثابته والواردات مختلفة والله تعالىأعلم وأعلم أيضاً أن أوصاف البشرية التي ستر الله بها سر

الخصوصية إنما هي الأوصاف الذاتية اللازمة للبشر كالأكل والشرب والنوم والنكاح لا الأوصاف المذمومة المناقضة للعبودية كالكبر والعجب والحسد والغضب وغير ذلك فإن تلك أوصاف ذهبت بظهور نور العناية وسابق الهداية إذ لا تثبت الخصوصية إلا بعد محوها بخلاف الأوصاف الذاتية فإنها تجامع الخصوصية كما سيأتي أن شاء الله بل هي حجابها وصوانها وبوجودها وقع الستر والخلفاء لأولياء الله تعالى غيرة عليهم أن يعرفهم من لا يعرف قدرهم قال في لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الأيواء فقليل من يعرفهم وسمعت الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوق مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته اه تنبيه هذا النور الذي أشرقه الله في قلوب أوليائه كان كامناً في الروح في أصل بروزها فأصلها نورانية عالمة بأسرار الغيب دراكة للأشياء على حقيقتها وإنما حجبها عن ذلك سجنها في هذا البدن الطيني وأشتغالها بحظوظه وشهواته فمن أدبها وريضها على يد شيخ كامل رجعت إلى أصلها قال في المباحث

ولم تزل كل نفوس الأحيا　　علامة دراكة للأشيا
وإنما تعوقها الأبدان　　والأنفس النزع والشيطان
فكل من أذاقهم جهاده　　أظهر للقاعد خرق العاده

فإذا كمل تطهير الروح من الأغيار وأشرقت عليها شموس الأنوار كوشفت بأسرار الذات وأنوار الصفات فغرقت في بحر التوحيد الذي تكل عنه العبارة ولا تلحقه الأشارة وهو التوحيد الخاص الذي أشار إليه الهروي بقوله

ما وحد الواحد من واحد　　إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته　　عارية أبطلها الواحد
توحيده أياه توحيده　　ونعت من ينعته لأحد

ومضمنه أن الحق سبحانه تولي توحيد نفسه بنفسه فكل من أدعي أنه وحده بنفسه فهو جاحد لوحدانيته حيث أشرك معه نفسه وكل من ينعته بنفسه فهو لأحد أي مائل عن الصواب والله تعالى أعلم فإذا طلبت ربك في تطهيرك من وصف البشرية ليكشف لك سر الخصوصية ثم تأخر مطلبك فإنما ذلك من سوء أدبك كما نبه عليه بقوله لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك قلت هذه قاعدة عامة وأن كانت مناسبتها خاصة فإذا طلبت شيئاً ثم تأخر ظهور ذلك المطلب فإنما ذلك لما فاتك

من حسن الأدب ولو لم يكن إلا قصد خصوص ذلك الطلب فلا تطالب ربك أن يعجل مطلبك بسبب تأخره عنك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فلو أحسنت الأدب في الطلب لقضيت حاجتك معنى وأن لم تقض حساً وحسن الأدب هنا هو أكتفاؤك بعلمه ورضاك بحكمه وأعتمادك على ما أختاره لك دون ما أخترته لنفسك لقلة علمك فقد ضمن لك الأجابة فيما يريد لا فيما تريد وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد ولله در القائل

وكم رمت أمراً خرت لي في أنصرافه	فلا زلت لي مني أبر وأرحماً
عزمت علي إلا أحس بخاطر	على القلب إلا كنت أنت المقدماً
وإلا تراني عند ما قد نهيتني	لأنك في نفسي كبيراً معظماً

قال وهب بن منبه رضي الله عنه قرأت في بعض الكتب يا أبن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك أني عالم بخلقي إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي وأعظم الآداب وأكملها أمتثال أمره والأستسلام لقهره كما نبه عليه بقوله متى جعلك في الظاهر ممتثلاً لأمره وفي الباطن مستسلماً لقهره فقد أعظم المنة عليك قلت إنما كان من أعظم المنة لأنه شاهد المعرفة التي هي منتهي الهمم وأقصي غاية النعم فأمتثال الأمر في الظاهر يدل على كمال الشريعة وتحقيق العبودية والأستسلام للقهر في الباطن يدل على كمال الطريقة ونهاية الحقيقة والجمع بينهما هو غاية الكمال إذ منتهي الكمالات الشرائع فمتي جعلك أيها الأنسان في الظاهر ممتثلاً لأمره ومجتنباً لنهيه وفي الباطن مستسلماً لقهره فقد أعظم المنة عليك حيث أراح ظاهرك من عنت المخالفة وأراح باطنك من تعب المنازعة أو تقول حيث زين ظاهرك بالطاعة وزين باطنك بالمعرفة فالواجب عليك أن تشكر هذه النعمة وتعرف قدرها حتى تعظم محبة الله في قلبك وذلك أقصى مرادك وقصدك والله ذو الفضل العظيم ومتى أثبت لك هذا الأمر فقد خلصك من نفسك وحررك من رق حظك فلا تبال معها ما فاتك من تخصيص الكرامات الحسية لأنها أمور وهمية كما أشار إلى ذلك ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه قلت المراد هنا بالتخصيص تخصيصه بالكرامات الحسية والمراد بالتخليص تخليصه من رق الحظوظ ومن بقية السوى فليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات الحسية كمل تخليصه من حظوظه النفسية ليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات كمل تخليصه من العوائد والشهوات بل قد يعطي الكرامة الحسية بعض من لم يتخلص من حظوظه النفسية وحكمة ظهورها عليه ثلاثة أمور أحدها أنهاضه في

العمل لحصول فترة أو وقعة الثاني أختبار له هل يقف معها فيحجب أو يأنف عنها فيقرب الثالث زيادة في يقينه أو يقين الغير فيه لينتفع به فهي مقصودة بالتكميل على كل حال قال سهل رضي الله عنه لرجل قال له أني أتوضأ فأجد الماء يسقط من يدي قضبان ذهب وفضة فأجابه بقوله أما علمت أن الصبيان إذا بكوا أعطوا خشخاشة يشتغلون بها قال بعض العلماء ما رأيت هذه الكرامات إلا على أيدي البله من الصادقين اه قلت الكرامة العظمى هي المعرفة والأستقامة ورفع الحجاب وفتح الباب فلا كرامة أعظم من هذا وسيأتي الكلام على هذا المعنى بعد أن شاء الله ويحتمل أن يريد بالتخصيص تخصيص التقريب والهداية فليس كل من ثبت تخصيصه بالهداية وشروق الأنوار كمل تخليصه من رؤية الأغيار فقد يخصص بالمجاهدة والمكابدة ولا يتحف بالمعرفة والمشاهدة قوم أقامهم لخدمته وقوم أختصهم بمحبته كما تقدم فالعباد والزهاد ثبت تخصيصهم فهم من عوام المقربين و لم يكمل تخليصهم من شهود السوى حتى يكونوا من خواص العارفين وبالله التوفيق هذا آخر الباب الحادي عشر وحاصلها تحقيق الأدب في التعرفات الجلالية بدوام معرفته وشهود نعمته في نعمته وجريان لطفه وبره في حال قضائه وقدره حتى لا يغلبك الهوى فتلتبس عليك سبل الهدى أو تقف مع ظاهر الأشياء التي هي محل الجلال فتحجب عن البواطن التي هي مستقر الجمال فالذات جلال والصفات جمال فمن وقف مع ظواهر الجلال حجب عن شهود الجمال وحرم من معرفة الرجال وكان محجوباً عن ذي العظمة والجلال فيسيء الأدب ويحرم حصول المطلب فإذا أستدركته العناية وهبت عليه ريح الهداية شغل ظاهره بوظائف العبودية وباطنه بشهود الربوبية فكان في الظاهر ممتثلاً لأمره وفي الباطن مستسلماً لقهره فتمت عليه نعمة مولاه وكمل تخليصه من رق حظوظه وهواه فح يعظم ما عظم مولاه ولا يستحقر شيئاً من أسباب محبته ورضاه كما أبان ذلك في أول الباب الثاني عشر بقوله وقال رضي الله عنه لا يستحقر الورد إلا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بأنطواء هذه الدار وأولى ما يعتني به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه قلت الورد في اللغة هو الشرب قال تعالى بئس الورد المورود وفي الأصطلاح ما يرتبه العبد على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات والوارد في اللغة هو الطارق والقادم يقال ورد علينا فلان أي قدم وفي الأصطلاح ما يتحفه الحق تعالى قلوب أوليائه من النفحات الألهية فيكسبه قوة

محركة وربما يدهشه أو يغيبه عن حسه ولا يكون إلا بغتة ولا يدوم على صاحبه ثم أن الورد ينقسم على ثلاثة أقسام ورد العباد والزهاد من المجتهدين وورد أهل السلوك من السائرين وورد أهل الوصول من العارفين فأما ورد المجتهدين فهو أستغراق الأوقات في أنواع العبادات وعبادتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام وقد ذكر في الأحياء والقوت أوراد النهار وأوراد الليل وعين لكل وقت وردا معلوما وأما ورد

السائرين فهو الخروج من الشواغل والشواغب وترك العلائق والعوائق وتطهير القلوب من المساوي والعيوب وتحليتها بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل وعبادتهم ذكر واحد وهو ما يعينه له الشيخ لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرب وأما ورد الواصلين فهو أسقاط الهوى ومحبة المولى وعبادتهم فكرة أو نظرة مع العكوف في الحضرة فكل من أقامه مولاه في ورد فليلتزمه ولا يتعدى طوره ولا يستحقر غيره إذ العارف لا يستحقر شيئاً بل يصير مع كل واحد في مقامه ويقرر كل شيء في محله فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد إلا جهول أو معاند وكيف يستحقر الورد وبه يكون الورود على الملك المعبود الورد يوجد ثوابه وثمرته في الدار الآخرة والوارد الذي تطلبه ينطوي بأنطواء هذه الدار قال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعلمون وجاء في الأثر أن الله يقول أدخلوا الجنة برحمتي وتقاسموها بأعمالكم وأيضاً المراد من الواردات ثمراتها ونتائجها وهو ما يعقبها من اليقين والطمأنينة والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن فإذا أعطتك نتائجها وجنيت ثمراتها فلك في الله غني عنها فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد إلا من كان عبد الوارد وأما من كان عبد الله فلا يلتفت إلى ما سواه بل يلزم ما هو مكلف به من وظائف العبودية قياماً بحق عظمة الربوبية فهو الذي يدوم وبه يتوصل إلى رضى الحي القيوم وأولى ما يعتني به الأنسان ما ينقطع وجوده بأنقطاع موته وهو ورده فيغتنم وجوده ما دام في هذه الدار فليس في تلك الدار عمل وإنما هي دار جزاء وحصول أمل فالدنيا دار عمل لا جزاء فيها والآخرة دار جزاء لا عمل فيه فلغتنم الأنسان عمره قبل الفوات فما من زمن يخلو عنه إلا وهو فائت منه وقد جاء في الحديث لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة اه والذكر متنوع كل بحسب حاله وقال الحسن رضي الله عنه أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم على دنانيركم ودراهمكم وفي معنى ذلك قيل

السباق السباق قولاً وفعلاً　　　حذر النفس حسرة المسبوق

وفي بعض الأحاديث عنه عليه السلام من أستوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شراً من أمسه فهو محروم ومن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان ومن كان في النقصان فالموت خير له وأولى ما يعتني به العبد أيضاً ما هو طالبه منه الحق تعالى وهو الورد دون ما يطلبه هو منه وهو المراد فالورد من وظائف العبودية وهو الذي طلبه منا الحق تعالى والوارد من وظائف الحرية ولذلك تطلبه النفس وتتعشق إليه وأين ما هو طالبه منا مما هو مطلبنا منه بينهما فرق كبير قال الشيخ زروق رضي الله عنه بينهما في القدر ما بينهما في الوصف قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق اه فتحصل أن الأعتناء بالورد أفضل وأكمل من الأعتناء بالوارد لأن الورد من وظائف العبودية وهي لا تنقطع ما دام العبد في هذه الدار

كما أن حقوق الربوبية لا تنقطع كذلك حقوق العبودية لا تنقطع قال النقشبندي رحمه الله ولهذا لم يترك العبادة سيد هذا المقام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له كيف تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً فأفاد صلى الله عليه وسلم أن شكر النعمة تمام الخدمة وهو موجب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وهذا سبيل طائفة الجنيد رضي الله عنه لم يترك أوراده في حال نزاعه فقيل له في ذلك فقال ومن أولى مني بذلك وهذه صحائفي تطوي فلم يترك الخدمة رضي الله عنه في مثل هذه الحالة فكيف بسواها قيل له أن جماعة يزعمون أنهم يصلون إلى حالة يسقط عنهم التكليف قال وصلوا ولكن إلى سقر وقال في كلام آخر هذا كلام من يقول بالأباحة والسرقة والزنى عندنا أهون حالاً ممن يقول بهذه المقالة ولقد صدق رضي الله عنه في قوله هذا فإن الزاني والسارق عاص بزناه وسرقته ولا يصل إلى حد الكفر وأما القائل بسقوط الفرائض المعتقد لذلك فقد أنسل من الدين كأنسلال الشعرة من العجين فعض على هذا الأصل بالنواجذ يا أخي ولا تسمع كلام من أخذ الحقائق من الكتب وصار يتكلم بالزندقة والألحاد وأسقاط الأعمال على حسب فهمه وهواه قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به وقال تعالى قل أن كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله فعليك بمتابعته صلى الله عليه وسلم ومتابعة السلف الصالح في الأقوال والأفعال والأحوال تحز مقامهم وتكن معهم فالمرء مع من أحب اه كلام النقشبندي وهو حسن لأن من أخذ الحقائق من الكتب لاذوق عنده وإنما يترامى على الحقيقة بالعلم فيتبع الرخص ويسقط في مهاوي الهوى وأما من كان من أهل الأذواق فسره مكتوم وأمره محزوم عبادته أدب وشكر وهو أحق بدوام الشكر وكيف ينكر الواسطة ولولا الواسطة لذهب الموسوط قال أبو الحسن الدراج رضي الله عنه ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعدما أتحفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضي الله عنه العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك اه وقد رأى رجل الجنيد رضي الله عنه وفي يده سبحة فقال له أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا إلى ما وصلنا فلا نتركه أبداً اه فالشريعة باب والحقيقة بيت الحضرة قال تعالى "وأتوا البيوت من أبوابها" ثم قال "فلا دخول للحقيقة إلا من باب الشريعة ولله در سيدي عبد الله الهبطي الزجلي رضي الله عنه حيث يقول في منظومته

وثالث الفصول في الشريعه	لأنها إلى الهدى ذريعه
فكل باب دونها مسدود	ومن أتى من غيرها مردود
قد أصطفاها ربنا عز وجل	بفضله وجوده على الملل

طريقة العدنان للرحمن   محفوفة بالنور والرضوان
طوبى لمن أتى بها للعرض   والويل للذي بها لم يقض
يا أيها المريد أن أردت   وصال من بحبه شغفت
فشد منك الكف يا ولي   على شريعة النبي الأمي
حصل جميع ماله الشرع أرتضى   وكن لكل ما سواه رافضاً
ترى الفؤاد صافياً وشارقاً   وعن سوي المولي إلى المولي أرتقى

ثم قال

فبالشريعة الوصال للمنا   كالفوز بالبقاء من بعد الفنا
ومن يظن الخير في سواها   فإنه والله ما دراها

قلت وقد رأيت كثيراً من الفقراء قصروا من الشريعة فخرجوا من الطريقة وسلبوا نوراً الحقيقة ورأيت آخرين طال أمدهم في صحبة القوم و لم يظهر عليهم بهجة المحبين ولا سيما العارفين وما ذلك إلا لعدم التحفظ على مراسم الشريعة وكان شيخنا اليزيدي رضي الله عنه يقول كل من ترك الشريعة من غير جذب ولا عذر سلكوط كبير اه قلت والله ما رأينا الخير إلا فيها وما ربحنا إلا منها فالله يرزقنا الأدب معها إلى يوم الفصل والقضاء آمين ثم ذكر ثمرة الورد ونتيجته وهو المدد الألهي إذ بقدر الأستعداد تحصل الأمداد ولا أستعداد لها إلا بدوام الأوراد وتفرغ الفؤاد فقال وورود الأمداد بحسب الأستعداد قلت المراد بالأمداد أنوار التوجه للسائرين وأنوار المواجهة للواصلين فهي تتوالى على قلوب العباد بحسب التأهب والأستعداد فبقدر المجاهدة تكون المشاهدة وبقدر التخلية تكون التحلية وفائدة هذه الأمداد تطهير القلوب من الأغيار وتقديس الأسرار من غبش الحس والأكدار والوقوف مع الأنوار فلا تزال أمطار المدد تترل على أرض النفوس الطيبة والقلوب المطهرة والأرواح المنورة والأسرار المقدسة حتى تمتلأ بأنوار المعاني فح تنشق لها أسرار الذات وتتعلق لها أنوار الصفات فتغيب بشهود الذات عن أثر الصفات ثم ترد إلى شهود الصفات بالذت والذات بالصفات لا يحجبها جمعها عن فرقها ولا فرقها عن جمعها تعطي كل ذي حق حقه وتوفي كل ذي قسط قسطه قال شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه في بعض رسائله فإن قلتم أي وقت نكون كالجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب قلنا إذا زهدتم في الدنيا بالكلية وقطعتم الأياس من الرجوع إليها بالكلية ثم أعتقدتم في شيوخكم أهم كمل وأهم على قدم الأنبياء عليهم السلام من ورثة النبي صلى الله عليه وسلم فو الله العظيم ليترل عليكم المدد الليل والنهار والشهر والعام وفي كل وقت وساعة ولحظة حتى تمتلئ قلوبكم بمعرفة الله وتطمئن قلوبكم بذكر الله وتكونوا كالجبال الراسية هذا

معنى كلامه بإختصار رضي الله عنه وهو كما قال لأن الزاهد في الدنيا تفرغ قلبه وتجلى من الأكدار وتهيأ للأنوار فإذا نزل المدد وجد القلب متسعاً مطهراً منظفاً فملأه من أنواره وحلاه بحلية أسراره بخلاف ما إذا كان القلب معموراً بأغيار الدنيا لم يجد المدد موضعاً يترل فيه فيرجع من حيث جاء وأعتقاد كمال الشيوخ هو عين الصدق وبقدر الصدق ينبغ المدد ولا يمكن أن ينقطع الوهم أو يذهب الحس إلا بالصدق مع الزهد فبالزهد يتهيأ للمدد وبالصدق يفيض عليه المدد فكلما فاض ماء المدد غسل أوساخ الوهم فإذا لم يبق للوهم أثر حصل الغرق في البحر والله تعالى أعلم ثم فسر الأمداد وكيفية الأستعداد فقال شروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار قلت شروق أنوار المعارف في أفق سماء القلوب يكون على قدر صحوها من سحب الآثار وغيم الأغيار وغين الأنوار كما قال الشاعر

أن تلاشي الكون عن عين قلبي ... شاهد السر غيبه في بيان
فأطرح الكون عن عيانك وأمح ... نقطة الغبن أن أردت تراني

فبقدر صفائها ومحوها يكون تمام أشراق نورها فإذا انجلى عن سماء القلوب سحب الآثار وغيم الأغيار أشرق فيها نور الفنا فيغيب القلب والروح عن الرسوم و لم يبق إلا الحي القيوم وإذا أنجلت عن الأسرار غين الأنوار أشرق فيها نور البقاء فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ولصاحب العينية رضي الله عنه

فنيت بها عيني فما لي أنية ... هوية ليلى للأنية قاطع
وكنت كما أن لم أكن وهو أنه ... كما لم يزل فرداً وللكل جامع
فشمسي في أفق الألوهة مشرق ... وبدري في شرق الربوبية طالع
فأفنيتها حتى فنت وهي لم تكن ... ولكنني بالوهم كنت أطالع

فعلامة شروق هذه الأنوار ترك التدبير والأختيار والأكتفاء بنظر الواحد القهار كما أشار إليه بقوله الغافل إذا أصبح نظر في ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به قلت الغافل هو الجاهل بالله ولو كثر ذكره باللسان والعاقل هو العارف بالله ولو قل له ذكر اللسان إذ المعتبر هو ذكر الجنان فالغافل نفسه موجودة وآماله ممدودة إذا أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه فيدبر شؤنه ومأربه بعقله وحدسه فهو ناظر لفعله معتمد على حوله وقوته فإذا أفسخ القضاء ما أبرمه وهدم له ما أمله غضب وسخط وحزن وقنط فنازع ربه وأساء أدبه فلا جرم أنه يستحق من الله البعد ويستوجب في قلبه الوحشة والطرد إلا أن حصل له إياب وأذام الوقوف بالباب حتى يرفع عنه الحجاب فحينئذ يلتحق بالأحباب وأما العاقل وهو العارف فقد تحققت في قلبه عظمة ربه وأنجمع إليه بكلية قلبه فأشرقت في قلبه شموس العرفان وطوى من نظره وجود

الأكوان فليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار تصرفه بالله ومن الله وإلى الله فقد فني عن نفسه وبقي بربه فلم ير لها تركاً ولا فعلاً ولا قوة ولا حولاً فإذا أصبح نظر ماذا يفعل الله به فيتلقى كل ما يرد عليه بالفرح والسرور والبهجة والحبور لما هجم عليه من حق اليقين والغنى برب العالمين قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أصبحت وما لي سرور إلا مواقع القدر وقال أبو عثمان رضي الله عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته اه فإذا أراد الفقير أن يكون تصرفه بالله فلينعزل عن حظوظه وهواه فإذا أراد أن يفعل أمراً فليتأن ويصبر ويستمع إلى الهاتف فإن الله سبحانه يسمعه ما يريد أن يتوجه إليه فعلاً أو تركاً وقد جربنا هذا في سفرنا وأقامتنا فكنا لا نتصرف إلا بإذن خاص والحمد لله وصاحب الأعتناء كله هكذا مع التأني فإن التأني من الله والعجلة من الشيطان وكثيراً ما كان الشيخ المجذوب الولي العارف سيدي أحمد أبو سلهام ينشدني هذا البيت

تأن ولا تعجل لأمر تريده ... وكن راحماً بالخلق تبلى براحم

فعليك أيها المريد بالأعتناء بهذا الأمر وافهم عن الله في أمورك كلها وأنشد على نفسك

أتبع رياح القضا ودر حيث دارت ... وسلم لسلمى وسر حيث سارت

وأستعن على هذا الأمر بأدعيته عليه السلام في هذا المقام كقوله اللهم أني أصبحت لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أن أتقي إلا ما وقيتني فوفقني اللهم لما ترضاه مني من القول والفعل وفي عافية وسترانك على كل شيء قير وكقوله أيضاً عليه السلام اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهناً بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسيء بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط على من لا يرحمني إلى غير ذلك من الأدعية التي تكسب الرضى والتسليم والمقصود من دعائه عليه السلام فهم معانيها لا مجرد ألفاظها فالمراد المعاني لا الأواني والله تعالى أعلم ويجمع هذه المعاني وصية شيخ طريقتنا القطب ابن مشيش للرجل الذي قال له وظف علي وظائف وأوراد فغضب وقال له أرسول أنا فأوجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة فكن للفرائض حافظاً وللمعاصي رافضاً وأحفظ قلبك من أرادة الدنيا وحب النساء ومن الجاه وأيثار الشهوات وأقنع في ذلك كله بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضى وهو جماله تعالى فكن لله فيه شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط وهو جلاله فكن عليه صابراً وحب الله قطب تدور عليه الخيرات واصل جامع لجميع الكرامات وحصن ذلك كله أربعة صدق الورع وحسن النية

وأخلاص العمل ومحبة العلم ولا يتم ذلك إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح اه وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه أحرص أن تصبح وتمسي مفوضاً مستسلماً لعله ينظر إليك فيرحمك اه وقال بعضهم من أهتدى إلى الحق لم يهتد إلى نفسه ومن أهتدى إلى نفسه لم يهتد إلى الله أي من رأى الحق غاب عن نفسه ومن رأى نفسه حجب عن الله ثم أن العاقل الذي ينظر ما يفعل الله هو العارف كما تقدم لأنه هو الذي يتحقق فيه ذلك ومن علامته أنه لا يستوحش من شيء لمعرفته في كل شيء وفهمه عن الله في كل شيء بخلاف غيره من العباد والزهاد وهو الذي أشار إليه بقوله إنما أستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء ما أستوحشوا من شيء قلت العباد هم الذين غلب عليهم الفعل فهم مستغرقون في العبادة الحسية يقومون الليل ويصومون النهار شغلهم حلاوة العبادة عن حلاوة شهود المعبود فحجبوا بعبادتهم عن معبودهم والزهاد هم الذين غلب عليهم الترك فهم يفرون من الدنيا وأهلها ذاقوا حلاوة الزهد فوقفوا معه وحجبوا عن الله فهم يستوحشون من الأشياء لغيبتهم عن الله فيها ولو عرفوا الله في كل شيء ما أستوحشوا من شيء ولأنسوا بكل شيء وتأدبوا مع كل شيء والعارفون لنفوذ بصيرتهم شهدوا الخلق مظاهر من مظاهر الحق فحجبوا أولاً بالحق عن الخلق وبالمعنى عن الحس وبالقدرة عن الحكمة ثم ردوا إلى شهود الحق في الخلق والقدرة في الحكمة فحين عرفوه في كل شيء أنسوا بكل شيء وتأدبوا مع كل شيء وعظموا كل شيء وفي هذا المقام قال المجذوب رضي الله عنه

الخلق نوار وأنا رعيت فيهم   هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم

وقال سيدي علي رضي الله عنه على قول الشيخ أبي الحسن الشاذلي في شأن الخلق أراهم كالهباء في الهواء أن فتشتهم لم تجدهم شيئاً قال بل أن فتشتهم وجدتهم شيئاً وذلك الشيء ليس كمثله شيء يعني وجدتهم مظاهر من مظاهر الحق أنواراً من أنوار الملكوت فائضة من بحر الجبروت كما قال صاحب العينية رضي الله عنه

تجليت في الأشياء حين خلقتها   فها هي ميطت عنك فيها البراقع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة   ولم يك موصول ولا فصل قاطع

وقال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه

طلع النهار على قلبي حتى نظرت بعينيا   أنت دليلي يا ربي أنت أولى مني بيا

والحاصل أن العارفين بالله غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق فهم مع الخلق بالأشباح ومع الحق بالأرواح ماتوا وبعثوا وقامت قيامتهم وتبدلت في حقهم الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار

فهم يرون الأنوار والناس في ظلمة الأغيار كشف لهم في هذه الدار عن أسرار مكنوناته مسدولة عليها قهارية أستاره وسيكشف لهم في تلك الدار عن أسرار ذاته من غير حجاب الحكمة التي هي أثر صفاته كما أشار إلى ذلك بقوله أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته قلت إنما أمرك في هذه الدار أن تنظر إليه بواسطة مكوناته لأنك لا تقدر هنا أن تنظر إلى حقيقة ذاته المقدسة في عظمة الجبروت الأصلي بلا واسطة لضعف نشأتك وأن كان ذلك جائزاً عقلاً ولذلك طلبه سيدنا موسى عليه السلام لكن حكمة الحكيم أقتضت تغطية أسرار الربوبية بأنوار سبحات الألوهية إذ لا بد للحسناء من تقارب وللشمس من سحاب ولو ظهر من غير رداء الكبرياء لوقع الأدراك و لم يبق حينئذ ترقي فالترقي في أسرار الذات إنما هو بالنظر إلى أنوار الصفات وهو لا ينقطع أبداً في الدراين فلا تنال الذات من غير مظهر أصلاً فالمعنى لا تقبض إلا بالحس هذا مذهب أهل التحقيق من أهل المعاني فإن قلت كيف فرق الشيخ بين الرؤيتين بأعتبار الدارين والتحقيق أنها رؤية واحدة لأن المظهر متحد فالجواب أنه لما كان مظهر هذه الدار الحس فيه غالب على المعني والحكمة ظاهرة والقدرة باطنة ومظهر الدار الآخرة بالعكس المعنى فيه غالب على الحس والقدرة ظاهرة أنكشف ثم عن حقيقة الذات أكثر مما أنكشف هنا فبهذا المعنى وقع التفريق بين الرؤيتين ومثله قول الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه في حزبه الكبير عز الدنيا بالأيمان والمعرفة وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة اه هذا بإعتبار الخواص وأما العوام فلا يرون إلا الحس في هذه الدار وفي تلك الدار وأما الرؤية التي تحصل لهم يوم المزيد فيحتمل أن يظهر لهم نوراً من أنوار قدسه ويلهمهم المعرفة فيه وهو ظاهر الحديث أو يفنيهم عن حسهم في ذلك لوقت حتى يشدوا معاني الذات ويتلذذوا برؤيتها ثم يردهم إلى حسهم والحاصل أن تجلي الذات على قسمين قسم يكون بوسائط كثيفة ظاهرها ظلمة وباطنها نور ظاهرها حكمة وباطنها قدرة ظاهرها حس وباطنها معنى وهو تجلي هذه الدار وقسم يكون بوسائط لطيفة نورانية ظاهرها نور وباطنها نور ظاهرها قدرة وباطنها حكمة ظاهرها معنى وباطنها حس وهو تجلي دار الآخرة فالعارفون لما حصل لهم الشهود والمعرفة في هذه الدار وفي تلك الدار لا يحجبهم عن الله حور ولا قصور بل دائماً في النظرة والسرور والنضرة والحبور وذلك أنهم لما عرفهم به هنا لم يحجبهم هنالك يكوت المرء على ما عاش عليه ويبعث على مامات عليه بخلاف العامة فأنهم لما حجبهم هنا بشهود أنفسهم أنحجبوا هنالك عن رؤية معبودهم إلا في وقت مخصوص على وجه مخصوص ولذلك كتب ابن العربي الحاتمي إلى الأمام الرازي فقال له تعال نعرفك بالله اليوم قبل أن تموت فإذا تجلى الله لعباده أنكرته و لم تعرفه وسئل الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن رجل يدعي أنه يرى الله ببصره فأستدعاه فسأله عن ذلك فقال نعم فأنتهره ونهاه عن هذا القول ثم قيل له أمحق هوام مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته إلى بصره فنفذ

فرأى بصره بصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأي ما شاهدته بصيرته وإنما رأى بصره بصيرته فحسب اه والحاصل أنه أنعكس بصره في بصيرته فرآه ببصيرته وظن أنه رآه ببصره ومعني ذلك أن الروح ما دامت محجوبة بالبشرية كان النظر إنما هو للبصر الحسي فلا يرى إلا الحس فإذا أستولت الروحانية على البشرية أنعكس نظر البصر إلى البصيرة فلا يرى البصر إلا المعاني التي كانت تراها البصيرة وهو معنى قول شيخ شيوخنا المجذوب

غيبت نظري في نظر وأفنيت عن كل فاتي

حققت ما وجدت غير وأمسيت في الحال هاني

والله تعالى أعلم وإنما أمرك في هذه الدار أن تنظر إليه في مكوناته تسلية لك عن شهود ذاته والنظر إليه إذ لا صبر للمحب عن محبوبه كما أبان ذلك بقوله لما علم إنك لا تصبر عنه أشهدك ما برز منه قلت لما فصل الحق سبحانه هذه الروح التي هي لطيفة نورانية من أصلها وتغربت عن وطنها تعشقت إلى أصلها وتعطشت إلى محبة سيدها فلما علم الحق سبحانه أنها لا تصبر عنه ولا تقدر أن تراه على ما هو عليه من كمال جلاله ونور بهاء جماله ما دامت في هذا السجن الذي هو قفص البدن أشهدها الحق تعالى ما برز منه من تجلياته في مظاهر مكوناته وآثار صفاته لكن لا بد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب فبرزت أنوار الجبروت إلى رياض الملكوت فغطتها سحائب الحكمة وآثار القدرة فبقيت الروح تتعشق إلى أصلها من وراء سحاب الأثر فإذا أنقشع السحاب ورفع الحجاب لقي كل حبيب حبيبه وعرف كل أنسان مثواه ومستقره فقنعت الروح بشهود المعاني خلف رقة الأواني وإليه أشار الشيخ الغوث أبو مدين رضي الله عنه بقوله

فلولا معانيكم تراها قلوبنا إذا نحن أيقاظ وفي النوم أن غبنا

لمتنا أسى من بعدكم وصبابة ولكن في المعني معانيكم معنا

أي فلولا معاني ذاتكم تراها قلوبنا في مظاهر صفاتكم لمتنا عشقاً أو فلولا معاني ربوبيتكم تراها قلوبنا في مظاهر مكوناتكم أو فلولا معاني الجبروت تراها قلوبنا في عالم الملكوت لمتنا أسى أي حزناً على فراقكم وشوقاً إلى لقائكم وقوله ولكن في المعنى معانيكم معنا أي ولكن معانيكم التي تشاهدها قلوبنا في المعنى معنى عظيم فأستأنسنا بمشاهدتها وأنست أرواحنا بها فلم تمت عشقاً وشوقاً والله تعالى أعلم ومما تستأنس به الروح عن صدمات المحبة أشتغالها بالخدمة كما أشار إلى ذلك بقوله لما علم منك وجود الملل لون لك الطاعات قلت من كرمه تعالى وحسن أختياره لك أيها العبد أنه لما علم أنك لا تقدر أن تصبر عنه

أشهدك ما برز منه ولما علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقدر أن يشهده فيما برز منه أشغله بخدمته ولما علم منه أنه ربما يمل من خدمة واحدة لون له طاعته لأن من شأن النفس أن تمل من تكرر الشيء الواحد وفي ذلك يقول الشاعر

لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة   إلا التنقل من حال إلى حال

فلون لك طاعته فإذا مللت من الصلاة مثلاً أنتقلت إلى ذكره وإذا مللت من ذكره أنتقلت إلى قراءة كتابه وهكذا وأنواع الذكر كثيرة والتنقل من موجبات النشاط فالعبادة مع النشاط ولو قلت أعظم من العبادة مع الكسل وأن كثرت ليس العبرة بكثرة الحس وإنما العبرة بوجود المعنى وقال الشيخ زروق رضي الله عنه فلونت له الطاعة لثلاثة أوجه أحدها رحمة به ليستريح من لون إلى لون الثاني إقامة للمحجة عليه إذ لا عذر له في الترك الثالث ليثبت له النسبة في العمل بوجود التخيير في الجملة فتكمل الكرامة وتسهل الطاعة فقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا وافق الحق الهوى فذلك الشهد بالزبد ومن سار إلى الله بطبعه كان الوصول أقرب إليه من طبعه ومن سار إلى الله بمخالفة طبعه كان الوصول إليه بقدر بعده عن طبعه ومتى يصح بعده عن طبعه والمقصود إنما هو موافقة الحق لا مخالفة النفس وشواهد السنة لا تخفي فأفهم ومن دواعي الملل وجود الشره وهو الحرص وموجبه هو الأطلاق في العمل فلذلك قيدت الطاعة بأعيان الأوقات كما أبان ذلك بقوله وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات الشره خفة في النفس توجب المسارعة للعمل والأسراع فيه وينتج آفات ثلاثاً أولها الترك عند الدوام لتروي النفس وضيقها الثاني الملل وهو التثاقل أن لم يكن ترك الثالث الأخلال بالحقوق لوجود العجلة والحجر بالوقت فيه فوائد ثلاث أولها منع الشره إذ لو كانت مرسلة لوقعت النفس فيها على وجه الشره الثاني نفي التسويف لولا الوقت لكانت تعده من زمن إلى زمن فيؤدي إلى التفريط الثالث التمكين من العمل والتمكن فيه إذ لولا الوقت لا همل العمل و لم يحافظ عليه لغلبة الهوى و لم يحفظه أستعمالاً للحظوظ اه ثم بين وجه التحجير وهو الأتقان والأقامة فقال ليكون همك أقامة الصلاة لا وجود الصلاة قلت السر في تحجير الصلاة في بعض الأوقات لتشتاق النفس إليها وترتاح بها فيحصل فيها الخشوع والحضور وقرة العين بخلاف ما إذا كانت دائمة فيها فلا تتعشق إليها بل ربما تمل فتوقعها على غير تمام والمقصود منك حركه قلبك لا حركة جسمك أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ليس الشأن حركة الأشباح إنما الشأن خضوع الأرواح فالسر في تحجر الصلاة عنك في بعض الأوقات أن يكون همك أقامة الصلاة وهو أتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة لا وجود الصلاة من غير إقامة فهي

ميتة خاوية فهي إلى العقوبة أقرب قال الأمام القشيري رضي الله عنه إقامة الصلاة هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلي له فتحفظ عليه أحكام الأمر بما يجري عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فنفوسهم منه مستقبلة إلى القبلة وقلوبهم مستقرة في حقائق الوصلة اه وقال المؤلف رضي الله عنه إقامة الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه اه وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى عماله أن أهم أموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع اه من الشيخ زروق ثم ذكر وجه كون المطلوب هو الأقامة دون الوجود من حيث هو فقال فما كل مصل مقيم قلت لأن الأقامة في اللغة هو الأكمال والأتقان يقال أقام فلان داره داره إذا أكملها وجعل فيها كل ما يحتاج إليه فأقامة الصلاة أتقانها كما تقدم وضد الأقامة هو الأخلال والتفريط فليس كل مصل مقيماً فكم من مصل ليس له من صلاته إلا التعب وفي بعض الأحاديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم إذا صلى العبد فلم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها لفت كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجهه أو كما قال عليه السلام فالمصلون كثير والمقيمون قليل فأهل الأشباح كثير وأهل القلوب قليل قال أبو بكر بن العربي المعافري رحمه الله ولقد رأيت ممن يحافظ عليها آلافا لا أحصيها فأما من يحافظها بالخشوع والأقبال فما أستوفي منهم خمسة وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في موضع المدح فإنما جاء لمن أقام الصلاة أما بلفظ الأقامة أو بمعنى يرجع إليها قال الله سبحانه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة رب إجعلني مقيم الصلاة وأقام الصلاة والمقيمي الصلاة ولما ذكر المصلين بالفغلة قال

فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة اه وأعلم أن الخشوع في الصلاة على ثلاث مراتب المرتبة الأولى خشوع خوف وأنكسار وأذلال وهو للعباد والزهاد المرتبة الثانية خشوع تعظيم وهيبة وأجلال وهو للمريدين السالكين المرتبة الثالثة خشوع فرح وسرور وأقبال وهو للواصلين من العارفين ويسمى هذا المقام قرة العين كما يأتي أن شاء الله ثم أعلم أن الصلاة التي لا يصحبها خشوع ولا حضور هي باطلة عند الصوفية غير مقبولة عند العلماء وقالوا ليس للعبد من صلاته إلا ما حضر فيها قلبه فقد يكون له ربع صلاته أو نصفها بقدر ما حضر فيها ويعين على الخشوع الزهد في الدنيا وهذا هو الدواء الكبير إذ محال أن تكون عندك بنت إبليس ولا يزورها أبوها فلا يتأتى الخلوص من الخواطر ما دامت في القلب وقليلها هو كثيرها فمن بقيت فيه بقية منها فأنه تأتيه الخواطر على حسبها فمحال أن تكون شجرة الدنيا في قلبك وتسلم من الخواطر ومثال ذلك كشجرة عندك في بستان يجتمع عليها الطيور ويهولونك بأصواتهم فكلما شوشتهم رجعوا فلا ينقطعون عنك أبداً حتى تقطع تلك الشجرة

فإذا قطعتها أسترحت من أصواهم فكذلك الدنيا ما دامت في اليد وهو معمور بها لا يسلم القلب من خواطرها حتي يخرج عنها وحينئذ يستريح من مساويها والله تعالى أعلم و مما يعين أيضاً على الخشوع الأكثار من ذكر الله بالقلب والقالب وأدمان الطهارة لأن الظاهرة له تعلق بالباطن إذا طهر هذا طهر هذا وبالله التوفيق ثم ذكر نتائج الصلاة وثمراتها ومرجعها إلى ست كل واحدة توصل إلى ما بعدها وإن إلى ربك المنتهي فأشار إلى الأولى بقوله الصلاة مطهرة للقلوب قلت إنما كانت الصلاة طهرة للقلوب من المساوي والعيوب لما فيها من الخضوع والأنكسار والذل والأفتقار والتذلل والأضطرار فإذا خضع القلب لهيبة الجلال طهر من سائر العلل لأن طلب العلو والرفعة هو أصل العلل وعنصرها ومن شأن النفس وطبيعتها طلب العلو والأستكبار والتعزز والأفتخار لأنها جاءت من عالم العز فلا ترضى إلا بالعز وإلى هذا أشار شيخ شيوخنا المجذوب بقوله

من أين جئتي يا ذي الروح الهايما روحانيا

مقامها بساط العز أحوالها ربانيا

فلما ركبت في هذا القالب الجسماني ردتها القهرية إلى العبودية وجعلتها لها باباً للوصول إلى حضرة الربوبية فلا يطمع لها في الرجوع إلى أصلها إلا بإنكسارها وذلها ولذلك قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها أزدحاماً فأتيت باب الذل والأنكسار فوجدته خالياً فدخلت منه وقلت هلموا إلى ربكم هكذا أسمعته من أشياخنا فإذا أنكسرت وذلت رجعت لأصلها ووصلت وإذا تعززت وأستكبرت حجبت وطردت وإذا طردت بعدت وكلما بعدت عن الحضرة الربانية أستحكمت فيها الشهوات الجسمانية والأخلاق الشيطانية فأتصفت حينئذ بكل خلق دني وبعدت من كل خلق سني فإذا أراد الله تعالى أن يرحمها بالقرب من جنابه والوقوف ببابه ألهمها الصلاة وحببها إليها حتى إذا تطهرت من الذنوب ومحيت عنها المساوي والعيوب قربت من حضرة الحبيب ومناجاة القريب فقرعت الباب وطلبت رفع الحجاب وهذا معنى قوله وأستفتاح لباب الغيوب وهي النتيجة الثانية من نتائج الصلاة قلت المراد بالغيوب أسرار الملكوت وأسرار الجبروت وإنما كانت الصلاة أستفتاحاً لباب الغيوب لما أشتملت عليه من تطهير الظاهر والباطن قال محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله عنه دعا الله الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها أنواع الضيافة لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه فالأفعال كالأطعمة والأقوال كالأشربة وهي عرش الموحدين هيأها رب العالمين لأهل رحمته في كل يوم خمس مرات حتى لا يبقى عليهم دنس من الأغيار اه فإذا تطهر الظاهر بالطهارة

الحسية والباطن بالطهارة المعنوية أستحق الدخول إلى الحضرة القدسية فأول ما يتحف به قربه إلى الباب وسماع خطاب الأحباب من وراء حجاب فيتمتع بمناجاة الأحباب ولذيذ الخطاب وهو معنى قوله الصلاة محل المناجاة وهي النتيجة الثالثة قلت المناجاة هي المساررة والمكالمة مع الأحباب فمناجاة العبد ربه بالتلاوة والأذكار ومناجاة الرب لعبده بالتفهم والفتح ورفع الأستار وفي الحديث الصحيح المصلى يناجي ربه وقال أيضاً عليه السلام يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى مجدني عبدي فإذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى فوض إلى عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله تعالى هذه بيني وبين عبدي فإذا قال أهدنا الصراط المستقيم الآية قال الله هذه لعبدي ولعبدي ما سأل الحديث.

فلا يزال المصلي يناجي ربه ويطلب قربه حتى تتمكن المحبة من القلب والأقبال من الرب فتصفو المحبة من كدر الجفا ويتصل المحب مع حبيبه في محل الصفا وهو معنى قوله ومعدن المصافاة وهي النتيجة الرابعة قلت المعدن هو محل الذهب والفضة أستعير هنا لصفاء القلوب والأرواح لتصفيتها من لوث صلصال الأشباح فالمصافاة خلوص المناجاة من تشويش الحس وكدر الهواجس فهي أرق وأصفى من المناجاة كما قال ابن الفارض رضي الله عنه، ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا، سر أرق من النسيم إذا سرا، وهذه مصافاة العبد لربه ومصافاة الرب لعبده بالأقبال عليه حتى لا يدعه لغيره وفي الخبران العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهوى يصلون بصلاته اه فإذا تمت التصفية وعظمت المحبة وكثر العطش وظهر الدهش أستحقت الروح رفع الحجاب وفتح الباب فتدخل إلى حضرة الأحباب ويرتفع بينها وبينهم الحجاب فتخرج من ضيق الأشباح إلى فضاء عالم الأرواح أو من ضيق الملك إلى سعة عالم الملكوت وهو معنى قوله فيها تتسع ميادين الأسرار وهي النتيجة الخامسة قلت الميادين جمع ميدان وهو مجال الخيل أستعير هنا لفضاء عالم الملكوت فإذا تنزهت الروح في عالم الملكوت وجالت بفكرها في سعة أنوارها أشرقت عليها أنوار سنا الجبروت وهو معنى قوله وتشرق فيها شوارق الأنوار وهي النتيجة السادسة قلت أراد بالأسرار أسرار الذات وهو لأهل الفناء وبالأنوار أنوار الصفات وهو لأهل البقاء والله أعلم.

وأراد الشيخ بهذه الصلاة التي تنقله من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام صلاة أهل الأعتناء وهم أهل السلوك على يد الشيوخ لا صلاة أهل الغفلة وصلاة أهل المجاهدة من العباد والزهاد فليس لهم هذا السير والله تعالى أعلم قال أبو طالب حدثنا أن المؤمن إذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرضين خوفاً منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبر حجب عنه أبليس وضرب بينه وبينه بسرادق لا ينظر

إليه وواجهه الجبار بوجهه فإذا قال الله أكبر أطلع الملك في قلبه فإذا ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر في قلبك كما تقول فيتشعشع في قلبه نور يلحق ملكوت العرش فينكشف له بذلك ملكوت السموات والأرض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وأن الغافل الجاهل إذا قام إلى الوضوء أحتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فإذا كبر أطلع الملك في قلبه فإذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول فيثور من قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت قال فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين قلبه ولا يزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما فعل ثم ذكر حكمة حصرها في عدد معلوم وهو خمسة فقال علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وهي خمس بعدان كانت خمسين فمن لطفه سبحانه بك أيها الأنسان قلل أعدادها مع سعة الزمان فجعل عليك صلاة في أول نهاره شكراً لما أظهره لك من باهر أنوراه وليكون نهوضك إليه في أول قيامك جبراً لما حصل من غفلتك في طول منامك وجعل عليك صلاة في وسط نهاره أخماداً عنك لما أظهره في ذلك الوقت من وقود ناره وجعل عليك صلاة قرب أنصراف النهار ليكون شاهداً لك بوجود طاعتك عند الملك الغفار ولتشهد عليك ملائكة الرحمن بالصلاة عند الملك الديان.

وأوجب عليك صلاة في أول زمان الليل أستفتاحاً لذلك الزمان بوجود طاعتك كما أستفتحت أول نهارك وأستحفاظاً لما يتوقع من عجائب الليل ثم لما أردت أن تنام عن سيدك وتغفل عن ربك وتتمع بفراشك أمرك أن تودعه بحضورك معه وأن يكون آخر عهدك به وجود طاعتك فهذا كله جذب منه لك لحضرته وأستخراج منك لشكر منته عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل وحين قلل أعدادها لما علم أحتياجك إلى منته كثر أمدادها وإليه أشار بقوله وعلم أحتياجك إلى فضله فكثر أمدادها المراد بالأمداد الجزاء الذي رتب عليها فجعل كل صلاة بعشر فهي خمس وهي خمسون خمس في الحس وخمسون في المعنى أي الثواب وإذا فعلت في الجماعة كانت كل واحدة بخمس وعشرين وكل درجة بعشر فكان عدد صلاة الجماعة مائتين وخمسين في كل صلاة واله ذو الفضل العظيم وتتفاوت الدرجة أيضاً بكثرة الجماعة وكمالها وبقدر الحضور والخشوع والغيبة ورفع الستور فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وتتفاوت أيضاً بقدر البقع كبيت الله الحرام والمسجد النبوي وبيت المقدس وبقدر رتبة الأمام من صلى خلف مغفور غفر الله له والله تعالى أعلم لكن لا ينبغي لك أيها الفقير أن تلتفت إلى هذا الحظ فإن فضل الله كثير لمن رفع همته إلي العلي الكبير كما أبان ذلك بقوله متى طلبت عوضاً عن عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة قلت متى صدر منك عمل من

أعمال البر وطلبت الحق سبحانه أن يجازيك عليه طلبك الحق تعالى بوجود الصدق فيه وهو سر الأخلاص ولبه الذي هو التبري من الحول والقوة وأنعزال النفس عن رؤية العمل لها بالكلية بعد تحقيق الحضور والسلامة من الوساوس والخواطر والهواجس حتي تكون صلاتك بالله ولله غائباً فيها عما سواه قد ملأ قلبك عظمة الله فغبت في الله بالله فإن تحققت فيك هذه الأمور صح لك أن تطلب ما رتب الحق سبحانه على العمل من أنواع الجزاء والأجور وأن لم تتحقق من نفسك هذه الأمور فأعلم أن عملك مدخول فأستحي من الله أن تطلب الجزاء على عمل مدخول فيكفيك من الجزاء وحصول المطلب السلامة من الهلاك والعطب يكفيك من طلب حسن نواله السلامة من عقابه ونكاله يكفي المريب وهو المتهم وجدان السلامة من العقوبة فيما أتهم فيه فمن كان عند الملك متهماً وهو محبوس للعقوبة على ما أتهم فيه ثم قيل له إن الملك يمنحك ويعطيك كذا وكذا فيقول لهم يكفيني في العطاء وجدان السلامة من عقوبته وأنت أيها الأنسان طولبت بالأعمال والأخلاص فيها وأتقانها وأتمام أقامتها فأتيت بطاعة مشوبة بالخواطر والوساوس وعلى تقدير سلامتها من ذلك فطلبك الجزاء يقتضي رؤية نفسك ووجود الفعل منك وهو شرك تستحق عليه العقوبة فيكفيك من عطائه وجود السلامة من عقابه قال الواسطي رضي الله عنه العبادة إلي طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الأعواض اه وقال خير النساج رضي الله عنه ميراث أعمالك ما يليق بأفعالك فأطلب ميراث فضله فإنه أتم وأحسن وقال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ومعني كلامه رضي الله عنه أن جزاء أعمالك ما يليق بأفعالك الناقصة وجزاء الناقص ناقص فأطلب منه ثمرة فضله فإنه كامل من كل وجه فهو أتم وأكمل والله تعالى أعلم وكيف تطلب الجزاء على عمل لست له فاعلاً ولا علمت كون القبول له حاصلاً كما أشار إليه بقوله لا تطلب عوضاً عن عمل لست له فاعلاً يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلاً قلت قد تقرر عند أهل الحق أن العبد مجبور في قالب مختار فليس له فعل ولا أختيار وإنما الفاعل هو الواحد القهار قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين وقال صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس أي النشاط وقال عليه السلام كل ميسر لما خلق له فأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطي وأتقى الآية فإذا تقرر هذا فكيف يطلب العبد الأجر على عمل ليس هو فاعله وعلى تقدير نسبته إليه فالجزاء متوقف عى القبول فمن أين تدري هل يكون مقبولاً أم لا وإذا تفضل عليك بالقبول على ما هو عليه من النقص والخلل فهذا يكفيك في جزائك على العمل فلولا جميل ستره لم يكن عمل

أهلاً للقبول فلولا أن الله سبحانه تفضل على عباده بالعفو والحلم ما قبل عملاً قط إذ تصفية الأعمال كاد

أن تكون من المحال قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره أي عظموه حق تعظيمه وقال تعالى كلا لما يقض ما أمره أي لم يقض الأنسان ما أمره سيده على الوجه الذي أمر به وأنظر قوله تعالى أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا لم يقل الحق تعالى نتقبل منهم لأه يقتضي أنه كامل بل عداه بعن المفيدة للتجاوز كأنه قال أولئك الذين يتجاوز عنهم في أحسن ما عملوا فنتقبلها منهم ولو لم بتجاوز عنهم فيها ما تقبلت منهم ولكن الكريم لا ينتقد بل يقبل كل ما يعطاه لعظيم كرمه وغناه فالحمد دائماً لله حيث خلق فينا العمل وأعطانا عليه غاية المنى والأمل كما أشار إلى ذلك بقوله إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك قلت الحق تعالى فاعل بالمشيئة والأختيار لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون أي لا يسئل عما يفعل حقيقة وهم يسئلون شريعة ثم وأن الحق سبحانه وتعالى قسم عباده على ثلاثة أقسام قسم أعدهم للأنتقام فأظهر فيهم إسمه المنتقم وإسمه القهار أجرى عليهم صورة العصيان بحكمته ونسبها إليهم بعدله وقهره ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله ما أشركوا فقامت الحجة عليهم بإعتبار النسبة وإظهار الحكمة وما ربك بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقسم أعدهم الله للحلم ليظهر فيه إسمه الحليم وإسمه الرحيم أجري عليهم العصيان وحلاهم بالإيمان فأستحقوا العقوبة على العصيان ثم أن الحق تعالى حلم عليهم وعفا عنهم وأدخلهم الجنان وقسم أعدهم الله للكرم ليظهر فيهم إسمه الكريم وإسمه الرحيم خلق فيهم الطاعة والأحسان وحلاهم بالإسلام والإيمان وربما زادهم التجلي بالأحسان فأدخلهم فسيح الجنان ومتعهم بالنظر إلى وجه الرحمن فإذا أراد الله تعالى أن يلحقك بهؤلاء السادات هيأك لأنواع الطاعات وخلق فيك القوة على فعل الخيرات ثم نسب إليك ذلك الفعل فقال يا عبدي فعلت كذا كذا من الخير فأنا أجازيك عليه أدخل الجنة برحمتي وترق إلى مقامك بعملك فمقامك حيث أنتهى عملك قال تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وقال تعالى أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ثم ينبغي لك أيها الأنسان أن تتأدب مع الملك الديان فلا تنسب إليه النقص والعصيان وإنما أغوتك نفسك والشيطان قال تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور أي الشيطان فما كان من الكمال فأنسبه إلى الكبير المتعال وما كان من النقصان فأمسحه في منديل النفس والشيطان قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه إذا عمل العبد حسنة وقال يا رب بفضلك أستعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله ذلك له وقال عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله عنه وقال له يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت وإذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولي جلت قدرته عليه وقال يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت وإذا قال يا رب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولي جلت قدرته

عليه وقال يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وقد حلمت وقد سترت اه ثم أن هذه النسبة التي نسب الله لعبده بما خلق فيه بها يستحق المدح والذم فإذا خلق فيه الطاعة ونسبها إليه أستحق المدح بلسان الشرع وإذا أجرى عليه المعصية وقضاها عليه إستحق الذم بلسان الشرع أيضاً كما أشار إليه بقوله لا نهاية لمذامك أن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك أن أظهر جوده عليك قلت إذا أراد الله أهانة عبد وأذلاله رده إلى نفسه وهواه فأحيل عليها ووكل إليها فيوليه ما تولي فإذا أستولى عليه الهوى أعماه وأصمه وفي مهاوي الردى أسقطه كما قال الشاعر

ترك يوماً نفسك وهواها — سعى لها في رداها

فالهوى مختصر من الهوان وموجب له كما قال البرعي رحمه الله

لا تتبع النفس في هواها — أن أتباع الهوى هوان

وإذا أراد الله أعزاز عبده وعنايته أظهر عليه جوده وكرمه فتولاه وحفظه و لم يتركه مع نفسه وهواه طرفة عين ولا أقل من ذلك فلا نهاية لمذامك أيها الأنسان أن ردك إلى نفسك وحكمها فيك وتركك مع هواك لأن ذلك من علامة الأهمال وسقوطك من عين الكبير المتعال والعياذ بالله من كل خسر ووبال ولا تفرغ مدائحك أن أظهر جوده عليك فتولاك بحفظه ورعاك بعنايته وحجزك عن نفسك وحال بينك وبين تدبيرك وحدسك ومن دعائه عليه السلام أن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة وأني لا أثق إلا برحمتك والحاصل أنك أن كنت بربك تكمل عزك ولا يتناهي مدحك وأن كنت بنفسك تكامل ذلك ولا يتناهي ذمك كما قال الشاعر

إذ كنا به تهنا دلالا — على كل الحرائر والعبيد

وإن كنا بنا عدنا إلينا — فعطل ذلنا ذل اليهود

أو تقول من أهمله الله وتركه مع نفسه وهواه لا نهاية لمذامه وقبائحه فإن للنفس من النقائص ما لله من الكمالات ومن تولاه الله وأظهر جوده عليه و لم يتركه مع نفسه وأزعجه عن حظه وحال بينه وبين هواه فلا نهاية لمدائحه إذ كمالات الله لا نهاية لها وما هنا إلا مظاهره فكما لا نهاية لجلاله كذلك لا نهاية لجماله والله تعالى أعلم هذا آخر الباب الثاني عشر وحاصلها تعظيم الأوراد والتأهب لورود الأمداد وتصفية البواطن من الأكدار لتشرق عليها شموس الأنوار وهي شموس العرفان فيفني العارف عن التدبير والأختيار فكل يوم ينظر ما يفعل الواحد القهار فتأنس حينئذ بكل شيء ويتأدب مع كل شيء ويعظم كل شيء ولا يستوحش من شيء لمعرفته في كل شيء فيستأنس في هذه الدار بالنظر إلى الله في حجاب صفاته وهي مظاهر مكوناته وسيكشف له في تلك الدار عن كمال ذاته من غير حجاب صفاته وذلك أنه

لما علم أنه لا يصبره عنه أشهده ما برز منه ولما علم أن من عباده من لا يقدر أن يشهده في مكوناته أشغله بخدمته وعلم أيضاً أنه أن دام على عمل واحد ربما حصل له الملل لون له الطاعة والعمل وعلم ما في عبده من الشره فحجرها عليه في بعض الأوقات ليكون مه أقامة الصلاة لا وجود الصلاة ثم ذكر ثمراتها ونتائجها ونهاك عن طلب العوض عليها لكونك لست عاملاً لها وإنما هو فضل من الله عليك خلق فيك القوة ونسبها إليك فإن ردك إلى نفسك وتركك مع هواك لا تتناهي مذامك وأن أخذك عن نفسك وتولاك بجوده وفضله لا تفرغ مدائحك حيث صرت ولياً من أوليائه وصفياً من أصفيائه جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين هذا آخر النصف الأول والله المستعان على التمام بجاه نبيه المصطفى بدر التمام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وهذا أول النصف الثاني فنقول وبالله نستعين بسم الله الرحمن الرحيم قال المؤلف نفعنا الله به وبعلومه آمين

فإذا أردت أن يظهر جوده عليك وتبسط مواهبه لديك فتحقق بوصفك وتعلق بوصفه كما أبان ذلك بقوله وقال رضي الله عنه كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً بأوصاف عبوديتك متحققاً قلت أوصاف الربوبية هي العز والكبرياء والعظمة والغنى والقدرة والعلم وغير ذلك من أوصاف الكمالات التي لا نهاية لها وأوصاف العبودية هي الذل والفقر والعجز والضعف والجهل وغير ذلك مما يناسب العبودية من النقائص وكيفية التعلق بأوصاف الحق هو أن تلتجيء في أمورك إليه وتعتمد في حوائجك عليه وترفض كل ما سواه ولا ترى في الوجود إلا إياه فإذا نظرت إلى عزه وكبريائه وعظمته تعززت به و لم تعزز بغيره وصغر في عينك دونه كل شيء وإذا نظرت إلى وصفه تعالى بالغني تعلقت بغناه وأستغنيت عما سواه و لم تفتقر إلى شيء وأستغنيت به عن كل شيء وإذا نظرت إلى وصفه تعالى بالقدرة والقوة لم تلتجئ في حال عجزك وضعفك إلا إلى قدرته وقوته وأستضعفت كل شيء وإذا نظرت إلى سعة علمه وأحاطته أكتفيت بعلمه وأستغنيت عن طلبه وقلت بلسان الحال علمه يغني عن سؤالي وهكذا في جميع الأوصاف والأسماء فكلها تصلح للتعلق والتخلق والتحقق وكيفية التخلق بأوصافه تعالى أن تكون في باطنك عزيزاً قوياً به عظيماً كبيراً عنده قوياً في دينه وفي معرفته عالماً به وبأحكامه وهكذا وحاصلها أستعمال الحرية في الباطن والعبودية في الظاهر وكيفية التحقق بأسماء الله تعالى أن تكون تلك المعاني فيك راسخة متمكنة متحققاً فيك وجودها فالتخلق مجاهدة والتحقق مشاهدة أي يكون وجودها غريزياً وكيفية التخلق بأوصاف العبودية هو التحقق بالذل في الظاهر حتى يصير الذل عندك حرفة وطبيعة لا تأنف منه بل تستحليه وتغتبط به وكذلك الفقر والضعف والجهل وسائر أوصاف العبودية تتحقق بوجودها في ظاهرك حتى يكون ذلك شرفاً عندك وكان شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه يقول أهل الظاهر يتنافسون في العلو أيهم يكون أعلى من الآخر وأهل الباطن يتنافسون في الحنو أيهم يكون أحنى من الآخر اه بالمعنى

وقال الشيخ زروق رضي الله عنه أوصاف البوبية أربعة تقابلها أربعة هي أوصاف العبودية أولها الغنى ويقابله الفقر الثاني العز ويقابله الذل الثالث القدرة ويقابلها العجز الرابع القوة ويقابلها الضعف وكل هذه متلازمة أن وجد واحدها وجد جميعها ووجود المقابل ملزوم بوجود مقابله فمن أستغنى بالله أفتقر إليه ومن أفتقر إلى الله أستغنى به ومن تعزز بالله ذل له ومن ذل له تعزز به ومن شاهد قدرته رأى عجز نفسه ومن رأى عجز نفسه شاهد قدرة مولاه ومن نظر ضعف نفسه رأى قوة مولاه ومن رأى قوته علم ضعف نفسه لكن أن كان البساط النظر لأوصافك فأنت الفقير إلى الله وأن كان البساط النظر إلى أوصافه فأنت الغني بالله وهما يتعاقبان على العارف فتارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية وتارة يظهر عليه آثار الفقر إلى الله فيلتزم الرعاية فحين غلب الغنى بالله على حبيب الله أطعم الفا من صاع وحين غلب عليه الفقر إلى الله شد الحجر على بطنه من الجوع فأفهم اه قلت والتحقيق ما قدمناه من أن التعلق بأوصاف الربوبية يكون في الباطن والتحقق بأوصاف العبودية يكون في الظاهر فالحرية في الباطن على الدوام والعبودية في الظاهر على الدوام فحرية الباطن هي شهود أوصاف الربوبية وهو معنى التعلق بها لكن أن كان مجاهدة فهو تعلق وأن كان طبيعة وغريزة فهو تحقق أو تقول أن كان حالاً فهو تعلق وأن كان مقاماً فهو تحقق وعبودية الظاهر هي شهود أوصاف العبودية قياماً بالحكمة وسترا للقدرة والحاصل أن عظمة الربوبية ظهرت في مظاهر العبودية فمن نظر للعظمة صرفاً تحقق بعظمة الربوبية ومن نظر لظاهر المظهر تحقق بأوصاف العبودية والكامل ينظر لهما معاً فيتحقق بعظمة الربوبية في الباطن ويتحقق بأوصاف العبودية في الظاهر فيعطي كل ذي حق فالجمع في باطنه مشهود والفرق في ظاهره موجود والله تعالى أعلم فإن أظهر أوصاف الربوبية فقد تعدى طوره وجهل قدره فلا بد أن تؤدبه القدرة وإلى ذلك أشار بقوله منعك أن تدعي ما ليس لك مما هو للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين قلت الحق تعالى غيور فلا يحب لعبده أن يفشي سر خصوصيته ولا يرضى لعبده أن يشاركه في أوصاف ربوبيته فمن غيرته تعالى أن ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية ولولا ذلك لكان سر الربوبية
مبتذلاً ظاهراً وذلك مناقض لحكمته وكيف وهو يقول أن ربك حكيم عليم ومن غيرته تعالى أن أختص بأوصاف الربوبية ونهانا عن أظهاراها والتحلي بها حالاً أو مقالاً وذلك كأتصاف العبد بالعز والعظمة والكبر وطلب الرياسة والعلو أو أدعاء ذلك بالمقال فإن فعل شيئاً من ذلك أستحق من الله الطرد والنكال ففي الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة أزاري فمن نازعني واحداً منهما قصمته وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفوحش ما ظهر منها وما بطن وفي البخاوي في قصة سيدنا موسى عليه السلام أنه خطب على الناس خطبة ذرفت منها العيون فقام إليه رجل فقال له هل تعلم أحداً أعلم منك فقال لا فعتب الله عليه إذ لم

يرد العلم إليه فقال له بلى عبدنا خضر هو أعلم منك فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه فأنظر كيف أدبه بطلب غيره حتى صار تلميذاً له يأمره وينهاه بقوة وصوله من عظم قدره وجلالة منصبه وما ذلك إلا لأظهار شيء من الحرية فكل من أظهر الحرية رده إلى العبودية بالقهرية وكل من أظهر العبودية حقق له في باطنه الحرية وملكه الكون بالكلية فمن تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره ومن غيرته تعالى أيضاً أن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والفواحش كل ما فحش قبحه وعظم جرمه كالزنا والغصب والسرقة والتعدي وأكل أموال اليتامى وغير ذلك من حقوق العباد فإذا كان منعك أن تدعي ما ليس لك مما هو للمخلوقين من العرض الفاني فكيف يبيح لك أن تدعي وصفه من العزة والكبرياء وهو رب العالمين فإذا أدعيت ما ليس لك سلبك ما ملكك وإذا تحققت بوصفك وسلمت له وصفه منحك ما لم يكن عندك وأتاك ما لم يؤت أحداً من العالمين فكلمانزلت بنفسك أرضاً أرضاً سما قلبك سماء سماء وقد تقدم هذا المعنى في الخمول والله تعالى أعلم تنبيه أعلم رحمك الله ووفقك للتسليم لأوليائه أن الحرية إذا تحققت في الباطن لا بد من رشحات تظهر على الظاهر فكل أناء بالذي فيه يرشح وصاحب الكنز لا بد أن يظهر عليه السرور وصاحب الغنى لا يخلو من بهجة وحبور وكما قال الشاعر

ومهما تكن عند أمرء من خليقة — وأن خالها تخفي على الناس تعلم

ولذلك تجد أهل الباطن رضي الله عنهم جلهم أقوياء في الظاهر فربما تصدر منهم مقالات تستخرجها القدرة منهم فيظن الجاهل بحالهم أن ذلك دعوى وظهور وليس كذلك وإنما ذلك رشحات من قوة الباطن لا قدرة لهم على أمساكها منها ما يكون تحدثاً بالنعم ومنها ما يكون نصحاً للعباد ليعرفوا حالهم فينتفعون بهم في طريق الأرشاد ومن هذا الأمر رفضهم كثير من أهل الظاهر المتعمقون في العبادة أو المتجمدون على ظاهر الشريعة أو من لم تطل صحبته معهم في الطريقة وأن كان كاملاً ومن ذلك ما وقع للشيخ زروق رضي الله عنه مع أبي المواهب التونسي رضي الله عنه حين ظهرت عليه آثار القوة الباطنية حتى قال فيه الشيخ زروق دعواه أكبر من قدمه وليس كذلك فإن الشيخ أبا المواهب عظيم الشأن راسخ القدم في العرفان أخذ عن أبي عثمان المغربي وكان يقول لبست خرقة التصوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم وله شرح حسن على الحكم إلا أنه لم يكمل وله كلام رائق نظماً ونثرا ومن نظمه رضي الله عنه

من فاته منك وصل حظه الندم — ومن تكن همه تسمو به الهمم
وناظر في سوى معناك حق له — يقتص من جفنه بالدمع وهو دم
والسمع أن جال فيه من يحدثه — سوى حديثك أمسى وقره الصمم
في كل جارحة عين أراك بها — مني وفي كل عضو بالثناء فم

فإن تكلمت لم أنطق بغيركم وكل قلبي مشغوف بحبكم

أخذتم الروح مني في ملاطفة فلست أعرف غيراً مذ عرفتكم

نسيت كل طريق كنت أعرفها إلا طريقاً تؤديني لربعكم

فما المنازل لولا أن تحل بها وما الديار وما الأطلال والخيم

لولاك ما شاقني ربع ولا طلل ولا سمعت بي إلى نحو الحمى قدم

وأطال الشعراني في ترجمته في الطبقات بما يدل على كمال خصوصيته وتمام ولايته وما حمل الشيخ زروقاً على مقالته تلك إلا القوة التي صدرت من أبي المواهب مع كونه لم تطل صحبته معه مع ما صدر منه في جانب الشيخ ابن عباد رضي الله عنهم والله تعالى أعلم وهذا الأمر الذي ذكرنا من القوة التي في العارفين لا يجهله إلا من يبلغ مقامهم وحسب من لم يبلغ مقامهم التسليم وسر هذه القوة التي ظهرت في العارفين هو من جهة الروح وذلك أن الروح جاءت من عالم العز والقوة فلما ركبت في هذا البدن حجبت وقهرت فأرادت الرجوع إلى أصلها فطلبته بالعز الأصلي والقوة الأصلية فمنعت منه وأتت من كوة الذل والأفتقار وخرقت عوائد نفسها فأنخرقت لها حينئذ الحجب فرجعت إلى أصلها فلما رجعت إلى أصلها أتصفت بالقوة التي كانت لها فأمرت أن تجعل ذلك في باطنها ففعلت لكن ربما رشح شيء من ذلك على الظاهر غلبة ولذلك ذكر الشيخ خرق العوائد بأثر ذكر التحقق بالعبودية فقال كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد قلت العوائد كل ما تعودته النفس وألفته وأستمرت معه حتى صعب خروجها عنه سواء كان ظلمانياً أو نورانياً كتتبع الفضائل وكثرة التوافل وهي على قسمين عوائد ظاهرة حسية وعوائد باطنة معنوية فمثال العوائد الحسية كثرة الأكل والشرب والنوم واللباس وخلطة الناس والدخول في الأسباب وكثرة الكلام والمخاصمة والعتاب والأستغراق في العبادة الحسية أو العلوم الرسمية وغير ذلك ومثال العوائد المعنوية حب الجاه والرياسة وطلب الخصوصية وحب الدنيا والمدح وكالحسد والكبر والعجب والرياء والطمع في الخلق وخوف الفقر وهم الرزق والفظاظة والقسوة وغير ذلك مما تقدم فمن خرق من نفسه عوائدها الحسية بالرياضات القهرية خرقت له العوائد الحسية كالطيران في الهواء والمشي على الماء ونفوذ الدعوة وغير ذلك من الكرامات الحسية ومن خرق من نفسه عوائدها المعنوية خرقت له العوائد الباطنة كرفع حجب الغفلة وتطهير القلوب وكشف الحجاب وفتح الباب وتحقيق العرفان والترقي إلى مقام الأحسان وهذا هو المعتبر عند الأكياس وهو المطلوب من سائر الناس وأما خرق العوائد الحسية فقد تكون لمن ليست لهم خصوصية كالسحرة وأرباب الشعوذة نعم من جمع بينهما

خرقت له فيهما فكيف تطلب أيها المريد أن تخرق لك عوائد نفسك حتى تدخل حضرة قدسك وأنت لم تخرق عوائد نفسك فما حجب النفس عن الشهود إلا ما تعودته من رؤية هذا الوجود فلو غابت عن رؤية هذا الوجود لتحقق لها أمر الشهود ولا يمكن أن تغيب عنه إلا بخرق عوائد نفسها وقد تقدمت حكاية الرجل الذي كان مع أبي يزيد ثلاثين سنة فلم يذق شيئاً فقال له لو صليت ثلاثمائة سنة لم تذق شيئاً لأنك محجوب بنفسك ثم قال له أذهب الساعة إلى الحجام وأحلق رأسك ولحيتك وأنزع هذا اللباس وأتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة وأملأها جوزاً وأجمع حولك صبياناً وقل بأعلى صوتك يا صبيان من يصفعني صفعة أعطه جوزة وأدخل السوق وأنت على هذه الحالة حتى ينظر إليك كل من عرفك ثم قال له فلا مطمع لأحد فيما حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه ويخرق عوائد العامة فحينئذ تخرق لك العوائد وتظهر لك الفوائد اه وتقدمت أيضاً في باب الخمول قصة الغزالي والشتتري والمجذوب وغيرهم ممن خرقوا العوائد فخرقت لهم العوائد وظهرت لهم الفوائد وأما من بقي مع عوائد نفسه فلا يطمع أن يتمتع بحضرة قدسه قال الشيخ أبو المواهب رضي الله عنه من أدعى شهود الجمال قبل تأدبه بالجلال فأرفضه فإنه دجال ولا جلال أعظم على النفس من خرق عوائدها كتبديل العز بالذل والغنى بالفقر والجاه وبالخمول وغير ذلك وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه اللهم أن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا فلا مطمع في نيل العز بالله حتى يتحقق بالذل له ولا في نيل الغنى به حتى يتحقق بالفقد مما سواه وقال أبو حمزة البغدادي رضي الله عنه علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويخفي بعد الشهرة اه فهذه الأخبار كلها تدل على أن خرق عوائد النفس شرط في تحقق نيل الخصوصية فمن أدعا ما قبل أن يخرقها فهو كذاب كما تقدم عن أبي المواهب وكتب شيخ شيخنا رضي الله عنه إلى بعض الأخوان أما بعد فإن أردتم أن تكون أعمالكم زكية وأحوالكم مرضية فقللوا من العوائد فإنها تمنع

الفوائد اه وسمعته رضي الله عنه يقول من جملة العوائد تتبع الفضائل وكثرة النوافل فإنه يشتت القلب وإنما يلزم المريد ذكراً واحداً وعملاً واحداً كل واحد مما يليق به أو كلام هذا معناه فخرق العوائد أبدالها بضدها كتبديل كثرة الأكل والنوم وبالجوع والسهر وكتبديل كثرة اللباس بالتقلل منه أو ما خشن من الثياب كالمرقعات ونحوها وكتبديل الخلطة بالعزله والأسباب بالزهد والكلام بالصمت وسوء الخلق بحسن الخلق وكتبديل حب الجاه والرياسة بالذل والخمول وسقوط المنزلة عند الناس وحب الدنيا بالزهد فيها والفرار منها وكأتصافه بالتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل فإذا تحقق المريد بهذه الأمور خرقت له العوائد على ما يريد حتى يكون بسم الله عنده موافقة لكن من الله فيكون أمره بأمر الله وما ذلك على الله بعزيز ولا بد في خرق العوائد الباطنية من شيخ كامل جامع بين حقيقة وشريعة يحملك بهمته فإذا رميت

يدك في نفسك حملتك الهمة ونصرتك القدرة فقتلتها بالمرة وأما إذا لم يكن لك شيخ فكلما قتلتها رجعت أكبر مما كانت ولا تموت النفس الحية إلا مع الأموات كما قال شيخنا رضي الله عنه هذا الأمر مجرب وبالله التوفيق وخرق العوائد الباطنية التي هي رفع الحجب وشهود المحبوب لا يكون بمجرد الطلب دون السعي دون السعي في السبب مع تحقق الأدب كما نبه عليه بقوله ليس الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب قلت قد تقدم في أول الكتاب أن الطلب كله مدخول عند المحققين أولى الألباب لما يقتضيه من وجود النفس والوقوف مع الحس إذ العارف المحقق لم تبق له حاجة يطلبها لأنه قد حصل له الغني الأكبر وفاز من مولاه بالحظ الأوفر وهو معرفة مولاه والغيبة عما سواه ماذا فقد من وجدك فليس الشأن وجود صورة الطلب وإنما الشأن أن تستغني به عن كل مطلب وترزق معه حسن الأدب والأكتفاء بعلم الله والوقوف مع مراد الله قال الشيخ زروق رضي الله عنه والأدب على ثلاثة أوجه آداب في الظاهر وذلك بإقامة الحقوق وآداب في الباطن بالأعراض عن كل مخلوق وآداب فيهما وذلك بالأنحياش للحق والدوام بين يديه على بساط الصدق وذلك هو جملة الأمر وتفصيله وتفريعه وتأصيله اه فالطلب عند العارفين ليس هو بلسان المقام وإنما هو بلسان الحال وهو الأضطرار وظهور الذلة والأفتقار كما نبه عليه بقوله ما طلب لك شيء مثل الأضطرار ولا أسرع بالمواهب مثل الذلة والأفتقار قلت إنما كان طلب العارفين بلسان الحال دون المقال لما حققهم به من وجود معرفته حتى شهدوا منته في محنته ونعمته في نقمته فإذا تجلى لهم بالقوة والجلال تلقوه بالضعف والأذلال فحينئذ يتجلى لهم بإسمه الجميل فيمنحهم كل جميل وإذا تجلى لهم بإسمه العزيز أو القهار تلقوه بالذلة والأفتقار فتتوارد عليهم المواهب الغزار فإذا أردت أيها العارف أن تطلب من مولاك شيئاً جلباً أو دفعاً فعليك بالأضطرار والأضطرار هو أن يكون كالغريق في البحر أو الضال في التيه القفر ولا يرى لغياثه إلا مولاه ولا يرجوا لنجاته من هلكته أحداً سواه فما طلب لك من مولاك شيء مثل أضطرارك إليه والوقوف بين يديه متحلياً بحلية العبيد هنالك تنال كل ما تريد كما قال الشاعر

أدب العبيد تذلل والعبد لا يدع الأدب
فإذا تكامل ذله نال المودة وأقترب

وقال آخر

وما رمت الدخول عليه حتى حللت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها وصنت النفس عن قال وقيل

وإذا أردت ورود المواهب عليك وهي العلوم اللدنية والأسرار الربانية فلا شيء أسرع لك بها مثل الذلة والأفتقار بين يدي الحليم الغفار يكون قلباً وقالباً فينبغي لك حينئذ أن تستعد لكتب المواهب ونيل المرتب قال تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين وقال تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه وقال أيضاً ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال صلى الله عليه وسلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا وقال سهل بن عبد عبد الله رضي الله عنه ما أظهر عبد فاقة إلى الله في شيء إلا قال الله تعالى للملائكة لولا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك لبيك اه فإذا طلبت الدخول مع الأحباب فقف ذليلاً حقيراً بالباب حتى يرفع بينك وبينهم الحجاب من دون حيلة منك ولا أسباب وإنما هو فضل من الكريم الوهاب كما أشار إلى ذلك بقوله لو كنت لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبداً ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه ستر وصفك بوصفه وغطي نعتك بنعته فوصلك إليه.بما منه إليك لا.بما منك إليه قلت الوصول إلى الله هو العلم به وبإحاطته بحيث يفني من لم يكن ويبقي من لم يزل وهذا لا يكون إلا بعد موت النفوس وحط الرؤوس وبذل الأرواح وبيع الأشباح لقوله تعالى أن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة أي جنة المعارف لأهل الجهاد الأكبر وجنة الزخارف لأهل الجهاد الأصغر ولقوله عليه السلام موتوا قبل أن تموتوا ذكره النقشبندي في شرح الهائية حديثاً وقال في لطائف المنن لا يدخل على الله إلا من بابين أحدهما الموت الأكبر وهو الموت الحسي والثاني الموت الذي تعنيه هذه الطائفة يعني موت النفوس وقال الششتري رضي الله عنه

أن ترد وصلنا فموتك شرط   لن ينال الوصال من فيه فضله

وقال أيضاً

ليس يدرك وصالي كل من فيه بقيا

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لا يصل الولي إلى الله تعالى ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته وأختيار من أختياراته اه وهذه التصفية ليست هي من فعل العبد وكسبه وإنما هي بسابق عناية ربه فلو كان العبد لا يصل إلى الله تعالى إلا بعد فناء مساويه ومحو دعاويه من حيث هو هو لم يصل أبداً لكن الحق تعالى من كرمه وجوده إذا أراد أن يطوي عنه مسافة البعد أظهر له من أنوار قدسه ونعوت وصفه ما يغيب به العبد عن شهود نفسه فحينئذ تفني المساوي وتمتحق الدعاوي فيحصل الوصول ويبلغ المأمول.بما من الله إلى العبد من سابق العناية والوداد لا.بما من العبد إلى الله من الكد والأجتهاد وأن شئت قلت فناء المساوي هو التطهير من أوصاف البشرية وهي الأخلاق المذمومة من حيث هي ومحو الدعاوى وهو

التبري من الحول والقوة بحيث لا يرى لنفسه فعلاً ولا تركا ولا نقصاً ولا كمالاً وإنما هي غرض لسهام الأقدار تجري عليها أحكام الواحد القهار فتحقيق هذين الأمرين على الكمال مع وجود النفس كاد أن يكون من المحال لكن الحق تعالى لكرمه وجوده إذا رأى منك صدق الطلب وأراد أن يوصلك إليه وصلك إلى ولي من أوليائه وأطلعك على خصوصيته وأصفيائه فلزمت الأدب معه فما زال يسير بك حتى قال لك ها أنت وربك فحينئذ يستر الحق تعالى وصفك الذي هو وصف العبودية بوصفه الذي هو وصف الحرية فتتحنس أوصاف البشرية بظهور أوصاف الروحانية ويعطي أيضاً نعتك الذي هو الحدوث بنعته الذي هو القدم أو غطي نعتك الذي هو العدم بنعته الذي هو الوجود وقال الشيخ زروق ستر فقرك بغناه وذلك بعزه وعجزك بقدرته وضعفك بقوته ويصرفك عن شهود ذلك منك وإليك بشهود ما منه إليه اه قلت وهو لازم لما فسر به من وصف العبودية ونعت الحرية فوصلك حينئذ بما منه عليك من الأحسان واللطف والأمتنان لا بما منك إليه من المجاهدة والطاعة والأذعان ومثال النفس كالفحمة كلما غسلتها بالصابون زاد سوادها فإذا أشتعلت فيها النار ونفخ فيها الريح كستها النار و لم يبق للون الفحمة أثر فكذلك أوصاف البشرية إذا كساها نور الروحانية تغطت ظلمة البشرية و لم يبق لها أثر فتنقلب البشرية في صفة روحانية وفي ذلك يقول الششتري في بعض أزجاله

فمتى ما يبين لي زالت البشريا

وتحولت غيري في صفا روحانيا

والنار التي تحرق البشرية هي مخالفة الهوي وتحمل النفس ما يثقل عليها كالذل والفقر ونحوهما مع دوام ذكر الأسم المفرد فكلما فني فيه ذابت بشريته وقويت روحانيته حتى تستولي على بشريته فحينئذ يكون الحكم لها فتغيب في نور مذكورها وتغرق في شهود عظمة محبوبها فحينئذ يحصل الوصال ويتحقق الفناء في ذي العظمة والجلال وللششتري أيضاً رضي الله عنه، فألتفت الخطاب، وسمعت مني، كلي عن كلي غاب، وأنا عني مغني، وأرتفع لي الحجاب، وشهدت أني، ما بقي لي أثر، غبت عن أثرى، لم أجد من حضر، في الحقيقة غيري، وبالله التوفيق هذا آخر الباب الثالث عشر وحاصلها أمرك بالتعلق بأوصاف الربوبية والتحقق بإوصاف العبودية وعدم مشاركتك له في وصف الحرية وما تعودت به من ذلك فأخرق لها تلك العوائد هنالك حتى تتهذب وتتأدب وتكتفي بعلم الحال عن وجود الطلب فيكون طلبها شاهد حالها من الذلة والأنكسار وظهور الفاقة والأضطرار فحينئذ تترادف عليها المواهب وتنال بذلك غاية المطالب ومنتهى الرغائب وهو الوصول إلى حضرة القدس ومحل الأنس من غير حيلة ولا أكتساب وإنما هو منة من الكريم الوهاب من عليها بالوصول وتفضل عليها بالقبول كما أشار إلى ذلك في أول الباب

الرابع عشر فقال وقال رضي الله عنه لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلاً للقبول قلت لأن العمل الذي يكون أهلاً للقبول هو الذي تتوفر فيه شروط القبول وهو سر الأخلاص وغاية الحضور والتبري فيه من الحول والقوة وهذا في غاية الندور فلولا أن الله سبحانه تفضل علينا بجميل ستره فغطي مساوينا بجلائل لطفه وبره ما كان عمل أهلاً للقبول أصلاً ولكن الذي من بوجود الأعمال يمن بوجود القبول والأقبال قال بعضهم ما هناك إلا فضله ولا نعيش إلا في ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه مسكين ابن آدم جسيم معيب وقلب معيب يريد ا، يخرج من معيبين عملاً بلا عيب اه قلت ولهذا المعنى قال تعالى أولئك الذي نتقبل عنهم أحسن ما عملوا فعبر بعن التي تدل على التجاوز و لم يقل نتقبل منهم فكأنه قال أولئك الذين نتجاوز عنهم في أعمالهم فنتقبلها منهم والله تعالى أعلم وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال البلاء والهوى والشهوة معجزة بطين آدم اه قيل وهو معنى قوله تعالى أنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه أي اخلاط فاختلاط به البلاء والهوى والشهوة فركب ابن آدم منها فلزمته الثلاثة ما دامت بنيته قائمة وبشريته موجودة فإذا انهدمت البشرية حساً أو معنى لم يبق حكم النظفة إلا مشاجية وصار الحكم للروح النورانية ولله تعالى أعلم فإذا تقرر أن عملنا مدخول وليس أهلاً للقبول لولا جميل ستره المأول علمت أن افتقارنا إلى عمله وعفوه في حال الطاعة أعظم من افتقارنا إليه في حال المعصية كما أبان ذلك بقوله أنت إلي حلمه إذا أطعته أحوج منك إليه إذا عصيته قلت وذلك لأن الطاعة بساط العز والرفعة وللنفس فيها شهوة ومتعة ولأن الناس يلحظون صاحب الطاعة الظاهرة وينظرونه بعين التعظيم ويبادرون إليه بالخدمة والتكريم وكل ما عظم في عين الخلق سقط من عين الحق أن كان يفرح بذلك ويقنع به دون الملك الحق بخلاف المعصية فإنما هي بساط الذل والإنكسار ومحل السقوط والاحتقار وكحل ما سقط من عين الخلق عظم في عين الحق فكان العبد في حال طاعته لربه أحوج إلى حلمه وعفوه مه في حال معصيته لأن الطاعة التي ينشأ عنها العز والاستكبار أقبح من المعصية التي تورث الذل والافتقار بل في الحقيقة ليست بطاعة لأن الطاعة التي توجب البعد ليست بطاعة والمعصية التي توجب القرب ليست بمعصية وفي الحديث يقول الله تبارك وتعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ومن كان الله عنده فهو أعظم من ألف مطيع توجب له طاعته طرده وبعده أوحى الله تعالى إلي بعض الأنبياء عليهم السلام قل لعبادي الصديقين لا يغتروا فإني أن أقم عليهم عدلي وقسطي أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخاطئين لا ييئسوا من رحمتي فإنه لا يكبر على ذنب اغفره اه وقال الشيخ أبو يزيد رضي الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى استغفر ثلاثاً تعليماً للامة في شهود التقصير وإلا فلا استغفار من طاعة ولا ذنب على المختار صلى الله عليه وسلم ولما كانت المعصية بساط الذل والاحتقار كما تقدم وهي أقرب لمقام العبودية

والطاعة بساط العز والرفعة فافتقرت إلى حلم الله أكثر صار الناس يطلبون الستر في المعصية أو عنها خوفاً مما ينشأ عنها كما أبان ذلك بقوله الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق قلت وسقوط المرتبة وهو باعتبار المعصية على قسمين قسم يقع الستر فيها فلا يفضح صاحبها وقسم يقع الستر عنها فلا يقع العبد فيها ولو طلبها لما شماه من حفظ الله ورعايته فالعامة يطلبون الستر من الله فيها مع وقوعها لئلا يسقطوا من عين الخلق فهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم والله ورسوله أحق أن يرضوه أن كانوا مؤمنين فمحط نظرهم إنما هو شهود الخلق غائبين عن نظر الملك الحق وذلك لضعف إيمانهم وقلة يقينهم وانطماس بصيرتهم وفي بعض الأخبار يقول الله تبارك وتعالى يا عبادي أن كنتم تعتقدون أني لا أراكم فالخلل في إيمانكم وأن كنتم تعتقدون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم اه وأما الخاصة فهم يطلبون من الله الستر عنها والعصمة مها خشية أن يسقطوا من عين الحق لن صدور المعصية من العبد سوء أدب ومن أساء الأدب مع الأحباب طرد إلى الباب فإذا وقعت منهم معصية بادروا إلى الاعتذار وصحبهم الخجل والانكسار ثم وجدوا في سيرهم و لم يقفوا مع نفوسهم إذ لا وجود لها في نظرهم ولا التفات لهم إلى الخلق إذ لم يبق في نظرهم إلا الملك الحق غابوا بشهود الحق عن رؤية الخلق أو بشهود المعنى عن رؤية الحس أبو بشهود الموسوط عن الواسطة وأما خاصة الخاصة فلا يطلبون شيئاً ولا يخافون من

شئ صارت الأشياء عندهم شيئاً واحداً واستغنوا بشهود واحداً عن كل واحد فهم ينظرون ما يبرز من عنصر القدرة فيتلقونه بالقبول والرضي فإن كان طاعة شهدوا فيها المنة وأن كان معصية شهدوا فيها القهرية وتأدبوا مع الله فيها بالتوبة والانكسار قياماً بأدب شريعة النبي المختار صلى الله عليه وسلم وقد وردت أحاديث في المقامات الثلاثة تعليماً للامة فقد دعا عليه السلام بالستر على المساوى ومنها وهي العصمة والحفظ وطلب مقام الرضا والتسليم لأحكام الله القهرية كل ذلك منشور في كتب الأحاديث فلا نطيل به ثم إذا ستر الحق تعالى مساويك وذنوبك ثم توجه الناس إليك بالتعظيم والمجد والتكريم فاعرف منة الله عليك وانظر من الممدوح في الحقيقة هل أنت أو من ستر مساويك كما أبان ذلك بقوله من أكرمك فإنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمنن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك قلت إذا كان الحق تعالى تولى حفظك برعايته وستر مساويك بستر عنايته فغطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته ثم توجه الناس إليك بالتعظيم والتمجيد والتكريم فاعرف منة الله عليك وانعزل عن شهود نفسك فمن أكرمك فغنما أكرم فيك جميل ستره فلولا فضل الله عليكم ورحمته ولا تبعتم الشيطان إلا قليلاً ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحداً أبداً فالحمد في الحقيقة إنما هو لمن سترك لا لمن أكرمك إذ لو أظهر للناس ذرة

من مساويك لمقتوك وأبغضوك فاشكر الله على ما أسدي إليك من الكرم وغطى عليك من المساوى أنتي توجب أنواع الأذاية والنقم قال الشيخ زروق رضي الله عنه إذ لولا ستره عن المعاصي ما كنت مطيعاً لولا ستره فيها لكنت مهاناً عند الخلق ومخصوصاً بالمقت بينهم ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين فالخلق كلهم إنما يتعاملون بينهم بستر مولاهم ولو خلا عبده من ستره لأبغضه أحب الناس إليه ولأذاه أشفق الخلق لعيه ولأهلكمه أرأف الخلق به ولله در القائل

يظنون بي خيراً وما بي من خير ... ولكنني عبد ظلوم كما تدري
سترت عيوبي كلها عن عيونهم ... وألبستني ثوباً جميلاً من الستر
فصاروا بحبوني وما أنا بالذي ... يحب ولكن شبهوني بالغير
فلا تفضحني في القيامة بينهم ... وكن لي يا مولاي في موقف الحشر

ولما بلغت الأذية كل مبلغ من حبيب الله صلى الله عليه وسلم ما زاد على أن قال لا غنى لي عن عافيتك عافيتك أوسع لي الحديث اه وسيأتي التقسيم في شهود الخلق في حالة النعم وأن الناس على ثلاثة أقسام قوم عوام لا يشهدون إلا الخلق وقوم خواص لا يشهدون إلا الخالق وقوم خواص الخواص يشهدون الخالق في الخلق والموسوط في الوسطة فيعطون كل ذي حق حقه كما يأتي مبيناً أن شاء الله وإذا تحققت أن الذي أكرمك هو الذي ستر عيوبك وغطى مساويك بعد اطلاعه على خفاياها وعلمه بخباياها فاتخذه صاحباً وكن له مراقباً ودع الناس جانباً كما نبه عليه بقوله ما صحبك من صحبك وه بعينك عليم وليس ذلك الامولاك الكريم قلت وإذا علمت أنه ليس لك صاحب الأمولاك فارعف حقيقة صحبته والزم الأدب في ظاهرك وباطنك واستحى منه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك وفي الحديث عه صلى الله عليه وسلم انه قال لأصحابه ساتيحوا من الله حق الحياء قالوا أنا نستحي والحمد لله قال لهم الحياء من الله حق الحيا، أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وتذكر القبر والللبلى فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء اه فالصاحب الذي يدوم لك هو الذي يصحبك وهو عالم بعينك لأن ذلك داع للسلامة من التكلف الرياء والتصنع وليس ذلك الأمولاك العالم بخفاياك المطلع على سرك وعلانيتك أن عصيته سترك وأن اعتذرت إليه قبل عذرك وقد قيل من الحكمة في قوله تعالى أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم مع أن الكل ملكه ثلاثة أشياء أحدها البشارة بعدم الرد بالعيب لأن المشتري عالم به الثاني ليسلم العبد نفسه إليه فيتولى تدبيره إذ لا يتم بيع بالتسليم ولا كفاية إلا بعد اقباض الثالث اظهاراً لتمام الفضل في ظهور النسبة لله سبحانه وذكر الصحبة في جانب الحق وقعت في حديث أنت

الصاحب في السفر واختلف في اطلاقه في غير ذلك المحل والظاهر أن الشيخ يرى ذلك في محل إشارة الأدب والانحياش وعليه مر أبو حامد الغزالي في بعض كتبه قال الشيخ زروق رضي الله عنه واعلم أن الأمر الذي يرغب في الصحبة ويعقد المحبة والمودة أمران أحدهما ما تقدم من كون الصاحب يغطي شينك بحلمه ويستر وصفك بوصفه والثاني كونه يحبك ويطلبك إلى حضرته من غير غرض ولا منفعة له في صحبتك وإلى الثاني أشار بقوله خير من تصحب من يطلب لا لشئ يعود منك إليه قلت ولا يوجد هذا الوصف المجيد إلا للغني الحميد الفعال لما يريد يحب من يشاء بلا علة ولا سبب ويمقت من يشاء بلا ضرر يلحقه ولا تعب يقرب من يشاء بلا عمل ويبعد من يشاء بلا زلل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً وكلامنا إنما هو مع أهل التحقيق وأما باعتبار الحكمة وأهل التشريع فلا يظلم ربك أحداً ولكن فاعل السبب هو فاعل المسبب من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وللجيلي رحمه الله

إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً ... فإني في حكم الحقيقة طائع

فخير من تصحبه أيها الإنسان مولاك الذي يطلبك لحضرته ويجتبك لمحبته من غير نفع منك إليه وإنما هو برور واحسان منه إليك فكيف تتركه وتطلب الإنس بغيره وضرره وأقرب من نفعه قال بعضهم جرب الناس تجدهم عقارب فإذا طلبت الصحبة فاصحب العارفين الذين ينهضك حالهم ويدلك على الله مقالهم ولله در صاحب العينية حيث يقول في عينيته.

فشمر ولذ بالأولياء فإنهم ... لهم من كتاب الحق تلك الوقائع

هم الذخر للملهوف والكنز والرجا ... ومنهم ينال الصب ما هو طامع

بهم يهتدي للعين من ضل في العمى ... بهم يجذب العشاق والربع شاسع

هم الناس فالزم أن عرفت جمابهم ... ففيهم لضر العالمين منافع

وقال في التحذير من صحبة غيرهم من الغافلين والعوام

وقاطع لمن واصلت أيام غفلة ... فما واصل العذال إلا مقاطع

وجانب جناب الأجنبي لو انه ... لقرب انتساب في المنام مضاجع

فللنفس من جلاسها كل نسبة ... ومن خلة للقلب تلك الطبائع

والحاصل أن صحبة من يوصل إلى الله فما هي إلا صحبة الله إذ ما ثم سواه والنظر إلى العارف بالله فإنما هو نظر إلى الله إذ لم تبق فيه بقية عليه لغير الله فصار نوراً محضاً من نور الله وفيهم قال عليه السلام أن الله

رجالاً من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً اه وهم. وجودون لا ينقطعون أبداً ظاهرون ظهور الشمس لا يخفون إلا على من أراد الله منه طرداً وبعداً والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ومن سوء القضاء وشواتة الأعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة وفجأة النقمة آمين ثم فائدة صحبه العارفين هو حصول اليقين كما أشار بقوله لو أشرق لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفه الفناء عليها قلت اليقين هو العلم الذي لا يزاحمه وهم لا يخالطه ريب ولا يصحبه اضطراب مشتق من يقن الماء إذا حبس و لم يجر شبه به العلم إذا صحبته الطمأنينة و لم يبق للقلب فيه تحرك ولا اضطراب وإشراق نوره هو ظهور أثره على الجوارح فيظهر فيا الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ويظهر منه الانحياش إلى الله والاشتياق إلى حضرة جماله والسكون والخضوع تحت قهر جلاله والمسارعة إلى ابتغاء مرضاته والمبادرة إلى مكان محابة ولهج اللسان بذكره وشغل القلب بالفكرة في عظمته وهيمان الروح في حضرة قربه وسكرها من شارب حبه واغتمارها بشهود قربه فهذه علامة إشراق نور اليقين في القلب ون علامته أيضاً أن يصير الآجل عاجلاً والبعيد حاصلاً والغيب شهادة فإن ما توعدون لأت وما أنتم بمعجزين ولنا في هذا المعن

فلا ترضى بغير الله حباً ... وكن أبداً بعشق واشتياق

ترى الأمر المغيب ذاعياً ... وتحظى بالوصال وبالتلاق

كنت ذيلت بهما قول القائل

فلا دهش وحام الحي حي ... ولا عطش وساقي القوم باق

فما الدنيا بباقية لحي ... وما حي على الدنيا بباق

فلو أشرق نور اليقين في قلبك لرأيت الآخرة والآتية حاضرة ليك أقرب إليك من أن ترحل إليها إذ هي الراحلة إليك والمدركة ل ولرأيت محاسن الدنيا الوهمية الفاني قد ظهرت كسفه الفناء عليها أي قد انكسف نور وجودها بظهور ظلمة فنائها فصار ما كان ظاهراً باطناً صار ظاهراً وما كان كثيفاً صار لطيفاً وما كان لطيفاً صار كثيفاً وما كان صار شهادة وما كان شهادة صار غيباً وإنما بعد ذلك عن الخلق ضعف إيمانهم وقلة نور إيقانهم ولو أشرق نور اليقين في قلوبهم أو الدنيا مكسوفة أنوارها بادية عوارها كما رآها حارثة رضي الله عنه حين أخبر عن حقيقة إيمانه فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشي إذا استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمناً بالله حقاً فقال له انظر ما تقول فإن لكل قول حقيقة

فما حقيقة إيمانك فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا أي أدبرت وهربت فأسهرت ليلى وأظمأت نهاري فكاني بعرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاون فيها فقال له أبصرت فالزم عبد نور الله الإيمان في قلبه قال رسول ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم بدر شهيداً فجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة أصبر وأن لم يكن في الجنة ترى ما أصنع فقال أوهبلت أجنة هي أنها جنان وأن ابنك أصاب الفردوس الأعلى فرجعت وفي تضحك وتقول بخ بخ يا حارثة اه كما رآها معاذ بن جبل رضي الله عنه حين دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت مؤمناً فقال أن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول فقال يا رسول الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت لا أمسي وما أمسيت قط إلا ظننت لا أصبح ولا خطوت خطوة قط إلا ظننت أني لا أتبعها بأخرى وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الأنضاريان أشرق نور الإيقان في قلوبهما وشرح الله به صدورهما فرأوا ما كان آجلاً عاجلاً وما كان آتياً واصلاً وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله أو كما قال عليه السلام وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله اليقين نور يجعله الله في قلب العبد حتى يشاهد به أمور آخرته ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع الآخرة كالمشاهدة لها اه قلت فإذا تكامل إشراق الإيقان غطى وجود الأكوان ووقع العيان على فقد الأعيان و لم يبق الأنوار الملك الديان كما أشار إلى ذلك بقوله ما حجبك عن الله وجوده وجود معه إذ لا شئ معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه قلت الحق تعالى ظاهر ونوره للبصائر باهر إنما حجبه مقتضى اسمه الحكيم واسمه القاهر فما حجبك عن شهود الحق وجود شئ معه إله مع الله تعالى الله عما يشركون ولكن حجبك عن شهودة توهم وجود موجود معه لا شئ معه وكما كان ولا شيء بقى ولا شئ هو الأول والآخر والظاهر والباطن واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله فالفعل لا يصدر من غير صفة والصفة لا تفارق الموصوف فالفعل متحد والفاعل واحد والصفة متحدة والمتصف بها واحد وللششتري رضي الله عنه، صفاتي لا تخفي لمن نظر وذاتي معلومة تلك الصور، فافن عن الاحساس ترى عبر، وسبب توهم الغيرية عدم الفكرة وسبب عدم الفكرة حب العاجلة فهي الشاغلة للقلوب عن السير إلى حضرة علام الغيوب وحكمة حب الدنيا ظهور القهرية فمن قهاريته تعالى أن احتجب بلا حجاب وغطي نور شمسه بالأسحار

وأيضاً قوالب العبودية حجبت مظاهر أنوار الربوبية ووجود الحكمة ستر ظهور القدرة وقال بعض العارفين الحق تعالى متره عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لا يخلو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لأنه للطفه سار في كل شئ ولنوريته ظاهر في كل شيء ولا طلاقه واحاطته متكيف

بكل كيف غير متقيد بذلك ومن لم يذق هذا و لم يشهده فهو أعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق اه ومن كلام ابن وفا رضي الله عنه

هو الحق المحيط بكل شئ ... هو الرحمن ذو العرش المجيد

هو النور المبين بغير شك ... هو الرب المحجب في العبيد

هو المشهود في الإشهاد يبدو ... فيخفيه الشهود عن الشهيد

هو العين العيان لكل ... غيب هو المقصود من بيت القصيد

جميع العالمين له ظلال ... سجود في القريب وفي العبيد

وهذا القدر في التحقيق كاف ... فكف النفس عن طلب المزيد

وقال الشيخ القطب مولاي عبد السلام بن مشيش مخاطباً لوارثه الشيخ أب يالحسن الشاذلي رضي الله عنهما في وصية له وقد تقدمت حدد بصر الإيمان تجد الله تعالى في كل شيء وعند كل شئ وقبل كل شئ وبعد كل شئ وفوق كل شئ وتحت كل شيء وريباً من كل شئ ومحيطاً بكل شئ بقرب هو وصفه وبحيطة هي نعته وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحبة والقرب في المسافات وعن الدور بالمخلوقات وامحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان اه قال بعضهم ونبه بقوله وعد الخ على أن ما جرى في كلامه من الظروف ليست بزمانية ولا مكانية لأنها من ملة الأكوان وإنما هي أمور ذوقية فاعتقد كما لا تتريه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وسلم ذلك لأهله فإنهم على بصيرة فيما رمزوا إليه مما ذاقوه ووجدوه بل هو من محض الإيمان وخالص العرفان وهو حقيقة التوحيد وصفو الإيمان وأما قوله وهو الآن على ما عليه كان وإن لم يرد في الحديث الصحيح فهو في نفسه صحيح إذ لا وجود في الحقيقة للأشياء معه تعالى وإنما هي كالخيال ووجود الظلال فلا تنسخ أحديته ولا ترفع فردانيته وبالجملة فمن غلب عليه شهود الأحدية وكوشف بسر الوحانية واستغرق في الحقيقة العيانية انقطع عن الشهور بنفسه وغاب عن السوى بالكلية وأن رد إلى الشعور به رآه قائماً به وظارهاً فيه وبه حكماً من أحكامه أه وقال في لطائف المنن وأشبه شئ بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة

وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا وعدوم باعتبار جميع مراتب العدم وإذا اثبتت ظلية للآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لأن الشئ إنما يشفع بمثله ويضم إلى شكله كذلك أيضاً من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن الله فإن ظلال الأشجار في الأنهار لا تعوق السفن عن التسيار ومن ها هنا تبين لك أن الحجاب ليس أمراً وجودياً بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم أن يكون أقرب إليك منه ولا شئ أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب اه ولما قرر أم راولحدة ونفي وجود الغيرية استشعر سائلاً يقول له وهذه المكونات الظاهرة فما تقول فيها مع ثبوت الوحدة فأجاب بأنها قائمة به ولولا ظهور نوره فيها ما ظهرت كما بين ذلك بقوله لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود أبصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته قلت كان الله ولا شئ معه فكانت الخمرة الأزلية القديمة لطيفة خفية نورانية روحانية وليس هناك شكل ولا رسم متصفة بصفات المعاني والمعنوية متسمية بأسمائها القديمة منعوتة بنعوت الجلال والجمال فاقتضت الخمرة ظهور حسنها وجمالها واقتضت الصفات ظهور آثارها والأسماء ظهور مطالبها فقبضت الصفات من النور اللطيف قبضة نورانية لمقتضى اسمه الظاهر واسمه القادر فطلبها أيضاً أسمه الباطن واسمه الحكيم فابطنها في حال ظهورها وغطاها في حال بروزها فكانت ظاهرة باطنة ثم تفرغت تلك القبضة على تفاريع كثيرة بعدد الصفات وتنوعت على أجناس كثيرة بتنوع الأسماء فالماء واحد والزهر ألوان وفي ذلك يقول صاحب العينية.

وكل الورى طرا مظاهر طلعتي	مراء بها من حسن وجهي لامع
ظهرت بأوصاف البرية كلها	أجل لي ذوات الكل نوري ساطع

فبحر الجبروت فياض إلى عالم المكوت ثم احتجب بالحكمة فصار ظاهره ظلمة وبانه نوراً ظاهره حكمة وباطنه قدرة ظاهره ملك وباطنه ملكوت والجميع جبروت فإذا تقرر هذا علمت أن الأكوان لا وجود لها من ذاتها فلولا ظهور الحق بها ما ظهرت ولا وقع عليها أبصار الخلق كما قال القائل

من لا وجود لذاته من ذاته	فوجوده لولاه عين محال

وقال آخر

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن	فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما رأى	بعيني شيئاً غيره إذ أعاين

وظهور تعالى بواسطة تجليات الأكوان فيه لطف كبير إذ لا يمكن شهوده ومعرفته إلا بواسطة هذه التجليات ولو ظهر بالأوصاف التي كان عليها في الأزل بلا واسطة لتلاشت الكائنات واضمحلت وفي

الحديث حجابه النور لو كشف عنه لا حرقت سبحات وجهه كل شئ أدركه بصره اه وهذا معنى قوله لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته أي لو ظهرت نعوته الأصلية الأزلية لا ضمحلت المكونات الحديثة إذ الكائنات كلها تكثيف للأسرار اللطيفة التي هي نعت الخمرة الأزلية التي أشار إليها ابن الفارض في خمريته بقوله

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ... ونور ولا نار وروح ولا جسم

تقدم كل الكائنات حديثها ... قديم ولا شكل هناك ولا رسم

فلو ظهرت الأسرار اللطيفة لتلاشت الكائنات الكثيفة إذ لا ظهور للكثيف إذا رجع لطيفاً وما مثال الكون إلا كالثلجة ظاهرها جامد وباطنها مائع فإذا ذوبت الصلجة رجعت إلى أصلها ماء ولميبق للثلجة أثر فكذلك المكونات الحسية إذا ظهرت أسرارها اللطيفة التي قامت بها ذابت ذواتها الكثيفة ولا تلاشت ورجعت لأصلها وإلى هذا المعنى أشار صاحب العينية بقوله

وما الكون في التمثال إلا كثلجة ... وأنت لها لا ماء الذي هو نابع

فما الثلج في تحقيقنا غير مائة ... وغير أ، في حكم دعته الشرائع

ولكن بذوب الماء يرفع حكمه ... ويوضع حكم الماء والأمر واقع

فمن وقف مع ظاهر الثلجة أنكر الماء الذي في باطنها وكان جاهلاً بحقيقتها ومن نفذ إلى باطنها عرف أصلها وفرعها وكذلك الأكوان ظاهرها غرة لمن وقف مع كثافتها وباطنها عبرة لمن نفذ إلى أصلها وقد مثلوا أيضاً الكون بصورة جبريل حين كان يتصور في صورة دحية فمن رآه كثيفاً قال دحية وأنكر أن يكون ملكاً ومن عرف أصله لم ينكره و لم يقف مع ظاهره فإذا تلطف ورجع إلى أصله ذهبت تلك الصورة واضمحلت فكذلك الكون إنما هو خيال فما دام موجوداً في الحس رأى وظهر فإذا رجع إلى أصله بظهور أسراره التي قام بها اضمحل و لم يبق له أثر وقد أشار إلى هذا صاحب العينية أيضاً بقوله

تجليت بالتحقيق في كل صورة ... ففي كل شئ من جمالي لوامع

فما الكون في التمثال إلا كدحية ... تصور روحي فيه شكل مخادع

ويسمون هذه الأسرار التي قامت بها الأكوان معاني ويسمون الأكوان أواني حاملة للمعاني فلو ظهرت المعاني لا ضمحلت الأواني ومن وقف مع حس الأواني حجب عن أسرار المعاني وفي ذلك بقول الششترى رضي الله عنه

لا تنظر إلى الأواني ... وخض بحر لا معاني

لعلك ترا ني

وقال ابن الفارض رضي الله عنه

ولطف الأواني في الحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني بها تسموا

فالأواني كلها لطيفة في الحقيقية تابعة للطف المعاني لأنها منها وإنما تكثف في حق أهل الحجاب الذين وقفوا مع ظواهر الأشياء واشتغلوا بخدمة الحس قلباً وقالباً فعظم عليهم الحس وقويت دائرة حسهم وغلظ الحجاب في حقهم فعبادتهم حسية وفكرتهم حسية وذلك لصحبتهم أهل الحس ولو صحبوا أهل المعاني لاشتغلوا بخدمة المعاني حتى تتلطف لهم الأواني قال شيخ شوخنا سيدي على الجمل رضي الله عنه سألت الشيخ يعني سيدي العربي ابن عبد الله فقلت يا سيدي كنت أظن أنه لا يشفن غليل الإنسان إلا الحس يعني العبادة الحسية ولا ظننت قط أن فعل المعاني يشفي الغليل أبداً والآن وجدت نفسي بالعكس لا يشفي غليلها إلا المعاني فأجابني بأن قال يا ولدي لما كانت همتك مشورة للحسيات أمدك الله فيها فصرت لا تقنع إلا بالحسيات والآن انعكس الأمر لما رافقت أهل المعاني أثرت معرفتهم فيك بتشوير همتك لبلاد المعاني ولما انقلبت همتك عن بلاد الحس وشورت لبلاد المعاني أمدك الله فيها فصت تقطع بالمعاني كما كنت تقطع بالحسيات اه مختصراً فكل من صحب أهل المعاني وانقلبت همته لبلاد المعاني حتى صارت بعادته باطنية معنوية تلطفت في حقه الأواني و لم ير إلا المعاني قلت ومما من الله على بصحبه أهل المعاني إني إذا نظرت إلى الكون بعين بصيرتي من عرشه إلى فرشه ذاب وتلاشى و لم يبق له أثر والله ذو الفضل العظيم تنبيه سئل سيدي أحمد بن يوسف الملياني عن ذات الحق تعالى هل معنوية أو حسية فقال هي حسية لا تدرك قال سيدي عبد الله الهبطي وهذا مما يدل على تحقيق معرفته قلت ذات الحق تعالى موجودة لطيفة لا تدركها الأبصار ولا تكيفها العقول متصفة بصفات المعاني والمعنوية ولو كانت صفة أو معنى كما يزعمه النصارى لم تتصف بصفات المعاني ولا المعنوية لأن الصفة والمعنى لا يقوم بنفسه ولا بد ا، يقوم بغيره والصفة لا تتصف بصفة أخرى وأما قول بعض المتأخرين المعنى لا يقبض إلا بالحس وقولهم أيضاً لا تنظر إلى الأواني وخض بحر المعاني وقولهم الأكوان أواني حاملة للمعاني فاعلم انه قد تقدم أنهم يطلقونهم على أسرار الذات وهي الخمرة الأزلية معاني لخفائها ولطافتها فأشبهت المعاني من هذا الوجه فتحصل أن الحس لا قيام له إلا بالمعنى وهي معاني أسرار الذات فصار قيام الأشياء كلها بالله ولا وجود لها معه وهو الذي أشار إليه بن الفارض بقوله

وقامت بها الأشياء ثم لحكمه بها احتجبت عن ك لمن لا له فهم

أي قامت الأشياء كلها بالذات العلية أي بأسرارها اللطيفة الأزلية وقولهم أيضاً الذات عين الصفات والصفات عين الذات فاعلم أنه لما كان لا ظهور للذات إلا من أنوار الصفات ولا قيام للصفات إلا بالذات والصفات لا تفارق الموصوف صار كان هذا عين هذا فنطقوا بتلك العبارة تحويشاً للجمع وفراراً من الفرق وهو اصطلاح منهم سموا ما تكثف وظهر للحس صفات وما بطن من سر الربوبية ذاتاً ومعني والصفات لا تفارق الموصوف كما تقول في الثلجة ظاهرها ثلج وباطنها ماء فالثلج صفات والماء ذات الثلج حس والماء معنى للطافته وخفائه صار كأن معنى قال بن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه قال في كل شئ اسن من أسمائه واسم كل شئ من اسمه فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطناً بقدرته ظارهاً بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجبت الصفات بالأفعال وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات وأخفى الصنع في الصنعة وأظهر الصنعة بالذوات فهو باطن في غيبة وكظاهر بحكمته وقدرته ليس كمثله شئ وهو السميع البصير اه نقله شارح بداية السلوك هكذا عن ابن عباس رضي الله عنه فقوله حجب الذات بالصفات أي حجب أسرار الذات بأنوار الصفات وهي أثرها وقوله وحجب الصفات بالأفعال لأن الأفعال ظروف للصفات لأنها أثر من آثارها ومظهرة لها وقوله وكشف العلم بالإرادة أي أظهر ما سبق في علمه بإرادته المخصصة لوقت إظهاره وقوله وأظهر الإرادة بالحركات أي أظهر ما سبق من إرادته بظهور الحركات الدالة على ما أراد وقوله وأخفي الصنع في الصنعة أي أخفى الصانع في صنعته وقوله وأظهر الصنعة بالذوات أي أظهر قدرته في الإجرام وسائر الذات والله تعالى أعلم وقوله شيخ شيوخنا سيدي على رضي الله عنه في كتابه في تفسير الذات والصفات أن كل ما هو جلال فهو ذات وكل ما هو جمال فهو صفات فإنما ذلك على وجه التشبيه فإن تجلى الصفات كله جمال لأنه محل نزهة أرواح العارفين وبه يرتقى أهل الدليل إلى معرفة رب العالمين وهو الذي شبهه الشيخ ابن مشيش بالرياض في قوله فرياض الملكوت الخ وأيضاً هو الذي تمكن رؤيته وتحصل المعرفة به بخلاف تجلى الذات فإنه حلال محض إذ لو ظهر ذرة من نوره الأصلي للا واسطة لاحتراق الكون من أصله وفي الحديث حجابه النار وفي رواية النور لو كشف عنها لا حرقت سبحات وجهه كل شئ أدركه بصره فصار تجلى الذات كله جلال فأطلق وجهه التشبيه انك لما يشق على النفس فهو ذات لأنه جلال كتجلى الذات وكي لما يخف على النفس فهو صفات لأنه جمال كتجلي الصفات والله تعالى أعلم وإنما أطلت الكلام في هذه المسئلة لأني لم أر من تكلم عليها ولا من شفي فيها الغليل وكنت كثير البحث عنها فلم أجد من يشفعني فيها وهذا ما ظهر لي فيها وما أنتجبته فكرتي والله تعالى أعلم وبالله التوفيق صم استدل على ظهوره في المكونات بقوله

تعالى هو الأول والآخر والظاهر الباطن فشار إلى تفسير الظاهر والباطن بقوله أظهر كل شئ أبانه الباطن وطوى وجود كل شئ أبانه الظاهر قلت مضمنه أن اسمه تعالى الباطن ليتحقق بطونه بها وطوى وجود كل شئ بسبب أنه الظاهر ليتحقق انفراده بالظهور فيها والحاصل أن الحصر في قوله تعالى هو الظاهر يدل على أنه لا ظاهر معه فانطوي وجود الأشياء واضمحل لها وقوله هو الباطن يدل على أنه لا باطن سواه فبطنت الأشياء كلها بعد ظهورها فدل كلامه سبحانه أن ما ظهر به هو الذي بطن فيه والذي بطن به هو الذي ظهر فيه والألم لم يصح الحصر فإن قلت المتقابلان لا يجتمعان كالضدين وكيف جمعتهما في ذات واحدة قلت لم يتواردا على محل واحد بل ذلك باعتبارين فاسمه الظاهر باعتبار الحس في عالم الحكمة واسمه الباطن باعتبار المعني في عالم القدرة فالحكمة ظاهرة والقدرة باطنة أو تقول ظاهر باعتبار مظاهر الربوبية باطن باعتبار قوالب العبودية أو تقول ظاهر باعتبار التعريف باطن باعتبار التكييف فالذات واحدة والاعتبارات مختلفة وذلك كثير فتحصل أن الحق سبحانه ظاهر في بطونه باطن في ظهوره ما ظهر به هو الذي بطن فيه وما بطن به هو الذي ظهر فيه أي ما ظهر فيه بحكمته هو الذي بطن فيه بقدرته وما بطن فيد بقدرته هو الذي ظهر فيه بحكمته هو الذي قصده الشاعر بقوله

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد ... إلا على أكمه لا يبصر القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجباً ... وكيف يعرف من بالعزة استترا

والله تعالى أعلم تنبيه قد كنت سألت الشيخين أعني شيخنا وشيخه عن الخمرة الأزلية قبل تجليها هل تسمى ظاهرة باطنة وإنما تسمي باطنة فقط للطافتها حينئذ فأجابتني بان ما كان هو الذي ظهر وليس الذي ظهر غير ما كان في الأزل كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان يعني أن الذات العلية كما كانت متصفة بصفاتها وأسمائها في الأزل بقيت كذلك فيما لا يزال فكان في الأزل ظاهراً باطناً وبقي بعد التجلي كذلك ظاهراً لنفسه باطناً عن خلقه ما تجلى به ظاهرا هو فيه أيضاً باطن وقال القاشاني في شرح تائبه ابن الفارض ما نصه بعد كلامه وأظهر الحق تعالى سرد ذاته وصفاته في مظاهر أفعاله وما كان لخفائه عليه قبل ذلك كما حكاه عن المحبوبة بلسان الجمع في قوله

مظاهر لي فيها بدوت ولم أكن ... على بخاف قبل موطن برزة

ولكنن ليتجلى باسمه الظاهر آخر كما كان متجلياً باسمه الباطن أولاً والعجب كل العجب أنه تعالى ما ظهر بشئ من مظاهر أفعاله إلا وقد احتجب به كما قال

بدت باحتجاب واختفت بمظاهر ... على صيغ الأكوان في كل برزة

اه كلامه رضي الله عنه والتحقيق أن يقال الحق تعالى لم يزل متصفاً بأسمائه وصفاته في الأزل وفيما لا يزال لكن ظهور آثارها وقع فيما لا يزال فكان متصفاً باسمه الظاهر والباطن في الأزل وظهر بعد ذلك آثارهما فيما لا يزال والله تعالى اعلم ثم بين كيفية النظر والاعتبار في المكونات لتعرف ظهوره تعالى فيها فقال أباح لك أن تنظر في المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات والأرض فبقوله انظروا ماذا في السموات فتح لك باب الإفهام و لم يقل انظروا السوات لئلا يدلك على وجود الإجرام قلت إنما أبرز الله هذه المكونات وأظهر هذه العوالم ليعرف بها ويظهر نوره فيها قال تعالى "وما خلقنا السوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق" وقال تعالى "أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا" قال في لظائف المنن فما نصبت الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولنا في هذا المعني

ما أثبت لك العوالم إلا	لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقي من ليس يرضى	حالة دون أن يرى مولاها

فأباح لك أيها الإنسان أن تنظر ماذا في السموات والأرض من النور الذي قامت به الأشياء وما أباح لك أن تقف مع ذوات المكونات تقف مع القشر وتحجب عن اللب وقد تقدم قوله الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فمن وقف مع ظاهرها كان محجوباً ومن نفذ إلى باطنها كان عارفاً محبوباً ولأجل هذا السر قال تعالى "قل انظروا ماذا في السموات" أي ما فيها من عظمته ومعاني أسرار ذاته وكمال قدرته وإرادته وسائر صفاته فقد فتح لك باب الإفهام جمع فهم أي فتح لك باب الفهم لتدخل بها من ظاهر القشر إلى باطن اللب حتى تعرفه في كل شئ وتفهم عنه في كل شئ ولو قال الحق تعالى "قال انظروا السموات" لدلك على الإجرام وسد لك باب الإفهام وكيف يدلك على الإجرام وهي أغيار والأغيار مانعة من الدخول إلى شهود الأنوار ومثال ذلك في التقريب لو قال لك قائل انظر هذه الثلجة لدلك على ظاهر جرمها ولو قال لك انظر ما في هذه الثلجة لفتح لك باب الفهم إلى نظر ما في باطنها من الماء ون الوقوف مع ظاهر جرمها واعلم أن الحق سبحانه ندب عباده إلي معرفة ذاته ودرجهم إليها شيئاً فشيئاً فمنهم من قصر ومنهم من وصل فدرجهم أولاً إلى توحيد الأفعال وأنه لا فاعل سواه فقال تعالى "وربك يخلق ما يشاء ويختار أن ربك فعال لما يريد والله خلقكم وما تعلمون ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد" وقال في فعل غير الآدمي "ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها" وفي شأن الطير "ما يمسكهن

إلا الرحمن" وقال تعالى "وما من دابة في الأرض ولا ظائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم" أي في قهر قبضتنا مقدرة آجالها مقسومة أرزاقها مغدودة أنفاسها محفوظة أجسامها معلومة أماكنها ظاهرة أشباحها باطنة أنوارها وقال في توحيد الصفات وأنه لا سميع ولا بصير ولا قدير ولا متكلم إلا الله أنه هو السميع البصير أي دونت غيره فلا سمع ولا بصر إلا به سبحانه وقال تعالى أنه هو الحكيم العليم وقال تعالى وما تشاؤن إلا أن يشاء الله إلى غير ذلك من الآيات وقال تعالى في توحيد الذات وهو الله في السوات وفي الأرض الله نور السموات والأرض على تفسير أهل الإشارة وهم أهل الباطن وقال فأينما تولوا فثم وجه الله وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقال في محو الواسطة فإذا قرأناه فاتبع قرآنه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا الأرض أي بالحرث شقاً ويحتل أن تكون منها أو من توحيد الأفعال وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ولكن الله ألف بينهم وقد يجمع الحق تعالى في آية واحدة توحيد الصفات ويرقى إلى توحيد الذات كقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ثم رقاهم إلى الشهود بقوله أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد إلا أنهم في مرية من لقاء ربهم إلا أنه بكل شيء محيط وقال تعالى أن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ثم رقاهم من الغيب إلى الشهادة بقوله وأسروا قولكم أو أجهروا به أنه عليم بذات الصدور ألا يعمل من خلق وهو اللطيف الخبير فتحصل أن الأشياء كلها قائمة بالله أثبتها ليعرف بها ثم محاها بوحدانيته كما أشار إلى ذلك بقوله الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته قلت الأكوان هي ما ظهر في عالم الشهادة أو تقول ما دخل عالم التكوين وهي موجودة بوجود الحق قائمة به ثابتة بإثباته ليعرف بها ممحوة باحدية ذاته لانفراد وجوده فمن أثبتها لنفسها فقد جهله فيها وحجب بها عن شهود موجدها ومن أثبتها بالله فقد عرف فيها وشهد فيها مولاها فالثبوت للأكوان أمر عرضي والحق اللازم هو وجود أحدية الحق تعالى والأحدية مبالغة في الوحدة ولا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لا يتمكن أن يكون أشد وأكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الأكوان وبطلانها بحيث لا توجد إذ لو وجدت لم تكن أحدية ولكان في ذلك متعدداً وأثنينية كما قيل

أرب وعبد ونفى ضد — قلت له ليس ذاك عندي
فقال ما عندكم فقلنا — وجود فقد وفقد وجد
توحيد حق بترك حق — وليس حق سواى وحد

ومعنى كلام الشاعر الإنكار على من أثبت الفرق بان جعل للعبودية محلاً مستقلاً منفصلاً عن أسرار معاني الربوبية قائماً بنفسه ولا شك أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق وأنت تقول في توحيد

الحق لا ضد له فقد نقضت كلامك ولذلك قال ونفى ضد فالواو بمعنى مع وهو داخل في الإنكار أي أيوجد رب وعبد ستقل مع نفي الضد للربوبية والعبودية تضاد أوصاف الروبوبية والحق أن الحق تعالى تجلى بمظاهر لجمع في قوالب الفرق ظهر بعظمة الربوبية في إظهار قوالب العبودية فلا شئ معه وقوله في الجواب وجود فقد أي عندنا وجود فقد السوى وفقد وجود النفس وقوله توحيد حق بترك حق أي توحيد حق الحق بترك حق الغير ولا غير ولذلك قال وليس حق موجود سوى وجودي وحدى تكلم على لسان الفناء والله تعالى أعلم وقال آخر

سرسرى من جناب القدس أفناني لكن بذاك الفنا عني قد أحياني
وردني للبقاء حتى أعبر عن جمال حضرته لكل هيمان
وصرت في ملكوت من عجائبه لم ألف غير وجود ماله ثاني

وأنشد المؤلف لنفسه في لظائف المنن يوصى رجلاً من إخوانه اسمه حسن

حسن بأن تدع الوجود بأسره حسن فلا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بانه لا ترك إلا للذي هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم أنه من وهمك الأدنى وقلبك ذاهل
حسب الإله شهوده لوجوده والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت إلى الصريح من الهدى دلت عليه أن فهمت دلائل
وحديث كان وليس شيء دونه يقضي به الآن اللبيب العاقل
لا غرو إلا نسبة مثبوتة ليذم ذو ترك ويحمد فاعل

هذا آخر الباب الرابع عشر وحاصلها تحويش العباد إلى الله وتحبيبه إليهم بذكر ما اشتمل عليه الحق سبحانه من الكرم والإحسان وغاية اللطف والمبرة والامتنان وذلك أن سبحانه من علينا أولا بالطاعة والعمل وتفضل علينا ثانياً بالقبول مع ما اشتمل لعيه علمنا من النقص والخلل ثم إذا وقعت منا معصية أو زلل عطانا بستره وبمغفرته لنا تفضلاً وإذا توجهنا إليه بقلوبنا سترنا منها وعصمنا ليعظم قدرنا ويظهر شكرنا فنتخذه صاحباً وندع جانباً فحينئذ تشرق في قلوبنا أنوار اليقين ونرحل إلى الآخرة في أقرب حين ثم تشرق علينا أنوار الإحسان، فتنطوى لنا رؤية الأكوان بشهود نور الملك الديان فحينئذ ينشر محاسننا للعباد فيقبلون علينا بالثناء والمحبة والوداد، كما أبان هذا بقوله في أول الباب الخامس عشر وقال رضي الله نه الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكن أنت ذاماً لنفسك بما تعلمه منها قلت إذا مدحك الناس بشئ

ليس هو موجود فيك فاعلم أن ذلك هواتف من الحق يهتفون بك ويحوشونك إلى الزيادة ويقولون لك الخير أمامك فلا تقنع بذلك ولا تركن إلى ما هنالك بل ارجع إلى نفسك بالولوم ولا يغرنك ثناء القوم فإنهم لا يعلمون منك إلا الصوان الظاهر وأنت تعلم من نفسك اللب الباطن قال بعضهم من فرح بمدح الناس فقد مكن الشيطان أن يدخل بطنه وكان بعضهم يقول اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ولا تؤاخذني بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون وإنما قلنا مدائح الناس هواتف الحق إذ ليس في الوجود إلا الحق ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فأهل الفهم عن الله يستمعون إلى الخطاب فإذا سمعوه مدخهم بشئ نظروا فإذا كان فيهم علموا أنه تنبيه لهم على مقام الشكر وأن لم يجدوه فيهم علموا أنه تنبيه لهم على تحصيل ذلك المقام ولهذا لما سمع أبو حنيفة قوماً يمدحونه بقيام الليل كله وكان لا يقوم إلا نصفه جعل يقوم الليل كله وقد ذم الله قوماً أحبوا أن يمدحوا بما لم يفعلوا فقال ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقال المحاسبي رضي الله عنه مثل الذي يفرح بمدح الباطل كمن يقال له العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به اه ثم أن ذمك لنفسك إذا توجه الخلق إليك بالمدح إنما هو حياء من ربك حيث ستر عيوبك وأظهر محاسنك وهو الذي نبه عليه بقوله المؤمن إذا مدح استحى من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهد من نفسه قلت قد تقرر أن التحقيق ما ثم إلا سابقة التوفيق ومن تمام نعمته عليك أن خلق فيك ونسب إليك فإذا أطلق الثناء عليك بشئ لا نسبة لك فيه وإنما أنت محل لظهوره فاستحي منه تعالى أن يثني عليك بشئ تعلمه أنه من فعل غيرك أو لم يظهر عليك شئ منه أصلاً فإن مدحت بشئ زائد على ما ظهر فيك فاطلب منه القوة على الزيد فإن ربك فعال لما يريد ولا يضرك مدحك بما تفعل أن لم تقصد التعريض للمدح ففي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون من المؤمن قالوا الله ورسوله أعلم قال الذي لا يموت حتى يملأ مسامعه مما يحب ولو أن رجل عمل بطاعة الله في جوف بيت إلى سبعين بيتاً على كل بيت باب من حديد لألبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس بذلك ويزيدون قيل يا رسول الله كيف يزيدون قال المؤمن يحب ما زاد في عمله الحديث وفي حديث آخر قيل يا رسول الله الرجل يعمل العملي خفية ثم يتحدث الناس به فيفرح فقال عليه السلام له الأجر مرتين أجر العمل وأجر الفرح فإن مدح بما ليس فيه واغتر بذلك فهو جاهل بربه كما أشار إليه بقوله أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس قلت اليقين الذي عنده هو عمله بمساويه وخفايا عيوبه وما انطوت عليه سرائره من النقائص والتقصير وظن ما عند الناس هو ما يرون على ظاهره من الكملات وأنوار الظاعات التي تصحبها العلل الباطنية والحظوظ النفسانية فيتوجهون إليه بالمدح والثناء فإذا قنع بذلك وفرح بما هنالك فهو أجهل الناس وأحمق الناس إذ قد قنع بعلم الخلق و لم يخف من مقت الحق والمطلوب من الفقير عكس هذا وهو أن ينقبض عند المدح وينبسط عند الذم حتى

يستويا عنده هذا أن كان المادح من أهل الدين والخير وأما أن كان جاهلاً أو فاسقاً فلا غباوة أعظم من الرضي بمدحهم والفرح به فقد روى عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكي وقد مدحك فقال له أنه لم يمدحني حتى
وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه تركية الأشرار هجنة لك وحبهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء أن العامة يثبتون عليك فأظهر الوحشة من ذلك وقال لعلهم رأوا مني شيئاً أعجبهم ولا خير في شئ يعجبهم ويسؤني اه فينبغي للفقير أن يخفي محاسنه وأعماله التي يمدح عليها ويظهر ما يسقط به من أعينهم مما هو مباح كما تقدم في الخمول وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول فينبغي للفقير ألا يكون صيته أكبر من قدمه بل يكون قدمه أكبر من صيته وقدره أكبر من دعواه اه فيكون جلالي الظاهر جمالي الباطن فكل ما تظهر على ظاهرك من الجلال يدخل في باطنك قدره من الجمال وكل ما تظهره من الجمال يدخل قدره في باطنك من الجلال فتريين الظواهر يخرب البواطن فبقدر ما تخرب في الظاهر يكون عمارة في لباطن وبقدر ما تعمر في الظاهر يكون خراباً في الباطن ولله در شبح المجذوب رضي الله عنه حيث قال في شأن الجهال

اتفقوا على الدين تركوه	تعاندوا في المال الكساوى
الثوب من فوق غسلوه	وخلوا القلب خاوي

فإذا أظهرت الجلال وأخفيت الجمال ثم أطلق الثناء عليك الكبير المتعال بما لست له أهلاً فأثن عليه بما هو أهله كما أبان ذلك بقوله إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن لعيه بما هو أهله قلت إذا أطلقي الله تعالى الثناء عليك على ألسنة خلقه بما لا تعلمه من نفسك ولست بأهل له فأثن على الله بما هو أهله أي بما يستحقه من التعظيم ليكون ذلك شكراً لنعمة إطلاق الألسنة بالثناء عليك وأيضاً فإنه هو الذي ستر عنهم مساويك واظهر لهم محاسنك ولو أظهر لهم ذرة من مساويك لمقتوك وأبغضوك فإن العبد محل النقائض والحق تعالى محل الكمالات فكل ما ظهر عليك من الكمالات فإنما هي رشحة من كمالاته تعالى فالثناء في الحقيقة إنما هو لله فإذا وقع عليك فرده أنت إلى أصله وفي الحقيقة ما وقع إلا ي أصله ولكن لما اختلف القصد اختلف الحكم اثنى على بعض السادات وهو ساكت فقيل له في ذلك فقال وما على من ذلك فقال وما على من ذلك ولست أغلط في نفسي بل لست في البين والمجرى والمنشي هو الله تعالى اه هذه حالة أهل الجمع وكان بعض السادات يستعمل الفرق إذا سمع الثناء عليه ألقى على رأسه التراب في خلوته فالناس في حالة المدح والذم على ثلاثة أقسام يفرحون بالمدح ويكرهون الذم لأن نفوسهم غالبة

عليهم ولا شك أنها تفرح بالعز والرفعة وتنقبض بالذم والضعة وهم العوام الغافلون وقسم يكوهون المدح ويحبون الذم لأنهم في مجاهدة نفوسهم فكل ما يؤلمها ويقتلها أقبلوا عليه وكل ما يحييها ويقويها فروا منه وهم العباد والزهاد والسائرون من المريدين وقسم يفرحون بالمدح لشهوده من مولاهم وينقبضون من الذم لشهودهم جلال من به تولاهم وهم العارفون وقد أشار إلى القسم الثاني والثالث بقوله الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق قلت أما العباد والزهاد فلأنهم محجبون برؤية الخلق عن شهود الحق فإذا مدحوا شهدوا ذلك من الخلق وحجبوا عن الجمع بالفرق فانقبضوا وخافوا على نفسوهم أن تغتر بذلك أو تقف هنالك وهم عاملون على ما تموت به نفوسهم وتحيي به قلوبهم ولا شك أن المدح لها فيه حظ وافر فربما تميل إلى ذلك فتعتقد المزية على الغير فيوجب لها التكبر والرضى وهما أصل كل معصية واما الذم فلاحظ لها فيه إنما فيه موتها وفي موته أن حياتها فلذلك إذا مدحوا انقبضوا وإذا ذموا انبسطوا وسكت عنه الشيخ وكأنه يؤخذ بالمفهوم وأما العارفون الواصلون فلأنهم فانون عن أنفسهم باقون بربهم غائبون عن الخلق بشهود الملك الحق فإذا أثنى عليهم رأوا ألسنة الخلق أقلام الحق وشهدوا الجمع في عين الفرق ففرحوا بمدح مولاهم وانبسطوا عند من تولاهم فيزدادون له حباً وشوقاً ويفنون فيه شفعاً وعشقاً وفي مثل هؤلاء ورد الحديث إذا مدح المؤمن ربي الإيمان في قلبه ربوة وإذا ذموا انقبضوا سكوناً تحت قهرية الحق وأدباً مع جلاله وليس في هذا الانقباض دليل على كراهية الذم من حيث نسبته للخلق لأنهم يرون الخلق مصرفين بقدرة الحق وعلامة ذلك أنهم يسمحون لمن أجرى ذلك عليه بل يتعطفون لعيه ويتوددون بالمحبة إليه كما قال الشاعر

رب رام لي بأحجار الأذى ... لم أجد بداً من العطف عليه

فعسى يطلع الله على ... فرح القوم فيدنيني إليه

وفي تعبير آخر الناس في المدح والذم عل أربعة أقسام عوام جهال وعباد زهاد ومريدون ساكلون وعارفون واصلون فأما العوام فنفوسهم غالبة عليهم ودائرة الحس محيطة بهم محط نظرهم الخلق غافلون عن طلب الحق إذا مدحوا وأقبل عليهم الخلق فرحوا وبطروا لنيل مرادهم وتحصيل أغراضهم والنفس الأمارة مجبولة على حب الأمارة وإذا ذموا وأدبر عنهم الخلق انقبضوا وحزنوا لفوات ما أملوا فهؤلاء خربة من النور وأما العباد والزهاد فهم مجتهدون في العبادة فارون من الخلق طالبون رضى الحق مستوحشون من الناس تحققوا منهم الإياس فإذا أقبلوا عليهم بالمدح والثناء انقبضوا وخافوا أن يشغلوا عما هم فيه وإذا ذموا وادبر عنهم الخلق فرحوا وانبسطوا لتفرغهم حينئذ للعباد وإقبالهم على ما هم عليه من المجاهدة وما

المريدون السالكون فهم عالمون على قتل نفوسهم وحياة قلوبهم فإذا ذموا وأدبر الخلق عنهم فرحوا لما في ذلك من موت نفوسهم وحياة قلوبهم ولذا مدحوا انقبضوا خوفاً على قوة نفوسهم وضعف قلوبهم إذ في موت النفس حياة القلوب وفي حياة القلوب موت النفوس وأما العارفون فقد ظفروا بنفوسهم ووصلوا إلى شهود معبودهم فهم يستأنسون لكل شئ لمعرفتهم في كل شئ يأخذون النصيب من كل شيء ويفهمون عن الله في كل شئ فإذا مدحوا انبسطوا بالله لشهودهم المدح من الله وإلى الله ولا شئ في لأكون سواه وليس أحد أحب إليه المدح من الله كما في الحديث وإذا ذموا انقبضوا تأدباً مع جلال الله أو شفقة على عباد الله من عادى إلى ولياً فقد آذنته بالحرب فصار بسطهم بالله وقبضهم بالله واستغنوا به عما سواه وبهذا المعنى وهو الفناء على النفوس صح مدحهم لأنفسهم تحدثاً بما أنعم الله عليهم كالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه والشاذلي والمرسي والشيخ زروق وأشباههم رضي الله عنهم وذلك مشهور عنهم نظماً ونثراً ومن أجل ذلك أيضاً أقروا من مدحهم وأظهروا الانبساط عند مدحهم وللمؤلف رحمه الله قصائد في مدح شيخه أبي العباس وكان يقول له أيدك الله بروح القدس كما كان يقول عليه السلام لحسان بن ثابت رضي الله عنه حين يمدحه عليه السلام ومدح الشيوخ من أعظم القربات وأقرب الوسائل إلي الوصول إذ هم باب الله الأعظم ويد الله الآخذه بيد الداخلين إلى الحضرة فمن مدحهم فقد مدح الله أن الذين يبايعونك إنما يباعيون الله ومن ذمهم فقد ذم الله وكذلك مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب عظيم في الوصول إلى حضرة الكريم فإن قلت قوله عليه السلام أحثوا التراب في أوجه المادحين يقتضي العموم فيصدق بمدح العارفين وغيرهم قلت هو محمول على المدح بالكذب على وجه الطمع كما يقع للموك وأرباب الأموال طمعاً فيما عندهم أو يحمل على من كان باقياً مع نفسه خائفاً عليها كالعباد والزهاد فإذا مدحهم أحد فينبغي أن يزجروه ويحثوا في وجهه التراب قيل حقيقة وقيل كناية عن الخيبة والرد والنهي والزجر وأما العارفون المتحققون فقد عرفوا الممدوح وغابوا عن شهود الواسطة في المادح والممدوح مفعنا الله بذكرهم وخرطنا في سلكهم آمين ثم من علامة الكمال تحقيق الاعتدال واستواء الأحوال في ثمانية خصال المدح والذم العو والذل والقبض والبسط والمنع والعطاء وقد تقدم بعضها وأشاري إلى الأخيرتين بقوله ومهما كنت إذا أعطيت بسطك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك قلت الطفولية والتطفل هو الدخول في قوله ليس منهم و لم يستأذنهم والطفيلي هو الذي يأتي للوليمة من غير دعوة وهو منسوب إلى رجل منأهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يقول له طفيل الأعراس كان يأتي إلى الولائم من غير أن يدعي إليها فشبه المؤلف به من دخل مع القوم و لم يتحقق بما تحققوا به من استواء الأحوالي فإذا كنت أيها الفقير إذا أعطيت حظوظك ومناك واتصلت بعوائدك وهواك من الغنى والعز والجاه والبسط والصحو

والعافية وغير ذلك من الحظوظ والشهوات انبسطت وفرحت وإذا منعت من حظوظك وشهواتك وأبدلك الغني بالفقر والعز بالذل والجاه بالخمول والبسط بالقبض والصحة بالمرض والعافية بالبلية انقبضت وجزعت فاستدل بذلك على ثبوت تطفلك على كلاهم ولا نسبة لك من مقامهم وإنما أنت طفيلي الأعراس مازلت في غفلة النعاس واستدل بذلك أيضاً على عدم صدقك في عبوديتك إذا الصدق في العبودية يقتضي استواء

النعمة والبلية كما قال الشاعر

أحباي أنتهم أحسن الدهر أم أسا فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل

قالي أبو عثمان الحيري رضي الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربع أشياء في المنع والعطاء والعز والذل اه فإذا كان الفقير يتضعضع عند الجلال وينهزم عند حملة الأبطال فاعلم انه ضعيف الحال متطفل على مقامات الرجال قال في التنوير وقد ابتلى الله بحكمته ووجود منته الفقراء الذين ليسوا بصادقين بإظهار ما كتموا من الرغبة وأسروا من الشهوة فابتذلوا أنفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم ملايمين لهم موافقين لهم على ملذوذاتهم مدفوعين على أبوابهم فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس معتنون بإصلاح ظواهرهم غافلون عن إصلاح سرائرهم ولقد وسمهم الحق بسمة كشف بها عوارهم واظهر أخبارهم فبعد أن كانت نسبته أن لو صدق مع الله أن يقال فيه عبد الكبير فخرج من هذه النسبة لعدم صدقه فصار يقال له شيخ الأمير أولئك الكاذبون على الله الصادون العباد عن صحبة أولياء الله لأن ما يشهده العموم منهم يسحبونه على كل منتسب لهم صادق وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب شموس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشورا أعلامهم ولبسوا دروعهم فإذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين ألسنتهم منطلقة بالدعوى وقلوبهم خاوية من التقوى ألم يسمعوا قوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم أترى إذا سأل الصادقين عن صدقهم أيترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعوا قوله سبحانه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فهم في إظهار زي الصادقين وعملهم عمل المعرضين كما قال القائل

أما لا خيال فإنها كخيامهم وارى نساء الحي غير نسائها
لا والذي حجت قريش بيته مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عيني خيام قبيلة ألا بكيت أحبتي بفنائها

هذا آخر الباب الخامس عشر وحاصلها آداب المريد في المدح والذم ومرجعها إلى خمسة الأول ذم النفس عند مدحها بما ليس فيها الثاني استحياؤه من الله أن يمدح بوصف لا يشهده من نفسه الثالث أن يرجع إلى

يقين ما عنده وهداه الخامس أن يكون معتدل الحال سليم القلب فلا يحزن عند الذم ولا يفرح عند المدح قال بعض العارفين إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل اه وجاء رجل إلى شيخ شخنا مولاي العربي رضي الله عنه فجعل يمدحه في وجهه فقال له يا هذا لا تغرني بقولك أنا أعرف نفسي حين أكون أفضل الوجود أو أقل الوجود فالوقت الذي نكون فيه ذاكراً لربي أنا أفضل الوجود والوقت الذي لا نذكر الله فيهن أنا أقل الوجود أو كلام هذا معناه لكن هذا الآدب الخامس يختلف باختلاف الأحوال فالعباد يغلبون حب الذم على المدح والعارفون يغلبون حب المدح على الذم أو يعتدلون كما يعتدولن في حال المنع والعطاء والقبض والبسط والذل والعز ولا فقر ولا غنى وغير ذلك من اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار ومن جملة ذلك الخوف والرجاء بحيث إذا صدرت منهم طاعة لا يزيد رجاؤهم وإذا وقعت منهم زلة لا يعظم خوفهم ولا تنقص استقامتهم كما أشار إلى ذلك في أول الباب السادس عشر بقوله وقال رضي الله عنه إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبباً يؤنسك من حصول الاستقامة مه ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك قلت السائر الصديق أو الواصل إلى التحقيق كالراكب المغير جاداً في المسير كاد من السرعة أن يطير فإذا وقعت منه كبوة أو سقطه أو صدرت مه عثرة أو هفوة استوي على جواده واستمر على إغارته في طلب مراده فإذا سقط وجعل يتمرغ في سقطته كان ذلك دليلاً على فترته وعدم تحصيل طلبته فإذا وقع منك أيها الفقير ذنب فلا يكن سبباً في قطعك عن الله أو يؤنسك من الاستقامة مع الله فيتضاعف عليك وبال المعصية وتعظيم في حقك المصيبة والبلية فقد يكون ذلك رحمة بك وتنبيهاً لك من سنتك كحصول ملل وفترة فإذا سقطت نهضت وإذا قمت جددت

وقد تكون ذلك آخر ذنب قدره الله عليك وتأمل ما وقع لكثير من الأكابر كانوا لصوصاً فصاروا خصوصاً كإبراهيم بن أدهم والفضيل وأبي يعزى وغيرهم ممن لا يحصى فليكن لك بهم أسوة في حسن الظن بالله قال تعالى لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم خطأ وخير الخطائين التوابين وقال عليه السلام أن الله يحب كل مفتن تواب يعني كثير الذنب كثير التوبة قال تعالى أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فهذه الآيات تقوى رجاء العباد وتوجب الاعتال والسداد وقد بين أصل الرجاء والخوف ومنشأهما فقال إذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك ولذا أردت أن ينفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك إليه قلت إذا أردت أيها الإنسان أن يتقوى رجاؤك في الكريم ألمنان فاشهد ما منه إليك من الإحسان واللطف والمبرة والامتنان فهل عودك إلا حسناً وهل أسدي إليك إلا مننا عليك بسط منته ولك هيأ جنته أنعم عليك في هذه الدار بغاية الإنعام وما قنع لك بذلك حتى أعدلك دار السلام باقية مستمرة على الدوام ثم أتحفك بالنظر إلى

وجهه الكريم تماماً على سابق إحسانه القديم
وإذا أردت أن ينفتح لك باب الحزن والخوف فاشهد ما منك إليه من الاساءة والتقصير في العبادة أو من موافقة الشهوة والاسترسال مع الغفلة فإنك أن شهدت ذلك دام حزنك وقوي خوفك وربما كان سبباً في سوء ظنك بربك فتزل قدم بعد ثبوتها وفي الحديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم فدل الحديث على أن شهود الكرم أفضل عند الله من شهود الانتقام وخصلتان ليس فوقهما شئ من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شئ من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله كما في الديث وبقيت مرتبة ثالثة وهي الغيبة عن الرجاء والخفو بشهود ما من الله إلى الله وهو مقام أهل الشهود فلذلك اعتال أمرهم في جميع الأحوال نفعنا الله بذكرهم آمين ثم أن ثمرة الرجاء ونتيجته البسط وثمرة الخوف ونتيجته القبض فلذلك ذكره بعدهما فقال ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعاً قلت القبض والبسط حالتان يتعاقبان على الإنسان كتعاقب الليل والنهار فالليل محل السكون والقرار والنهار محل التحرك والانتشار القبض لاحظ فيه للنفس والبسط تأخذ النفس حظها منه وما لاحظ فيه للنفس أقرب للسلامة وأعظم للإفادة فالقبض كالليل والليل محل المناجاة والمصافاة وملاقاة الأحباب ورفع الحجاب فربما أفادك في ليل القبض م انخناس النفس وذهاب الحس وموالاة الأنس ما لا تستفيده في نهار البسط من تحصيل العلوم وتحقيق الفنون ومجالسة الأخيار ومخالطة الأبرار فالقبض له فوائد والبسط له فوائد والعبد لا يدري أيهما أقرب له نفعاً فتعين الوقوف مع ما يواجهه من جهة الحق فيتلقاه بالقبول والأدب وقد تقدم آداب كل واحد منهما عند قوله بسطك كي لا يتركك مع القبض الخ فلا تطلب البسط أن واجهك بالقبض ولا تطلب القبض أن واجهك بالبسط فقد تستفيد من أحدهما مالا تستفيده من الآخر فلا تدري أيهما أنفع ولا أيهما أضر ولذلك استدل بالآية التي نزلت في ميراث الأب من الابن فالبسط كالأب لأنه ناشيء من شهود ما منه إليك وهو فعل الحقي الذي صدر مه كل موجود وهو الأصل والقبض كالابن لأنه ناشئ من شهود ما منك إليه وهو الفرع إذ الفعل كله من القدرة وأما الحكمة فإنما هي تغطية وإذا كان العبد جاهلاً بمنتفعتهما كجهله بالأنفع من الآباء والأبناء تعين متابعة الحق باتباع مراده وانتهاجه حاله من غير تحول ولا انتقال ولا تشوف إلى غير ما هو فيه من ذلك الحال بذلك يتنور قلبه ويتطهر سره ولبه فتكشف عنه الحجب والاستار ويتهيأ لحمل الأنوار والأسرار كما أبان ذلك بقوله مطالع الأنوار القلوب والأسرار قلت المطالع جمع مطلع وهو محل طلوع الشمس وغيرها والنوار هنا الواردات والكشوفات التي تكشف الحجب وترفع رداء الصون عن مظاهر الكون وقد تقدم أن النفس والعقل والقلب والروح والسر عند كثير من الصوفية شئ واحد وما هي إلا الروح تتطور

بحسب التصفية والترقية فما دامت مشغولة بحظوظها وشهواتها فهي نفس ونورها مكسوف فإذا انزجرت وعقلت بعقال الشرع إلا أنها تميل إلى المعاصي والذنوب فتارة تعصى وتتوب وتارة تحن وتؤوب سميت عقلاً ونروها قليل لأنها محبوسة في سجن الأكوان معقولة بالدليل والبرهان فإذا سكنت عن المعاصي إلا انها تنقلب بين الغفلة واليقظة وبين الاهتمام بالطاعة والمعصية سميت قلباً وهو أول مطالع الأنوار فتشرق عليه أنوار التوجه فلا تزال تترادف عليه الواردات وهي أنوار التوجه

حتى يسكن إلى الله ويطمئن بذكر الله فحينئذ تسمى روحاً وهو أول مطالع أنوار المواجهة فبهذه الأنوار ينكشف الحجاب وينفتح الباب وتدخل في حضرة الأحباب فإذا اتصفت من غبش الحس وتطهرت من كدر الأغيار سميت سراً وهو أول مطالع أنوار المعاينة والمكالمة ثم لا حال ولا مقام يا أهل يثرب لا مقام لكمن فارجعوا وأما الترقي في العلوم والمعارف فلا نهاية له على الأبد فالقلوب مطالع ومشارق أنوار التوجه والأسرار مطالع ومشارق أنوار المواجهة والمشاهدة والمعاينة والروح والسر قريب بعضها من بعض في المرتبة فلذلك سكت الشيخ عن الأرواح لاندراجها في الأسرار والحاصل أن النفوس والعقول الظلمة غالبة عليهما لأنهماكهما في الحس وفنائهما في الغلس والخنس فليستا مطلعاً لشئ من النور لعدم توجههما إلى الكريم الغفور وأما القلب والروح والسر فهي مطالع الأنوار أي محل طلوعها وإشراقها إلا أن القلب مطلع لأنوار التوجه والروح والسر مطلعان لأنوار المواجهة وقد تقدم تفسيرهما عند قوله هتدى الراحلون الخ وقد سوى الشيخ بينهما ومراده ما ذكرناه والله تعالى أعلم ثم بين ابتداء مطلع هذا النور وهو القلب ثم يشرق على الروح ثم على السر فقال نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب قلت النور المستودع في القلوب هو نور اليقين ويكن أولاً ضعيفاً كنور النجوم وهو نور الإسلام ثم لا يزال يتقوي ويستمد من النور الوارد من خزائن الغيوب حتى يكون كنوز القمر وهو نور الإيمان ثم لا يزال ينمو بالطاعة والذكر والصحبة حتى يكون كنور الشمس وهو نور الإحسان وخزائن الغيوب هي أنوار الصفات وأسرار الذات فمنها تستمد أنوار الإسلام وأنوار الإيمان ثم تشرق أنوار الإحسان فيتغطى وجود الأكوان قال في التنوير ولو انهتك حجاب الوهم لوقعي العيان على فقد الأعيان ولا شرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان اه واعلم أن وجه اصطلاح الصوفية رضي الله عنهم في ترتيب الإسلام أولاً ثم الإيمان ثم الإحسام أن العبد ما دام مشغولاً بالعبادة الظاهرة الحسية سمى ذلك المقام مقام الإسلام فإذا انتقل العمل للقلب وهو اشتغاله بتصفية القلب بالتخلية والتحلية وتحقيق الاخلاص سمى ذلك مقام الإيمان فإذا انتقل العمل للروح وللسر وهو الفكرة والنظرة سمى مقام الإحسان بخلاف الفقهاء فإنهم يقدمونن الإيمان على الإسلام فيقولون لا يصح شئ دون الإيمان ولا مشاحة في الاصطلاح قد علم كل أناس مشربهم قال بعض المحققين اعلم ا، لعا لم الملك وهو عا لم الشهادة أنوار ظاهرة ولعا لم الملكوت وهو عا لم

الغيب أنوار باطنة وأشهر ما في عالم الملك ثلاثة أنوار نور الشمس ونور القمر ونور النجوم ويقابلها من عالم الملكوت نور المعرفة ونور الفهم ونور العلم فبطلوع نجم العلم في ليل الجهل تبدوا الآخرة والأمور الغيبية وبطلوع قمر الفهم في أفق التوحيد يشهد قرب الحق وبطوله شمس المعرفة في أفق التفريد يقوي اليقين ويلوح وجه المشاهدة وأول نور يلج في الصدر نور الإسلام فإذا انشرح القلب به انقذف فيه نور الإيمان فإذا اتقوى فيه صار شهوداً اه المراد منه قلت وبهذا النور وسع القلب معرفة الحق وهو الذي أشار إليه في الحديث القدسي أن يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فانظر هذا القلب الذي وسع الرب سبحانه ما أعظمه وأجله فتحبب يا أخي إلى أرباب هذه القلوب التي وسعت علام الغيوب حتى يوصلوك إلى وصلوا إليه من علم الغيوب وبالله التوفيق ثم ذكر ثمرة النور وهي الكشف عن حقائق الأشياء فقال نور يكشف لك له عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه قلت أصل النور من حيث هو الكشف فالنور الحسي يكشف عن المحسوسات والنور المعنوي يكشف عن المفهومات أو تقول نور الحس يكشف عن الأواني والنور المعنوي يكشف عن المعاني ولا عبرة برؤية الأواني حاوية عن المعاني ثم أن النور المعنوي ينقسم على ثلاثة أقسام باعتباره القوة والضعف فنور الإسلام الذي هو كالنجوم يكشف لك الحق تعالى به عن وجود آثاره فتستدل بها على صانعها ونور الإيمان الذي هو كالقمر يكشف لك به عن ثبوت أوصافه فلا يترحك شئ أو يسكن إلا تراه بقدرة الله وإرادته وعلمه وحياته إلى آخر صفاته ونور الإحسان يكشف لك به عن حقيقة ذاته فلا ترى شيئاً إلا رأيت صانعه فيه بواسطة تجلياته، الله نور السموات والأرض فنهاية كشف النور ألول

الفناء في الأفعال ونهاية كشف النور الثاني الفناء في الصفات ونهاية كشف النور الثالث التمكين في الفناء في الذات واستغنى الشيخ عن النور الثالث بذكر النور لثاني لأن الفناء في الصفات قريب من الفناء في الذات لأن الصفات لا تفارق الموصوف فمن كان يرى سمعه بالله وبصره بالله وحركته بالله يري وجوده بالله ولذلك استغنى بعضهم بالفناء في الذات عن الفناء في الصفات لتقاربهما فمهما تحقق أحدهما تحقق الآخر والله تعالى أعلم ويحتمل أن يريد بقوله نور يكشف لك به عن آثاره النور الحسي المدرك بالبصر الحسي ونور البصر الحسي لا يستقل بادراك المؤثر في الأثر ما لم تمده الأنوار الباطنية العقلية فالمدار إنما هو على الأنوار الباطنية وأما الحسية فمدركه لكل أحد حتى البهائم فلا خصوصية لها وبالله التوفيق ثم المطلوب من العبد هو الترقي من نور شهود الأثر إلى نور الصفات ثم إلى نور شهود الذات وقد تقف بعض القلوب مع النور الأول فتحجب عن الثاني ومع النثاني فتحجب عن الثالث كما إبان ذلك بقوله ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار قلت قد تقف بعض القلوب مع أنوار المقامات دون الوصول إلى الغايات فتحجب عن الوصول كما حجبت النفوس بكثائف الغيار قلت قد

تقف بعض القلوب مع أنوار المقامات دون الوصول إل الغايات فتحجبت عن الوصول كما حجبت النفوس بكثائف المحسوسات عن إدراك لظائف المعاني والمفهومات وذلك أما لعدم شيخ التربية أو لضعف الهم عن التربة فقد ينكشف لبعض القلوب عن سر توحيد الأفعال فتفنى في العمل وتذوق حلاوته فتقف مع وهواتف الحقيقة تناديها الذي تطلبه أمامك وقد سنكشف لها عن سر توحيد الصفات وتلوح لها أنوار المقامات كتحقيق الزهد والروع وصحة التوكل والرضى والتسليم وحلاوة المحبة والاشتياق إلى غير ذلك فتقنع بذلك وتقف هنالك والمطلوب هو الكشف عن سر توحيد الذات وأنوار الصفات، وأن إلى ربك المنتهي، فالنور عبارة عن الحلاوة والقوة التي يجدها المريد في باطنه من مزيد إيمان وقوة إيقان فحلاوة الخدمة لأهل الفناء في الأفعال وحلاوة الذكر الحسي اللساني أو القلبي لأهل الفناء في الصفات مع الحجاب وحلاوة الفكرة والنظرة لأهل الفناء في الذات وأن شئت قلت ربما وقفت القلوب مع أنوار الأحوال فتحجبت عن مقامات الرجال أو مع أنوار المقامات الفناء في الذات وإن شئت قلت ربما وقفت القلوب مع أنوار الحوال فتحجبت عن مقامات الرجال أو مع أنوار المقامات فتحجب عن معرفة الذات ولذلك قال لا شيخ ابن مشيش لتلميذه أبي الحسن أشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار خاف رضي الله عنه أن يحجب بحلاوة الرضى والتسليم عن شهود لاذات واعلم أن الوقوف مع الأحوال أو المقامات إنما هو من عدم الوصول إلى الشيخ وأما من صحب الشيخ وأكثر الوصول إليه فلا بد أن يرحله إلى المقصود إلا أن يرى همته ضعينة لا تطيق أنوار الشهود فيتركه على ما هو عليه حتى تنهض همته إلى شهود المعبود وشبه الشيخ رضي الله عنه حجب القلوب بالأنوار بحجب النفوس بالأغيار لاشتراكهما في الحجب عن الله لكن حجب النفس بالأغيار أشد لأنها ظلمة والظلمة أشد حجاباً من النور فالقلوب نورانية حجبت بالنور والنفوس ظلمانية حجبت بالظلمة وكثائف الأغيار هي ما ظهر من بهجة الدنيا وزخرفها وغرورها وزهرتها وهي التي أشار إليها الحق تعالى بقوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة الخ الآية ويدخل فها ما يلايمها من حب الجاه والرياسة وحب المدح والتعظيم وغير ذلك من شهواتها وعوائدها وهي التي حجبت حل الناس وساقتهم إلى الخيبة والإفلاس نسئل الله العصمة بمنة وكرمه ويدخل في الأغيار العلوم العقلية واللسانية فالاشتغال بها والوقوف مع حلاوتها من أشد الحجب عن معرفة الله أعني المعرفة الخاصة ويدخل فيها أيضاً الكرامات الحسية كالطيران في الهواء والمشي على الماء فالوقوف مع ذلك من أشد الحجب أيضاً ولذلك قال بعضهم أشد حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد فسبحان من حجب العلماء بعلمهم عن معلومهم والعباد بعبادتهم معبودهم والصالحين بصلاحهم عن مصلحهم والله من وراء ذلك كله وفي ذلك كله وفي ذلك يقول الششتري رحمه الله

تقيدت بالأوهام لما تداخلت		عليك ونور العقل أورثك السجنا

وهمت بأنوار فهمنا أصولها		ومنبعهما من أين كان فما همنا

وقد تحجب الأنوار للعبد مثل		ما تبعد من الظلام نفس حوت ضعنا

وحكمة وجود هذه الأنوار الحسية والأغيار ولظلمانية تغطية وستر لأنوار السرائر الباطنية كما أبان ذلك بقوله ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالاً لها أن تبتذل بوجود الإظهار أن ينادي عليها بلسان الاشتهار قلت أنوار السرائر هي العلوم اللدنية والمعارف الربانية ويجمعها علم الربوبية الذي يجب كتمه عن غير اهله ومن أباحه أبيح دمه وهو الذي قتل بسببه الحلاج وكثائف الظواهر هي البشرية الظاهرة أو تقول أنوار السارئر هي الحرية الباطنية وكثائف الظواهر هي العبودية الظاهرية أو تقول أنوار السرائر هي علم القدرة الباطنية وكثائف الظواهر هي علم الحكمة الظاهرة فأنوار السرائر معان لطيفة رقيقة سترها الله تعالى بالكثائف الظاهرة ولذلك وقع الإنكار على أهلها قديماً وحديثاً حتى قال الكفار ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقالوا ما ذا إلا بشر مثلكم ووقوع الإنكار على أولياء الله سنة ماضية وحكمة ذلك إجلال وتعظيم لها أن تبتذل وتظهر بوجود الإظهار وأن ينادي عليها بلسان الاشتهار فلا يبقى لها سر ولا عز ولهذا طلب الأولياء بالخمول واستعمال الخراب والتلبيس قال الششتري رضي الله عنه

إذا رأيت الوجود		قد لاح في ذاتك

هودس ولازم الجحود		ذاتك صفاتك

واضرب بترسك ال		عقود وألق عصاتك

والتهودس التحمق والترس ما يستر به الإنسان مواقع النبل والمراد بالعقود العلائق والشواغل أي اضرب بسيف عزمك علائقك وعوائقك والقاء العصى كناية عن طرح كل ما يستند إليه أو يعتمد عليه من أصحاب أو أحباب أو أسباب أو حول أو قوة أو غير ذلك مما يقع الركون إليه ويحتمل أن يريد بأنوار السرائر معاني الصفات السارية في الذات وبكثائف الظواهر المحسوسات الظاهرة فلا ظهور للصفات إلا بالذوات الحسية ولا قيام للذوات إلا بالصفات فستر الله سبحانه صفاته الأزلية اللطيفة بظهور الذوات البشرية الكثيفة صونا لسر الربوبية أن يبتذل بالإظهار أو ينادي عليه بلسان الاشتهار والحاصل أن الأشياء كلها قائمة بين ذات وصفات بين حس ومعنى بين قدرة وحكمة فستر الحق سبحانه معاني أسرار الذات اللطيفة بظهور الذوات الكثيفة وستر المعنى اللطيف بالحس الكثيف وستر القدرة بالحكمة والكل من الله وإلى الله ولا موجود سواه وهذه الكثائف الظاهرة هي أردية وقمص للمعاني اللطيفة أو تقول هي رداء الصون الذي نشر على الكون فإذا انهتك الرداء أو قطع بقي المعنى سالماً فالتصرفات القهرية إنما تجر

الأردية ولستور دون المعاني والنور فالحق متزه ومقدس أن يلحقه ما يلحق العبد فلتكف عن طلب المزيد والعجز عن الادراك من وصف العبيد وقد مثلوا أيضاً كمون المعاني اللطيفة في الأشباح الكثيفة بالحبوب اليابسة في الأغصان الرطبة فهي كامنة مستترة فإذا نزل المطر اخضرت الأشجار وأخرجت الثمار التي كانت كامنة فيها وإلى هذا المعني أشار ابن البناء في مباحثه الأصلية حيث قال

وهي من النفوس في كمون	كما يكون الحب في الغصون
حتى إذا أرعدت الرعود	وانسكب الماء ولأن العود
وجال في أغصانها الرياح	فعندها يرتقب اللقاح

هذا آخر الباب السادس عشر وحاصلها آداب السائر في حال سيره بحيث لا يقف مع معصية ولا يركن إلى طاعة ولا يغلب عليه خوف ولا رجاء ولا قبض ولا بسط بل يبرز من الغيب فينلقاه بالمعرفة والرحب فإذا فعل ذلك أشرقت لعيه الأنوار فتخرجه من رق الآثار حتى تفضى بع إلى شهود الملك القهار لكن لا بد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب ولليواقيت من صوان فخفيت الأنوار بكثائف الأغيار إجلالاً لها أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادي عليها بلسان الاشتهار فمن أحل ذلك أخفى أوليائه في خلقه فلا يطلع عليهم إلا من أراد أن خصه بما خصهم به من سره كما بان ذلك في أول الباب السابع عشر بقوله وقال رضي الله عنه سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ول يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه قلت الدليل هو الموصل للمطلوب فلذا صار الحق تعالى بك إلى ولى عارف به ودلك عليه فقد سار بك إلى معرفته ودلك عليه فمنهما دلك على وليه وأطلعك على سره فقد دلك عليه ووصلك إلى حضرته شريعاً فلم يجعل الحق سبحانه الدلالة على أوليائه والوصول إليهم إلا من جهة الدلالة عليه و لم يوصل أحداً إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه فلأجل هذه الملازمة وعدم الإنفكاك تعجب الشيخ من ذلك وقال شخنا رضي الله عنه في قوله المؤلف رضي الله عنه وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به قال وصولك إليه وصولك إلى عارف به يعني مهما وصلك إلى عارف به وأطلعك عليه فقد وصلك إليه ومهما حجبك عن العارفين به فقد حجبك عنه فلا طريق إلى معرفة الله إلا من طريق معرفتهم ولا دليل على الله أعني على معرفته الخاصة العيانية إلا من حيث الدليل عليهم وكما حجب الحق سبحانه ذاته المقدسة بعزته وقهريته كذلك حجب أولياءه بما أظهر عليهم من أوصاف البشرية فلا يعرفهم إلا من سبقت له العناية الربانية إذ لا يعرف الخواص إلا الخواص قال في لظائف المنن أهل الله من خاصة عباده هم عرائس الوجود والعرائس محجبون عن المجرمين فهم أهل كهف الأيواء فقليل من يعرفهم وقال

الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه معرفة الولى أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بكماله وجماله ومتى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ثم قال وإذا أراد أن يعرفك بولى من أوليائه طوى عنك شهود بشريته وأشهدكن وجود خصوصيته أيضاً فإن الولى لا يعرف بالصورة الظاهرة وإنما يعرف بالمعاني الباطنة لأن الله لا يعبأ بالصور رب أشعث اغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لا بره في قسمه فمن أراد معرفته بالصورة فلا يعرفه لأنه لا يري إلا بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فالعين لا ترى إلا الأجسام الكثيفة التي يطرأ عليها ما يطرأ على أهل الحجاب و لم يدرك ما انطوت عليه الصورة من المعاني اللطيفة والأسرار المنيفة فمن أراد الله سعادته رزقه الاعتقاد والتصديق أولاً ثم الهداية والتوفيق ثانياً فالتصديق بأسرار الولاية أول المعرفة ولهذا قال الشيخ أبو الحسن التصديق بطريقتنا هذه ولاية وقال بعضهم لله رجال لا يعرفهم إلا الخاصة ولله رجال يعرفهم الخاصة والعامة ولله رجال لا يعرفهم لا الخاصة ولا العامة ولله رجال أظهرهم في البداية وسترهم في النهاية ولله رجال سترهم في البداية وأظهر في النهاية ولله رجال لا يعرفهم سواه ولا يطلع على ما بينه وبينهم إلا الحفظة الكرام الذين وكلوا بحفظ السرائر ولله رحال اختص الله بمعرفتهم لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم إلى الحفظة فمن سواهم حتى يلقونه فهم شهداء الملكوت الأعلى وهم المقربون وهم الذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده وهم الذين طابت أجسامهم من طيب أرواحهم فلا يعدو عليها الثرى حتى يبعثون مشرقين بانو أر البقاء المجعول فيهم ببقاء الأبد مع الباقي الأحد وهم المخففون تحت حجاب الأنس المغموسون في بحار والقدس فليس لهم مع غيره قرار ولا عن أنفسهم أخبار تولى الله شأنهم ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله م الغالبون اه قال الشطبي وهذه السرار التي انطوت عليها أسرار الأولياء واحتجبت عن العامة هي أسرار الملكوت الغيبية التي أشار إليها بقوله ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد قلت الملكوت مبالغة في الملك هذا باعتبار اللغة وأما باعتبار اصطلاح الصوفية فالعوالم ثلاثة ملك وملكوت وجبروت فالملك ما يدرك بالحس

والوهم والملكوت ما يدرك بالعلم والفهم والجبروت ما يدرك بالبصيرة والمعرفة وهذه المعرفة وهذه العوالم محلها واحد وهو لوجود الأصلى والفرعي وإنما تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقي في المعرفة فالوجود عند المحققين من العارفين واحد قسم لطيف غيب لم يدخل عالم التكوين وقسم كثيف دخل عالم التكوين فالأول يسمى عالم الغيب والثاني علام الشهادة وما كان خفياً في عالم الغيب ظهر في عالم الشهادة فمن نظر إلى حس الأشياء الظاهر سماه ملكاً ويسمى أيضاً عالم الحكمة وعالم الأشباح ومن نظر إلى أسرار المعاني القائمة بالأواني وهي أسرار الذات القائمة بانوار الصفات سماه ملكوتاً ومن نظر إلى السرار الأزلية التي كانت حال الكترية التي لم تدخل علام التكوين سماه جبروتاً أو تقول

ومن نظر إلى الكثيف الذي دخل التكوين ورآه مشتغلاً بنفسه قائماً بقدرة اله سمى في حقه ملكاً وهو لأهل الحجاب من أهل الفرق وبم رآه نوراً فائضاً من النور اللطيف متصلاً به إلا انه تكثف بالقدرة وتستر بالحكمة سماه ملكوتاً وسمى اللطيف الباقي على أصله الذي لم يدخل عالم التكوين الذي هو اول كل شئ وآخر كل شئ ومحيطاً بكل شئ جبروتاً فإن ضم الفرع إلى أصله والكثيف إلى اللطيف سمى الجميع جبروتاً وهذه المعاني لا يفهمها إلا أهل الأذزاق بصحبة أهل الأذواق وحسب من لم يبلغ لهذا المقام التسليم وإلا وقع في الإنكار على أولياء الله بما لم يحط به علماً ولنرجع إلى كلام الشيخ رضي الله عنه فنقول ربما كشف الله عنك الحجاب وترقيت إلى الدخول مع الأحباب فأخرجك من سجن رؤية الأكوان إلى شهود المكون ومن علم الأشباح إلى عالم الأرواح فأطلعك عل غيب ملكوته فأبصرت الكون كله نوراً فاشضاً من بحر الجبروت فالحقته بأصله وفنيت عن شهود الملك الذي هو عالم الفرق بشهود الملكوت الذي هو عالم الجمع الذي قال فيه ابن البناء

مهما تعديت عن الأجسام   أبصرت الحق ذا ابتسام

وحجب عنك الاستشراق على أسرار العباد رحمة بك لأنك قد تحجب بذلك عن شهود الملكوت فلا عبرة عند المحققين بمكاشفة أسرار العباد فقد تون عقوبة في حق صاحبها كما يأتي وقد يكون ذلك لمن لا استقامة له أصلا كالكهان والسحرة وغيرهم والغالب أن أهل شهود الملكون يحجبون عن مكاشفة أسرار العباد لاشتغالهم بما هو أعظم وأحظى عند الله وإنما تكون هذه المكاشفات عند العباد والزهاد وأهل الرياضيات والمجاهدات ولا تنكر أن تكون عند العارفين فقد تجتمع لهم المكاشفة والكشف أي مكاشفة أسرار العباد وكشف الحجاب عن الفؤاد إلا أن الغالب هو استغراق الروح في شهود نور الملكوت دون الاستشراف إلى أسرار العباد التي هي من عالم الملك وقد كان الشيخ أبو يعزي رضي الله عنه يطلع على سرائر الناس ويفضهم فكتيب إليه شيخه أبو شعيب أيوب المعروف بالسارية من أزمور يحذره من ذلك وينهاه عن هتك أستار المسلمين فكتب له الشيخ أبو يعزي يجيبه ليس هذا من دقرة البشر أن يسع أحد معرفة أسرار العباد وإخراج عيوبهم من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وإنما هو شئ يلقي إلى ويقال لي قل واسمع الخطاب أنت أية من آيات الله والمراد منك أن يتوب الخلق على يديك فتأخذني غلبة وتستولى على ملكه لا أقدر معها عن الكف عن القول اه وكان الشيخ أبو عبد الله التاوى يقول ما قطعه الشيخ أبو يعزي في ستة عشر سنة قطعته أنا في أربعين يوماً و لم يشم لطريقتنا هذه غباراً والله تعالى أعلم وكلهم أولياء الله نفعنا الله بذكرهم وليس قصدنا تنقيص أحد منهم وإنما مرادنا أن طريق المكاشفة ليس هي

النهاية بل قال بعضهم هي البداية وبالله التوفيق وقد تكون وبالا في حق المريد كما أبان ذلك بقوله من أطلع على أسرار العباد و لم يتخلق بالرحمة الإلهية كان إطلاعه فتنة لعيه وسبباً بجر الوبال إليه قلت الاظلاع على أسرار العباد قبل التمكن في الشهود والتخلق بأخلاق الملك المعبود فتنة عظيمة وبلية ومصيبة وذلك لأنه قبل التمكين في المعرفة قد يشتغل بذلك قلبه وينشوش خاطره ولبه فيفتره عن الشهود ويفتنه عن الرسوخ في معرفة الملك الودود وأيضاً ما دامت النفس و لم يقع الفناء عنها قد يعتقد بذلك المزية على الناس فيدخله الكبر والعجب وهما أصل المعاصي فكان اظلاعه حينئذ على أسرار العباد سبباً في جر هذا الوبال أي العقوبة إليه وهو التكبر على الناس واعتقاد المزية عليهم وهو سبب البعد عن الله بخلاف ما إذا تمكن في معرفة الحق وتخلق بأخلاقه وتحقق بمعاني صفاته وأسمائه فإنه يكون على خلق الرحمن فإذا اطلع على معاصي العباد ومساويهم رحمهم وسترهم وحلم عليهم

وقد قال عليه السلام الخلق عيال الله وأقربكم إلى الله أرحمكم بعياله وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء وفي الإشارات عن الله سبحانه عبدي أن أستخلفك شققت لك من الرحمانية شقاً فكنت أرحم من المرء بنفسه وروى أن إبراهيم عليه السلام حدث نفسه أنه أرحم الخلق فرفعه الله حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم وما يفعلون فقال يا رب دمر عليهم فقال له الله تعالى أنا أرحم الخلق فرفعه الله حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعمالهم وما يفعلون فقال يا رب دمر عليهم فقال له الله تعالى أنا أرحم بعبادي منك يا إبراهيم فلعلهم يتوبون ويرجعون وفي بعض التفاسير أنه كان يعرج كل ليلة إلى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشي على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فنودي كف عن عبادي رويداً رويداً فأني طالما رأيتهم عاصين وفي رواية أخرى فأوحى الله إليه يا إبراهيم أين رحمتك للخلق أنا أرحم بعبادي منك أما يتوبون فأتوب عليهم وأما أن أخرج من أصلابهم من يسبحني ويقدسني وأما أن يبعثوا في مشيئتي فأعفوا العاقل يا إبراهيم كفر ذنبك في دعوتك بدم قربان فنحرا بلافنودي في الليلة الثانية كفر ذنبك بدم فذبح بقراً فقيل له في الثالثة فذبح غنماً فقيل له في الرابعة كذلك فقرب من الأنعام إل الله ما بقي عنده فقيل له في الخامسة فقال يا رب لم يبق لي شئ فقيل له إنما تكفر ذنبك بذبح ولدك لأنك دعوت على العصاة فهلكوا فملا شمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدي وثمرة فؤادي وأحب الناس إلى فسمع هاتفاً يقول أما تذكر الليلة التي سأتل اهلاك عبادي أو ما تعلم أني رحيم بعبادي كما أنت شفيق بولدي فإذا سألتني أهلاك عبادي سألتك ذبح ولدك واحداً بواحد والبادي اظلم اه ولما كان الاطلاع على أسرار العباد قد يدرك بكثرة الطاعات والاجتهاد فقد تقصد

النفس بالطاعة هذا الحظ الدنئ وهو مرض خفي نبه عليه الشيخ بقوله حظ النفس في المعصية ظاهر جلى وحظها في الطاعة باطن خفي ومداواة ما خفي صعب علاجه قلت حظ النفس في لمعصية هي متعة البشرية الظاهرة كلذة الأكل والشرب والنكاح وسماع اللهو وغير ذلك مما هو أذواق الحس التي هي محرمة.

وحظها في الطاعة هي طلب الكرامات وخوارق العادات والاطلاع على المغيبات وكحب الخصوصية والمترلة عند الناي ومداواة هذا المرض الأول الجلي لأن مداواة المرض الحسي الخفي أصعب من مداواة الجلي فكذلك المعنوي الباطني ما كان جلياً متعلقاً بالنفس أصعب مما خفياً متعلقاً بالروح فالأول يمكن دواؤه بالعزلة والفرار من مواطن الأشرار وبصحبة الأخيار وبكثرة الطاعة والإذكار بخلاف الثاني فلا تزيده الطاعة إلا كثرة وقوة إذ بها صارت تطلب حظها فلا يداويها من هذا إ خوف مزعج أو شوق مقلق أو ولى عارف محقق يصحبه بالمحبة والتصديق قال بعضهم من عسرت عليه نفسه فليسلمها إلى شيخ التربية قال تعالى وأن تعاسر ثم فسترضع له أخرى وأن عسرت عليكم أنفسكم فسترضع له نفسه نفس أخرى حتى يكمل أوان فطامها فإن لم يكن واحد من هذه مات وهو سقيم و لم يلق الله بقلب سليم فالواجب على العبد اتهام نفسه ومراقبة قلبه فلذا استحلت النفس شيئاً من الطاعات وألفته إخراجها إلى غيرها ولو كانت مفضولة في ظاهر أمرها وسيأتي للشيخ إذا التبس عليك أمران أنظر أثقلهما على النفس فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً قال أبو محمد المرتعش حججت كذا وكذا حجة عن التجريد فبان لي أن جميع ذلك كان مشوباً وذلك أن والدتي سألتني يوماً أن أسقي لها جرة ماء فثقل ذلك على فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحج كانت لحظ وشوب إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع وقال الشيخ أحمد ابن أرقم رضي الله عنه حدثني نفسي بالخروج إلى الغزو فقلت سبحان الله أن الله تعالى يقول أن النفس لأمارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبداً ولكنها استوحشت تريد لقاء الناس فتستروح إليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم فقلت لها لا أسلك العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فأسأت ظني وقلت الله أصدق قولاً فقلت لها أقتل العدو حاسراً بالرأي من غير وقاية فتكوني أول قتيل فأجابت ثم عد أشياء كلها أجابت لها فقلت يا رب نبهني بها فإني لها متهم ولو قولك مصدق فألهمت كأنها تقول أنك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك أياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي أحد فإن قاتلت كانت قتلة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس فيقولوا استشهد أحمد فيكون شرفاً وذكراً في الناس فقعدت و لم أخرج ذلك العام اه وقال الجنيد رضي الله عنه ضاقت على نفسي ليلة حتى لم أطق الصبر فخرجت ذاهباً على وجهي فانتهيت إلى رجل مطروح في المقابر مغطى الرأس فلما أحس بي قال

أبو القاسم قلت نعم قال متى يصير داء النفس دواؤها فقلت إذا خالفت خواها صار دواؤها دواؤها فقال لنفسه اسمعي فقد أجبتك بهذا مرارا وأنت تقولي حتى أسمع ذلك من الجنيد قال الجنيد فانصرفت وما عرفته اه ثم فسر الشيخ ذلك الداء الذي يكون خفياً في الطاعة ببعض جزئياته وهو أعظمها فقال ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك قلت الرياء هو طلب المترلة عند الناس وقصد ذلك بعمل صالح سواء كان ذلك العمل ظاهراً للناس وهو الغالب أو خفياً عنهم فقد يكون الرياء في العمل الخفي فيدخل الرياء عليك حيث لا ينظر أحد إليك وهذا أصعب من الأول لأنه أخفي من دبيب النمل كما في الحديث وكان بعض العارفين يقول اجتهدت في إزالة الرياء من قلبي بكل حيلة فما أزلته من جهة حتى نبت من أخرى من حيث لا أظنه وقال بعضهم من أعظم الرياء من رأى العطاء والمنع والضرر والنفع من الخلق وقال بعضهم أقسام الرياء ثلاثة كلها علة في الدين الأول وهو أعظمها أن يقصد بعمله الخلق ولولاهم لم يعمل الثاني أ، يعمل للمدحة والثناء ولو لم يعلمه الناس الثالث أن يعمل لله ويرجو على عمله الثواب ورفع العقاب وهذا النوع جيد من وجه معلول من وجه عند العارفين رياء وعند عامة المسليمن إخلاص وقد قيل في قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه هو السالم من الرياء ظاهراً وباطناً بحيث لا يريد عامله حظاً دنيوياً ولا أخروياً والعرائي علامات لا تخفى منها نشاطه في الجلوة وكسله في الخلوة أو إتقان العمل حيث يراه الناس وتساهله حيث لا يراه إلا الله ومنها التماسه بقلبه توقير الناس له وتعظيمه ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه وإذا قصر أحد في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكر ويجد تفرقة بين إكرامه وأكرام غيره أهانته وإهانة غيره من إقرانه حتى ربما يظهر بعض سخفاء العقول ذلك على ألسنتهم فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله لهم بالعقوبة وأن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ ثأرهم فإن وجد الفقير هذه الأمارت في نفسه فليعلم انه مارءي بعمله وأن أخفاه عن أعين الناس وقد روى عن على كرم الله وجهه أن الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة ألم تكونوا ترخص عليكم الأسعار ألم تكونوا تبادرون بالسلام ألم تكونوا تقضي لكم الحوائج وفي الحديث الآخر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه رضي الله عنه أن رجلاً من العباد قال لأصحابه أنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم أن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكانه دينه وإن سأل حاجة أحب أن تعطي له المكان دينه وإن اشترى شيئاً أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ما هذا قيل له الملك قد أظللك فقال للغلام اتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجرة فأقبل يحشو شدقه ويأكل أكلاً عنيفاً فقال الملك أين صاحبكم قالوا هذا قالوا له كيف أنت قا كالناس وفي حديث آخر بخير فقال الملك ما

عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام ومن هذا النوع من الرياء خاف الكبار وعدوا أنفسهم من الأشرار كما روى عن الفضيل رضي الله عنه أنه قال من أراد أن ينظر إلى مراءي فلينظر إلى هذا وسمع مالك بن دينار امرأة تقول له يامراءي فقال يه هذه وجدت إسمي الذي أضله أهل البصرة إلى غير هذا مما روى عنهم في هذا المعنى ولا يسلم من الرياء الجلي والخفي إلا العارفون الموحدون لأن الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرهم رؤية الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجو منهم حصول منفعة و لم يخافوا منهم وجود مضرة فأعمال هؤلاء خالصة وإن عملوها بين اظهر الناس ومن لم يحظ بهذا وشاهد الخلق بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مراء بعمله وإن عبد الله تعالى في قنة جبل بالنون أي أعلاه قاله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه اه الخ ومنها أي ومن علامة الرياء الخفية أيضاً إستشراف العبد وتطلعه أن يعلم الناس بخصوصيته كما أشار إليه بقوله إستشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك قلت إذا خصك الحق تعالى أيها الفقير بخصوصية من خصوصية خواصه كزهد أو ورع أو توكل أو رضي أو تسليم أو محبة أو يقين في القلب أو معرفة أو اظهر على ييك كرامة حسية أو معنوية أو استخرجت فرتك حكماً أو مواهب كسبية أو لدنية ثم استشرفت أي تطلعت وتمنيت أن يعلم الخلق بخصوصيتك بأن يطلعوا على تلك الخصوصية التي خصك الله بها فذلك دليل علة وجود الرياء الخفي في باطنك ودليل على عدم صدقك في عبوديتك بل أنت كاذب فيها إذ لو كنت صادقاً في عبوديتك لا كتفيت بعلم الله وقنعت بمراقبته إياك واستغنيت به عن رؤية غيره فالواجب على الفقير إذا خصه الله بخصوصية كتمها وجحدها وسترها إلا عن شيخه فإن أظهرها فهو على خطر فقد يكون تحدثاً وقد يكون نجحاً وفي الكتمان السلامة وقد تقدم قول الشيخ من رأيته مجيباً عن كل ما سئل ومعبراً عن كل ما شهد وذاكراً كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله وفي هذه المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه:

احفر لسرك ودك — في الأرض سبعين قاما
وخل الخلائق يشكوا — إلى يوم القياما

وكان بعض إخواننا إذا سئل ما أدركتم وما ذقتم في هذا الطريق يقول البرد والجوع فكان شيخ شيخنا يعجبه ذلك ويستحسنه لدلالته على صدق الإخلاص وما زالت أشياخنا وأشياخهم يستعملون الخراب في ظواهرهم صوناً لما في إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ويمسح شفتيه فإذا خرج إلى الناس رأوا أنه لم يصم وإذا أعطى أحد فليعط بيمينه ويخفيها عن شماله وإذا صلى أحدكم فليسدل عليه ستر بابه فإن

الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال الشيخ أبو عبد الله القريشي رضي الله عنه كل من لم يقنع في أفعاله وأقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة وقال بعضهم ما اخلص عبد قط إلا أحب أن يكون في حب لا يعرف ولهذا كان اسقاط المترلة شرط في هذا الطريق فإن تحقق العبد بالمعرفة ومشاهدة الوحدانية جاز له الأخيار بالوحدانية بأعماله والإظهار لمحاسن أحواله بناء منه على نفي الغير وأداء الواجب من الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول ويحكم وهل رأيتم من يراءى بفعل غيره والحاصل من فنى عن نفسه وتحقق بشهود ربه فلا كلام عليه وقد قالوا من أحب الخفا فهو عبد الخفا ومن أحب الظهور فهو عبد الظهور فهو عبد الظهور ومن لم يرد غير ما أراد الله به فهو عبد الله حقاً ثم علمك الشيخ الدواء في ترك الاستشراف إلى الخلق وهو الاكتفاء بنظر الحق فقال غيب نظر الخلق إليك بنظر الله وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك قلت الخلق في التحقيق عدم والوجود إنما هو لله الواحد الأحد فوجود السوى كالهباء في الهواء أو كظلال الأشخاص أن فتشته لم تجده شيئاً فغيب عنك أيها الفقير نظر الخلق إليك اكتفاء بنظر الحق إليك إذ لا نظر لسواه وغب عن إقبالهم عليك بالتعظيم والتكريم بشهود إقبال الملك الكريم فغب عن الوهم بثبوت العلم فإقبالك على الخلق أدبارك عن الحق وأدبارك عن الخلق إقبالك على الحق ولا يجتمعان وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف وقال الشيخ أبو الحسن أيست من نفع نفسي لنفسي فكيف لا ايئس مع نفع غيري لها ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي وقال في لطائف المنن أعلم أن مبني الوى على الأكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاعتناء بشهود قال الله سبحانه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال سبحانه أليس الله بكاف عبده وقال الم يعلم بأن الله يرى وقال أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد فسبيل أمرهم في بدايتهم الفرار ومن الخلق والنفراد بالملك الحق واخفاء الأعمال وكتم الأحوال تحقيقاً لفنائهم وتثبيتاً لزهدهم وعملاً على سلامة قلوبهم حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بتحقيق الفناء وردوا إلى وجود البقاء فهناك أن شاء الحق اظهرهم هادين إليه عباده وأن شاء سترهم فاقتطعهم عن كل شئ إليه الخ كلانه وقال سهل بن عبد الله لا ينال العبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدارين إلا هو وخالقه فإن أحداً لا يقدر أن يضره ولا ينفعه وتسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه أهواله در القائل

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

وليت شرابي من ودادك صافياً وشربي من ماء العين سراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

واعلم أن رضي الخلق غاية لا تدرك وانظر قضية لقمان مع ابنه وهي مشهورة يتبين لك أن رضي الخلق محال ومتعذر وأجهل الناس من طلب مالا يدرك وقال وقال بعضهم مالي وللناس كنت في بطن أمي وحدي وخرجت إلى الدنيا وحدي ونموت وحدي وندخل قبري وحدي ونسئل وحدي ونبعث من قبري وحدي ونحاسب وحدي فإن دخلت الجنة دخلت وحدي وأن دخلت النار دخلت وحدي ففي هذه المواطن لا ينفعني أحد فمالي وللناس اه بالمعنى وقيل أن الولي الصادق لا قدر له عند الخلق ولا قدر للخلق عنده فكلما عظم أمره عند الله خفى أمره عند الاس ثم أنه لا تتحقق الغيبة عن نظر الخلق بنظر الحق إلا بمعرفة الحق عند كل شئ وشهوده في كل شئ كما أبان ذلك بقوله من عرف الحق شهده في كل شئ ومن فني به غاب عن كل شئ ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً قلت معرفة الحق هي شهود ربوبيته في مظاهر عبوديته أو تقول هي الغيبة عن الغيرية بشهود الأحدية أو تقول هي الترقي من شهود عالم الأشباح إلى شهود عالم الأرواح فيكون جسمك مع الأشباح وروحك مع الأرواح قال في المباحث

واستشعروا شيئاً سوي الأبدان يدعونه بالعالم الروحاني

ثم أقام العالم المعقول معارف تلعز بالمنقول

والفناء هو أن تبدوا لك العظمة فتنسيك كل شئ وتغيبك عن كل شئ سوى الواحد الذي كمثله شئ وليس معه شئ أو تقول هو شهود حق بلا خلق كما أن البقاء هو شهود خلق بحق المحبة أخذ الحق قلب من أحب من عباده فلا يكون له عن نفسه أخبار ولا مع غير محبوبه قرار وقيل غير ذلك فمن عرف الحق شهده في كل شئ و لم ير معه شيئاً لنفوذ بصيرته من شهود عالم الأشباح إلى شهود عالم الأرواح ومن شهود عالم الملك إلى شهود فضاء الملكوت ومن فني به وانجذاب إلى حضرته غاب في شهود نروه عن كل شيء و لم يثبت مع الله شيئاً والفرق بين الفاني والعارف أن العارف يثبت الأشياء بالله والفاني لا يثبت شيئاً سولا الله العارف يقرر القدرة والحكمة والفاني لا يرى إلا القدرة العارف يرى الحق في الخلق كقول بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه والفاني لا يرى إلا الحق يقول ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله العارف في مقام البقاء والفاني مجذوب في مقام الفناء الفاني سائر والعارف متمكن واصل ومن أحب الله لم يؤثر عليه شيئاً من حظوظه وهوى نفسه ولو كن فيه حتف أنفه كما قال القائل

قالت وقد سألت عن حال عاشقها　　　　بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ　　　　وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

والكلام في المحبة طويل ذكر الشيخفي لطائف المنن منه جملة صالحة وكلان الشيخ رضي الله عنه من باب التدلي فالمعرفة أعلى المقامات وقبلها الفناء وقيل للفناء المحبة أي أولها فأول ما يقذف الله في قلب عبده الذي يريد أن يصطفيه لحضرته ويعرفه به محبته فلا يزال يلهج بذكره ويتعب جوارحه في خدمته ويتعطش إلى معرفته فلم يزل يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه الحق فإذا أحبه أفناه عن نفسه وغيبه عن حسه فكان سمعه وبصره ويده وجملته ثم رده إليه وأبقاءه به فعرفه في كل شيء ورآه قائماً بكل شيء ظاهراً في كل شئ والله تعالى أعلم ولهذا الذي ذكره الشيخ علاماى تدل على تحقيق تلك المقامات فمن وجدها في نفسه كانت دعواه لتلك المقامات أو بعضها صحيحة ومن لم يجدها في نفسه كانت دعواه لها كاذبة وفضيحة فليعرف قدره ولا يتعد طوره وبالله التوفيق ولما كانت المعرفة تقتضي ظهور الحق في كل شئ حتى تراه ظاهراً في كل شئ بين وجه احتجابه وخفائه تعالى مع شدة ظهوره ثلاث حكم الحكمة الأولى شدة القرب ولا شك أن شدة القرب توجب الخفاء كسواد العين من الإنسان فإن الإنسان لا يدرك سواد عينه لشدة قربه منه والله تعالى أقرب إليك من كل شئ قال تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد فشدة قربه منك موجب لاضمحلالك قال في لطائف المنن فعظيم القرب هو الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب أن تغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايد ريحها فلما دخل البيت الذي فيه المسك انقطعت رائحته عنه وأنشد بعض العارفين

كم ذا تموه بالشعبين والعلم　　　　والأمر أوضح من نار على علم

أراك تسئل عن نجد وأنت بها　　　　وعن تهامة هذا فعل متهم

الحكمة الثانية في خفائه تعالى شدة ظهوره ولا شك أن شدة الظهور موجب للخفاء كما قال صاحب الهمزية، ومن شدة الظهور الخفاء، وقد مثلوا ذلك بقرص الشمس حين يعظم شعاعه ويتقوى أشراقه فإن الأبصار الضعيفة لا تقوى على مشاهدته مع شدة ظهوره فصار شدة الظهور موجباً للخفاء كما قال الشاعر

وما احتجبت إلا برفع حجابها　　　　ومن عجب أن الظهور تستر

فاحتجب عن الأبصار الضعيفة بلا حجاب الحكمة الثالثة شدة نوره ولا شك أن شدة النور موجب لعدم الإدراك فإن البصر لا يقاوم النور الباهر وفي حديث مسلم في قصة الإسراء قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك قال نوراني أراه يلفظ الاستهام أي غلبني النور كيف أراه وفي رواية رأيت نوراً فيحمل على انه أول مرة رأى نوراً ثم لم يطق مشاهدته بالبصر مع تحقق شهوده بالبصيرة وانظر أيضاً البرق الخاطف فإن البصر لا يطيق رؤيته وأنشدوا

بالنور يظهر ما ترى من صور — وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره — حساً ويدركه البصير من الورى
فإذا نظرت بعين عقلك لم تجد — شيئاً سواه على الذوات مصورا
وإذا طلبت حقيقة من غيره — فبذيل جهلك لا تزال معثرا

وهذا النور الذي نتكلم فيه ليس هو حسياً وإنما هو ما يبدو من معاني الصفات والأسماء التي تخرج من ظلمة الجهل إلى معرفة أسمائه وصفاته قال الشيخ زروق قلت هو النور الأصلي الذي فاض من بحر الجبروت إلا أنه تستر بالحكمة والعزة والقهرية سئل أبو القاسم النصر باذى عن قولهم

ويظهر في الهوى عز المولى — فيلزمني له ذل العبيد

فقال عز المولى الستر لأنه لو انهتك الحجاب لتفطر الألباب هذا آخر الباب السابع عشر وحاصلها ثلاثة أمور الأول تلازم الدلالة على أولياء الله للدلالة على الله بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر في الغالب الثاني تفسير أسرار الولاية وهي الاطلاع على أسرار غيب الملكوت دون اشتراط الاطلاع على أسرار العباد لأن ذلك قد يكون فتنة في حقه وسبباً في عقوبته إذا لم يتمكن من معرفته مع ما فيه من حظ النفس فربما تقصده بطاعتها فيكون رياء في حقها وهو من الأمراض الباطنية التي يصعب علاجها كالاستشراف إلى اطلاع الناس على خصوصيته ودواؤه الغيبة عنهم والاكتفاء بنظر الله عن نظر غيره الأمر الثالث علامة وجود هذه الأسرار في العارف وهي شهود الحق في كل شئ وفناؤه عن كل شئ وإيثار محبته على كل شئ فإن قلت كيف يشهد وهو غيب قلت بل هو ظاهر في كل شئ وإنما حجبه شدة قربه وشدة ظهوره وعظيم نوره وإذا علمت أنه قريب وأنه أقرب إليك من روحك وقلبك اكتفيت بنظره واستغنيت بعلمه عن طلبه فإن كان ولا بد من الدعاء فليكن عبودية ومناجاة وتملقاً لا سبباً للعطاء كما أبان ذلك في أول الباب الثامن عشر بقوله وقال رضي الله عنه لا يكن طلبك سبباً إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياماً ما بحقوق الربوبية قلت قد تقدم في أول الكتاب أن الطب كله معلول عند

ذوي الألباب فإن كان ولا بد من الطلب فليكن إظهار للعبودية وقياماً بحقوق الربوبية فلا يكن طلبك من الحق سبباً إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه لأن الفهم عن الله يقتضي الاكتفاء بعمله والاستغناء بمعرفته فلا يحتاج إلى شئ ولا يتقوف على شئ ماذا فقد من وجدك فلا يكن محط نظره إلا ما يبرزه من عنصر القدرة ولا يشتهي إلا ما يقتضيه عليه مولاه قيل لبعضهم ماذا تشتهي قال ما يقضي الله قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لا يكن حظك من الدعاء الفرح بقضاء حاجاتك ومن مناجاة محبوبك فتكون من المحجوبين وقال بعضهم فائدة الدعاء إظهار الفاقة بين يديه وإلا فالرب يفعل ما يشاء قيل أن سيدنا موسى عليه السلام قال يا رب أطعمني فأني جائع فأوحى الله إليه قد علمت ذلك قال يا رب أطعمني قال له حتى أريد وهذا مقام أهل النهايات وأما أهل البدايات فيرخص لهم في طلب الحاجات وفي كثرة الدعاء والتضرعات فالدعاء في حقهم واجب أو مندوب وفيهم ورد الترغيب في الدعاء والإلحاح فيه قال تعالى أدعوني أستجب لكم وقال أمن يجيب المضطر إذا دعاه وورد في بعض الأخبار ا، الله تعالى قال لسيدنا موسى عليه السلام سلني حق ملح عجيبك تشريعاً للضعفاء لأن الأنبياء عليهم السلام بعثوا معلمين للضعفاء والأقوياء وينبغي أ، يتأدب في الدعاء فلا يدعو بممنوع شرعاً ولا ممتنع عقلاً ويكون بتلطف وانكسار وظهور فاقة واضطرار لا بانبساط وادلال فإن ذلك مقام الرجال أهل المكانة والكمال ومن ذلك قول الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه في حجونه الكبير وليس من الكرم إلا تحسن إلا لمن أحسن إليك الخ وذكر في قوت القلوب أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين فخرج سيدنا موسى عليه السلام بسبعين ألفاً من بني إسرائيل ليستسقي لهم فأوحى الله إليه كيف استجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم استجيب له فسألهم عنه موسى فلا يعرفه أحد فبينما موسى عليه السلام يمشى في طريق فإذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من السجود وقد عقد شمله على عاتقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك قال برزخ فقال له منذ حين وأنا أطلبك أخرج فاستسق لنا فخرج فكان من خطابه لربه في دعائه ومناجاته ما هذا من فعالك وما هو من حكمك وما بذلك عرفت أنقصت عليك مائك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفذ ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفاراً قبل خطأ الخاطئين خلقت الرحمة وأمرت بالعطية فتكون لما تأمر من المخالفين أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما زال حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الراطب قال فخرج برخ فاستقبله موسى عليه السلام وقال له ما هذا الخطاب الذي خاطبت به الحق فأوحى الله إليه دعه فإن دعائه يضحكني فانظر هذه الحكاية كيف وقعت هذه على بساط المباسطة التي لا يفهمها إلا أهل المكانة والتمكين وحسب من لم يبلغ مقامات الرجال الأدب والهيبة مع رب العالمين ثم

بين وجه ما ذكره من كون الدعاء إنما يكون عبودية لا سبباً في العطاء فقال كيف يكون طلبك اللاحق

سبباً في عطائه السابق جل حكم الأزل أن يضاف إلى العلل قلت العطاء السابق هو ما تعلق به علمه القديم قبل أن تظهر تجليات الأكوان ولا شك أن الله سبحانه قدر في الأزل ما كان وما يكون إلى أبد الأبد فقد قسم الأرزاق الحسية والمعنوية وقدر الآجال قال تعالى أنا كل شئ خلقناه بقدر وقال تعالى وكل شئ عنده بمقدار وقال تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً فإذا علمت أيها الإنسان أن القضاء والقدر قد سبق برزقك وأجلك وأنه قد سبقت قسمتك وجودك فماذا تطلب وإذا طلبت فكيف يكون طلبك اللاحق سبباً في عطائه السابق إذ قد سبق منه العطاء قبل أن يكون منك الطلب جل أي عظيم وتعالى حكم الأزل القديم أن يضاف إلى العلل والأسباب الحادثة إذ محال أن يتقدم الجادث على التقديم لا وجوداً ولا حكماً قال ذو النون المصري رضي الله عند التوحيد أن يعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلي مدبر غير الله وكل ما يخطر ببالك فالله مخالف لذلك اه قوله وعلة كل شئ الضمير في صنعه يعود على الحق تعالى أي علة كل شئ صنع الحق له يعني أن سبب وجود الأشياء وظهورها هو صنع الحق لها وصنع الحق لا علة له وقال بعضهم ليس في الإمكان أبدع مما كان أي باعتبار العلم والمشيئة لا باعتبار القدرة فالمراد بما كان القدر والقضاء السابق فما كونته القدرة وأظهرته لا يمكن أن يكون أبدع منه من حيث تعلق العلم القديم فلا يمكن تخلفه وأن كان العقل يجوز أن يخلق الله تعالى أبدع منه والقدرة صالحة ولكن لما سبق بع العلم ونفذ به القضاء لم يكن أبدع منه أو تقول ليس في عالم الإمكان أبدع مما كان فيما ظهر في عالم الإمكان وهو عالم الشهادة إلا ما كان في عالم الغيب من المعاني القديمة و لم يظهر أبدع منه ولن يظهر أبداً فافهم فالكلام صحيح على هذا الوجه والله تعالى أعلم ومما يدلك على أن طلبك ليس سبباً في عطائته بك قبل ظهورك الذي أشار غليه بقوله عنايته فيك لا لشئ منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال ووجود النوال قلت مما تواترت بع الأخبار والنقول ووافق المنقول المعقول أن ما شاء الله يكون وما لم يشاء ربما لم يكن ومشيئة تعالى قديمة لأنها عين إرادته على وفق علمه قديم فكل ما يبرز في عالم الشهادة فإنما هو ما دقره الحق في عالم الغيب جفت الأقلام وطويت الصحف قال تعالى ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها أي نظهرها فلا سعادة ولا شقاء إلا وقد سبق بهما القدر والقضاء السعيد من سعد في بطن أمه والشقي في بطن أمه وقد تقدم قوله ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه فإذا علمت ذلك أيها الإنسان اكتفيت بعلمه السابق عن طلبك اللاحق وبقي طلبك عبودية وأدباً مع الربوبية وإلا فعنايتك فيك سابقة على وجودك لا لشيء منك تستحق به عنايته ومنته وأين كنت حين واجهتك عنايته في أزله حين سبقت لك منه العناية وكتبك

في جملة أهل الرعاية والهداية ثم لما استنطقك يوم الميثاق أقررت بربوبيته وأين كنت حين قابلتك رعايته وحفظه وأنت في ظلمة الأحشاء حين أجرى عليك رزقه من عرق الدم وحفظك في ذلك المستودع حتى اشتدت أعضاؤك وقويت أركانك فأخرجك إلى رفقه وما يسر لك من رزقه لم يكن في أزله حين واجهتك عنايتك ولا في الوقت إلا محض الأفضال وعظيم النوال قال الواسطي رضي الله عنه أقسام قسمت ونعوت أجريت كيف تستجلب بحركات أو تنال بمعاملات وقال الشاعر

فلا عمل مني إليه اكتسبته ... سوى محض فضل لا بشيء يعلل

وقال آخر

وكنت قديماً أطلب الوصل منهم ... فلما أتاني العلم وارتقع الجهل
علمت بأن العبد لا طلب له ... فإن قربوا فضل وان بعدوا عدل
وأن اظهروا لم يظهروا وغير وصفهم ... وأن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

وقال آخر

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى ... بنفائس الأموال والأرباح
وظننت جهلاً أن حبك هين ... تفنى عليه كرائم الأرواح
حتى رأيتك تجتبي وتخص من ... تختاره بلطائف الامناح
فعلمت أنك لا تنال بحلية ... فلويت رأسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام ... إقامتي فيه غدوي دائماً ورواحي

ولهذا لم يلتفت قلب العارف لخوف ولا رجاء ولم يبق له في نفس غير وجه الله حاجة فتحصل أن الولاية وهي سر العناية لا تنال بحيلة ولا تدرك بطلب لكن من سبقت له العناية يسر لما أريد منه قيل لذي النون بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي اه وقيل لعلى كرم الله وجهه هل عرفني بنفسه فعرفت محمداً صلى الله عليه وسلم بالله وهنا انتهت معرفة العارفين أعني حين تحققوا بسابق القدر غابوا عن أنفسهم في وجود معرفهم فاسترحوا واستظلوا في ظل الرضى والتسليم وهب عليهم من جناب المعارف نسيم لكن اختلفت أحوالهم في حال نهايتهم الماء واحد والزهر ألوان فمنهم من يغلب عليه الهيبة والحياء قال بعضهم من ازدادت معرفته ازدادت هيبته له ومن كان بالله أعرف كان له أخوف وفيهم قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء ومنهم من يغلب عليه الشوق والاشتياق قال بعضهم من عرف الله اتسم بالبقاء واشتاق إلى اللقاء وضاقت عليه الدنيا بحذافيرها وقال السرى أجل مقام العارف الشوق يقول الله تبارك وتعالى أن لي عباداً من عبادي أحبهم ويحبوني وأشتاق إليهم ويشتاقون إلي وأذكرهم

ويذكروني وأنظر إليهم وينظرون إلى من سلك طريقهم أحببته من عدل عنهم مقتد قيل يا ربنا وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعي الشفيق غنمه ويحنون إلى غروب الشمي كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم وافترشوا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلى بانعامى فمن صارخ ورباك، ومن منأوه وشاك، ومن قائم وقاعد، ومن راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاثاً أقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيهن من موازينهم لا ستقللتها لهم والثالثة أقبل عليهم بوجهي أترى من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحد ما أريد أن أعطيه اه وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه غيبني الشوق يوما فقلت يا رب أن أعطيت أحداً من المحبين ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد أضربي القلق فرأيت في النوم كأنه أوقفني بين يديه وقال يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسئلني أن أعطيك ما يسكن قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب همت فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول فقال قل اللهم رضي بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك ومنهم من تغلب عليه السكينة في القلب لأن العلم واليقين يوجبان السكون والطمأنينة فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب ومنهم من يغلب عليه الدهشة والحيرة قال بعضهم أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه وفي الحديث اللهم زدني فيك تحيراً ومنهم من يغلب عليه التواضع والخضوع والذل والانكسار قال الجنيد العاف كالارض يطأها البر والفاجر وكالسحاب يظل الأحمر والابيض وكالمطر يسقى الماشي والراشي ومنهم من تتسع معرفته ويخوض بحار التوحيد فلا يكدره شيء ولا يسلط عليه شيء بل يأخذ النصيب من كل شيء ولا يسلط عليه شيء بل أخذ النصيب من كل شيء اه وقال أبو سليمان الداراني أن الله يفتح للعارف على فراشه مالا يفتح له وهو قائم يصلي وقال بعضهم العارف ن أنس بذكر الله حتى استوحش من خلقه وافتقر إلى الله تبارك وتعالى فأعزه الله في خلقه وفي زبور داوود بلغ أهل رضائي أني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني وأنيس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني بعزتي حلفت ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحببته أشد مما أحبني ومن طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الأرض ا أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وأنسوا بذكري أؤنسكم بى أسرعوا إلى محبتي أسرع إلى محبتكم فإني خلقت طينة أحبتي من طينة إبراهيم خليلى وموسى كليمي وعيسى روحى ومحمد صفيى وخلقت قلوب المشتاقين من نورى ونعمتها بجلالي وجمالي اه ولما كان الاعتماد على السابقة يقتضي ترك العمل بين سر ذلك بقوله علم أن العباد يتشوفون

إلى ظهور سر العناية فقال يختص برحمته من يشاء وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتماداً على الأزل فقال أن رحمة الله قريب من المحسنين قلت لما أخبر الله سبحانه في كتبه على ألسنة رسله أن المدار إنما هو على السابقة فمن سبقت له العناية لا تضره الجناية تشوق الخلق كلهم إلى ظهور هذه العناية فكل واحد يظن أنه من أهلها فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك السر إنما هو للبعض دون البعض فقال يختص برحمته من يشاء فأسندها إلى مشيئته دون مشيئتهم فعلموا أن ذلك إنما هو للبعض دون الكل لأن كل واحد يطمع أنه من ذلك البعض فربما يتركون العمل ويعتمدون على سابق الأزل فأخبرهم الحق تعالى أن ذلك السر له علامات تدل على من هو من أهله ومختص به فقال أن رحمة الله قريب من المحسنين فالرحمة هنا هي العناية السابقة وهي قريبة من المحسنين الذين أحسنوا عبادة ربهم وأحسنوا إلى عباد ربهم فتحصل أن سر العناية إنما تظهر على المحسنين المتقين لاعمالهم المخلصين في عبودية ربهم فمن استند إلى الحكم السابق وترك العمل فهو مغرور أو مطرود لإبطاله الحكمة ومن استند إلى العمل دون النظر للقدرة والمشيئة السابقة فهو جاهل بعيد الحضرة غافل ومن جميع بينهما فهو محقق كامل وسر العناية إليه إن شاء الله وأصل قال أبو عثمان المغربي رضي الله عنه قلوب العارفين فارغة لمفاجأة المقدور وقال بعضهم ليس كل من طلب نال ولا كل من نال وصل ولا كل من وصل أدرك وجد ولا كل من وجد سعد وكم من واحد حرم من المنى بمنى وكم من واحد أدرك من القربات غرفات ومن أيد بالتوفيق وصل في لحظة العين إلى عين القبول كما حكى عن بعض الصالحين أنه رأى في منامه إبليس اللعين ضج بالصياح والعويل فاجتمع عليه جنوده وقالوا مالك

فقال لهم كنت أطمع في فلان منذ سنين فإذا به قد استوى ظاهره وباطنه وسره وعلانيته فلم أجد إليه سبيلا تحلى بالصدق فامتنع مني في مقعده صدق عند مليك مقتدر اه ثم بين ما تقدم من حكم المشيئة فقال إلى المشيئة يستند كل شيء وليست تستند هي إلى شئ قلت المشيئة وإرادة شئ واحد واليهما تستند الأشياء كلها قال تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ولو شاء ربك ما فعلوه إلى غيره ذلك من الآيات الدالة على سبق المشيئة لكل شيء وأما هي فلا تستند إلى شيء ولا تتوقف على شيء فلا تتوقف على سؤال ولا على طلب فما شاء الله كان من غير سبب ولا سؤال وما لم يشاء ربنا لم يكن قرب من شاء بلا عمل وبعد من شاء بلا سبب لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقاعدة التحقيق ما ثم إلا سابقة التوفيق قال أبو بكر الواسطي رضي الله عنه أن الله لا يقرب فقيراً لأجل فقره ولا يبعد غنياً لأجل غناه وليس للأعراض عنده خطر حتى بها يوصل وبها يقطع ولو بذلت الدنيا والآخرة ما أوصلك إليه بها ولو أخذتها كلها ما قطعك بها قرب من شاء بغير علة وقطع من شاء من غير علة كما قال تعالى ومن لم يجعل الله نوراً فما له نور فالنظر إلى المشيئة حقيقة والنظر إلى السبب شريعة أو تقول النظر إلى المشيئة قدرة والنظر

إلى الأسباب حكمه ولا بد من الجمع بينهما فالحقيقة معينة والشريعة مبينة الشريعة حكمة والحقيقة قدرة والحقيقة حاكمة على الشريعة في الباطن والشريعة حاكمة على الحقيقة في الظاهر وليس حكم القدرة بأولى من وصف الحكمة في محله ولا بالعكس قال الشطيبي واعلم أن الناس أربعة ناظر في السوابق لعلمه بأن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبد وناظر في العواقب لعلمه بأن الأعمال بخواتمها وناظر للوقت لا يشتغل السوابق ولا بالعواقب غير أداء ما كلف به من حكم الوقت عالم بأن العارف ابن وقته لا يهتم بماض ولا مستقبل ولا يرى غير الوقت الذي هو فيه وناظر لله وحده لعلمه بأن الماضي والمستقبل والحال متقلبون في قبضته متصرفون في حكمه والأوقات كلها قابلة للتغير وتبديل الحال فلا يراها وإنما يراقب من كل شيء بيده وقد أراد بعضهم الخروج من بين يدي بعض المشايخ فقال له الشيخ أين تريد فقال يا سيدي لئلا أشغلك عن وقتك فقال له ليس عند الله وقت و مقت إنما ترى رب الوقت لا الوقت ومن تمكنت فيه حالة الشهود غاب بالموحد عن الوجود وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود حكي أن رجلاً قال لأبي يزيد أين أبو يزيد فقال له ليس هنا أبو يزيد وقال رجل للشبلي أين الشبلي قال مات لا رحمة الله إنما عني الشبلي لارده لله لا حساسه عن مشاهدته لربه ورأى أبو يزيد رجلاً في المسجد يسئل عنه فقال له وأنا أطلبه منذ سنين فظن أنه مجنون فلما أعلم أنه هو قال له يا سيدي عليك أسئل ولك أطلب فقال له أبو يزيد الذي تطلب قد ذهب في الذاهبين في الله بالله لله فلا رده الله هذا آخر الباب الثامن عشر وحاصلها آداب السؤال والطلب وأنه ينبغي أن يكون عبودية لا سبباً في العطاء إذ قد سبقت قسمتك في الأزل قبل أن يكون منك طلب فعنايته سابقة يختص برحمته من يشاء لكل رحمة تقتضي وجود العمل فوجود العمل أمارة على خصوصية الأزل مع توقف ذلك على المشيئة لأنها يستند إليها كل شيء ولا تستند هي لشيء فلزم السكون والأدب حتى ترك الطلب كما بين ذلك في أول الباب التاسع عشر بقوله وقال رضي الله عنه ربما دلهم الأدب على ترك الطلب قلت الظاهران رب هنا للتكثير لأن الغالب على العارفين وأهل الفناء السكوت تحت مجاري الأقدار فصدور الطلب منهم قليل لأن العارف فإن عن نفسه غائب عن حسه ليس له عن نفسه أخبال ولا مع غير الله قرار فلا يتصور منه سؤال ولا فوات مأمول من شغله ذكرى عن مسئلتي اعطيته أفضل ما أعطى السائلين الأشياء تشتاق إليه وهو غنى عنها اشتاقت الجنة إلى عمار وصهيب وبلال كما في الحديث والحاصل أن العبد ما دام غائباً عن نفسه فإن في شهود ربه منقطعاً عن حسه لا يتصور منه طلب أصلاً إذ الطلب يقتضي وجود الاثنينية والفرض أنه غريق في بحر الوحدة فطلبه حينئذ سوء أدب في حقه فإن رد إلى الشعور بنفسه وهو مقام البقاء قد يتصور منه السؤال على وجه العبودية لا على وجه الاقتضاء والطلب كما تقدم ثم بين مستندهم في ترك الطلب فقال اعتماداً على قسمته واشتغالاً بذكره عن مسئلته قلت أما الاعتماد على القسمة الأزلية

فقد تقدم الكلام عليها في الحكمة قبل هذه وأما الاشتغال بالذكر عن المسئلة فقد تقدم قريباً في الحديث من شغله ذكرى عن مسئلتي وقال الواسطى رضي الله عنه ما جرى لك في الأزل خير من معارضة الوقت يعني بالطلب للحظ وقال القشيري إذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء دعاء كما إذا وجد نشاطاً أو انبساطاً للدعاء فالدعاء أولى وإذا وجد في قلبه قبضاً فالسكوت أولى وقال بعضهم ما سألت الله تعالى بلسانس شيئاً منذ خمسين سنه ولا أريد أن أدعو ولا أن يدعي لي اه وذلك لأن الله سبحانه ليس بغافل حتى يذكر بل هو عليم بخفيات أمورك فيأتيك منها ما قسم لك كما بين ذلك بقوله إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال وقد قال تعالى وما الله بغافل عما تعملون أليس الله بكاف عبده ولا يحتاج إلى تنبيه لأنه لا يهملك فيما هو من قسمتك كما بينه بقوله وإنما ينبه من يجوز عليه الاهمال والحق تعالى لا يجوز عليه الاهمال لكمال قدرته وإحاطة علمه ولكن حكمته اقتضت ارتباط الأسباب والعلل وتقديم الأشياء وتأخيرها قال تعالى وكل شيء عنده بمقدار فمن كمل يقينه اكتفى بتدبير الحق عن تدبيره واستغنى بعلم الله عن استعجاله وضي بتصريف الحق فيما يفعل فيكون إبراهيمياً حنيفياً ولا شك أن من كان على ملة إبراهيم عليه السلام اقتدى به وقد كان بين السماء والأرض حين رمى به فاستغني بعلم الله عن سؤال فكانت حالة إبراهيم عليه السلام في ذلك الوقت الاستغراق في الحقيقة فلما رد للشرائع دعا فقال رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين وكذلك الأنبياء عليهم السلام أكثروا من الدعاء للتشريع والتعليم وإظهار الفاقات التي هي مواسم وأعياد كما أبان ذلك بقوله ورود الفاقات أياد المريدين قلت الأعياد جمع عيد وهو ما يعود على الناس بالأفراح والمسرة فالعوام فرحهم ومسرتهم بالحظوظ والعوائد الجسمانية والخواص فرحهم بإقبال الملك عليهم ووجود قلوبهم وصفاء وقتهم من كدرات الأغيار والغالب أن هذه المعاني إنما توجد عند الفاقة والحيرة والاضطرار حيث ينقطع حظ النفس فيها لأن النفس كما ضيقت عليها رحلت إلى عالم الملكوت وفي ذلك العالم أراحتها وفرحها ومسرتها قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوي وهما جنتان معجلة ومؤجلة فلأجل هذا آثرت الصوفية الفقر على الغناء والشدة على الرخاء والذل على العز والمرض على الصحة لما يحصل لهم بذلك من الرقة والحلاوة وكلما ازدادوا فاقة زادهم الله قرباً وولاء وكان بعضهم يطوف حول الكعبة ويقول

مؤتزر بشملتي كما تري — وصبية باكية كما ترى
وامرأتي عريانة كما تري — يا من يرى الذي بنا ولا يرى
أما ترى ما حل أما ترى

فسمعه بعضهم فجمع له كسرا ودفعها إليه فقال له إليك عني لو كان معي شيء لما أمكنني أن أقول هذا القول وقال أبو اسحق الهروي رضي الله عنه من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعاً على سبع فإن الصالحين اختاروها حتى بلغوا سنام الخير اختاروا الفقراء على الغنى والجوع على الشبع والدون على المرتفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة اه وقال بعضهم أن الفقير الصادق ليتحرز من الغنى حذرا أن يدخله فيفسد عليه فقره كما يتحرز الغني من الفقر حذرا أن يفسد عليه غناه وأنشدوا في أعياد العارفين

قالوا عدا العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر صبرهما ثوباي تحتهما قلب يرى ألفه الأعياد والجمعا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به يوم التزاور في الثوب الذي خلعا
الدهر لي مأتم أن غبت يا أملي والعيد ما كنت امرء لي ومستعماً

وقال آخر

قالت هنا العيد بالبشرى فقلت لها العيد والبشر عندي يوم لقياك
الله يعلم أن الناس قد فرحوا فيه وما فرحتي إلا برؤياك

ثم بين وجه كون الفاقة عيدا فقال ربما وجدت من المزيد في الفاقات مالا تجد في الصوم والصلاة الفاقات بسط الإنسان إن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك إنما الصدقات للفقراء والمساكين قلت إنما كان الإنسان يجد في الفاقة من المزيد ما لا يجده في الصوم والصلاة لأن الفاقة من أعمال القلوب والصوم والصلاة من أعمال الجوارح والذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح الفالقت قوت الروح والصوم والصلاة من أعمال الجوارح والذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح الفاقات قوت الروح والصوم والصلاة قوت القلب والروح محل المشاهدة والقلب محل المراقبة وما بينهما معلوم قال بعضهم أعلم أن المدد الذي هو الفتح الرباني إنما يقع في القلوب الفارغة من العوائق والشواغل وقد يوجد العبد كثير الصلاة والصيام وباب قلبه مسدود لاشتغاله بأمور دنياه وهم الأكثر من الناس وقد يوجد العبد قليل الصوم والصلاة وباب قلبه مفتوح للعلوم اللدنية والتنزلات الفهمية وهم الأقلون من الناس وكل العبادات يدخله الرياء إلا الخمول لكونه لاحظ للنفس هيه اه وفي بعض الأخبار يقول الله تبارك وتعالى لعبده سبكتك بالفاقة لتكون ذهباً الحديث قال في التنوير اعلم أن في البلايا والفاقات من أسرار الألطاف ما لا يفهمه إلا ألوا البصائر و لم يكن إلا تذلل النفس وتحقيرها وقطعها عن حظوظها لكان في ذلك غاية المطلوب منها وقد قيل حيثما وقعت الذلة وقعت معها

النصرة قال الله العظيم ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اه فإن أردت أيها الفقير بسط المواهب وورودها عليك فصحح الفقر والفاقة لديك فإذا صححت الفاقة والفقر عندك فاستعد لكتب المواهب فإنها ترد عليك كالسحاب وقد قلت في هذا قصيدة سيأتي ذكرها قريباً إن شاء الله

وإن ردن بسط المواهب عاجلاً ففي الفاقة ريح المواهب ينشر

والمراد بالمواهب معارف وكشوفات وطمأنينة وحكم وعلوم وأسرار ترد على القلوب من خزائن الغيوب حال صفائها وتصفيتها من الغيرية واصفى ما يكون القلب حين تذهب النفس وذهاب النفس إنما يكون بترك حظوظها ولا يتحقق ذلك في الغالب إلا في حال الفاقة والفقر ولذلك كانوا يفرحون بالفقر ويحزنون بالفقر ويحزنزن من الغنى فتح على بعضهم بشيء من الدنيا فقال هذه عقوبة لم أدر ما سببها وقال الهروي الفقر صفة مهجور وهو ألذ ما يناله العارف لكونها تدخله على الله وتجلسه بين يديه وهم أعم للمقامات حكماً لقطع العوائق والتجرد من العلائق واشتغال القلب بالله قيل الصادق لا يملك ولا يملك وقيل لسهل رضي الله عنه متى يستريح الفقير قال إذ لم ير في كل وقت غير ربه وقال الشبلي الفقير لا يستغني بشيء دون الله وقال السهروردي في عوارف المعارف الفقر أساس التصويف وبه قوامه ويلزم من وجود التصرف وجود التصرف وجود الفقر لأن التصرف اسم جامع لمعاني الفقر والزهد مع زيادة أحوال لا بد منها للصوفي وإن كان فقيراً زاهداً وقال بعضهم نهاية الفقر بداية التصرف لأن التصرف اسم جامع لكل خلق سني والخروج عن كل خلق دنى لكنهم اتفقوا أن لا دخول على الله إلا من باب الفقر ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بشيء مما أشار إليه القوم والتحقق بالفقر هو الاستئناس به والاعتباط بحصوله والاستقرار معه حتى يكون عنده أحلى من العسل ويكون المال عنده أمر من الحنظل فحينئذ تترادف عليه المواهب وتتسع له المعارف حتى يكون أغنى الأغنياء قال بعض الصالحين كان لي بعض مال فرأيت فقيراً في الحرم جالساً منذ أيام ولا يأكل ولا يشرب وعليه أطمار رئة فقلت أغنيه بهذا المال فألقيته في حجره وقلت استعن بهذا على دنياك فنفض بها في الحصباء وقال لي اشتريت هذه الجلسة مع ربي بما ملكت وأنت تفسدها على ثم انصرف وتركني ألقطها فو الله ما رأيت أعز منه لما بددها ولا أذل مني لما كنت التقطها وهذا هو تصحيح الفقر والفاقة ظاهراً وباطناً وكان بعضهم إذا أصبح عنده شيء أصبح حزيناً وإذا لم يصبح عنده شئ أصبح فرحاً مسروراً فقيل له إنما الناس بعكس هذا فقال إني إذا لم يصبح عندي شيء فلى برسول الله أسوة حسنة وإذا أصبح عندي شيء لم يكن لي برسول الله أسوة حسنة قلت وهذه حالة أشياخنا رضي الله عنهم حسيما استقريناه من حالهم وقد بلغني أن شيخ شيخنا مولاي العربي

رضي الله عنه كان يشتغل الفتيلة وينظر في نواحي البيت إذا وجد شيئاً أخرجه يتصدق به ويبيت على الفاقة هكذا كان حاله في حال تجريده رضي الله عنه هذا واستشهد المؤلف رضي الله عنه بالآية الكريمة إنما الصدقات للفقراء والمساكين إشارة إلى أن ما يهبه الله تعالى من المواهب والمعارف إنما هي صدقة ومنه لجزاء على الأعمال والأحوال لأن الصدقة لا تكون في مقابلة عمل وإن الله لغني عن العالمين ثم التحقق بالفقر مجموعة التحقق بأوصاف العبودية وهي الذل والعجز والضعف كما بين ذلك بقوله تحقق بأوصافك يمدك يقابلها من أوصاف الربوبية أربعة أولها من العبد الفقر ومن الله الغني الثاني من العبد الذل ومن الله العز الثالث من العبد العجز ومن الله القدرة الرابع من العبد الضعف ومن الله القوة والتحقق بالوصف هو التحلي والاتصاف به قلباً وقالباً ويكون ذلك بادياً بين خلقه فلا يتحقق الذل لله حتى يظهر ذلك بين عباده فمن أراد أن يمده الله بالغنى به عما سواه فليتحقق بالفقر مما سواه كما قال الشيخ أبو الحسن في حربه الكبير نسئلك الفقر مما سواك والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك ومن أراد أن يمده الله بالعز الذي لا يفنى فليتحققي بالذل لله والتواضع بين خلقه فمن تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره ومن أراد أن يمده الله بالقدرة الخارقة للعوائد فليتحقق بعجزه ويتبرأ من حوله وقوته ومن أراد أن يمده الله بالقوة على طاعة مولاه ومجاهدة نفسه وهواه فليتحقق بضعفه ويسند أمره إلى سيده فبقدر ما تعطى تأخذو بقدر نا تتخلق تتحقق وبقدر ما تتحقق بوصفك يمدك بوصفه وقد كنت قلت في ذلك أبياتاً وهي هذه

تحقق بوصف الفقر في كل لحظة	فما أسرع الغنى إذا صحح الفقر
وإن تردن بسط المواهب عاجلاً	ففي الفاقة ريح المواهب ينشر
وإن تردن عزا منيعاً مؤيداً	ففي الذل يخفي العزبل ثم يظهر
وإن تردن العرفان فافن عن الورى	وعن كل مطلوب سوي الحق تظفر
تري الحق في الأشياء حين تلطفت	ففي كل موجود حبيبي ظاهر

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والضعف والذل لله تعالى وأضدادها أوصاف الربوبية فما لك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي يا غني من للفقير سواك، ومن بساط الضعف الحقيقي يا قوي من للضعيف سواك، ومن بساط العجز الحقيقي يا قادر من للعاجز سواك، ومن بساط الذل الحقيقي يا عزيز من للذليل سواك، تجد الإجابة كأنها طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين ولا يصح التحقق بالوصف حتى يتعلق بأضدادها من مولاه

فلا يلتجيء في فقره ولا عجزه ولا ضعفه إلى أحد سواه روى أن بعض الملكوك قال لبعض الفقراء ما يكون لك من حاجة فارفعها إلى فقال له الفقير قد رفعت حوائجي لمن هو أقدر منك فما أعطاني منها رضيت به ومت منعني منها رضيت عنه فقال له ولا لك حاجة عندي قال بلى قال وما هي قال لا تراني ولا نراك

ملكت نفسي وكنت عبداً فزال رقي وطاب عيشى
أصبحت أرضى بحكم ربي أن لم أكن راضياً فأيشى

فهذا هو التعلق بوصف الربوبية والتعزيز بالله لا يفنى عزه قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ومن تعزز بالله ذل له كل شيء وقد حج شيبان الراعي مع سفيان الثوري فلما كانا في البرية عرض لهما سبع فأخذ سفيان خارج الطريق ومضى إليه شيبان ثم عرك أذنه فلم يزد أن حرك ذنبه وبصبص وانصرف فقال له سفيان ما هذا يا شيبان فقال له لو شئت أن أركبه إلي مكة لفعلت وكانت عجوز تأتي كل يوم لبيت السرى السقطيي فتكنس بيته وتسوق له بعض القوت فسئل من هي فقال الدينا سخرها الله لي لما زهدت فيها وفي هذا المعنى ورد الحديث يوقل الله تعالى للدنيا يا دنيا اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك وقال إبراهيم بن أدهم من طلب الفقر استقبله الغنى استقبله الفقر والغنى هو الغنى بالله وقال سهل رضي الله عنه لم يشم رائحة اليقين من ركن لغير الله وقال أبو تراب رأيت شاباً في البادية يمشي بلا زاد فقلت في هذا الموضع بلا زاد قال لست أرى غير الله فقلت اذهب الآن حيث شئت وقال إبراهيم الخواص لقيت فقيراً في البادية فقلت له إلى أين فقال إلى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال الذي يمسك السموات والأراضين ويحفظها لا يعجزه قوتي بلا سبب ولا علاقة فقلت صدقت ثم رأيته بعد ذلك في مكة وهو يطوف ويقول

يا عين سحي أبداً يا نفس موتى كمدا
ولا تحبي أحداً إلا الإله الصمدا

فلما رآني قال لي ما زلت على ضعف يقينك فقلت لا بل اعلم أن الله على كل شيء قدير اه هذا آخر الباب التاسع عشر وحاصلها أن العارفين ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اكتفاء بعلم الله إذ لا يذكر إلا الغافل ولا ينبه إلا الساهي وتعالى الله عن الأمرين علوا كبيرا فإذا نزلت بهم فاقة أو شدة لم يسئلوا رفعها بل فرحوا بها وجعلوها مواسم وأعياد لما يجدون فيها من المزيد وما يهب على قلوبهم من نسيم التوحيد والتغريد وهي المواهب الربانية والعلوم اللدنية فتحققوا بأوصافهم وأمدهم بأوصافه فصاروا في الظاهر عبيداً وفي الباطن أحراراً في الظاهر فقراء ضعفاء أذلاء وفي الباطن أغنياء أقوياء أعزاء وهذه هي الكرامة

العظمى دون الكارمة الحسية كما أشار إلى ذلك في أول الباب الموفى عشرين فقال رضي الله عنه ربما رزق الكارمة من لمتكمل له الإستقامة قلت الكرامة الحسية هي خرق الحس اعادى كالمشى على الماء والطيران في الهواء وطي الأرض ونبع الماء وجلب الطعام والإطلاع على المغنيات وغير ذلك من خوارق العادات والكرامة المعنوية هي استقامة العبد مع ربه في الظاهر والباطن وكشف الحجاب عن قلبه حتى عرف مولاه والظفر بنفسه ومخالفة هواه وقوة يقينه وسكونه وطمأنينته بالله والمعتبر عند المحققين هي هذه الكارمة وأما الكرامة الحسية فلا يطلبوها ولا يلتفتون إليها إذ قد تظهر على يد من لم تكمل استقامته بل قد تظهر على يد من لا استقامة له أصلاً كالسحرة والكهان وقد تظهر على أيدي الرهبان وليست بكرامة إنما هي استدراج قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان وكرامة العمل على الإقتداء والمتابعة ومجانية الدعاوي والمخادعة فمن أعطيتها ثم جعل يشتاق إلى عيرها فهو عبد مغتر كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن اكرم بشهود الملك على نعت الرضى فجعل بشتاق إلى سياسة الداوب وخلع المرضي قال وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن اله فصاحبها مستدرج مغروراً وناقص أو هالك مثبرواً اه وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أو غيرها من البلدان إنما الشأن من تطوى له صفات نفسه فإذا هو عند ربه قلت والكرامة الحقيقة هي الاستقامة على الدين وحصول كمال اليقين وأما خوارق العادات الحسية فإن صحبتها الاستقامة ظاهراً وباطناً وجب تعظيم صاحبها لأنه شاهدة له بالكمال مما هو فيه وإن لم تصحبها استقامة فلا عبرة بها والغلب أن أهل الباطن كرامتهم باطنية ككشف الحجب ومزيد الإيمان ومعرفة الشهود والعيام وكذلك عقوبة من آذاهم جلها باطية لا يتفطنون لها كقساوة القلب والإنهماك في الذنوب والغفلة عن الله والبعد عن حضرته ولكن لا يشعرون وهي أعظم من العقوبة في الحس والحاصل أن أهل الاستقامة الظاهرية كرامتهم ظاهرية حسية وأهل الاستقامة الباطنية كرامتهم باطنية معنوية أهل الظاهر من آذاهم عوقب في الظاهر وأهل الباطن من آذاهم عوقب في الباطن وقد لا يعاقب لأنهم رحة كل من قرب منهم شملته الرحمة كان قربه تسليماً أو انكاراً هم قوم لا يشقى جليسهم على قدم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وكل ولي أراد الله تعالى أن ينتفع الناس على يده لا يعاجل بالعقوبة من إذاه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث خيره ملك الجبال فحلم صلى الله عليه وسلم وعفا وقال لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله والله تعالى أعلم وأعظم الكارمة الفهم عن الله والرضى بقضاء الله وترك التدبير والاختيار مع الله وإقامة العبد حيث إقامه الله كما أبان ذلك بقوله من علاقة إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج قلت إذا أقام الحق تعالى عبده في حالة لا يستقبحها الشرع ولا

يذمها سليم الطبع فلا ينبغي له الانتقال عنها بنفسه حتى يكون الحق تعالى الذي أدخله فيها هو الذي يتولى إخراجه منها وقل رب أدخلني مخرج صدق فالمدخل الصدق أن تدخل في الشيء بالله لا بنفسك والمخرج الصدق أن تخرج منه بالله لا بنفسك فإذا أقامك الحق تعالى في الأسباب فلا تخرج منها بنفسك فتتعب فامكث حتى يخرجك الحق تعالى بإشارة صريحة من شيخك أو من هاتف من عند ربك وقد تقدم هذا في أول الكتاب ومن علامة إقامة

الله تعالى لك في ذلك أنت في إدامة الحق إياك في ذلك الشيء مع حصول النتائج وسلامة الدين والمراد بالنتائج ما يترتب عليه من إعطاء حقه الواجب والمستحب كإداء الزكاة وإطعام الجائع وستر العريان وإغاثة الله فان وغير ذلك من أنواع الإحسام وإذا أقامه الحق تعالى في نشر العلم الظاهر فعلامة إقامة الحق فيه تعليمه لله ونفع عباد الله الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله والتواضع والصبر على جفاء المتعلمين هكذا سائر الحرف إذا كان فيها على المنهج الشرعي فلا ينتقل عنها بنفسه وإذا أقامك الحق تعالى في التجريد فالزم الباب وتحل والآدب حتى يفتح لك الباب فعلانة إقامته إياك فيه حصول نتائجه وهي الترقي في الأحوال والمقامات حتى تبلغ النهايات والمقامات هي التوبة والتقوى والاستقامة والزهد والورع والخوف والرجاء والرضى والتسليم والإخلاص والصدق والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة والمعرفة وكل مقام له علم وعمل وحال فأوله علم وثانية عمل وثالثة حال ثم مقام فإذا بلغ إلى مقام المعرفة وتمكن فيها انقطعت المقامات قال بعضهم في بحر التوحيد غاصت الأحوال وانطمست المقامات وإن إلى ربك المنتهى فحينئذ يغمس في بحر الإحسام فإذا عبر من بساط إحسام الله له لم يصمت إذا أساء كما أبان ذلك بقوله من عبر من بساط إحسانه أصمتته الاساءة ومن عبر من بساط أتحسان الله إليه لم يصمت إذا أساء قلت أهل التعبير وهم أهل التذكير الذين يذكرون عباد الله ويعبرون عما منحهم الله به من العلوم والمواهب والفتوحات والكرامات على قسمين علماء وعارفون أو تقول أهل الحجاب وأهل الفتح فأهل الحجاب يعبرون من بساط إحسان أنفسهم فيقولون فعلنا كذا ورأينا كذا وفتح علينا في كذا وافعلوا أيها الناس كذا واتركوا كذا فإذا وقعوا في زلة أو هفوة سكتوا حياء من الله وخوفاً أن يأمروا بما لم يفعلوا لأنهم باقون مع نفوسهم محجوبون عن ربهم فإذا فعلوا طاعة فرحوا بها واعتمدوا عليها وإذا فعلوا زلة حزنوا وجزعوا وسقط في أيديهم فلما عبروا من بساط إحسان نفوسهم أصمتتهم الإساءة وأهل الفتح من العارفين يعبرون من بساط إحسان الحق غائبين عن شهود الخلق فانون عن أنفسهم باقون بربهم فهؤلاء إذا عبروا عما منحهم الله من المعارف والأسرار والعلوم والأنوار والكرامات والفتوحات والمواهب وذكروا فأمروا ونهوا دام تعبيرهم ونفع تذكيرهم فإذا أساءوا لم تصمتهم إساءتهم من أنفسهم وتعبيرهم من بساط إحسان الله إليهم وإحسانه لا يكدره شيء وقولنا من أنفسهم أعني أدباً فقط إذ هم لا يشهدون إلا

تصريف الحق فيهم فلذلك لم تصمتهم إساءتهم لأنهم مغموسون في بحر المنة لا يشهدون في الكون سواه وأيضاً من عبر من بساط نفسه نادته مساوية أسكت أما تذكر فعلك القبيح ووصفك الذميم فيسكت خجلاً ومن عبر من بساط إحسان الله غابت عنه مساوية لغيبته في محان مولاه فلا يشهد إلا أياه فإذا أراد أن يعبر سبق نور معرفته إلى قلوب عباده فيسري فيهم التعبير ويأخذ بقلوبهم التذكير كما أبان ذلك بقوله تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيثما صار التنوير وصل التعبير قلت الحكماء هم العارفون بالله الذين يتكلمون بالله ويصمتون بالله غائبون عن أنفسهم يشهدون ما من الله إلى الله فإذا أرادوا أن يعبروا عما منحهم مولاهم من العلوم والمعارف سبق نور شهودهم إلى القلوب المستمعة فتسري فيهم على قدر صدقهم فمنهم من يدخل النور سويداء قلبه ومنهم من يقف النور على ظاهر قلبه ومنهم من يشرق النور على طرف قلبه فإذا عبر العارف عن المقامات والأحوال وصل التعبير على قدر سريان النور فمن وصل النور إلى سويداء قلبه نهض ساعته إلى ربه ومن وصل إلى ظاهر قلبه خشع وخضع وعزم على البر والتقوى ومن وصل إلى طرف قلبه عرف الحق وصدق فحيثما صار التنوير وصل التعبير وقولنا في تفسير الحكماء هم العارفون مأخذنا فيه وقوله عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله اه وأعرف الناس بالله أشدهم له خسية وفيهم قال الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وسئل مالك عن الحكمة فقال ما زهد عبد واتقى إلا أنطقه الله بالحكمة ثم قال من أراد أن يفتح الله عين قلبه فليكن عمله في السر أكثر من عمله في العلانية لأن عمل السر منبع الإخلاص والإخلاص منبع الحكمة وسئل مرة أخرى عن الحكمة أيضاً فقال نور يقذفه الله في قلب العبد المؤمن من فسحة

الملك اه فأهل التنوير هم الحكماء وهم العارفون بالله ولله در القائل في وصفهم حيث قال

هينون لينون ايسار بنو تسر — سواس مكرمة أبناء ايسار

لا ينطقون بغير الحق أن نطقوا — ولا يمارون أن ماروا باكثار

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم — مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقولنا في وصفهم يشهدون ما من الله إلى الله يعني أنهم غائبون ألا تصريف الحقي في مظاهر أنواره قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه الناس على ثلاثة عبد يشهد ما منه إلى الله وعبد يشهد ما من الله إليه وعبد يشهد ما من الله إلى الله الأول ذو حزن وأشجان والثاني ذو فرح وامتنان والثالث لم يشغله عن الله خوف نار ولا مثوى جنان الأول ذو كد وتكليف والثاني ذو عناية وتعريف والثالث مشاهد للمولى اللطي ثم قال وقليل العمل مع شهود المنة خير من كثيره مع رؤية التقصير من النفس اه مختصراً ثم ذكر علامة التعبير الذي يسبقه التنوير والذي يسبقه التكدير فقال كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه

برز قلت علامة الكلام الذي يسبقه التنوير هو تأثير في القلوب وتهييجه الأرواح وتشويقه الأسرار فإذا سمعه الغافل تنبه وإذا سمعه العاصي انزجر وإذا سمعه الطائع زاد نشاطه وعظم شوقه وإذا سمعه السائر طوى عنه تعب سيره وإذا سمعه الواصل تمكن من حاله فالكلام صفة المتكلم فإذا كان المتكلم ذا تنوير وقع في قلوب السامعين وإذا كان ذا تكدير حد كلامه آذان المستمعين فكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز ولذلك قال سيدنا على كرم الله وجهه من تكلم عرفناه من ساعته ومن لم يتكلم عرفناه من يومه وقيل الناس حوانيت مغلقة فإذا تكلموا فقد فتحوا هناك يتنين البيطار من العطار وقالوا أيضاً الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب وإذا خرج من اللسان حده الأذان وإنهاض الحال أكثر من المقال وإذا اجتمع الحال والمقال فهو البحر الطام والنجم الثاقب التام وقال بعض العارفين من كان قبله روحانياً كان كلامه معنوياً يترل من القلوب في أوسع ساحاتها ومن كان قلبه نفيساً كان كلامه حسياً يعني لا يتكلم إلا في الحس ولا يخوض إلا فيه ومن طمس إذن قلبه حجب الدنيا فلا يسمع ولا يسمع وقد يكون من الناس من هو عالم اللسان جاهل القلب وعلامته ترجيح حديث الدنيا على حديث الآخرة أو حديث الحس على حديث المعنى ومن مثل هذا الحذر الحذر لأن قلبه ميت فكلامه كله على الميتة والميتة هي الجيفة قال صلى الله عليه وسلم الدينا جيفة وطلابها كلاب فمن تكلم على الدنيا فمثله كالكلب ولا خير في كلب ولو كان عالماً قاله الشطبي ثم أن هذه الكسوة التي تبرز على الكلام إنما هي من نتائج الأذن من الله فيه وأما إذا لم يكن إذن فيه فلا كسوة عليه كما أيان ذلك بقوله من أذن له في التعبير حسنت في مسامع الخلق عبارته وجلبت إليهم إشارته قلت الأذن في التعبير إنما يكون على يد الشيخ الكامل العارف الذي أهله الله للتربية ونصبه للتوصيل والترقية فإذا رأى على تلمذه أهلية التذكير أذن له في التعبير فإذا عبر أخذ بمجامع القلوب وفاض من لسانه أسرار علم الغيوب فتحسن في مسامع الخلق عبارته وتجلى إليهم إشارته أي تظهر وتفهم ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام وإعرابه ولا خطأ في رفعه ونصه من صوابه وإنما العبرة بالمعاني دون القوالب والأواني يحكى أن بعض النحويين دخل مجلس الحسن بن سمعون ليسمع كلامه فوجده يلحن فانصرف ذا ما له فبلغ ذلك الحسن فكتب له إنك من كثرة الإعجاب رضيت بالوقوف دون الباب فاعتمدت على ضبط أقوالك مع لحن أفعالك وإنك قد همت بين خفض ورفع ونصب وجزم فانقطعت عن المقصود هل لا رفعت إلى الله جميع الحاجات وخفضت كل المنكرات وجزمت عن الشهوات ونصبت بين عينيك الممات والله يا أخي ما يقال للعبد لم لم تكن معرباً وإنما يقال له لم كنت مذنباً ليس المراد فصاحة المقال وإنما المارد فصاحة الفعال ولو كان الفضل في فصاحة اللسان لكان سيدنا هارون أولى بالرسالة من سيدنا موسى حيث يقول وأخي هارون هو أفصح مني لساناً اه ومما يتسب للخليل رحمة الله أو لسيبويه

لسام فصيح معرب في كلامه فيا ليته من وقفة العرض يسلم
ولا خير في عبد إذا لم يكن تقي وما ضر ذا لسان معجم

وقال آخر

منحرف بالفعال وذو زلل وإن تكلم في جداله وزنه
قال وقد كتبت لفظته تيهاً وعجباً أخطأ ما لحنه
وإنما أخطأ من قام غدا ولا يرى في كتابه حسنه

وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه إذا ذكر من تقدم له في العربية يقول له أنت اترك شيئاً من عربيتك وأنا أترك شيئاً من جبليتي يعني من اللغة الجبلية ونلتفت للطريق والحاصل أن من اجتمع فيه الحال وفصاحة المقال فهو كمال الكمال وذلك لأنه ينتفع بكلامه بعدموته كالغزالي والشترى والشاذلي والمرسي والشيخ رضي الله عنهم فقد عظم النفع بكلامهم وأعظمهم المؤلف رضي الله عنه فقد حاز قصب السبق في التعبير ونسخت كتبه كتب القوم وقد شهد له شيخه بهذا المعنى فقال والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله وقال له والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك شأن عظيم وقال فيه أيضاً حين نسخ له كتاب التهذيب الأعلى يديه فقد قرب المدارك وبين المسالك في أحسن عبارة وأوجز لفظ وإشارة جزاه الله عن المسلمين خيرا ثم بين رضي الله عنه الكلام الذي لم يؤذن لصاحبه في التعبير عنه فقال ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بإظهار قلت قد يتكلم الإنسان بحكم وحقائق مع فصاحة وبلاغة وشقاشق لكنها مسكوفة الأنوار مطموسة الأسرار ليس فيها حلاوة ولا عليها طلاوة سبب ذلك عدم الأذن فيها إذ لو أذن له في التعبير لظهر عليها كسوة التنوير قال في الطائف المنن من أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الولى يكون مشحوناً بالمعارف والعلوم والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة قال سمعت شيخنا أبا العباس يقول الولى يكون مشحوناً بالمعارف والعلوم والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان ذلك كالأذن من الله في الكلام وقال وسمعت أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة وكلام الذي لم يؤذن له يخرج مكسوف الأنوار حتى إن ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر اه قلت وينبغي لأهل التعبير أن يخاطبوا الناس بقدر ما يفهمون فليس التعبير لأهل البداية كأهل النهاية وفي الحديث خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون نعم أن ضاق الوقت على التفريق جمع الكل وذكر في البداية والوسط والنهاية وكل واحد يأخذ نصيبه ويشرب من منهله قد علم كل أناس مشربهم وهذه كانت طريقة الجنيد رضي الله عنه يلقى الحقائق على رؤوس الأشهاد فقيل له في ذلك فقال علمنا محفوظ أن يأخذ غير أهله أو

ما هذا معناه ثم عبارتهم بعد الأذن لا تكون إلا لحكمه بينها الشيخ بقوله عبارتهم أما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد قلت ما اشتملت عليه قلوب العارفين من المعارف وأسرار التوحيد وغوامض العلوم التي لا تطيقها جل الفهم هو سر من أسرار الله وهم أمناء الله عليها فلا يطلعون عليها إلا من رأوه أهلا لها إلا من كان مغلوباً على حاله لا يقدر على إمساكها وهو من لم يتمكن من حاله فيها فعبارتهم إذاً ما لفيضان وجد غلبة فلم يقدر على إمساكها أو لأجل هداية مريد وإرشاده وترقيته إلى مقام استحق إطلاع عليه وإلا فلا يظهرون من تلك الأسرار قليلاً ولا أقل من القليل وقد تقدم قول بعضهم

قلوب الأحرار   قبور الأسرار

وقال آخر

لا يكتم السر الأكل ذي ثقة   فالسر عند خيار الناس مكتوم

ثم بين حال الفريقين ومقام الرجلين فقال الأول حال السالكين وهم المستشرفون من السائرين حققوا و لم يتمكنوا فهم مملوكون في يد الأحوال إذا غلب عليهم الوجد فاضوا و لم يشعروا وإذا رجعوا إلى أنفسهم ندكوا واستغفروا ثم بين حال الثاني فقال والثاني حال أرباب المكنة والمتحققين وهم الراسخون المتمكنون فلا يعبرون عن تلك الأسرار إلا لأجل هداية المريدين وتربية السالكين وترقية السائرين وأما لغير هؤلاء فلا فإن عبر عنها السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وإن عبر عنها المتمكن من غير قصد هداية كان في ذلك افشاء لأسرار الربوبية وهي عندهم أعز من الكبريت الأحمر وقد كان الرجل يخدمهم سنين فلا يظهرون له منها قليلاً ولا كثيراً حتى إذا رأوا أعطى نفسه وفلسه وبذل روحه بالكلية أشاروا إليه إشارة خفية فقد ذكر شيخ شيوخنا سيدي على في كتابه إن طائفة من المريدين خدموا شيخاً ثلاثين سنة ثم قالوا له يا سيدنا أردنا أن تعرفنا بربنا فقال لهم نعم غدا ائتوني لداري فلما أتوه أخرج لهم صبياً صغيراً فوجهه إليهم ثم دخل فانظر هذه الإشارة ما ألطفها وأخفاها ثم من الله على أهل هذا الزمان برجال كرام من صحبهم بالصدق منحوه من الأسرار في يسير من الزمان ما لم يدركه المتقدمون في الأزمنة الطويلة جزاهم الله مت الأمة المحمدية خيراً وقد تلكم الشيخ أبو الحسن على حال السالكين والواصلين بكلام طويل ذكره في الطائف المنن ونقله الشطيبي فقال أن الله عباداً محق أفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أوصافه ما يعجز عن سماعه عامة الخلق فهم مغرقون في بحر الذات وتيار الصفات فنوا عن أفعالهم ثم فنوا عن صفاتهم ثم فنوا عن ذاتهم وبقوا بذات الله تعالى و لم يبق لهم منهم شئ ومن كان في الله نتلفه كان على الله خلفه ومن صح بقاؤه ثم قال واعلم أن الفنا يوجب الغيبة عما سوى

الله قلت وهو مقام السالكين والبقاء يوجب إيجاد كل شيء مع الله يعني بالله فصاحب الفناء يقوم الله عنه وصاحب البقاء يقوم بالله عن الله وهما ولايتان فولى يتولى الله ورسوله والذين آمنوا وولى يتولاه الله وهو يتولى الصالحين قال الشيخ أبو الحسن وعلامة الولاية الرضى بالقضاء والصبر على البلاء والفرار إلى الله عند الشدائد والرجوع إليه عند النوائب فمن أعطى هذه الأربعة من خزائن الأعمال والمجاهدة فقد صحت ولايته لله ورسوله وللمؤمنين ومن أعطيتها من خزائن المنن والموادة فقد تمت ولاية الله له فالولاية الأولى ولاية صغرى والولاية الثانية ولاية كبرى قيل له كيف يتولى الله ورسوله والذين آمنوا قال يتولى الله بالمجاهد لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا ويتولى الرسول بالمتابعة قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله من يطع الرسول فقد أطاع الله ويتولى المؤمنين بالاقتداء بهم وهي علامات من خاض بحر الولاية وأما الذين تولاهم الله فهم الذين صلحوا لحضرته وغابوا عن خليقته فلا يرون في الوجود إلا الله، الأولي تسمى ولاية إيمان وهذه ولاية إيقان فقيل له وما الفرق بين الإيمان والإيقان قال كل يقين إيمان وليس كل إيمان إيقاناً فالإيمان ربما تدخله الغفلة والإيقان لا تدخله الغفلة المؤمن يتجلى له الحق دون كل شئ والموقن يتجلى له الحق في كل شيء المؤمن فإن عن كل شيء فلم يشهد مع الله شيئاً والموقن باق في كل شئ فهو يشهد الله في كل شئ اه ثم بين المؤلف رضي الله عنه فائدة التعبير وثمرة العبارة فقال العبارة قوت لعائلة قلوب المستمعين وليس لك منها إلا ما أنت له آكل قلت العائل هو الفقير والعائلة جمع له فعبارة العارفين قوت لقلوب الفقراء الطالبين لزيادة إيقان قلوبهم ومشاهدة محبوبهم فلا يزالون في حضانة الشيوخ وعيالهم حتى يكمل إيقانهم وترشد أحوالهم فحينئذ يستقلون بأنفسهم وعلامة رشدهم أنهم يأخذون النصيب من طل شيء ولا ينقص من حالهم شئ يفهمون عن الله في كل شيء ويعرفون في كل شئ ويشربون من كل شئ فإذا كانوا كذلك فقد استقلوا بأنفسهم وتأهلوا لارشاد غيرهم قال بعض الحكماء من لم يفهم صرير الباب ولا طنين الذباب ولا نبيح الكلاب فليس من ذوي الألباب وأما من لم يبلغ هذا المقام فلا بد أن يلزم العش في حضانة من يرزقه ويطعمه فإذا طار من العش قبل تربية الجناح اصطادته الكلاب والبيزان ولعبت به النساء والصبيان

فإذا كان في عش الشيخ وكان يطعمه مع غيره فليس له من القوت إلا ما يقدر أن يأكله وإلا قتله فليس طعام الصبي الصغير كطعام الرجل الكبير وكذلك عبارة الشيوخ للمريدين كل واحد يأخذ ما يليق بحاله فالشيوخ يذكرون في الجملة فيذكرون أحوال البدايات والنهايات والوسط وكل واحد يأخذ ما يليق بع قد علم كل أناس مشربهم فلا يتعلق المبتدئ بمذاكرة المنتهي فيفسد كما إذا كل الطفل الصغير طعام الكبير يقف في حلقه وإذا أكل الكبير طعام الصغير لا يشبعه هذا معنى قول الشيخ وليس لك منها إلا ما أنت له آكل أي ليس لك من قوت العبارة إلا ما أنت قادر على أكله وإلا غصصت به والله تعالى أعلم وقد

سألني بعض الأخوان عن قوت الروحانية والبشرية فقلت قوت البشرية معلوم وقوت الروحانية على وزان قوت البشرية فالصبي لا يطيق الطعام الخشن حتى يكبر كذلك الروح تربى شيئاً فشيئاً فتطعم أولا ذكر اللسان فقط ثم ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب مع اللسان ثم ذكر القلب فقط ثم ذكر الروح وهو الفكرة ثم ذكر السر وهو النظرة ثم تأكل كل شيء وتشرب من كل شيء حتى تسرط الكون بأسره فلو أعطيتها الفكرة أو النظرة الذي هو طعام الرجال أول مرة وهي في مقام الأطفال للفظته وطرحته فإذا بلغت الروح أن تأكل كل شيء وتشرب من كل شيء فقد صح لها أ، تطير في الملكوت الأعلى وتذهب حيث تشاء وقد يختلف الشرب لجماعة من آنية واحدة لاختلاف مقامهم كقضية الرجال الذين سمعوا قائلاً يقول يا سعتر يرى وذلك أن رجلاً في الصفا بمكة صاح يا سعترا برى لرجل آخر كان اسمه ذلك فسمعه الثلاثة فكل واحد تعلق بذهنه ما يليق بحاله فسمع أحدهم الساعة ترى برى وسمع الآخر اسع تري برى وسمع الثالث ما أوسع بري فالأول كان مستشرفاً والثاني مبتدياً والثالث كان واصلاً وكذلك قضية ابن الجوزى كان يقرأ ببغداد اثني عشر علماً فخرج يوماً لبعض شؤنه فسمع قائلاً يقول

إذ العشورن من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان على الصغار

فخرج هائماً على وجهه إلى مكة فلم يزل يعبد الله بها حتى مات رحمه الله ففهم من الشاعر انصراف العمر وضيق زمان الدنيا كله قال في لطائف المنن واعلم أن هذه المفهومات المعنوية الخارجة عن الفهم الظاهر ليست بإحالة اللفظ عن مفهومه بل هو فهم زائد على الفهم العام يهبه الله لهذه الطائفة من أرباب القلوب وهو من باطن الحكم المندرج في ظاهره اندراج النبات في الحبة وذلك أن المدد النوراني والفتح الرباني يتصل بعضه ببعض إلى الطرف الظاهر فحيث انتهت القوة انتهى الإدراك فربما فهموام ما يوافق ظاهر المعنى الباطنية وروبما خالفه من جهة ما ربما كان الفهم بعكس ظاهره وقد كان الشيخ مكين الدين بن الأسمر رضي الله عنه ممن يشهد له الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه بالولاية الكبرى والمكاشفة العظمى فانشد إنسان في مجلسه

لو كان لي مسعد بالراح يسعدني لما انتظرت لشرب الراح افطاراً
الراح شيء شريف أنت شاربه فاشرب ولو حملتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صهباء صافية خذ الجنان ودعني أسكن النارا

فقال بعض فقهاء الظاهر لا يجوز قراءة هذه الأبيات فقال الشيخ مكين الدين قل دعه فإنه رجل محجوب يعني أنه لا يفهم إلا الشراب الحسى دون المعنوي وهو جمود والله تعالى أعلم ثم إن العبارة لا تدل على حال المعبر فقد يكون فوق ما يقول وقد يكون دونما يقول كما أشار إلى بيان ذلك بقوله ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل إليه وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة قلت العبارة لا تدل على نهاية المعبر ولا وصوله إلى ما عبر عنه فقد يعبر عن المقام من لم يصل إليه ولكن استشرف عليه وقد يعبر عنه من وصل إليه وربما عبر عن المقام وقدمه فوق ما عبر عنه وذلك ملتبس إذ لا يعرف المستشرف من الواصل إلا ذو بصيرة نافذة يعني من فتح عليه في المعرفة فكل من فتح عليه في معرفة الله ورفع عنه الحجاب عرف كلام الواصل من المستشرف فليس من خالط البلد ووصفها ثم نعتها كمن استشرف عليها و لم يدخلها ثم جعل ينعتها قال بعضهم وقد يعرف المستشرف بطول التعبير والواصل باختصاره فالمستشرف يطول العبارة ويكررها والواصل من أول مرة يدركها وقد قالوا العارف بالضرب لا يكثر الهنى والعارف بالمفاصل لا يكثر الحنى قلت وهذه القاعدة ليست كلية إذ كثير من العارفين الواصلين تطول عبارتهم لمعرفتهم بمفاصل الخطاب ومن المستشرف من تقصير عبارتهم قال المؤلف رضي الله عنه الاستشراف والوصل ليس إلا مراتب التوجه للتحقق بالعجز فمن وصل لمعرفة العجز عن الوصول فهو الواصل لكن العجز لا يكون إلا بعد الاتصاف به حقيقة لا مجازا وذلك أن الجاهل عجزه حالي قهري والعارف عجزه جلال يرحماني قلت المراد بالعجز في حقه الحيرة والدهش أولا ثم العجز عن الإحاطة والكنة ثانياً ثم قال يشهد لذلك أن الجاهل متى تحرك وقع في الحظوظ والعارف لا يتحرك إلا بالحقوق والجاهل نصيبه الوهم والعارف نصيبه الفهم الجاهل طالب للعلم والعارف طالب للمعلوم الجاهل تابع بنظره للصور الحسية والعارف غائض ببصيرته مع الأرواح المعنوية وجميع المراتب والمقامات مراحل بين الحس والمعنى وانتقال من الهياكل الجسيمة للعوالم القلبية ثم من العوالم القلبية إلى الحقائق الروحانية ثم من الحقائق الروحانية إلى الأسرار الربانية إلى المعارف التوحيدية أه ثم لا ينبغي للسالك أن يعبر عن هذه الأسرار إذا واجهته في طريق السلوك كما أبان ذلك بقوله "لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته فإن ذلك مما يقلل عملها في قبه ويمنعه وجود الصدق فيها مع ربه قلت المريد في حال سيره مأمور بالكتمان لعلمه وعمله وحال وارداته فافشاؤه لعمله من قلة اخلاصه وإفشاؤه لأحواله من قلة صدقة مع ربه وأيضاً الأحوال تأتي من حضرة قهار فتترعج القلوب خوفاً وتقلقها شوقاً فإذا أفشى ذلك كان تبريداً لها وإطفاء لنورها كمن غلت قدرته فصب فيها الماء البارد فيطول عليه غليانها ثانياً ولو قلل نارها وكركها لاستفاد وأدامها كذلك الواردات الإلهية تفطأ القلوب لتحركها إلى النهوض إلى مولاها فإذا أفشاها وذكرها للناس

قل علمها في قلبه ودل على عدم صدقه فيها مع ربه قلت ومن ذلك استعمال الأحوال التي تميت النفوس لا ينبغي إفشاؤها فللنفس حظ في ذلك لأنها مجبولة على حب المدح والذكر الحسن ولو من الأخوان كثيراً ما رتى بعض الفقراء يذكرونها ويتبجحون بها وهو غير صواب نعم أن كان يقتدي به فيذكرها للإقتداء ولا نهاض الفقراء فذلك حسن مع نية حسنة وكثيراً ما تستعمل هذه الأحوال في حال السؤال فلذلك ذكره بأثره أو تقول لما كان التعبير عن الواردات الإلهية مما يوجب الإقبال والتعظيم فيؤدي ذلك إلى العطاء فيحتاج إلى آدب القبض بين ذلك بقوله لاتمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك فإن كنت كذلك فخذ م وافقك العلم قلت مد اليد إلى الأخذ من الخلائق على قسمين أما أن يكون من غير سؤال أو بعد السؤال ولكل واحد منها أحكام أما الأخذ من غير سؤال فشرطه أمر أن أحدهما علمي آخر والآخر صوفي أما العلمي فلا يأخذ ممن كبه حرام ولا مخلط ولا محجور عليه كالصبي والمجنون والعبد وأما الصوفي فلا يقبض حتى يعرف ممن يقبض علما وحالا فإن اسعت معرفته وتحقق فناؤه بحيث لم يبق له نظر للواسطة أصلاً فربما يسلم له القبض مطلقاً لأنه يقبض من الله ويدفع بالله ولكن الكمال هو الجمع بين الحقيقة والشريعة وقد كان كثير من

الصوفية الحقيقيين يقبضون جوائز السلطان ثم يدفعونها على أيديهم وأما القبض بعد السؤال فالكلام عليه من وجهين الأول في جواز السؤال ومنعه والثاني فيما يقبضه بعد أخذه أما حكم السؤال فأصله الجواز قال الله تعالى وأما السائل فلا تنهر فلو كان ممنوعا ما نهى الله عن نهره ثم تعتريه الأقسام الخمسة يكون واجباً ومندوباً ومباحاً ومكروهاً وحراما فأما الواجب فهو ما يكون لسد الرمق بحيث إذا ترك السؤال مات فهذا واجب عليه فلو تركه حتى مات عاصياً فأجبه الشارع خوفاً على فوات حياة البشرية الحسية وأوجبته الصوفية أيضاً على من خاف فوات حياة الروحانية بحيث منعته الرياسة من حظ رأسه وذبح نفسه فقد نقل القسطلاني في شرح البخاري عن ابن العربي المعافري أنه قال هو واجب على المريد في البداية فتحصل أنه واجب حيث يخاف فوات حياة البشرية أو الروحانية وإليه أشار ابن البناء بقوله

وما على السائل من تأويل — لأجل قهر النفس والتذليل

فمن أولى الأذواق والأحوال — من كان راض النفس بالسؤال

قالوا :ولا خير في العبد — ما لم يكن قد ذاق طعم الرد

وبالجملة فهو لرياضة النفس واجب أو مندوب وكان إبراهيم الخواص تعرض عليه الألوف فلا يقبلها وربما سأل من يعرف من الناس الدرهم والدرهمين لا يزيد على ذلك وأما المندوب فهو أن يسأل لغيره فهو من التعاون على البر فيسأل الطعام ليطعمه من يستحى أو يسأل اللباس أو غير ذلك وقد سأل النبي

صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قدموا عليه عراة ويدخل في المندوب ما كان لرياضة النفوس حيث لم يخف عليه كما تقدم وأما المكروه فهو أن يسأل لقوت البشرية مع القدرة على الاستغناء عنه بسبب من الأسباب وهذا ما لم ينقطع للبادة ويتجرد إلى الذكر وأما المنقطع إلى الله فلا بأس به وقد فعله كثير من العارفين المحققين فقد كان أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد يسأل لقوت البشرية مع القدرة على

الاستغناء عنه بسبب من الأسباب وهذا ما لم ينقطع للعبادة ويتجرد إلى الذكر وأما المنقطع إلى الله فلا بأس به وقد فعله كثير من العارفين المحققين فقد كان أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد يسأل بابا أو ما بين أو ثلاثاً بين العشاءين فكانت العامة تتعجب منه أولا ثم عرف بذلك فكان لا يعيبه عليه العامة ولا الخاصة مع جلالة قدره وعلو معرفته بربه وكان الشيخ أبو سعيد الخراز إذا اشتدت به الفاقة يمد يده ويقول من عنده شيء لله وكان إبراهيم بن أدهم معتكفاً بجامع البصرة ولا يفطر إلا م ثلاثة أيام إلى ثلاثة أيام يخرج بعد صلاة المغرب يطلب على الأبواب فطره وكان سفيان الثمري رضي الله عنه يسأل الطعام لله فإن فتح بكثير أخذ كفايته وترك آخر وأكثر الرجال على هذه الحال قطعوا الدنيا الفانية لتأثيرهم الآخرى الباقية وكل ذلك لا يقدح بشريعة ولا حقيقة ولا يطفئ نور المعرفة وقد أشار ابن البناء إلى هذين القسمين أعنى المندوب والمكروه فقال

وكرهوا سؤال لنفسه	ثم أباحوا لأجل جنسه
ولم يعدوه من السؤال	لكن من العون على الأعمال
إذ كان خير الخلق في أترابه	يسأل أحياناً إلى أصحابه

وأما المباح فهو أن يسأل لحاجته الغير ضرورية كسؤاله لقضاء دينه أو ما يزيد على ستر عورته وسد رمقه أو غير ذلك مما ليس بضرورة لكنه حاجي أي محتاج إليه وأما المحرم فهو أن يسأل تكثروا أو زيادة على ما يكفيه وفي الحديث من له أربعون درهماً فالسؤال عليه حرام وفيه ورد الحديث أنه يبعث يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم ومن المحرم أيضاً ما فيه الحاح وإضرار بالمسؤل قال تعالى لا يسئلون الناس الحافا قلت وأما ما يفعله بعض أصحابنا من صورة الالحاح بنا فإنما قصدهم بذلك قتل نفوسهم بما يسمعون من المسؤل في جانبهم ولا يفعلونه الامع من يعرف عندهم بالانكار فيستخرجون نه الجلال اختبارا لأنفسهم وقد يقصدون بذلك تحقيق الاخلاص وسترا للحال فيظهرون الرغبة وهم من أزهد الناس تحقيقاً للاكتفاء بعلم الله وما كان ذلك إلا في حال قوتهم وجذبهم فالسكر غالب عليهم هذا ما حققته منهم وقد انقطع ذلك كله اليوم فما بقي إلا أهل الصفاء وأهل الوفاء وسبب دخول السؤال في هذه الظائفة أن شيخ

شيوخنا سيدي على الجمل العمراني رضي الله عنه كان له جاه ووزارة ورياسة في فاس فلما دخل في يد الشيخ وأى صدقة وجده قال له أري لك خمرة لم يقدر عليها أحد قبلك ولولا ما رأيت فيك من الصدق والجد ما دللتك عليها قال وما هي يا سيدي فقال السوق للسؤال هكذا سمعته من بعض الأخوان والذي رأيته في كتابه أنه قال له يا ولدي أراك تطلب هذا العلم ولا تنال منه ما تريد إلا بالذل فدخل فيه وسكن إلى مماته فلما ذاق سره وأي ما فيه من الأسرار وما يقطع به المريد في سيره من المفاوز والقفاز سير أصحابه عليه ودلهم على استعماله فكان أصل مشرعيته قتل النفوس لا قبض الفلوس فمن استعمله لتقل النفوس ولج حضرة القدوس إذ ما حجبنا عنها الاحياء النفوس ومن استعمله لقبض الفلوس نال الشقاء والبؤس وينبغي أن يكون في حال السؤال يده مشيرة إلى الخلق وقلبه معلق بالحق قال في المباحث

وآدب الصوفي عند المسئلة　　أن يدخل السوق إليه يسئله

لسانه يشير نحو الخلق　　وقلبه معلق بالحق

وقد ذكر ابن ليون التجيبي السؤال وبين أصله وذكر مسئلة الزنبيل وكيفيته أن يتوضأ الرجل ويصلي ركعتين ويأخذ الزنبيل يعني وعاء بيده اليمنى ويخرج إلى السوق ومعه رجل آخر يذكر الله ويذكر الناس والناس يعطونه في ذلك الزنبيل حتى يجمع ما تيسر من الطعام ويصبه بين الفقراء فيأكلون طعاماً حلالا بلا تكلف ولا كلفة هذا ما تيسر لنا في حكم السؤال والذي يظهر لنا ن تركه اليوم أحسن من استعماله إذ زالت هيبته وصار حرفة من الحرف فصارت نفس كثير من الفقراء تبطش إله وما ذلك إلا لما فيه من الحظ عندها والله تعالى أعلم وأما ما يأخذه من السؤال فإن كان فقيراً إليه أخذه وأن كان غنياً عنه تصدق به خفية بالليل مثلا وكان شيخ شيخنا رضي الله عنه يقول كان قصدنا من السؤال قوت الأرواح فلما خرج منه قوت الأشباح تبارك الله يعني فيأخذ من اضطر إليه وبالله التوفيق وهذه الحكمة التي ذكرها الشيخ هي من أعظم المهمات التي يحتاج إليها أهل التجريد وليس مقصوده الكلام على السؤال إنما مقصوده الدلالة على تربية اليقين وعدم التشوف إلى المخلوقين فلا يعلق قلبه بالمخلوق فإن تشوف إليه فينبغي ألا يقبض ما يعطاه ولا يمد يده إلا الأخذ منه حتى يرى أن المعطي هو الله ويكون ذلك ذوقاً وحالا قلت وهذا الشرط إنما هو فيما يأخذ بغير سؤال وأما في حال السؤال فلا يشترط بل يكون علماً ومجاهدة حتى يصير حالا وذوقاً وأما ما يأخذ بغير سؤال فلا بد من هذه المعرفة وقال شيخ شيخنا لا تشترط هذه المعرفة بل يكفيه العلم فيها وهو الأصح ما لم تتشوف نفسه إلى الخلق فإن تشوفت نفسه فلكيف عن القبض من الخلق وليكتف بضمان الملك الحق قال تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله

رزقها قيل لبعضهم كيف خرجت من الدنيا بعد أن كانت في يدك قال نظرت منصفا لنفسي في معنى قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فرأيت جميع الخلق من البعوضة إلى الفيل تكفل الله لهم بالرزق ففوضت أمري إليه واشغلت بالعبادة وقال عيسى عليه السلام لا تهتموا بالرزق فإن الذرة على صغرها تؤتى كل يوم برزقها الحديث وقال أيضاً عليه السلام عجبت لمن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بلا عمل ولا يعلم للآخرة وهو لا يرزق فيها إلا بالعمل وقال صلى الله عليه وسلم من كان همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كان همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه و لم يأته من الدنيا إلا ما قدر له وأن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه العبد كما يطلبه وكان يحيي بن معاذ يقسم أنه لا تسكن الحكمة قلباً فيه ثلاث خصال هم الرزق وحسد الخلق وحب الجاه وكان حبيب العجمي يخدم الحسن البصري فصنع حبيب طعاماً لإفطارهما وإذا بسائل فأعطاه جميعه فقال الحسن يا حبيب إنك كثير اليقين قليل العلم فهلا أعطيته النصف ونتقوت بالنصف فقال يا سيدي ثوابه لك وأنا أستغفر الله فلما جن الليل وإذا بقارع على الباب فخرج حبيب فوجد عبدا معه طعام كثير والشتاء يترل والغلام يبكي فقال له ما هذا قال طعام قال لي سيدي أن قبله منك الحسن البصري فأنت حر لوجه الله وقد طال علي الرق فقال حبيب لا إله إلا الله عتق رقبة واطعام جائع ثم دخل به على الحسن وقال يا سيدي إنك كثير العلم قليل اليقين فقال يا حبيب تقدمناك وسبقتنا اه قلت ولشيخ شيخنا مثل هذه الحكاية ذكرها لي بعض أصحابه ثم سألته عنها فقال هي صحيحة وذلك أن أهله صنعوا طعاما جيداً فلما وصعوه بين أيديهم وإذا بإنسان قد وقف على في عالم النوم وزجرني وقال لي أجب الملهوف فانتبهت وأنا مذعور و لم أدر ما أصنع فأوقع الله في قلبي ا، أخذت صرة فيها مائة دينار وركبت دابة وأطلقت زمامها فخرجت بي من العمران إلى مسجد خرب ووقفت فترلت ودخلت المسجد فوجدت مسكيناً وهو يتضرع إلى الله ويسئله من فضله فسألته عن حاله فقال أنا صاحب عيال ولي بنيات منذ ثلاث ما طعموا فأنا اسئل الله من فضله فدفعت له المائة وقلت له إذا نفذت فاسئل عني فأنا فلان وائتني فقال لا واللهي ما اسئل غير الله ثم انصرفت وأنا متعجب من ثقته بالله تعالى فهذه حكاية جنود من جنود الله تعالى تقوى اليقين وتوجب الثقة برب العالمين فيستحي العبد من الله أن يرفع حاجتة إليه فأولى أن يرفعها إلى كما بين ذلك بقوله ربما استحي العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاه بمشيئته فكيف لا

يستحيي أن يرفعها إلى خليقته قلت العارف هو الذي بلغ من التقرب والقرب حي امتحق عن نفسه بالكلية وزالت عنه الأينية والغيرية بحيث لم يبق له عن نفسه إخبار ولا مع غير مولاة قرار فإذا أراد أن يسأل عبودية استحي من مولاه أن يثبت معه سواه اكتفاء بمشيئته وتحقيقاً لأحديته فإذا كان يستحي من مولاه أن يرفع حوائجه إليه فكيف لا يستحي منه أن يرفعها إلى غيره فلا جرم أن الحق سبحانه بعطيه

أفضل ما يعطي السائلين ويبوؤه في مقعد صدق مع النبيين والصديقين وقد تقدم الحديث من شغله ذكري الخ وقال سهل بن عبد الله ما من وقت إلا والله تعالى مطلع فيه على قلوب عباده فأي قلب رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه الشيطان وحجبه عنه اه وقيل للواسطي لم لا يسئل الله شيئاً فقال أخشى أن يقال لي أن سألتنا الذي لك عننا فقد أهمتنا وأن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الأدب معنا وان سلمت الأمر لنا ونظرت بنظرنا أجرينا لك الأمور على مقتضى الموافقة اه هذا آخر الباب الموفي عشرين وحاصلها الكلام علي الكرامات في الولى فاض بالحكم وأذن له في التعبير فحينئذ ربما يقبل عليه الخلق بالعطاء فإذا عرف فيهم مولاه حل له الأخذ من أيديهم وإلا فلا وأما السؤال منهم لقوت البشرية فلا يتصور من العارفين استحياء من الله واكتفاء بعلمه ومشيئته هذا مقام الواصلين وأما السائرون فهم عاملون على مجاهدة نفوسهم فإن ثقل عليها السؤال قدموها إليه وأن ثقل عليها الفاقة والصبر والاكتفاء بالمشيئة والعلم قدموه كما بين ذلك الشيخ رضي الله عنه في أول الباب الحادي والعشرين بقوله وقال رضي الله عنه إذا التبس عليك أمر أن فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً قلت هذا ميزان صحيح في حق السائرين المشتغلين بالجهاد الأكبر قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكل ما يثقل على نفسه المريد وتنفر المريد وتنفر منه فهو حق فالواجب على المريد اتباعه وكل ما يخف عليها فهو باطل وفيه حظها فالواجب عليه اجتنابه وهذا الأمر يختلف اختلافاً كثيراً قرب نفس يثقل عليها غير ما يثقل على الأخرى فبعضها يثقل عليها الصمت وبعضها يثقل عليها الكلام كما إذا تربى في الصمت وبعضها يثقل عليها العزلة وبعضها يثقل عليها الخلطة وبعضها يثقل عليها الصيام وبعضها الفطر ويعضها يثقل عليها السؤال وتموت منه في ساعة واحدة وبعضها يخف عليها كما إذا تعودته قبل الأمر به وقس على ذلك فليكن العبد على نفسه بصيرة ويصير معها على عكس مرادها هكذا يستمر معها يخالفها فيما تأمره ويتهمها فيما تستحسنه فإذا تزكت وتطهرت من الحس و لم يبق فيها بقية فحينئذ يجب عليه موافقتها إذ لا يتجلى فيها حينئذ إلا الحق فقد جاء الحق وزهق الباطل فيصير أمر العارف معكوساً مع السائر فالسائر بضره التدبير والاختيار والعارف ينفعه والسائر تضره الخلطة والعارف تنفعه السائر يضره الكلام والعارف ينفعه السائر تضره الدنيا ويهرب منها والعارف غائب عنها لا تضره وربما تنفعه والحاصل أن الواصل معكوس مع السائر في أموره كلها وبالله التوفيق ويجب على من أراد جهاد نفسه أن يلقيها إلى شيخ التربية إذ قد يلتبس عليه أمرها وعلى فرض علمه بما يثقل عليها لا قدرة له على مجاهدتها إلا بهمة الشيخ هذه سنة الله في عباده فغن النفس لا تريد أن تخرج عن رأيها ومرادها أبدا فالواجب إسلامها إلى من مجاهدتها إلا بهمة الشيخ هذه سنة الله في عباده فإن النفس لا تريد أن تخرج عن رأيها وماردها أبداً فالواجب إسلامها إلى من يعينه عليها وانظر

التكاليف الشرعية تجدها مخالفة لهوى النفس ومن لا يلقى قيادة للشرع فهو كافر وما كفر من كفر إلا بتتبع الأهواء والله تعالى أعلم وهاهنا ميزان آخر تعرف به العمل الذي فيه حظ النفس وهواها وما لاحظ لها فيه هو أن تعرض عليها الموت وأنت في ذلك العمل فإن رضيت بالموت وهي في ذلك العمل فالعمل صحيح وإن لم ترض بالموت وهي في ذلك العمل فالعمل باطل فكل عمل لا تهزمه الموت فهو صحيح وكل عمل تهزمه الموت فهو باطن يعني فيه الهوى والظ وكذلك الإنسان يزن نفسه بهذا الميزان ليعرف هل رحل من هذا العالم أو هو باق فيعرض الموت على نفسه في حال عافية وجمال فإذا قبلت الموت و لم تفز منه فليعلم أنه رحل من هذا العالم وإن لم تقبل

نفسه الموت وطلبت البقاء ففيه بقية بقدر ما تفر منها وبالله التوفيق ثم ذكر الشيخ ميزاناً آخر يعرف بع ابتاع الهوى من الحق فقال من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات قلت هذا ميزان آخر وإن شئت قلت هو داخل في الميزان الأول إذ من شأن النفس أن يثقل عليها الواجب لمشاركة الناس لها فيه إذ جل الناس يفعلونته فلا يظهر لها فيه مزية على غيرها وهي أبدا تحب الخصوصية بخلاف النوافل فإنها تبطش إليها وتحب أن تنفرد بها إما لطلب المدح والثناء وأما لطلب الأجور من القصور والحور وهذا كله عند المحققين من الحظوظ الجلية أو الخفية فالمسارعة إلى نوافل الخيرات وفضائل الطابعات مع التكاسل عن الفروض الواجبات من علامة الهوى فيجب على الإنسان أن يقدم الفرض الواجب ولا يقدم عليه إلا ما هو من كماله كالنوافل قبله وبعده إعانة على الحضور فيه فأن حصل الحضور استغنى عن الوسيلة والنافلة الكبرى عندنا هو الاستغراق في مشاهدة مولاه بين فكرة ونظرة أو ما يوصل إلى هذا المقام من مذاكرة أو ذكر ومن رفض الدنيا بحذافيرها وغاب عن نفسه وجنسه فقد جمع الفرائض والنوافل كلها ولو بات نائماً وظل مفطراً وفي بعض أخبار سيدنا داوود عليه السلام قال يا رب أين أجدك فقال له اترك نفسك وتعالى أي غب عنها تجدني أقرب إليك منها وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه عليك بورد واحد وهو إسقاط الهوى ومحبة الملى وبالله التوفيق ولما كان من شأن النفس الأمارة التكاسل عن الطابعات قيدها الحق تعالى بأعيان الأوقات كما أبان ذلك بقوله قيد الطابعات بأعيان الأوقات لئلا يمنعك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت ليبقى لك حصة الاختيار قلت من شأن النفس تسويف العمل وتطويل الأمل فلو تركت مع اختيارها ما توجهت قط إلى ربها ولما علم الحق سبحانه أن من عباده من لا تنهضه المحبة ولا يسوقه إليه مجرد الرغبة وإنما تسوقه إليه سلاسل الإمتحان بتخويف النيران أو شبكة الطمع بنعيم الجنان أوعد من حاد عن طاعته بالعذاب الأليم ووعد من أطاعه وتقرب إليه بالنعيم المقيم ثم فرض عليهم ما تظهر فيه طاعته من الأحكام والفرائض وعين لها أوقاتاً مخصوصة إذ لو ترك ذلك لاختيار عباده ما أقبل عليه بها إلا القليل من أهل محبته ووداده ومن رحمته تعالى

أن وسع عليهم في تلك الأوقات فبقي لهم في ذلك ضرب من الاختيار فوسع الظهر مثلا إلى العصر والعصر إلى الاصفرار والمغرب إلى العشاء والعشاء إلى نصف الليل والصبح إلى قول الطلوع فقد قيد لك أيها العبد الطابعات التي أوجبها عليك بأعيان الأوقات لئلا يمنعك التسويف من فعلها فيؤدي ذلك بك إلى تركها ووسع عليك الوقت ليبقى لك حصة أي ضربا ونصيباً من الاختيار إذ لو ضيق عليك الوقت لكان ذلك في غاية الحرج والاضطرار فالحمد لله على منته وسعة رحمته وقد قيل إن سبحانه يقول لعبده أم أخرجك من العدم إلى الوجود وأمدك الفضل والجود جعلت لك نوراً في بصرك لتدرك به أدلة قدرتي وعظيم آياتي وجعلت لك نورا في بصيرتك لفتهم به خطابي وتتقي بالطاعة عقابي وترجو ثوابي فوعدتك الثواب على الطاعة وأوعدتك العقاب على المخالفة ثم كلفتك من العمل ما تطبق ووسعت عليك في الأوقات كل ضيق فلو أنك قضيت ما أوجبت عليك في أول عمرك في آخره لقبلته منك فمن ذا الذي منعك من الامتثال و لم يكن بك عذر غير الغواية والضلال اه وقد قيل في المثل من طلب جاب ومن هاب خاب وانظر قرن الله الهداية بالمجاهدة وأوجب سبحانه على نفسه ما لم يجي عليه فقال سبحانه وهو أصدق القائلين والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين وانشدوا في هذا المعنى

لو صح منك الهوى أرشدت للجبل … والصدق سيف ينيل غاية الأمل
فكن أخا همة تسمو بصاحبها … ولا تكن بالتواني محبط العمل

وكان الربيع بن خيثم يردد هذه الآية ويبكي قوله تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وكان يصيح ليت شعري من أي الفريقين أنت يا نفسي وهذه الآية تسمى مبكية العابدين وقال سهل رضي الله عنه في معنى هذه الآية ليس أهل الموافقة في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأهل المخالفة في عذاب السعير اه ولما ذكر حكمة توقيت الطاعة ذكر حكمة إيجابها على عباده فقال علم نهوض العباد أوجب عليك وجود طاعته وما أوجب عليك إلا دخول جنته قلت هذه حكمة التشريع لكنه ما ذكر إلا حكمة أهل وقال أيضاً وقليل ما هم فلما علم ذلك أوجب عليهم طاعته وأوعدهم على تركها بالعقوبة فساقهم إليه بسلاسل الإيجاب ثم ذكر الشيخ حديثاً ورد في شأن الاساري إشارة إلى أن العبد لا اختيار له فهو أسير في يد قدرة القدير والحديث مشهور وهو قوله عليه السلام عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل لأنه عليه السلام كان يدعو إلى الله وإلى دخول حضرته فمن وافقه نجا ومن خالفه جعل له السلسة في عنقه وساقه إلى حضرة ربه ولفظ الحديث عجب الله من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل قال بعض العلماء يجوز أن يكون معنى التعجب المنسوب إلى الله إظهار عجب هذا الأمر لخلقه لأنه بديع الشأن وهو أن الجنة التي أخبر الله بما فيها من النعيم المقيم والخلود في

العيش الرغد الدائم ومن حكم من سمع بها من ذوي العقل أن يسارع إليها ويبذل جهده فيها ويحتمل المكاره والمشقات ليناً لها هؤلاء يفرون منها ويرغبون عنها حتى يقادوا إليها بالسلاسل كما يقاد إلى المكاره العظيمة التي تنفر منها الطباع اه ثم أن الحق سبحانه غني عن الانتفاع بالمنافع فما أمرك بهذا ونهاك عن هذا إلا المالك فيه من جلب المنافع ودفع المضار أوجب عليك وجود طاعته وما أوجب عليك إلا دخول جنته قال بعض الحكماء واعلم أن في الطابعات تفاوتاً ودرجات وفي المخالفة كبائر ودركات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة ليتراءون الغرف من فوقهم كما يرى أهل الأرض الكوكب الدري في أفق السماء قيل يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال آخر الناس ثلاثة عبد أطاع الله عبودية وشكراً وامتثالاً وقياماً بحق الخدمة فزاده الوجوب شرفاً وعلو درجة وعبد أطاع الله تعظيماً للموجب فالوجوب في حقه تنبيه وإظهار للحكمة وعبد أطاع الله خوفاً من عذابه ورجاء في ثوابه ولولا ذلك ما عبده فالوجوب في حقه تنبيه وإظهار للحكمة وعبد أطاع الله خوفاً من عذابه ورجاء في ثوابه ولولا ذلك ما عبده فالوجوب في حقه لطيف به وفي الكل خير وشتان ما بينهما اه قلت والتحقيق إنما هما قسمان قسم أطاع على التكليف وهم أهل التكثيف وقسم أطاع على التعظيم وهم أهل التعليم والترعيف أهل الحجاب أطاعوا خوفاً وطمعاً وأهل العيان أطاعوا حباً وشكراً وهو مقام الأنبياء وخواص الأولياء قال عليه السلام أفلا أكون عبداً شكوراً فالحكمة عند أهل الباطن في وجوب الخدمة إنما هي إظهار لستر الربوبية التي هي مظاهر العبودية فالربوبية بلا عبودية نقص يلزم عليه أبطال حكمته والعبودية بلا ربوبية محال لا يتصور وجوده

من لا وجود لذاته من ذاته   فوجوده لولاه عين محال

ولأجل هذا المعنى كان العارفون إذا تحققوا هذا السر وهو أن العبودية لا وجود لها من ذاتها وإنما حكمة وجودها صور سر الربوبية بإظهار أحكام العبودية وعرفوا ذلك حالاً وذوقاً كانت عبادتهم شكراً وكانوا محمولين غير حاملين عملهم بالله لله فعبادة هؤلاء كثيرة عظيمة في المعنى وإن كانت قليلة في الحس ولا تقل أبداً إذ تصرفتهم كلها عبادة نومهم عبادة وأكلهم عبادة ومشيهم عبادة وفي مثل هؤلاء ورد الحديث نوم العالم عبادة وقال أيضاً رجال يدخلون الجنة على الفرش الممهدة قيل من هم يا رسول الله قال الذاكرون الله كثراً أو كما قال عليه السلام ذكره المنذري وقال أبو سليمان قد يرد العارف على فراشه ما لا يدركه في صلاته ولا يستغرب العبد من نفسه بلوغ هذا المقام فإن فضل الله لا ينال بسبب وقدرة الله صالحة لدرك كل مطلب كما أبان ذلك بقوله من استرغب أن ينقذ الله من شهوته وأن، يخرجه من

وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدرا قلت لا شك أن الحق تعالى لا يعجزه شيء هو الغالب على أمره وقلوب عباده بيده يصرفها كيف شاء ويقبلها حيث شاء فمن كان منهمكاً في الغفلة مستغرقاً في بحار الشوة فلا يستغرب أن ينقذه الله من غفلته وأن يخرجه من وجود شهوته فإن ذلك قدح في إيمانه وكيف يستغرب ذلك وربنا تعالى يقول وكان الله على كل شيء مقتدرا وأنت من ذلك الشيء وقال تعالى في حق العصاة يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله أن الله يغفر الذنوب جيمعاً وقال تعالى فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إلى غير ذلك من الآيات وقال عليه السلام لو أذنتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم وليتذكر من تقدم قبله من أهل الغفلة والعصيان ثم صار من أهل المشاهدة والعيان كانوا لصوصاً فصاروا خصوصاً كإبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وأبي يعزى وكثير ممن يتعذر حصره وقد ذكر القشيري في أول رسالته منهم رجالاً قدمهم أولا تقوية لرجاء المذنبين وليذكر الرجل الذي قتل تسعاً وتسعين نفساً ثم سأل راهباً عن التوبة فقال له لا توبة لك فكمل به المائة ثم سأل عالماً فدله على التوبة وأمره بالذهاب إلى قرية فيها قوم يعبدون الله فصدقهم فمات بالطريق فأخذته ملائكة الرحمة والحديث في البخاري مطولا وكنلك الرجل الذي كان لصاً فسأل عابداً هل له من توبة فاستهزأ به وأخذ ترجونا يابساً وقال له خذ هذا العرجون فإذا أخضر فقد صحت توبتك فأخذه بالنية وجعل يعبد الله وينظر إليه فأصبح ذات يوم معسلجاً أخضر قلت وقد أدركت أقواماً كانوا مغروقين في الغفلة وترك الصلاة لا يعرفون من الدين المشهور قليلا ولا كثيراً فضلا عن طريق الخصوص فانقلبوا وصاروا خصوصا عافين وقد أدركت أقواماً كانوا منهمكين في الذنوب مغروقين في المعاصي وظلم العباد فصاروا من اعظم الصالحين وقد رأيت نصارى بثغر سبته حضروا خلف حلقه الذكر فانجذبوا وتبعونا حتى خرجنا الحد الذي بيننا وبينهم ولو وجدوا سبيلاً لا سلموا سريعاً وقد كان بعض إخواننا يقول في شأن نفسه تعجباً من خروجه من غفلته هذا مدفع النخاس المدبر من عنده شيء فليخرجه فلقد رأينه مجذوباً عارياً رأسه حافيا رجله فهو اليوم من خواص الأولياء والغالب إنما يتفق هذا لمن سيقط على صحبة العارفين الذين عندهم الاكسيروهم موجودون في كل أوان وهذا أمر شهير لا يحتاج إلى دليل ومن شك فليشاهد فيا عجبا ممن ينكر ضوء الشمس بعد طلوعها ونور القمر بعد ظهوره ولكن كما قال صاحب البردة

قد تنكر الهين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

ون يضلل الله فلن تجد له سبيلا وأعجب منه من ينكر وجود شيخ التربية ويقر بانقطاع أهل الخصوصية

فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور أعني تعمى عن طريق أهل الخصوص وتبصر طريق أهل العموم كحال الخفاش يبصر في الظلمة ولا يبصر في النور فهو عند الناس معذور لعقده ما عند الأقوياء من النور وقد يسلط الله على عباده الانهماك في الشهوات ويحبسه في سجن الغفلات ثم يمن عليه بالتوبة والتيقظ من الغفلة ويدخله مع أجبائه مداخل الحضرة ليعرف قدر ما أظهر الله عليه من المنة كما أبان ذلك بقوفله ربما وردت الظلم عليك ليعرفك قدر ما من به عليك قلت لا شك أن نيل الشيء بعد الطلب ألذ واعز من المساق بغير تعب والمحبة بعد القطيعة أحلى من المحبة بلا قطيعة والصفاء بعد الجفاء أصفى من الصفاء بلا جفاء وفطام النفس عن مألوفاتها وعوائدها أشد معالجة من النفس السلسة المنقادة من غير تعب فيكون الأجر أو القدر على قدر التعب فهذه حكمة تقديم ورود الغفلة والشهورة على العبد ثم ينقذه منها ليعلم قدر هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه فربما أورد عليك أيها الإنسان الحق تعالى الظلم جمع ظلمة وهي الاغيار والاكدار وحب الشهوات والعوائد فتغرق في بحارها وتسجن في سجون ظلماتها ثم ينقذك منها في ساعة واحدة وذلك لتعرف بعد الفتح قدر ما من الله به عليك فتزداد محبة وسكراً وبعظم السر عندك محلا وقدرا لنعمة التي من الله بها عليهم وكذلك جنة العارف محفوفة بالمكاره ليعرف العارف قدر السر الذي كشف بع الخير الذي منحه الله إياه والعم أن هذه الظلم التي ترد على القلوب فتحجبه عن علام الغيوب هي ناشئة بحكمه الله من الدنيا والنفس والشيطان فمن زهد في الدنيا وغاب عن نفسه وأطلق يده منها ذكر الله حتى حترق الشيطان وذاب دخل مع الأحباب وفتح له عن علم الغيوب الباب قال بعض الحكماء واعلم أن الصانع البديع سبحانه لما خلق القلب جعله جزانة أسراره ومعدن أنواره وموضع نظره من عبده و لم يخلق الله في الوجود أشرف منه ثم رمي على باب القلب أخس الأشياء وأقذرها لتقضي حكمته اجتماع الأضداد التي لا قدرة لغيره على ذلك فطرح على باب القلب جيفة وكلبا ينهش فيها وهما الدنيا والشيطان فمن أراد الخول لخزانة سر الله لا بد له من تغميض عينه عن هذه القذرة وإعراضه عن الكلب لأنه لا سبيل له على من أعرض عنه وعن جيفته وكل من التفت غليها سلب النور الذي أراد الله به الدخول لبيت قلبه وكان له ذلك كالظلسم على الكتر منعه منه لا محالة اه وقيل أن الدنيا بنت الشيطان وطالب الدينا صهر إبليس والأب لا ينفك عن بنته أبدا ما دامت البنت في عصمة الصهر وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبده خيرا زهدة في الدنيا ورغبة في الأخرى وبصره بعويب نفسه قيل يا رسول الله أى الناس شر قال الأغنياء يعني البخلاء ثم قال عليه السلام ومن عظم غنياً لأجل غناه كان عند الله كعابد وثن ومن أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة اه وأوحى الله غلى موسى عليه السلام ما أحبني من أحل المال وما أحبني من أحب المال وما أحبني من أحب الدنيا فإنه لا يسع في قلب واحد حبى وحبها أبدا يا موسى ما خافني من خاف الخلق وما

توكل على من خاف فوات الرزق وعزتي وجلالي ما توكل على عبد إلا كفيته وبيدي مفاتح الملك والملكوت وما اعتصم بي عبد إلا أدخلته الجنة وكفيته كل مهمة ومن اعتصم بغيري قطع عنه الأسباب من فوقه واسخت الأرض من تحته ولا أبالي كيف أهلكته يا موسى خمس كلمات ختمت لك بها التوارة أن عملت بهن نفعك العلم كله والأ لم ينفعك شيء منه الأولى كن واثقاً برزقى المضمون لك ما دامت خزانتي مملوءة وخزائني مملوءة لا تنفد أبداً الثانية لا تخافن ذا سلطان ما دام سلطاني وسلطاني دائم لا يزول أبداً الثالثة لا ترى عيب غيرك ما دام فيك عيب والعبد لا يخلو من عيب أبداً الرابعة لا تدع محاربة الشيطان ما دام روحك في جسدك فإنه لا يدع محاربتك أبداً الخامسة لا تأمن مكري حتى ترى نفسك في الجنة وفي الجنة أصاب آدم ما أصاب فلا تأمن مكري أبداً اه قلت وهذا كله تشريع لغيره والأنبياء كلهم مطهرون معصومون وكل ما ورد فيهم من التعليم والتربية فالمراد به غيرهم وبالله التوفيق ثم من من الله عليه فأخرجه من أسر نفسه وأطلقه من سجن غفلته فلم يعرف هذه

النعمة سلبها من ساعته كما أشار إلى ذلك بقوله من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها قلت هذا الذي ذكره الشيخ مجرب صحيح وذلك أن العبد قد تترادف عليه النعم والعوافي فلا يعرف قدرها ولا تعظم عنده كل التعظيم فإذا سلبها وضرب بالبلاء والأوجاع والمصائب فحينئذ يعرف قدر العافية وكذلك الفقير يكون مصحوباً بالحضور والفكرة والنظرة فلا يعظم عنده قدرها فإذا أصابته الغفلة ورجع إلى الحس وفقد قلبه عرف ما كان عنده فإذا التجأ واضطر إلى الله رد غليه ما سلبه قيل أن الله تعالى يقول لجبريل يا جبريل انسخ حلاوة محبتي من قلب عبدي اختبره فينسخ جبريل حلاوة المحبة من قلب ذلك العبد فإذا هو اضطرب وتضرع لم يرد إليه شيئا وسلبه تلك الحلاوة والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ويستعين العبد على معرفة قدر النعم بالتفكير فيها وبالتفكير في حال مرضه وينظر إذا كان طائعاً في حال عصيانه وينظر إذا كان ذاكرا إلى وقت غفلته وينظر إذا كان عالماً إلى وقت جهله وبنظر إذا كان مصاحباً لشيخ عارف إلى وقت ضلالته وينظر إذا كان عارفاً إلى وقت جالته وهكذا كل نعمة ينظر إلى وجود ضدها الذي كان موجوداً فيه قبل ذلك فلا شك أنه يعرف قدرها فيشكرها فتدوم عليه وأما من لم يتفكر في حال النعم فلا يعرف قدرها فيغفل عن شكرها فيسلب منها وهو لا يشعر قال بعضهم شكر الله تعالى باللسان هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع وشكر الله باليد هو الاتصاف بالخدمة على وجه الاخلاص وشكر الله بالقلب هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقافل الجنيد رضي الله عنه ألا ترى نفسك أهلا للنعمة والا تعصى الله بنعمة اه فإن قلت كيف بشكر النعم وهي لا تحصي قلت القيام بها هو الاعتراف بها للمنعم وحده وإلى هذا المعني أشار الشيخ بقوله لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فإن ذلك مما يحط من وجود قدرك قلت قد يتفكر الإنسان في نفسه وما به من النعم

فيجد نفسه مغموساً في النعم حسية ومعنوية فينظر في نعمة البصر في نعمة السمع في نعمة الشم في نعمة الذوق في نعمة الكلام في نعمة العقل في نعمة اليدين في نعمة الرجلين في نعمة الصحة والعافية وفي نعمة الكفاية في نعمة الأهل في نعمة الأولاد ثم في نعمة الهداية إلى الإسلام ثم في نعمة الأيمان ثم في نعمة الطاعة ثم في نعمة العلم ثم في نعمة من يستعين به من الأخوان ثم في النعمة الكبرى نعمة الشيخ فيما أعد الله له بعد الموت الذي لا نهاية له فإذا وجد نفسه مغمورا في النعم فلا يدهش منها ويتحقر في نفسه عن القيام بشكرها فإن الاعتراف بها ومعرفتها والإقرار بها أنها من الله بلا واسطة هو شكرها وقوله الحمد لله رب العالمين كاف في شكر اللسان ألا ترى أن الجنة هي من أعظم النعم فكان شكر أهل الجنة فيها الحمد لله رب العالمين قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد به رب العالمين وقد جاء في بعض الأخبار أن داوود عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة من نعمك ونعمتك توجب على الشكر نعمة يوجب الشكر أيضاً وهكذا وأنشد بعضهم في هذا المعنى

إذا كان شكر الله للعبد نعمة عليها من الله له يجب الشكر
فكيف له بالشكر والشكر نعمة ولو والت الاحقاب واتصل العمر

وقال آخر

لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعماء قولى لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بنعمة فسبحانك لا يقوى على حمدك العبد

فأوحى الله إليه إذا عرفت أن النعم كلها مني فقد شكرتني وقد رضيت منك بذلك وفي رواية أخرى قال داود عليه السلام إلهي إن ابن أدم ليس فيه شعرة إلا وتحتها نعمة وفوقها نعمة فمن أين يكافئها فأوحى اله تعالى إليه يا داود أني أعطي الكثير وأرضي باليسير وأن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمني وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إليه أني بأرض ولقد كثرت فيها النعم ولقد أشفقت على قلبي ضعيف الشكر فكتب إليه عمراني كنت أراك أعلم بالله مما أراك أن الله تعالى لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل قال تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وقال تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ثم قال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأي نعمة أعظم من دخول الجنة اه ولما كان أعظم النعم وأشرفها هو دواء القلب وشفاؤه من مرض الهوى الذي قيده في سجن الغفلة وعرضه لغضب المولى نبه الشيخ على ذلك ليعرف العبد قدر هذه النعمة إذا كان شفاه الله

أو يطلب من الله إخراجه من تلك النعمة إذا لم يكن شفاه الله فقال تمكن حلاة الهوى من القلب هو الداء العضال قلت حلاوة الهوى على قسمين هوى النفس وهوى القلب فهوى النفس يرجع لشهواتها الجسمانية كحلاوة المآكل والمشارب والملابي والمراكب والمناكح والمساكن وهوى القلب هو شهواته المعنوية كحب الجاه والرياسة والعز والمدح والخصوصية والكرامات وحلاوة الطابعات الحسية كمقام العباد والزهاد وحلاوة علم الحروف والرسوم فأما علاج هوى النفس فأمره قريب يمكن علاجه بالفرار من أوطان ذلك والزهد وصحبة الأخيار وأما علاج هوى القلب إذا تمكن فهو صعب وهو الداء العضال الذي أعضل الأطباء أي أعجزهم وحبسهم عن علاجه فلا يزيد الدواء إلا تمكنا وإنما يخرجه وارد إلهي بعناية سابقة بواسطة أو بغير واسطة كما أشار إلى ذلك بقوله لا يخرج الشهوة من القلب الاخوف مزعج أو شوق مقلق قلت الشهوة إذا تمكنت من القلب صعب علاجها فلا يمكن خروجها في العادة إلا بوارد قهري جلالي أو جمالي فالوارد الجلالي هو خوف مزعج فيزعجك عن شهوتك ويخرج عن وطنك وأهلك والوارد الجمالي هو شوق مقلق فيقلقك عن مراداتك وحظوظك فينسيك نفسك ويؤنسك بربك ولأجل صعوبة هذا المرض كان أشد حجابا عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد لأن هذه الشهوة خفية لأن صاحبها أضله الله على علم الآية فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أي أضلهم عن طريق الخصوص وبقوا في طريق العموم أما العملاء الظاهريون فهم يعتقدون انه لا فضيلة فوق علمهم حتى أني سمعت من بعضهم يقول أن مقام الإحسان هو مقامهم الذي هم فيه من العمل بظاهر الكتاب والسنة ولا مقام فوق ذلك فكيف يمكن إخراج هذا إلا بعناية سابقة وأما العباد والزهاد فهم يقولون أيضاً هذه غاية المحبة والطاعة ويزيدهم بعدا ما يرونه من الكرامات الحسية فيزدادون حجابا وتمكنا في حالهم وأما العوام وأحل الغفلة فهم أقرب الناس إلى الانقياد والنفوذ إلى ربهم وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال أكثر أهل الجنة البله أي المغفلون ومما يلك على أن الشهوة القلبية اصعب من الشهوة النفسية قصة آدم والشيطان فإن آدم عليه السلام كانت شهوته في بطنه فتداركه الله بعناية والشيطان كان شهوته في قلبه قال أما خير منه فجرد إلى يوم القيامة ثم اعلم أن الخوف على قسمين خوف العوام وخوف الخواص خوف العوام من العقاب والعذاب وخوف الخواص من القطيعة والحجاب والشوق أيضاً على قسمين شوق العوام للحور والقصور وشوق الخواص للشهود والحضر شوق العوام لنعيم الأشباح وشوق الخواص لنعيم الأرواح شوق العوام ناشئ عن قوله تعالى أعد الله للمؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن وشوق الخواص ناشئ عن قوله تعالى ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم جعلنا الله من أعظمهم قدرا وأكملهم محلا وفضلا آمين بمنه وكرمه فإذا دخل الخوف أو الشوق إلى القلب أخرج كل ما فيه من الأغيار وملئ بالمعارف والأنوار فحينئذ تخلص الأعمال وتزكوا الأحوال ويقبل عليه ذوو

العظمة والجلال كما أبان ذلك بقوله كم لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك العمل المشترك لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه قلت العمل المشترك هو الذي تصحبه الحظوظ النفسانية دنيوية أو أخروية والقلب المشترك هو الذي يكون فيه حب السوى فالعمل الذي تصحبه الحظوظ مدخول المدخول غير مقبول يقول الله تعالى أنا أغنى الشكاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشريكه والقلب الذي فيه حب شيء من السوى ملطخ بالهوى لا يليق لحضرة المولى قال تعالى وطهر بيتي للطائفين يا داود طهر لي بيتاً أسكنه ولله در الششترى حيق يقول:

لي حبيب إنما هو غيور ... يظل في القلب كطير حذور

إذا رأى شيئاً امتنع أن يزور

فمن حصن أعماله بالإخلاص استحق القبول وكان من الخواص ومن خصن قلبه من الاغيار امتلأ بالعلوم والأنوار ونبعت منه المعارف والأسرار واعلم أن العلم المشترك هو الذي يدخله ثلاث علل أما رياء أو عجب أو طلب عوض أما الرياء فهو الشرك الأصغر وقدي تقدم الحديث من عمل عملاً أشكر فيه معي غيري تركته وشريكه وفي حديث مسلم ثلاثة أول من تسعر بهم جهنم يوم القيامة فذكر القاري لغير الله والشجاع الذي يقاتل لغير الله الغني الذي يتصدق لغير الله وأما العجب فهو رؤية النفس وإسناد العمل إليها ورؤية المزية لها على الناس قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى قيل معناه إذا عملت عملاً فلا تقل عملت ولا تظهر عند من يعظمك لأجل علمه بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وقال زيد بن أسلم معنى لا تزكوا أنفسكم لا تعتقدوا أنها بارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من الذنوب العجب قال بعض السلف لأن أبيت نائماً وأصبح نادما أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً وقيل لعائشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئاً قالت إذا ظن أنه محسن قيل والمعجب أعمى عن آفات نفسه وعمله والعمل إذا لم ينفقد ضاع وإنما يتفقد عمله من غلب عليه خوف الله وخوف ذنوبه ولا يريد الثناء على نفسه وحمدها وتزكيتها وربما أعجب برأيه وعقله فيستنكف عن سؤال غيره ولا يسمع نصح ناصح لنظره من سواه بنظر الاستحقار نسئل الله السلامة والعافية وأما طلب العوض والجزاء فقد تقدم مرارا الزجر عنه وإنك إن طالبته بالجزاء طالبك بسر الإخلاص ويكي المريب وجدان السلامة فكل عمل فيه بعض هذه الآفات فإن الله لا يقبله قبول الخواص وأما القلب المشترك فهو الذي يدخله ثلاث أيضاً حب الدنيا أو حب الخصوصية أو النعم الأخروية وكلها قادحة ف يالأخلاص مخرجة

عن درجة التوحيد الخاص وبالله التوفيق هذا آخر الباب الجاري والعشرين وحاصلها ذكر ميزان الأعمال والأحوال الصحيحة والسقيمة حاصل هذا الميزان كل ما يثقل على النفس فهو صحيح وكل ما يخف عليها فهو سقيم ومن جملة ما يثقل عليها القيام بالفرض الواجب دون النوافل فإنها تخف فيها فلما علم الحق سبحانه ذلك منها قيد الفرائض بأوقات معلومة كي لا يمنعها التسويف لأن جل النفوس يقل نهوضها عليها إلى حضرة القدوس وليس للحق سبحانه غرض فيما فرض وإنما ساقهم إلى جنته بسلاسل امتحانه فمن غلبته نفسه على النهوض إلى الطاعة وأسرته شهوته عن اللحوق بالسباق فلا يستغرب أن ينقذه الله منها فإن قدرة القادر كلمح البصر أو أقرب وربما تكون تلك الشهوة أو الغفلة في حقك نعمة وذلك لتعرف منه الله عليك حين ينقذك منها فإن كثيراً ممن أنعم الله عليهم لم يعرفوا قدرها فسلبوا منها فإذا أنعم عليك بإنقاذك من نفسك والحاقك بخواص جنسك فانغمست في النعم فلا تندهش عن شكرها فاقرارك بالمنعم قيام بشكرها فإذا رأيت من حبسته نفسه وتمكن داء الهوى من قلبه فالعم أن ذاك هو الداء العضال فلا يخرجه منه إلا خوف مزعج أو شوق مقلق فإذا أزعجه الخوف أو الشوق تفرغ قلبه وخلص عمله فيقبل الله عليه فإذا أقبل عليه ملأه بالأنوار فمنها ما يصل إلى سويداء قلبه ومنها ما يقف على ظاهر قلبه كما أبان ذلك بقوله في أول الباب الثاني والعشرين وقال رضي الله عنه أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول قلت أما الأنوار التي أذن لها في الوصول فهي أنوار الإيمان وهي لأهل الدليل والبرهان لأن قلوبهم لم تتفرغ من الأغيار ولم تمح منها صور الآثار فلما جاءت وجدت داخل القلب مملوءاً بصور الآثار فوقفت في ظاهر القلب وأما الأنوار التي أذن لها في الدخول فهي أنوار الإحسان من الشهود والعيان وذلك لأنهم لما فرغوا قلوبهم مما سوى ربهم دخلتها الأنوار فوجدت متسعاً فسكنت سويداء قلوبهم وعلامة النور الواصل والداخل أن صاحب النور الواصل للظاهر فقط تراه تارة مع الدنيا وتارة مع الآخرة تارة مع حظ نفسه وتارة في حق ربه تارة مع الغفلة وتارة مع اليقظة وصاحب النور الداخل لسويداء القلوب لا تراه إلا مع ربه لا يشغله عنه حظوظ الدنيا ولا حظوظ الآخرة غائباً عن نفسه حاضراً مع ربه قال بعض الحكماء أن الإيمان إذا كان في ظاهر القلب كان العبد محباً لآخرته ودنياه

فيكون صاحبه تارة مع ربه وتارة مع نفسه وبقدر تمكن النور في القلب ودخوله إليه يكون بغض العبد للدنيا وتركه لهواه اه وفي هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النور إذا دخل القلب انفسخ وانشرح قيل فهل له من علامة يا رسول الله قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والتزويد لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور اه ثم اعلم أن الأنوار التي أذن لها في الوصول عامة لجميع المؤمنين وقد تقدم قول أبي الحسن لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض وأما

الأنوار التي أذن لها في الدخول فهي خاصة بالخواص أهل التفرغ من الأغيار ولوث الأنوار فأما من كان قلبه محشوا بصور أثارها فلا يطمع في نيل أسرارها كما أبان ذلك بقوله ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فارتحلت من حيث جاءت قلت رب هنا للتكثير أي كثيراً ما ترد عليك أنوار عالم الغيب لتغيبك عن عالم الشهادة فتجد قلبك محشواً بصور عالم الشهادة فترحل عنك وتتركك نحبوساً في يدك أو تقول كثيراً ما ترد عليك أنوار المعاني لتخرجك من سجن الأواني فتجد قلبك مملؤاً بها فتتركك في وسطها محجوباً بها أو تقول كثيراً ما ترد عليك أنوار الملكوت فتجد قلبك محشواً بظلمة الملك فتتركك في ظلمة الكون أو تقول قد ترد عليك أنوار الجبروت فتجد قلبك محشواً بأنوار الملكوت فرحاً بها قانعاً ببهجتها فتتركك واقفاً معها وتنادي عليك القناعة من الله نحرمان الذي تطلب أمامك ولو كان العلم ينتهي إلى حد محدود لم يقل الله تعالى لسيد العارفين وقل رب زدني علما قال عليه الصلاة والسلام كل يوم لا ازداد فيه علما لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم أو كما قال عليه السلام فالمانع للقلب من دخول الأنوار هو وجود الأغيار كما أشار إلى ذلك بقوله فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار قلت التفرغ هو الخلو من الشيء والتنظيف منه والأغيار جمع غير بكسر الغين وفتح الياء ويصح أن يكون بفتح الغين وسكون الياء وهو اليق والمراد به حينئذ السوى وإنما جمعه لتعدد أنواعه كما قالوا في جمع العالمين يقول رضي الله عنه فرغ قلبك أيها الفقير من الأغيار وهو ما سوي الله بحيث لا يتعلق قلبك بشيء من الكون علوياً أو سفلياً دنيوياً أو أخروياً حسياً أو معنوياً كحب الخصوصية وغيرها من الحظوظ فإذا رحل قلبك من هذا العالم بالكلية و لم يبق فيه ألا محبة مولاه فإنه يملأه بالمعارف بحيث يكشف عنك حجاب الوهم ويذهب عنك ظلمة الحس فتشاهد الأشياء كلها أنوار ملكوتية مشاهدة ذوقية تمكينية ويملأه أيضاً بالأسرار وهي أسرار الجبروت فتغيب بالجمع عن الفرق وبشهور الجبروت عن شهود الملكوت وتكاشف بأسرار القدر فيهي عليك نسيم برد الرضي والتسليم وأنت في حضرة النعيم المقيم عند الملك الكريم فالأسرار على هذا ابلغ من المعارف فالمعارف أنوار الملكوت والأسرار أنوار الجبروت لأن السائر قد يكشف له عن نور الملكوت فيشهد الكون كله نوراً لكنه مفتقر إلى تلك الأنوار ليترقى بها إلى التمكين في شهود الذات كافتقار القارئ إلي النظر في الرسوم فإذا حفظ القارئ المعنى وتمكن منه محي الرسوم و لم يفتقر إليها كذلك السالك يكشف له أولا عن نور الملكوت فيشهد الكون كله نورا لكنه مفتقر إلى تلك الأنوار الملكوت ليترقى بها إلى التمكين في شهود الذات كافتقار القارئ إلي النظر في الرسوم فإذا حفظ القارئ المعنى وتمكن منه محى الرسوم و لم يفتقر إليها كذلك السالك يكشف له أولاً عن نور الكون فيغيب في النور عن ظلمة الحس ثم لا يزال في السير حتى يقبض المعنى ويتمكن منه فلا يحتاج إلى مشاهدة فيستغني عن نور الملكوت بنور الجبروت وقد تقدم هذا المعنى عند قول المؤلف

اهتدى الراحلون الخ الحكمة فيمتحى السوي عن عين قلبه بالكلية ويغيب عن نفسه وحسه بشهود الأحدية ولله در قول الشاعر

أن تلاشى الكون عن عين قلبي شاهد السر غيبه في بيان
فاطرح الكون عن عيانك وامح نقطة الغين أن أردت تراني

ويحتمل أن يريد بالمعارف علوم العرفان بالأسرار الأذواق الوجدان فتكون المعارف هي علوم المعرفة بحيث يعرف في كل شيء ولا ينكر شيئاً والأسرار أذواق تلك العلوم فإن المعرفة تكون أولً علما وآخر ذوقاً ويحتمل أن يكون من عطف التفسير فتكون الأسرار هي المعارف والله تعالى أعلم ومن أراد سرعة السير إلى هذا المقام فليفرغ قلبه وينظفه على التمام فبقدر التخلية تكون التحلية وبقدر التصفية تكون الترقية ولأجل هذا نهوا السائر عن التزوج وعن التعلق بالأسباب إذ لا يخلو من علقة فإذا تمكن من المعنى لم يبق له مراد إلا مراد معروفة صار كل ما يبرز من عند مولاه تلقاه بالقبول فإن طال بالمريد السفر وتأخر عنه الفتح والظفر فلم يدرك هذه الأسرار و لم يكشف له عن تلك الأنوار فلا يستبطي من ربه النوال فإنه جواد كريم ولكن يستبطيء منه وجود الإقبال وإلى ذلك أشار بقوله لا تبطئ النوال ولكن استبطيء من نفسك وجود الإقبال قلت الحق سبحانه جواد كريم حليم رحيم من تقرب إليه شبراً تقرب منه ذراعاً ومن تقرب منه ذراعاً تقرب منه باعا ومن أتاه مرولة كما في الحديث فإن توجهت إليه بقلبك ثم تأخر الفتح من قبله فلا تسبطيء منه النوال أي العطاء وهو كشف الحجاب ولكن استبطيء من نفسك وجود الإقبال فلعل إقبالك عليه لم يكن بكليتك فإن الله سبحانه يقول بلسان الحال وليس يدرحك وصالي كل من فيه بقية أو كان بحرف أو خط وأما لو زالت أغيارك لا شرقت أنوارك ولو تطهرت من جنابة الغفلة لا ستحققت الدخول إلى مسجده الحضرة وقد يكمل إقبالك ويفوتك الأدب مع سيدك وهو استبطاؤك النوال ولو صح منك الإقبال قال بعضهم هب أن السيد الكريم أهل لك فضل وكرم افترى العبد يقبل الأدب بين يدي سيده ويكشف جلبات الحياء عن وجهه فإن فعل ذلك فهو بالعقوبة أولى من الكرم وقد قال أرباب المعرفة لأن تكون صاحب استقامة خير من أن تكون صاحب كرامة اه ومن باع نفسه لله وكان عبد مملوكاً لمولاه فأي شيء يستحق على مولاه حكي عن ذي النون المصري رضي الله عنه أنه رأى رجلاً قد اشترى داراً وأراد أن يكتب عقدها فقال له ذو النون يا أخي إن قبلت وصيتي أوصيتك فقال نعم قل يا سيدي فقال له لا تشتر داراً تفنى وتدع داراً تبقى فقال له من لي بها فقال هلا اشتريت من الله دار السلام ومجاورة الكرام لتنال فيها الأمان وتتنعم بتعيم لا يدرك بالأثمان دار لها أربع

حدود الأول منازل الخائفين الثاني منازل العارفين والثالث منازل المشتاقين الرابع رياض المحبين دار سقفها عرش الرحمن وبابها باب الرضوان مكتوب على بابها بالخط الأزلي

دار تقى ورضى عليهما أسست ونعم دار المتقين

ثم نادى الحق م ارجائها ادخلوها بسلام آمنين

فإن أردت عقد شرائها قلت أعوذ بالله من الشياطين الرجيم أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة هذا ما اشترى العبد الثواب من الملك الوهاب بثمن قيمته الخروج من ذل المعاصي إلى عن الطاعة ومن تعب الحرص والطمع إلى راحة الزهد والورع شهد بذلك عدول القلب واللسان وصحيح ما نزل من القرآن وبتاريخ حل عقدة الأصرار من وقت الأنابة ومن أوفى بعهده من الله قال له نعم ثم تصدق بما له وخرج معه إلى الله اه ثم من صح إقباله على الله لم يضيع شيئاً من الأقوات في غير طاعة مولاه كما نبه على ذلك بقوله حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها قلت أما الحقوق التي في الأوقات فهي الطاعة التي عين الله تعالى لها وقتاً أمكن قضاؤها وإن كان يسمى مفرطاً لكن بعض الشر أهون من بعض وأما حقوق الأوقات بأنفسها فهي مراقبة الحق أو مشاهدته كل واحد على قدر وسعه لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها وهذه الحقوق إذا فات وقتها لا يمكن قضاؤها إذ الوقت الثاني له حق مخصوص لا يسع غيره فما من لحظة إلا ويجب عليك فيها أن تكون عاملاً لله مشتغلاً فيها بما يوصلك إلى قربه ورضاه وهذا معنى قوله إذ ما من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمراً أكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه قلت ما من وقت أو لحظة ترد عليك أيها العبد إلا ولله عليك فيها حق جديد من ذكري أو فكرة أو نظرة أو من مراقبة أو مشاهدة أو من خدمة حسية أو معنوية قد علم كل أناس مشربهم وأمر أكيد من التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية فإن غفلت عن الحق الجديد أو الأمر الأكيد في وقت ما ودخل الوقت الثاني فقد فاتك القضاء وندمت على ما مضى لا فكيف يمكن أن تقضي في الوقت الثاني حق غيره وهو أيضاً له حق يجب عليك أن تؤديه فيه فلا يمكنك أن تقضي حق الوقت الأول في الوقت الثاني وأنت لم تقض حق الله فيه أي في الوقت الثاني والحاصل أن كل وقت له حق فإن فات فلا قضاء له ولذلك قالوا في الآدب التصوف هو ضبط الأنفاس وحفظ الحواس والأنفاس هي دقائق الساعات وضبطها هي عمارتها بأنواع الطابعات فإذا ضيع حقوق الساعات خرج عن أدب التصوف والله تعالى أعلم قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه أوقات العبد أربعة لا خامس لها نعمة أو بلية طاعة أو معصية وله على عبده في كل وقتا منها حق ففي النعمة الشكر وفي البلية

الصبر وفي الطاعة شهود المنة وفي المعصية اللجاء والأنابة وطلب الإقالة بالمعنى وفي هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فغفر وأذنب فاستغفر ثم سكت عليه السلام فقالوا ما له يا رسول الله قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون أي لهم إلا من يوم القيامة وهم مهتدون في الدنيا وقبل لهم الإلا من في الدارين وهم مهتدون إلى حضرته في الكونين واعلم أن القيام بحقوق الأوقات على التمام يكاد أن يكون متعذرا في حق البشر قال على وما قدروا الله حق قدره أي ما عبدوه حق عبادته وما عرفوه حق معرفته فلهذا كانت حقوق الوقات لا يمكن قضاؤها لأنها راجعة لحفظ الأنفاس
والخطرات وقد أعيي الرجال حفظها في حال الصلاة فكيف في كل وقت لكن قد يختص برحمته من يشاء قال بعضهم منذ عشرين سنة ما خطر على قلبي شيء سوى الله تعالى وقال الشيخ أبو الحسن من أحب الله لم يستعمل جوارحه إلا فيما يوافق محبوبه وأنفاسه كلها محفوظة بالطاعة ولو حيل بينه وبين الخدمة لفارق الدنيا من ساعته لأن الطاعة قد صارت غذاء أرواحهم فإن فارقوها ماتوا نفعنا الله بهم آمين ثم في تضييع حقوق الأوقات تضييع العمر الذي هو أعز من الكبرين الأحمر وهو الذي تبهه عليه بقوله ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له قلت عمر المؤمن هو رأس ماله فيه ربحه وخسرانه فمن شديده عليه كان من الفائزين ومن ضيعه في البطالة والتقصير كان من الخاسرين فما فات منه في غير طاعة به لا عوض له إذا ما ذهب لا يرجع أبداً وما حصل لك منه لا قيمة له تفي بقدره إذ لو اشترى ساعة منه بملء الأرض ذهبا لكان نزرا في تحقه لأن شاعة منه تذكر الله فيها تنال بذلك ملكاً كبيراً وتنعيماً مقيماً لو بيعت الدنيا بحذافيرها ما بلغت منه عشر العشر ولأجل هذا المعنى اشتدى محافظة السلف الصالح على الأقوات وبذلوا مجهودهم في اغتنام الساعات و لم يقنعوا من أنفسهم إلا
بالحد والتشمير و لم يسمحوا لها في الراحة والبطالة بقليل ولا كثير وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيمة وقال على كرم الله وجهه بقية عمر العبد ما لها ثمن يدرك بها ما فات ويحيى بها ما مات وقال الجنيد رضي الله عنه الوقت إذا فات لا يستدرك وليس شيء أعز من الوقت وفي معناه قيل

السباق السباق قولا وفعلا　　　حذر النفس حسرة المسبوق

وقال الحسن البصري رضي الله عنه أدركت أقواماً كانوا على أنفاسهم وأوقاتهم أشد حفظاً وأحرص شفقة منكم على دنانيركم ودراهمكم كما لا يخرج أحدكم درهمه ولا ديناره إلا في ورود منفة واستجلاب فائدة كذلك كانوا لا يضيعون نفساً من أنفاسهم في غير طاعة أبداً كان سيدنا علي رضي

الله عنه يقول لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صنعت طعاماً فميعيه أي اجعليه مائعاً خفيفاً فإن بين المائع واليابس خمسين تسبيحة وقال أبو علي الجرجاني ما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وإنما أسف السويق وأعود لذكر الله تعالى قال وقد كنت عددت ما بين المضغ والبلع ستين تسبيحة وقبل أن ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة تبعث يوم القيامة خزائن مصفوفة أربعاً وعشرين خزانة فمن كان عمرها في الدنيا بطاعة الله رآها خزائن معمورة بالنعيم ومن كان ضيعها رآها خزائن فارغة خاوية فيتحسر عليها وينعدم وجاء في الخبر أن أهل الجنة بينما هم في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوق أضاءت منه منازلهم كما تضئ الشمس لأهل الدنيا فينظرون إلى رجال من فوقهم أهل عليين يروهم كما يرى الكوكب الدرى في أفق السماء وقد فضلوا عليهم في الأنوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون إليهم يسيرون على نجب تسرح بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والإكرام فينادي هؤلاء يا أخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلي كما نصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلتم به علينا فإذا النداء من قبل الله عز وجل الهم كانوا يجاعون حين تشيعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكسون ويذكرون حين تنسون نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون اه ومما يعين على حفظ الأوقات واتصال الطابعات الزهد في السوى ومحبة المولى فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره وخدمه وخضع له وكان عبدا حقيقة له كما أشار إلى ذلك بقوله ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا قلت القلب إذا أحب شيئاً أقبل إليه خضع له وأطاعه في كل ما يأمره أن المحب لمن يحب مطيع وهذه حقيقة العبودية الخضوع والطاعة وليس للقلب إلا وجهة واحدة وليس للإنسان إلا قلب واحد قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وإذا كان للقلب وجهة واحدة فمهما أقبل بها على مولاه أعرض عما سواه وكان عبدا له حقيقة وغذا أقبل على هواه أعرض قطعاً عن مولاه وكان عبداً لسواه والحق سبحانه لا يرضى لعبده أن يكون عبداً لغيره قال تعالى في ذم من كان عبداً لهواه أفرأيت من اتخذ إلهه هوه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من عبد الله فالآية نص في ذم من أحب هواه واتخذ ربا من دون مولاه وأما تفسير أهل الباطل فهو إشارة لا تفسير معنى وفي الحديث أن للقرآن ظاهراً وباطناً وحدا ومطلعاً فقد ورد عن شيخ شيوخنا سيدي محمد بن عبد الله في إشارة هذه الآية أنه يمكن ا، يكون مدحاً ومعناه حينئذ أفرأيت من اتخذ الله الذي خلقه هواه لا حيب سواه وأضله في محبته على علم وبينة من ربه وختم على سمعه وقلبه بمحبته وجعل على بصره غشاوة منعه من النظر لما سواه فمن يهديه هذه الهادية العظمى من بعد الله لا هادي له سواه وهذا في ظاهر العبارة خارج عن سياق ظاهر الآية لكنه باطنها ولا يصح تفسير الآية به واعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير المعنى المعهود

ليس هو عندهم عين المعنى المراد ولكنهم يقررون الآية والحديث على ما يعطيه اللفظ ثم يفهمون إشارات ودقائق وأسرار خارجة عن مقتضى الظاهر خصهم الله بها لصفاء أسرارهم هكذا ذكر المؤلف في لظائفة ثم نرجع إلى ما كنا فيه من طلب العبودية لله والحرية مما سواه قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة زاد في رواية والزوجة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وقيل للجنيد من العبد قال من بقي في قلبه أدنى علاقة غير الله لأن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم قيل له ومن الحر قال من تخلص من رق طبعه واستنقذ قلبه من شهوات نفسه وكان للشبلي تلميذ فكساره رجل يوماً جبة وكان على رأس الشبلي قلنسوة فخرط على قلب التلميذ محبة القلنسوة ليجمعها مع الجبة فكاشفه الشيخ فأزال له الجبة وجمعها مع القلنسوة ورمى بهما في النار وقال له لا تبق في قلبك التفاتاً لغير الله وأنكر

عليه بعض أهل الظاهر المتجمدين على ظاهر الشريعة جهلاً بالمقصود لأن أعمال الصوفية مبنية عل العبادة القلبية لأن الأعمال الظاهرة إن لم يوافقها القلب كانت أشباحاً خاوية وبالله التوفيق واعلم أن من تخلص من رق واستنقذ من أسر نفسه فقد تحقق بمحبة ربه والمحبة لها بداية ووسط ونهاية فأول المحبة وبدايتها ملازمة امتثال الأمر واجتناب النهي قال تعالى قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ووسطها لهج اللسان بالذكر وتعلق القلب بشهود المحجوب ونهايتها لا تدرك بالعبارة ولا تلحقها الاشارة وفي هذا المعنى قيل

فلم يبق إلا الله لا رب غيره ... حبيب لقلب غاب عن كل مقصد

هنيئاً لمن قد نال حب حبيبه ... وخاص بترك الغير اكرم مورد

نعيم بلا حد لديه مجدد ... على عدد الأنفاس في كل مشهد

روى أن أبا يزيد رضي الله عنه كان يحذاء المنبر فقرأ الخطيب وما قدروا الله حق قدره فصبر نفسه حتى طار الدم من عينه فهذه المعاني لا تدركها العامة ولا الخاصة وإنما يذوقها خاصة الخاصة وأنشدوا

وحقك لو أفنيت قلبي صبابة ... لكنت على ذا حبيباً إلى قلبي

أزيد على عذل العذول تشوقاً ... ووجدا على وجد وحباً إلى حب

أبي القلب إلا أنت في كل حالة ... حبيباً ولو دارت عليه يد الكرب

فلا تبتليه بالبعاد فإنما ... تلذذ أنفاس المحبين بالقرب

ومعنى محبة الله لعبده حين يقبل عليه هو تقريبه لحضرته وهدايته لمحبته من غير نفع له في ذلك إذ لا تنفعه طاعة من أقبل عليه ولا تضره معصية من أدبر عنه إذ هو غني عن الكل كما أشار إلى ذلك بقوله لا تنفعه

طاعتك ولا تضره معصيتك وإنما أمرك بهذا ونهاك عن هذا لما يعود إليك لا يزيد عن عزه إقبال من اقبل عليه ولا ينقص من قدره أدبار من أدبر عنه قلت الحق سبحانه غني عن كل شيء مفتقر إليه كل شيء لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين وسيأتي في المناجاة إلهي رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني أنت الغني بذاتك أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا هني اه فلا تنفعه أيها العبد طاعتك فيكون محتاجاً إليها تعالى الله عن ذلك ولا تضره معصيتك فيكون مقهوراً بها وهو القاهر فوق عباده فإنما أمرك بالطاعة ليقربك إليه أن رحمة الله قريب من المحسنين وإنما نهاك عن المعاصي لما جعل فيها من علامة البعد عن حضرته فما أمرك الله بشيء إلا وفيه تقريب وآداب للحضرة وما نهى الله عن شيء الأوفية ضرر وأبعاد عن الحضرة لما فيه من سوء الأدب والتحقيق انه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا يزيد عن عزه إقبال من أقبل عليه لأن عزته أزلية قديمة ولا ينقص من عمره أدبار من أدبر عنه لأنه غنى عن العالمين وفي الحديث القدسي لو أن أولكم وآخركم أنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ولو أن أولكم وآخركم أنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ومن أسمائه تعالى القدوس قال بعضهم معناه أنه منزه عن كل كمال لا يليق بذاته ولا يقال انه منزه عن النقائص إذ لا تصح نسبتها إليه حتى ينزه عنها إذ لا ينفي عن الشيء إلا ما يصح إثباته له فإن نفيت مالا يصح إثباته فربما يكون نقصاً كما يقال السلطان ليس بجزار ومن أجاز ذلك فإنما مراده التعميم وكمال التقديس والتنزيه قال بعضهم لو أراد الخلق تنزيه الخالق إلا بلسان العجزة ما استطاعوا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اه قال ذلك البعض أن صفات البارئ وأسماءه كلها كليات والمخلوق جزء والجزء لا يحيط بالكل ولا يدرك حقيقته فليتحرز من التأويلات المخرجة عن المعنى اللائق بجناب الحق مسلماً أن لا يعرف الله إلا الله وأنشدوا

لا يعلم الله إلا الله فاتئدوا	والدين دينان إيمان واشراك
وللعقول حدود لا تجاوزها	والعجز دراك الإدراك إدراك

فهذا أوائل المعرفة وأما وسطها فهو اغتراف من بحر الحقيقة واستشراف على غوامض الطريقة ولا تسعه كل عقول العامة وإنما يخوض فيه الخاصة فإنما تقدم كان فيه استلال بالإسم على المسمى وهذه مرتبة تسقط التفرقة بين الإسم والمسمى وبين الصفة والموصوف ثم قال ولهذا قالوا لجمع سقوط التفرقة وليس بعد هذا إلا جمع الجمع وهو غاية المعرفة فأول المعرفة دلالة الصنعة على الصانع ووسطها دلالة الصانع

على الصنعة وغايتها تلاشي كل ما دون الحق كل من عليها فإن ويبقى وجه بك ذو الجلال والإكرام اه قاله الشطي مختصراً هذا آخر الباب الثاني والعشرين وحاصلها الترغيب في تحصيل الأنوار بالتفرغ من الأكدار فإذا فرغت قلبك وتأخر الفتح عليك فلا تسبطئ منه وجود النوال ولكن ايتبطئ من نفسك وجود الإقبال ولا يكمل إقبال العبد على ربه تحق يستغرق الأوقات كلها في طلبه فكل وقت من العمر لا ثمن له ولا يمكنه التفرغ لحفظ الأوقات حتى يتحرر من رق الكائنات فإذا تحرر مما سواه كان عبداً حقيقة لمولاه فحينئذ اجتباه ولحضرته اصطفاه من غير منفعة له فيه فيه ولا ضرر وإنما يعود نفعه له وضرره عليه إذ لا يزيد في عزه إقبال من أقبل ولا أدبار من أدبر وإنما وصل من وصل بمحض فضله وأبعد من أبعد بمحض عدله ومعنى وصول العبد إلى مولاه علمه بنور عظمة ربه وسناه كما أبان ذلك في أول الباب الثالث والعشرين بقوله وقال رضي الله عنه وصولك إليه وصولك إلى العلم به والا فجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء قلت قد ذكر أهل الفن في هذا الفن في هذا المقام اصطلاحات وألفاظ تداولوها بينهم تقريباً لفهم المعاني فمنها السير والرحيل وذكر المنازل والمناهل والمقامات ومنها الرجوع والوقوف وكل ذلك كناية عن مجاهدة النفوس ومحاربتها وقطع العوائق عنها أو الوقوس مع شيء منها وسأتي للمؤلف لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين ومنها الوصول التمكين والسكون والطمأنينة ومنها المشاهدة والمكالمة والمجالسة والمسارة وغير ذلك وكل ذلك كناية عما أدركته أورواحهم وذاقته أسرارهم من عظمة الحق وجلاله وسيأتي تفسير شيء من ذلك في محله أن شاء الله ومعنى الوصول عندهم تحقيق العلم بوجوده وحده فوصولك إليه هو شعورك بعدمك حتى يكون عدمك عندك ضرورويأً وعلمك بوجوده كذلك وهذا المر كان حاصلاً لك في نفس الأمر لكن لم تشعر وفي هذا المعني قال بعضهم وبعضه للششتري

بين طلوع ونزول	تخبلت الغزول
أفن من لم يكن	يبق من لم يزول
جول تزول	أوامش نزع الفحول

فالزوال هو المعرفة وهو معنى الوصول وسببها جولان الفكرة ولذلك أمره بها وقال شيخ شيوخنا سيدي على الناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وسمعت شيخنا يقول الناس كلهم في البحر أي في بحر الوحدة ولكن لا يشعرون فوصول العبد إلى الله عن تحقيق العلم بوجوده والغيبة عن نفسه وعن كل ما سواه وإلا تكن كذلك بأن تعتقد أن الوصول يكون حسياً فجل ربنا أي تعالى وترفع أن يتصل به شيء للزوم تحيزه أو يتصل هو بشيء للزوم افتقاره وحصره تعالى عن ذلك علواً كبيراً واعلم أن هذا العلم بالله يكون

كسيباً ثن لا يزال يغيب عن نفسه وحسه سكرة بعد سكرة وحيرة بعد حيرة حتى يصحو وينجلي عن ضباب الحس وسحاب الجهل وظلمة النفس فتشرق عليه شمس النهار وتنجلي عنه ظلمة الأغيار وفي ذلك قيل

ليلى بوجهك مشرق — وظلامة في الناس سار

الناس في سدف الظلام — ونحن في ضوء النهار

أي ليل وجودى صار مشرقاً مضيئاً بسبب شهود ذاتك وظلام ليل القطيعة سار في جل الناس الناس في جوف ظلمة الأكوان ونحن في ضوء شموس العرفان ثم لا يزال في تربية الشيخ وتحت حضانته ومدده سار إليه بقدر صدقه حتى يسلم له خصيم الظلماني وينفرد النوراني ويحس ذلك من نفسه فحينئذ يقول بلسان الحال أقر الخصم فارتقع التزاع فإذا انفرد الخصم النوراني استمد من كل شيء وشرب من كل شيء وأخذ النصيب من كل شيء فيبقى وصوله إلى الواسطة شكراً وإحسانا أن اشكر لي والوالديك وينشد حينئذ بلسان حاله ومقاله

الحمد لله لا تفنى محامده — والحمد لله في الآصال والبكر

من يهده الله أضحى عالماً فطناً — بالله في كل ما يبدو من الصور

يا طالب الوصل جد بالنفس ملتفتاً — عنها إلى منز لا الأشياء بالقدر

فإن ظفرت فأنت الفرد والعلم ال — منعوت بالحسن والحسنى لذى نظر

ومنها أي من اصطلاحاتهم ذكر القرب والاستشراف والمراقبة وفسر الشيخ معنى القرب فقال قربك منه أن تكون مشاهداً لقربه وإلا فمن أين أنت ووجود قربه قلت إذا حققت أن الأمزان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته علمت علم يقين أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها وأن الحق كما كان وجود وحده ولا أين ولا مكان بقي كذلك لا أين ولا مكان ولا زمان نور أحديته محى وجود الأكوان فانتفى بوجوده الزمان والمكان و لم يبق إلا الواحد المنان وفي البخاري عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار فالوجود الحقيقي إنما هو لذاته وأثر صفاته تجلى واستتر واختفي فيما ظهر فإذا علمت هذا علمت انه تعالى قريب من كل شيء محيط بكل شئ ولا شئ إلا الذي ليس كمثله شئ لكن حكمة الحكيم أثبتت الحادث والقديم فمن فتح الله عين بصيرته شهد عدمه لوجوده فأبصر الحق محيطاً به وماحياً لوجوده ومن طمس الله عين بصيرته لم ير إلا الفرق و لم يدرك إلا البعد فإذا أراد الله أن يقربه إليه فتح شعاع بصيرته فيبصر الحق قريباً منه محيطاً به روى أن الشيخ أبا الحسن رضي

الله عنه قال يوماً بين يدي أستاذه اللهم اغفر لي يوم لقائك فقال له شيخه هو أقرب إليك من ليلك ونهارك ولكن الظلم أوجب الظلال وسبق القضاء حكم بالزوال عن درجات الأنس ومنازل الوصال وللظالم يوم لا يرتاب فيه ولا يحتال والسابق قد وصل في الحال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اه كلامه رضي الله عنه فمعنى قربك من الحق أن تكون مشاهداً لقربه منك قرب وجود وإحاطة وذلك بعد أن تلطفت عواملك وفنيت دائرة حسك وحينئذ يتحقق قربك منه قال تعالى وإذا قلنا لك أ، ربك أحاط بالناس وقال تعالى أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد الآية وأن لا تعتقد هذا واعتقدت وجود نفسك وثبوت حسك الوهمي فلا تشاهد إلا العبد فمن أين أنت ووجود قربك الحسى من نوره اللطيف حتى تراه بعين الحس فما دمت في عالم الأشباح فأنت بعيد من عالم الأرواح في حال قربك منه كما قال القائل

ومن عجب أنى أحن إليهم	واسئل شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم بسوادها	ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

سبحان من بعد قوماً في حال قربهم وقرب قوماً من غير بعدهم وراجع ما تقدم لنا في الشرح عند قوله شعاع البصيرة تفهم المسئلة على أصلها وحق هذه الحكمة أن تتقدم على التي قبلها لأن القرب سابق على الوصول ولما ترتب على ذكر الوصول من ذكر الواردات والأمر قريب والله تعالى أعلم وقال الشيخ زروق رضي الله عنه في شرح هذه الحكمة القرب في الجملة على ثلاثة أوجه أحدها قرب الكرامة وهو تقريب الحق عبده حتى يكون مشاهداً لقربه منه فيتولاه دون ما سواه الثاني قرب الإحاطة إحاطة العلم والقدرة والإرادة وعموم التصرف وهذا الحق من عبده الثالث قرب المناسبة والسافة ولا يصح في جناب الربوبية لاستحالة المسافة عليه ونفى مناسبة العبد للرب فتقدير الكلام قربك منه على وجه الكرامة أن تكون مشاهداً لقربه منك على وجه الإحاطة وإلا فمن أين أنت ووجود قربه على وجه التناسب والمسافة اه وإنما نقلته لعلمي أن الكتاب يطالعه من يحسن العوم ومن لا يحسن العوم ومن لا يحسنه فإذا خاف من البحر وجد جزيرة يأوى إليها وبالله التوفيق ومن حصل على مقام القرب والوصول ترد عليه الحقائق العرفانية والأسرار الربانية والعلوم اللدينة تارة ترد مجملة ثم يقع التفصيل وتارة مفصلة وهو غالب واردات أهل التمكين والغالب أن هذه الواردات إنما ترد بعد الفتح والوصول ولذلك قلنا الأحسن لو قدم الشيخ مقام القرب ثم يذكر مقام الوصول ليتصل بهذه الحكمة التي تكلم فيها على الواردات تحيث قال الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان فإذا قرأناه فابتع قرآنه ثم أن علينا بينه قلت الحقائق

هي ما يرد على قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف فتارة تكون علوماً وتارة تكون حكماً ومعارفاً وتارة تكون كشفاً بغيب كان أو سيكون وحكمة ذلك الروح إذا تخلصت وتصفت من غبش الحس كان غالب ما يتجلى فيها حقاً ثم أن هذه الحقائق قد رد في حال التجلي مجملة فيقيدها الإنسان كما تجلب ثم يتفكر فيها فيتبين معناها فبعد الوعي وهو الحفظ يكون البيان ثم استدل بآية الوحي لأن الوحي على أربعة أقسام وحي وإلهام ووحي إعلام ووحي أحكام فشاركت الأولياء لهم وحي الإلهام ويكون أولاً مجملاً في القلب فإذا قرأه وأظهره تتبعه وبينه قال تعالى فإذا قرأناه فاتبع قرآنه كما قرأناه عليك ثم أن عليما بيانه حتى تفهمه وتبينه للناس كان عليه السلام يعالج من التزيل شدة مخافة أن ينساه فلما نزلت الآية كان يستمع لجبريل فإذا فرغ قرأه كما أنزل فالوحي الذي هو وحي أحكام مصون فلا ينسى بخلاف وحي الإلهام فلذلك ينبغي للولي ا، يقيد تلك الواردات قريباً فإن الحكمة في حال التجلي تكون كالجبل فإذا غفل عنها ترجع كالجمل فإذا غفل عنها بعد رجعت كالثور ثم كالكبش ثم كالبيضة ثم تغيب ولذلك كان شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه لا تفارقه الدواة والقلم والقرطاس ليقيد المواهب وكذلك كان أشياخنا وكانوا يأمورن بذلك قلت وجل هذا الشرح الذي نقيده إنما هو مواهب لأني أكتب الحكمة ولا أدري ما اكتب فأقف مفتقراً إلى ما عند الله فإذا ورد شيء من عند الله كتبته أولاً ثم أنظر فيك تب القوم إن وجدت نقلاً غريباً موافقاً لما أفاض الله على كتبته وإلا تركته واكتفيت بما أتى الله وكثيراً ما نكتب الكلام ثم نطالعه ونستغرب أني كتبته أو صدر مني وذلك كله ببركة صحبة أشياخنا فجزاهم الله عنا أحسن جزائه ولقد كنت في حال الرياضة والمجاهدة إذا أردت أن نتكلم في التفسير أو غيره نشرع في الكلام ثم نغيب فكنت نحس بالكلام يخرج مني من غير اختيار كأنه السحاب فتصدر مني علوم وحكم فإذا سكت لم يبق منها إلا القليل ولقد حضر معنا ذات يوم رجل صالح كبير السن فسمع ذلك فقال والله لقد حضرت مجالس العلماء والصالحين والله ما رأيت مثل هذه الجواهر واليواقيت التي تخرج من سيدي فلان فبقيت كذلك مدة غير أني لم نكن نقيد شيئاً ثم انتقل ذلك إلى حال التقييد فصار القل عندي أفصح من عبارة اللسان وكان بعض العارفين يقول لأصحابه إذا كنت اتكلم عليكم أكون أستفيد من نفسي ما يجزيه الله على لساني كما تستفيدون أنتم مني وفي ذلك يقول ابن الفارض رضي الله عنه

ولا تك ممن طيشته طروسه ... بحيث استخفت عقله واستفزت

فثم وراء النقل علم يدق عن ... مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته مني وعني اخذته ونفسي كانت من عطائي ممدتي

وكان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إذا استغرق في الكلام وفاضت عليه العلوم يقول هلا رجل يقيد عنا هذه الأسرار هلموا إلى رجل صيره الله بحر العلوم أو كلاماً نحوه وكان بحضر مجلسه أكابر وقته كعز الدين عبد السلام وابن الحاجب أبت عصفور وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذري وكان عز الدين بن عبد السلام إذا سمع كلامه يقول هذا كلام قريب عهد بالله وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول والله ما رأيت أعرف ابلله من أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه وكان في كل سنة يطلع إلى القاهرة ويجتمع عليه مشايخ القارهة ومصر من بتلك الناحية فيفيض عليهم بالعلوم والمواهب الربانية والأسرار للدنية فلما مات رضي اله عنه واستخلفه أبو العباس المرسي جعل يطلع إلى القاهرة كما كان يفعل شيخه فاجتمع إليه جماعة من أكابر مصر وعلمائها وقالوا يا شيخ كان الشيخ أبو الحسن إذا جاء إلى هذا الموضع يجيء عندنا ونتبرك بقدومه وما نسمع منه من مواهب الله تعالى وأنت قد أقامك الله مقامه فنحب أن نتبرك بكلامك فقال لهم إذا كان صبحة غد تجيء إليكم إن شار الله فلما كان صبيحة غد أمر أصحابه بالمسير إلى مصر وأمر بحمل رسالة القشيري رضي الله عنه قال ابن الصباغ فحملتها ووصلنا إلى جامع عمرو بن العاصي فوجدناه قد امتلأ بأكابر أهل مصر وعلمائها فقال لي منتقد ومعتقد قال فجلسنا بشرقي الجامع فقال أخرج رسالة القشيري فأخرجتها فقال اقرأ فقلت وما أقرأ قال الذي يظهر لك ففتحنا الكتاب فوجدنا باب الفراسة فقرأت أول الباب فلما الباب فلما فرغت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي أغلق الكتاب ثم قال الفراسة تنقسم إلى أربعة أقسام فراسة المؤمنين وفراسة الموقنين وفراسة الأولياء وفراسة الصديقين فأما فراسة المؤمنين فحالها كذا ومددها من كذا ثم تكلم بكلام عظيم ثم انتقل إلى فراسة الموقنين فتكلم بطبقة أعلى ثم قال وأما فراسة الأولياء فمددها من كذا وحالها من كذا وتكلم في ذلك بكلام موهوب غير مكسوب أذهل عقول الحاضرين واستغرق بذلك إلى أذان الظهر والناس يبكون ورأيت العرق ينحدر من جبينه حتى ينحدر على لحيته وكانت لحيته كبيرة اه وقال في لطائف المنن وكنت أنا لأمره من المنكرين وعليه من المعترضين لا لشئ سمعته منه ولا لشئ صح نقله عنه حتى جرت مقاولة بيني وبين بعض أصحابه وذلك قبل صحبتي إياه وقلت لذلك الرجل ليس إلا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أموراً عظاماً وظاهر الشرع يأباها فقال لي ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ تدري ما قال لي الشيخ يوماً تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فأول ما قال لي هؤلاء كالحجر ما أخطأك منه خير مما أصابك فعلمت أن الشيخ كوشف بنا قال ولعمري لقد صحبت الشيخ أثني عشر عاماً فما سمعت منه شيئاً ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الأذى وكان سبب

اجتماعي به أن قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعني أذهب فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمارة لا يخفي شأنها فأتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها فقال الأول إسلام والثاني إيمان والثالث إحسان وإن شئت قلت الأول عبادة والثاني عبودة وإن شئت قلت الأول شريعة والثاني حقيقة الثالث تحقق أو نحو هذا فما زال يقول وإن شئت قلت وإن شئت قلت إلى أن أبهر عقلي وعلمت أن الرجل إنما يغرف من فيض بحر إلهي ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي إلى آخر كلامه فهذه الحقائق التي يفيضها الحق تعالى على قلوب أوليائه فينطقون بها تكون أولاً مجملة فإذا حفظت وتقديت تبين معناها فمنها ما تدركه العقول ويطابق المنقول ومنها ما لا تفهمها العقول فتكلها إلى أبابها ولا تنتقدها عليهم بمجرد سماعها وانظر قول ابن الفارض رضي الله عنه

فثم وراء النقل علم يدق عن　　　مدارك غايات العقول السليمة

ومع هذا كان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يقول إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك أن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة و لم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهان ومثل هذا أيضاً قول الجنيد أن النكتة لتقع في قلبي من جهة الكشف فلا أقبلها إلا بشاهدى عدل الكتاب والسنة ولا يلزم من عدم العمل بها انتقادها على أهلها فإن العلم واسع له ظاهر وباطن ومسائل الإلهامات تارة ترد على حسب العلم الظاهر وتارة ترد على حسب العلم الباطن فإن لم تفهم فسلم ودع ما تعرف لما لا تعرف وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عن يقول من آدب مجالسة الصديقين أن تفارق ما تعلم لتظفر بالسر المكنون اه يعني أن أردت أن تظفر بما عندهم من السر المكنون فاسقط عنهم الميزان في أقوالهم وأفعالهم وأحزالهم وأما ما دمت تزن عليهم بميزان علمك فلا تشم رائحة من سرهم وكان شيخ شيوخنا سيدي على رضي الله عنه يقول طريقتنا لا ينال منها شيئاً إلا من يصدق بالمحال فإن أردت يا أخي أن يهب عليك نسيم أسرارهم ونفحات مواهبهم فدع ما تعرف إلى ما لا تعرف واغتسل من عملك وعملك حتى يبقى فقيراً إلى ما عندهم كما فعل شيخ طريقتنا الشاذلي رضي الله عنه ولقد حدثني من أثق به أن الشيخ أبا الحسن رضي الله عنه طلع إلى لا شيخ ابن مشيش رضي الله عنه بالميزان فلم يشم رائحة الولاية فرجع ثم طلع ثانياً كذلك فرجع كما طلع فلما أسقط الميزان واغتسل من عمله وعمله وطلع فقيراً أغناه الله قال له الشيخ ابن مشيش يا أبا الحسن طلعت إلينا فقيراً من علمك وعملك فأخذت من أغنى الدارين اه نفعنا الله بذكرهم ونفح علينا ما نفح عليهم حتى نستغني بهم غنى لا فقر معه أبداً آمين ثم أن هذه الواردات التي تتجلى بالحقائق والعلوم إنما هي واردات

أهل النهاية وأما واردات أهل البداية فإنها تأتي قوية قهارية أما بخوف مزعج أو شوق مقلق لترحله عن شهواته وعوائده وهي التي ذكرها الشيخ بقوله متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها قلت الوارد الإلهي هو قوة شوق أو اشتياق أو محبة يخلقها الله في قلب العبد وقد تنشأ عن قوة خوف أو هيبة أو جلال فتزعجه تلك القوة إلى النهوض إلى مولاه فيخرج عن عوائده وشهواته وهواه ويرحل إلى معرفة ربه ورضاه وقد تترادف عليه أنوار تلك المحبة والشوق فتغيبه عن حسه بالكلية وهو الجذب وإنما جمع الواردات باعتبار تلك المحبة والشوق فإنها لا تهدم عوائدها إلا أن كثرت وتزايدت وتسمى أيضاً هذه الواردات نفحات قال عليه السلام أن لله نفحات فتعرضوا لنفحاته فمن لم ترد عليه هذه الواردات اختيار فليتعرض لها بحبة العارفين أهل الأكسير الذي يقلب الأعيان فإن صحبهم و لم ترد عليه فلبخرق عوائد نفسه من الظاهر فإنها تدخل منه إلى الباطن فمتى وردت عليك حينئذ تلك الواردات الإلهية هدمت العوائد عليك وأفسدتها لديك فترد عزك ذلاً وغناك فقراً وجاهك خمولاً ورياستك تواضعاً وحنواً وكلامك صمتاً ولذيذ طعامك حشينا وشبعك جوعاً وكثرة كلامك صمتاً وقرارك في وكنك سياحة وسفراً هكذا شأن الوارد الإلهي بخرب العوائد ويهدمها فهو كملك جبار ذي جيش طغاة دخل قرية أو مدينة فأفسد بنائها وغير عوائدها قال تعالى أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها أي نزعوها وخربوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أي رؤساء اتباعاً مرؤوسين وكذلك بفعلون أي هذا شأنهم والاستشهاد بالآية في غاية الحسن والمناسبة ثم ذكر الشيخ علة هدم الوارد عوائد الإنسان فقال الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمغة بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق قلت إنما كان الوارد الذي يرد على قلوب السائرين أو الطالبين قوياً شديداً لأنه ياتي من حضرة اسمه تعالى ليدمغ بقهريته كل ما وجد في النفس أو القلب من الأغيار وإنما قلنا من حضرة اسمه القهار لأن الحق تعالى له حضران بعدد أسمائه فاسمه رحيم يتجلى من حضرة رحمته واسمه يتجلى من حضرة حلمه واسمه الكريم يتجلى من حضرة كرمه وهكذا فكل اسم يخرج تجليه على وفق حضرته قال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنة ولو كان هذا الوارد الذي يرد على قلوب أهل البداية من حضرة الرحيم أو الحليم أو الجميل ما أمكن أن يدفع بحكمه الله ما صادمه من الباطل وشبه

الشيخ الباطل وهو كل ما سوى الله بحيوان له دماغ فإذا ضرب دماغه وتشتت مات كذلك الباطل إذا صادمه الحق أهلكه وتشتت دماغه فالوارد الإلهي محض حق فإذا صادم الباطل دمغه وقتله ولذلك أتى بالآية التي نزلت في شأن القرآن مع الكفر فإن الكفر تشتت واضمحل حين نزل القرآن كذلك السوى إذا تجلى الحق بقهرية نوره تشتت واضمحل وكان الشيخ أبو العاباس رضي الله عنه كثيراً ما ينشد هذه الأبيات في هذا المعنى

فلو عاينت عيناك يوم تزلزلت أرض النفوس ودكت الأجبال

لرأيت شمس الحق يسطع نورها عند التزلزل والرجال رجال

قال والأرض أرض النفوس والجبال جبال العقل يعني أن الوارد الإلهي إذا ورد قوياً من حضرة قهاريته تعالى دك وجود النفوس وتدكدكت منه جبال العقول فيكشف له حيئنذ عن أسرار خارجة عن مدارك العقول عير مدركو بعابرة النقول فيصير صاحب هذا الوارد كله حقاً لا يصادم شيئاً إلا دمغة وهذا المعنى قصد شيخ شيوخنا القطب ابن مشيش بقوله واقذف بي على الباطل فأدمغه طلب أن يكون حقاً محضاً يقذف به على السوى فيدمغه فإذا ذهب السوى واضمحل بقي الحق الذي لا يفني ظاهراً لا يخفى كما أبان ذلك الشيخ فلله دره ما أدق نظره في مناسبة الكلام وحسن التخليص لكل مقام حيث قال كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر قلت قد كرر الشيخ هذا المعنى في كتابه مراراً تحريضاً على الجمع وتحذيراً من الفرق فقد تقرر أن الحق تعالى ليس محجوباً بشيء ولا يصح أن يحتجب بشيء إذ لو احتجب بشيء وجودي لكان ذلك من أثر قدرته وقدرته لا تفارق ذاته فالصفة لا تفارق الموصوف فما ظهر شئ من بحر الجبروت إلا كان نوراً من أنواره وأثراً من أثر صفاته وقد قال صاحب العينة

فأوصافه والإسم والأثر الذي هو الكون عين الذات والله جامع

فلذلك تعجب الشيخ م تصور الحجاب في حقه تعالى مع أن كل ما يبرز من عنصر القدرة كله نور من نور ملكوته فائضاً متدفقاً من بحر جبروته فتحققت الوحدة وانتفى الحجاب بالكلية فكل موجود نور الحق فيه حاضر موجود ثم أن الواردات هي الأحوال والأحوال نتائج الأعمال في الغالب فلذلك ذكر الشيخ العمل وأمرك ألا تتركه حيث لم تذق حلاوته والعمل منه ما يجد العالم ثمرته وهو الحال والحلاوة ومنه مالا يجد ثمرته عاجلاً فلا ينبغي تركه ولا ييأس من ثمرته ولا من قبوله كما أبان ذلك بقوله لا تيأس من قبول عمل لا يتجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً قلت قد تقدم قوله من وجد ثمرة عمله عاجلاً فهو دليل على وجود القبول ولا يقتضى المفهوم انه أن لم يجد ثمرته فليس بمقبول بل هو مسكوت عنه فإن توفرت فيه شروط القبول من جهة الشريعة أن صحبه الإخلاص والتقوى والإتقان الشرعي فهو مقبول عند الله أن شاء الله سواء وجد ثمرته أم لا قال الله تعالى إنما يتقبل الله من المتقن وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء فإن كنت متقياً لله في ظاهرك وباطنك على قدر استطاعتك ومخلصاً لله في أعمالك ثم لم تجد حلاوة العلم ولا حضور قلبك فيخ و لم تجد ثمرته من أحوال الواجدين وأذواق العارفين فلا تيأس من قبوله عند الله فليس وجود الحال ولا الحلاوة

شرطاً في العمل إنما هي علامة والعلامة لا يلزم طردها فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً فيعطيك ثوابه آجلاً فلا ينبغي لك أن تستحقر عملك فتتركه لعدم حضورك فيه أو لعدم وجدان حلاوته بل يجب عليك أن تدوم عليه حتى ثمرته فمن قرع الباب يوشك أن يفتح له واسمع قول الشاعر

اطلب ولا تضجرن من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

واذكر قضية العابد الذي بقي في مكة أربعين سنة وهو يقول لبيك اللهم لبيك والهاتف يقول لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك وهو ملازم لم يبرح من موضعه و لم يرجع عن عمله فجاء إليه رجل يزوره فلما قال الرجل العابد لبيك فقال له الهاتف لا لبيك فقام الزائر منصرفاً عنه وقال في نفسه هذا رجل مطرود فناداه العابد مالك فقال يا سيدي أنت قلت لبيك والقائل قال لك لا لبيك فقال له يا هذا لي أربعون سنة هذا الخطاب وهل ثم أبواب أخرى نأتيه منها أنا واقف ببابه ولو طردني ألف مرة ما برحت عن بابه فقبله الحق تعالى فلما قال لبيك قال الحق تعالى لبيك وسعديك أو كما قال فانظر من لازم الباب كيف التحق بالأحباب وفتح في وجهه الباب ولذلك قال عليه السلام أحب العلم إلى الله أدومه وإن قل وقال أن الله لا يمل حتى تملوا فالمراد من العمل القيام برسم العبودية وتعظيم جانب الربوبية وليس المراد منها طلب الأحوال والمقامات فإن ذلك قدح في الإخلاص عند أهل التوحيد الخاص وقد يكون الحال سبباً في الحجاب لمن وقف معه واستحلاه ولذلك قال بعضهم اتقوا حلاوة الطاعة فإنها سموم قاتلة أي لمن وقف معها وكم ينفذ لي شهود المعبود بها فلا تكن عبد الحال وكن عبد المحول ما نبه على ذلك المؤلف بقوله لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الأمطار وإنما المراد منها وجود الأثمار قلت ثمرة الوارد هو هدم العوائد واكتساب الفوائد والتخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل وإن شئت قلت ثمرة الوارد الصادق هو ما ينشأ عنه من الذلة والإنكسار والخشوع والسكينة والوقار والحلم والزهد والسخاء والإيثار والتخلص من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية والخروج من سجن الأكوان والترقي إلى فضاء الشهود والعيان والتحرر من يد الأغيار والتمحض إلى تحقيق المعارف والأسرار وكل هذا قد تقدم للمرف مفرقاً قال في أول الكتاب أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً أو ورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك وقال فيما تقدم قريباً متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك وقال أيضاً الوارد ياتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شئ إلا دمغة فإذا ورد عليك وارد و لم يترك فيك هذه

الخصال فلا تزكه واتهم نفسك فيه لئلا يكون شطانياً فإن الوارد الإلهي تعقبة برودة وسكون وزهد وطمأنينة وفترة والوارد الشياطين تعقبه حرارة وقساوة وتكبر وصولة ورؤية نفس فليس المراد من الحال فرحه وخفته وشطحته إنما المراد منه ثمرته فهو كسحابة الأمطار فليس المراد منها وجود الأمطار وإنما المراد ما ينشأ عنها من وجود الأثمار فلا تطلب بقاء الحال فقد يكون بقاؤه ضررا لك فإن دوام الأمطار يعود نفعها ضررا وإلى ذلك أشار بقوله لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك في الله غني عن كل شئ وليس بغنيك عنه شئ قلت طلب الشئ يدل على محبته ومحبة الشئ عبودية له والحق تعالى لا يحب أن تكون عبداً لغيره فلا تطلب معه حالاً ولا مقاماً فإن وردت عليك الأحوال وهي الواردات الإلهية ثم انقشعت وانصرفت فلا تطلب بقاءها بعد أن بسطت في قلبك أنوارا فأخرجت منه ظلمة الأغيار وصور الآثار وأودعت أسرارها من مزيد الأيقان وشهود العيان أو تقول لا تطلب بقاء الواردات بعد أن بسطت أنواره أن من هدم عوائد نفسك عليك فتحررت من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية وتخليت من الرذائل وتحليت بالفضائل فهذه آثار أنوار الواردات وبعد أن أودعت أسرارها في قلبك من اليقين والطمأنينة والمعرفة أو من الزهد والرضى والتسليم أو من الخشوع والتواضع والذلة والإنكسار فهذه علامة صدق الوارد وحصول نتيجته فإذا حصلت النتيجة فلا حاجة للشيخ لشئ فلك في الله غني عن كل شئ فلا تفتقر إلى شئ وليس يغنيك عنه شئ وسيأتي للشيخ ماذا فقد من وجدك وما الذي وجد من فقدك وقال الشاعر

لكل شيء إذا فارقته عوض ... وليس لله أن فارقت من عوض

وفي الإشارة عن الله تعالى لا تركنن إلي شئ دوني فإنه وبال عليك وقاتل لك فإن ركنت إلى العلم تتبعناه عليك وإن آويت إلى العمل رددناه إليك وإن وثقت بالحال وقفناك معه وإن آنست بالوجد استدرجناك فيه وإن لحظت الخلق وكلناك إليهم وأن اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأي حيلة لك وأي قوة معك فارضنا لك ربا حتى نرضاك لنا عبداً اه وسئل أبو سليمان الداراني عن أفضل ما يتقرب به إلى الله فقال أقرب ما يتقرب به إلى الله أن يطلع على قلبك وهو لا يريد من الدنيا والأخرة سواه وفي ذلك قيل

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقي

ما يصنع العبد بعز الغنى ... والعز كل العز للمتقي

فإذا حصل لك الغني بالله استغنيت عن كل ما سواه فلا تتطلع إلى بقاء حال ولا وارد ولا مقام سوي شهود الملك العلام فتطلعك إلى بقاء تحال أو وارد دليل على عدم غناك به كما أبان ذلك بقوله تطلعك

إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له قلت إذ لو وجدته ما طلبت شيئاً ولا افتقرت إلى شيء أصلاً فكل من يفرح بالوارد والحال فهو غيره متحقق بالوصال وكل من يفتقر لغير الله فليس بعارف بالله وكل من يحتاج إلى شيء أو يركن إلى شيء فليس من الله في شيء وليس على شئ وكثيراً ما كنت تقول للفقراء كل من تروه يزور غير الشيخ بعد أن قبض الورد فهو باق من العوام ولم يدخل بلاد الخصوص لقلة صدقة ولو دخل بلاد الخصوص لاجتمعت همته وان جمع قلبه واستغنى عن ماء غيره فتعطشه إلى غير شيخه دليل على انه لم يشرب من مائه ولله در القائل ويقال أنه الغزالي حيث قال

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستمعجت مذ رأتك العين أهوائي

فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

تركت للناس دينهم ودنياهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي

ومن علامة الغني به أيضاً الإنس به والوحشة من غيره فالله يغني عن كل شيء ولا يغني عنه شئ فإذا فقد حالاً أو مقاماً سوى شهود ربه ثم استوحش منه فهو بعيد من الحضرة كما أبان ذلك بقوله استحاشك بفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به قلت استحاشك بفقدان الأحوال والواردات دليل على عدم وصلتك إذ لو وصلت غليه لم تستوحش ممن فقدان شئ وفي الحقيقة ما فقدت شيئاً وهذه علامة الغني بالله أنه إذا فقد شيئاً مما هو في العادة يؤلم فقده كالولد مثلاً أو قريباً أو فاتته عبادة حسية مثلاً أو غير ذلك فإنه يرجع للمعرفة فالله يغني عن كل شئ وهو المقصود من العبيد قال الله تعالى لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم قال في التنوير الهم أن الله سبحانه إنما يدخلك في الحال لتنال منها لا لينال منك وإنما جاءت لتحمل هدية التعريف من الله إليك فيها فتوجه إليها باسمه المبدى فأبداها وأبقاها حتى إذا وصلت إليك ما كان لك فيها فلما أدت الأمانة توجه إليها باسمه المعيد فأجرعها وتوفاها فلا تطلبن بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا بقاء أمين بعد أن بلغ أمانته وإنما بفتضح المدعون بزوال الأحوال بعزلهم عن مراتب الأنزال هنالك يبدو العوار وتنتهك الاستار فكم من مدع الغني بالله وإنما غناه بطاعته أو بنوره أو قتحه ولكم من مدع العز بالله وإنما إعزازه بمترلته وصولته على الخلق معتمداً على ما ثبت عندهم من معرفته فكن عبد الله لا عبد العلل وكما كان لك رباً ولا علة فكن عبداً له ولا علة لتكون له كما كان لك اه هذا آخر الباب الثالث والعشرين وحاصلها الكلام على القرب والوصال وما ينشأ عن ذلك من مقامات الأنزال ونتائج الأحوال والغنى بالله عنها في كل حال فهذا هو النعيم على الدوام والإتصال الذي فتح به الباب الرابع والعشرين فقال رضي الله عنه النعيم وأن تنوعت مظاهره غنما هو

بشهود واقترابه والعذاب وأن تنوعت مظاهره إنما هو بوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب واتمام النعيم بانظر إلى وجهه الكريم قلت نعيم الروح وعذابها إنما هو بشهود وبها واحتجابها وذلك بعد تخلصها من عالم الأشباح وترقيها إلى عالم الأرواح فيكون حينئذ نعيمها روح الوصال وريحان الجمال وعذابها احتجابها عن شهود ذلك الجمال وبعدها عن الكبير المتعال وهذا الأمر حاصل في دار الدوام لجيمع الأنام لأنه تميز الحق من الباطل وعرف كل واحد مثواه ومستقره فأهل الجنان أحسوا بالرضى والرضوان فهم عالمون بقرب الحق منهم ورضاه عنهم لكنهم متفاوتون في العلم فمنهم من يعلم من وراء الرداء ومنهم من يعرف داخل الرداء إلا أهل الأذواق وأما أهل النار فأحسوا بالبعد من الواحد ربهم الإرداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ولا يفهم هذا الرداء إلا أهل الأذواق وأما أهل النار فأحسوا بالبعد من الواحد القهار فتضاعف عذابهم في دار البوار ولو أن الحق تعالى تجلى لهم بصفة جماله لأنساهم ذلك اليوم عذابه ولو أنه تعالى احتجب عن أهل الجنة لضاق عليهم فسيح الجنان ولا نقلب نعيمهم نقمة وعذاباً أما من كان في دار الدنيا عارفاً فلا يحتجب الحق تعالى عنه كما شهده هنا بوسائط أنواره يشهده ثم بلطائف أسراره بل ثم أولى لغلبة المعنى على الحس والقدرة على الحكمة وأما من كان هنا محجوباً فهو أيضاً محجوب قال تعالى ومن كان في هذه أعمة فهو في الآخرة أعمة وللآية تفسيران ظاهر وباطن لكن في دار البقاء يرق الحجاب لرقة الإبدان ولطافتها فلذلك صار نعيمهم لا يكمل إلا بشهود القرب فإذا فقدوه تنغص لأن في تلك الدار صار الحكم للأرواح وفي هذه لدار الحكم للأشباح إلا من ترقى هنا إلى ألم الأرواح فهو من أهل الجنة فنعميه نعيم الأرواح وهو روح الوصال وشهود الكمال فنعيمه بشهود اقترابه ورضوانه فلون زال عنهم شهود القرب أو انقطع عنهم مدد الرضوان لضاق عليهم فسيح الجنان وأما نعيم الأشباح وعذابها أعني من كان محجوباً بها فإنما هو لموافقة ما يلام طبعه أو مخالفته فإذا جاء ما يلايمه من صحة وعافية وجمال حسي فهو في حقه نعيم وإذا جاء ما يخالف طبعه من وجع أو فقد أو منع أو فتنة فهو عذاب في حقه إذ لاحظ له في لذة القرب ومرارة البعد فإنما حظه من التعيم نعيم البهائم نعم لو قدرنا أن العادة تخرق له ويتجلى الحق تعالى له في حال عذابه الحسي بصفة جماله لنسى ذلك العذاب والحاصل أن

كلام الشيخ إنما هو في حق أهل القرب أو الشهود بحيث يجد لذة القرب وحلاوة الشهود ويحس بمرارة البعد وضيق الحجاب في هذه الدار وفي تلك الدار هذا ما ظهر لي وهذا الذي ذكره الشيخ مذوق عند أرباب العشق فكم من عاشق ضرب من أجله غبت عن الم الضرب فلما غاب عني وجدت أمله قلت ولهذا المعنى استلذ العارفون الفاقات وأنواع التعرفات وضروب البليات لما ذاوقا في ذلك من إقبال محبوبهم ورضي مشهودهم كان بعض الصحابة رضي الله عنهم يقول ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض

والموت أي ما أحبهم لي وأعزهم وكانت زوجة بلال تصيح عند موته واكرباه فيقول هو واطرباه غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه ولما ضرب عامر بن فهيرة بالرمح ونفذ من ظهره إلى صدره قال فزت ورب الكعبة وكان بعض الأولياء مجذوماً وهو يدعو للمرضى فيبئرون من حينهم فقيل له لو دعوت الله يخفف عنك فقال رأيت رب العزة في النوم وهو يقول لي أتريد أن أبتليك ببلية أرفع لك بها أعلى الدرجات قلت نعم فأصبح مجذوماً فانظر هؤلاء السادات لما عرجوا من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح لم يبق لهم نعيم ولا عذاب إلا نعيم الأرواح وعذابها وأما عذاب الأشباح فقد غابوا عنه فكان نعيم هؤلاء وقوت أوراحهم هو ذكر ربهم وشهود نروه أو اقترابه حتى صار لهم غذاء لا بقاء لهم إلا به ولا غنى لهم عنه ولو فقدوه لفارقت أرواحهم وأشباحهم وفي ذلك قيل

بالقوت إحياء الجسوم وذكره — تحيا به الألباب والأرواح
خز هيشهم ووجودهم حياتهم — حقاً وروح نفوسهم والراح

وقد قلت في قصيدة لي عينية

ولي لوعة بالراح اذفيه راحتي — وروحي وريحاني وخيره واسع
سكرنا فهمنا في بهاء جماله — فغبنا عن الإحساس والنور ساطع
بدت لنا شمس النهار وأشرقت — فلم يبق ضوء النجم والشمس طالع

والحاصل أن نعيم الأرواح التي تشاهد محبوبها لا ينقطع عنها فنعيم العارفين لا ينقطع لأن قرب الحق لا ينقطع فمن بعدت نفسه أحس بالعذاب ولزمه الهموم والأحزان والنصب كما أبان ذلك بقوله ما تجده القلوب من الهموم والأحزان والنصب كما أبان ذلك بقوله ما تجده القلوب من الهموم والأحزان فلأجل ما منعته من وجود العيان قلت إنما كان سبب الهموم هو فقد الشهود لأن الحق تعالى قريب على الدوام رقيب على الوام فمن كان قريباً من الحبيب فكيف يحس بفراق شئ أو فواته نظر الحبيب يغيب وقريب وأيضاً كل ما يترل من عند الحبيب فهو حبيب فلا يلحقه شيء مكروه عنده حتى يهتم به ولا يفوته محبوب سوى محبوبه حتى يحزن عليه ففي محبوبه اجتمعت المحاسن كما قال القائل

تذلل له تحظى برؤيا جماله — ففي وجه من تهوي الفرائض والنفل

وفي هذا المعنى أيضاً قال صاحب العينية

تذللي الآلام إذ كنت مسقمي — وأن تخبرني فهو عندي صنائع

وبالجملة من كان نظره إلى محبوبه ومشاهداً لنوره وجماله لم يبق له هم ولا غم كما قال ابن الفارض في شهود الخمرة

فما سكنت والهم يوماً بموضع نكذلك لم يسكن مع النغم الغم

وقال أيضاً

ولو خطرت يوماً على خاطر امريء أقامت به الأفراح وارتحل الهم

ومما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود لا تمزج هم غيري بقلبك فتنقص منه حلاوة الروحانيين يا داود أنا مصباح قلوب الروحانيين ومن كنت مصباح قلبه لم يغتم أبداً يا داود إنما مرادي من خلقي أن يكونوا روحانيين اه وبالجملة من كان عبداً لله غائباً عما سواه لم يبق له شئ من الهم لأنه قد حصلت له المعية التي توجي النصر والظفر بكل ما يريج ألا ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لا تحزن أن الله معنا حين أحدق به المشركون فكان لعيه الصلاة والسلام في محل العيان فلم يهمه شئ و لم تقرب من ساحته الأحزان وكان أبو بكر في ذلك الوقت موقناً غير مشاهد فدله عليه السلام على مقام الكمال لأن الشهود فوق الإيقان وأنشدوا

كبر العيان على حتى أنه صار اليقين من العيان توهما

ومن جملة ما وقع من الاهتمام به لمن لم يكمل يقينه أمر الرزق وخوف الخلق حتى قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه من ضمنهما لي ضمنت له الولاية أشار الشيخ إلى الأول بقوله من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك قلت من تمام نعمة الله على عبده أن يوجه همته إليه ويفرغ قلبه م التعلق بغيره كائناً ما كان فيرزقه ما يكفيه عن التعلق بغيره وهو الغنى بالله إذ لا نعمة أعظم من الغني بالله والغيبة عما سواه ويكفيه كل ما يطغيه حتى يشتغل به عن ربه فإذا رزقك الحق تعالى ما يكفيك لقيام بشريتك أكلا ولباسا ومسكنا ولقيام روحانّيتك علماً وعملاً وذوقاً ومعرفة ومنعك ما يطغيك ويشغلك عن حضورك مع ربك فقد أتم نعمته عليك فاشكره على ما أسدى إليك وتوجه إليه وحده فيما تعذر عليك وادفع ما يشغل قلبك من النهوض إليه أن الله يدافع عن الذين آمنوا أن الله مع الذيم اتقوا والذين هم محسنون وقد استعاذ عليه السلام مما يشغل القلب وينسى الرب فقراً أو غنى فكان يتعوذ من الفقر المنسي والغني المطغي وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وقال عليه السلام خير الذكر الخفي أي في القلب وهو الفكرة وخير الرزق ما يكفي وقال عليه السلام ما طلعت شمس ألا وييجناحيها ملكان

يسمعان الخلائق غير الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وإلهي وقال عليه السلام ليس الغنى بكثرة العرض إنما الغنى غنى النفس وفي ذلك قيل

غنى النفس ما يكفيك عن سد خلة فإن زدت شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

وقال عبد لواحد بن زيد رضي الله عنه سمعت أن جارية مجنونة في خراب الأيلة تنطق بالحكم فكنت أطلبها وجدتها وهي محلوقة الرأس وعليها جبة صوف فلما رأتني قالت مرحباً بك يا عبد الواحد فعجبت من معرفتها لي و لم تربي فقلت لها رحب الله بحك ثم قالت ما جاء بك قلت تعظيني قالت واعجبا لواعظ يوعظ يا عبد الواحد اعلم أن العبد إذا كان في كفاية ومال إلى شيء من الدنيا سلبه الله حلاوة الزهد وظل حيران ولها فإن كان له عند الله نصيب عاقبه وحيا في سره فيقول به عبدي أردت رفع قدرك عند ملائكتي وأجعلك دليلاً لا وليائي ومرشداً لأهل طاعتي فملت إلى عرض الدينا وتركتني فأورثك ذلك الوحشة بعد الأنس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى ارجع إلى ما كنت عليه أرجع إليك ما كنت تعرفه من نفسك ثم انصرفت عني وتركتني وبقيت حسرتها في قلبي وفي بعض الكتب المترلة أن أهون ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسلبه حلاوة مناجاتي اه وإنما كانت الكافية نعمة والزيادة عليها نقمة كما قال الشيخ لأن النفوس مجبولة على حب العطاء وكراهية الفقد فإذا أعطاها فرحت وإذا أزال عنها حزنت فمن أراد أن يدوم سرورك فلا تملك شيئاً تحزن على فقده لأن حزنك على فقده دليل محبتك له فإذا اقتصرت على الضرورة والحاجة من مال أو جاه أو عز أو غير ذلك فلا تجد ما تفقده حتى تحزن عليه قيل لبعضهم لم لا تغنم قال لأني لا أقتني ما يغمني وفي ذلك قيل

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

فإن صلاح المرء يرجع كله فسادا إذا الإنسان جاز به الحدا

يحكى أنه رفع لبعض الملوك قدح من فيروز مرصعاً بالجوهر لم ير له نظير ففرح به الملك فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال أراه مصيبة وفقرا فقال كيف ذلك فقال أن انكسر كان مصيبة لا صبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه و لم تجد مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر فاتفق انكسار القدح فعظمت مصيبة الملك به فقال صدق الحكيم لبته لم يحمل إلينت اه وهنا ميزان آخر أحسن من هذا وهو أنك إذا اطلقت من نفسك وجعلتها غرضاً لسهام أقدار ربك لا تعارضه فيما يفعل بك لا شك إنك تستريح ويدوم فرحك لأنك حينئذ منتظر ما يبرز من عند الحبيب فتتلقاه بالرضا والترحيب وهذه حلاوة برد الرضا والتسليم فإن صحبها شهود الفاعل المختار فهو النعيم

المقيم وهذه هي الولاية الكبرى من تقلدها لا يعزل عنها أبداً كما أشار إلى ذلك بقوله أن أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية ولا تدوم لك قلت الولاية التي لا تدوم هي الولاية التي تأبى من جهة الفرق وهي ولاية الخلق كخطة السلطة والقضاء والقيادة وغير ذلك من الخطط التي قلدها الله بعض عباده ويدخل فيها أيضاً ولاية المال إذا كان يعظم من أجله أو النسب إذا كان خالياً عن التقوى أو العلم إذا كان خالياً عن العمل وغير ذلك من رياسة الدنيا فإنها تفنى وتنقطع ويعقبها ذل وفقر والولاية التي تدوم هي الولاية التي تأبى من جهة الجمع وهي العز بالله والغنى به والمعرفة له والغيبة عما سواه فلا شك أن هذه ولاية لا تنقطع وشرف لا ينفذ وعز لا يبيد يحكي أن سيدي عبد اله بن المبارك وكان من تابع التابعين ومن العلماء العاملين الزاهدين قدم على هارون الرشيد فلما دخل العسكر انكب عليه العسكر لزيارته فوقع من الازدحام ضجة كبيرة حتى تقطعت النعال وارتفعت الغيرة فأشرفت أم ولد هارون من قصر الخشب فلما رأت كثرة الناس وازدحامهم قالت ما هذا قالوا لها هذا عالم خراسان فقالت هذا والله هو الملك والعز لا ملك هارون الذي يجمع الناس بالوسط والعصى وأيضاً الولاية التي تدوم تنسحب عليه وعلى ذريته ثم تدوم فيهم على قدر جاهه عند الله وعظيم ولايته فكل من عظمت ولايته دامت على أولاده وأتباعه بقدر تلك الولاية وهو معنى قوله تعالى على بعض التفاسير وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم الآية أي وليخش الذين خافوا على أولادهم فإن الله يحفظه فيهم وقيل في قوله تعالى وكان أبوهما صالحاً انه كان جدهم السابع فحفظ الله كنز اليتامى ببركة صلاح الجد والله تعالى أعلم وأما أن توليت الولاية التي لا تدوم كعز بمال أو جاه أو عشيرة أو غير ذلك من عز الدنيا أولها حلو لمتعة النفس ووجود حظها فيها وآخرها مر لفقد تلك الولاية ولو بالموت ولما يعقبه من الذل والهوان ولذلك قال عليه السلام نعمت المرضعة وبئست الفاطمة فإن رغبتك في هذه الولاية التي تفنى حلاوة بدايتها زهدتك فيها مرارة مهايتها فإن غرتك بظاهر بهجتها فاعتبر بباطن حسرتها أن رغبتك فهيا حلاوة إقبالها زهدتك فيها مرارة أدبارها قال الشيخ أبو على الثقفي رضي الله عنه أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت وأف من حسرتها إذا أدبرت والعاقل لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان فتنة وإذا أدبر كان حسرة وأنشدوا في ذلك

ومن يحمد الدينا لشيء يسره ... فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وكتب على كرم الله وجهه إلى سليمان الفارسي رضي الله عنه مثل الدنيا كمثل الحية لين لمسها قاتل سمها فاعرض عن كل ما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فواقها وكن

أسر ما تكون فيها احزن ما تكون منها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن إلى سرورها أشخص إلى مكروهها وقيل الدنيا أحلام منام وسرورها ظل غمام إحداثها سهام وفتنتها طوام أي أمواج وسمها الله بالوحشة وقرنها بالفجائع والدهشة ثم أوحى لها يا دنياي تشددي على أوليائي وتوسعي على أعدائي فمن نظر الدنيا بعين الأنصاف كفاه منها أقل الأوصاف إذ ليس فيها شئ محمود إلا وقابله شئ مذموم كالمال بالانصراف والذهاب والشباب بالهرم والصحة بالسقم والفرح والحزن والعز بالذل والحياة بالموت قلت حكى عن الولى الصالح سيدي قاسم بن صبيح من قبيلة بني سعيد أنه قصد إذابته بعض الحكام ففر إلى سيدي الغزال بترغة فجلس عند ريحه مشتكياً بلسان حاله فمد له من القبر بعون الريحان كاغدا مكتوباً لم يجف مداده فيه هذان البيتان

إذا ما رماك الدهر يوماً بنكبة فهيء له صبراً ووسع له صدراً
لأن تصاريف الزمان كثيرة فيوماً ترى عسراً ويماً ترى يسراً

فمن وقف مع ظاهر الدنيا نادته هواتف باطنها إنما نحن غرة فلا تعتر وهذا معنى قوله أن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن قلت ظاهرها خضرة حلوة وباطنها خبيثة مرة قال عليه السلام الدنيا خضرة حلوة وإن مما ينبت الربيع يقتل أو بلم حبطا الحديث فأخبر عليه السلام ا، ظاهر الدنيا خضرة حلوة وباطنها سم قاتل وقد شبه بعض الحكماء الدنيا بسبعة أشياء شبهها بالماء المالح يغرق ولا يروى ويضر ولا ينفع قلت وكذلك الدنيا تغرق صاحبها في حبها ويموت عطشاناً منها وشبهها بظل الغمام يغر ويخذل قلت وهو الذي يغطي بعض المواضع فإذا أشرقت الشمس تقشع عنه وشبهها بالبرق الخاطف يعني في سرعة الذهاب والاضطراب وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع وبزهر الربيع يغر بزهوته ثم يصفر فتراه هشيماً وبأحلام النائم يرى السرور في منامه فإذا استيقظ لم يجد في يده شيئاً إلا الحسرة وبالعسل المشوب بالسم الزعاف يعر ويقتل اه قال حفيده فتأملت هذه الحروف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفاً واحداً فشبهتها بالغول التي تهلك من أجابها وتترك من أعرض عنها اه نقلها ابن عباد رضي الله عنه فانظره ثم علل كون الدنيا بهذه الأوصاف من كونها محلا للأغيار ومعدناً لوجود الأكدار تزهيداً لك فيها قلت إنما وسم الله الدنيا بهذه الأوصاف من كونها محلا للأغيار والأحزان ومعدناً لوجود الأكدار والفتن تزهيداً لك فيها فتقبل بكليتيك عليه وتتوجه بهمتك إليه ولتعرض عن الدنيا وتقبل على الآخرة قال بعضهم إنما مثل الدنيا كالبرح الهائل المحيط والآخرة من وراء ذلك البحر ولا ينكشف الحجاب عن عين القلب بالنظر إلى الدار الآخرة إلا بعد الجواز على ذلك البحر في سفن الصبر والرضى لأنه بحر لجي يغشاه موج من فوقه سحاب

ظلمات بعضها فوق بعض يغشاه موج الشهوات من فوقه موج الغفلات من فوقه سحاب الكائنات وأيضاً لو بسطت لك الدنيا لكرهت لقاء الله فيكره الله لقاءك ولو بسطت لك العوافي والنعم لركنت الروح إلى هذا العالم فتبقى دائماً في عالم الأشباح والمقصود منك هو الرحيل إلى عالم الأرواح فضيق الحق تعالى عليك هذا العالم السفلي لترحل منه بهمتك إلى العالم العلوي فهو منه سبحانه إنعام وإحسان لكنها في قالب الامتحان فلا يذوقها إلا أولوا البصائر الحسان فهذا ما أشار إليه بقوله علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما سهل عليك فراقها قلت قد علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقبل النصح بمجرد القول فلا يزهد في الدنيا بمجرد سماع الوعظ إذ كثير من أهل العلم والفهم يسمعون القرآن يقرعهم عليها ويحذرهم من غرورها وهم غائبون عن ذلك التذكير مشغولون بما يوجب لقلوبهم التذكير فلما أراد سبحانه أن يصطفى لحضرته من شاء من عباده نغصها عليهم وشدد عليهم البلاء والمحن وأجرى على ظاهرهم واهتموا بآجالها حين اهتم الناس بعاجلها الحديث وقد تقدم عند قوله الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فكل ما يترل بالولى من هذه التعرفات الجلالية التي تغير النفس وتقهرها فهو خير كثير في حقه فقد قالوا الامتحان بقدر الإمكان وكل محنة تزيد مكنة واختبار الباقي يقطع التباقي فقد تبقى في القلب بقية من حب شئ من هذا العالم أو ركون لشئ من الدنيا فيسلط عليه من بشوشه عليه وينغصه لديه كل ذلك عناية به ليرحل من هذا العالم إلى عالم الملكوت فإذا تحقق رحيله استوى عنده الحلو والمر والعز والذل والغنى والفقر لأنه تحقق أن كلا من عند الله وما في الوجود سواه وهذا هو العلم الحقيقي الذي هو العلم النافع وإليه أشارة بقوله العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه قلت العلم النافع هو علم القلوب ومرجعه إلى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل أو تقول مرجعه إلى التخلية والتحلية فيبحث أولا عن عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح وعيوب السر فيطهر كل واحد من عيوبه فإذا تطهر من الجميع تحلى بصفات الكمال كالإيمان والإيقان والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة وتحلى أيضاً بالحلم والرأفة والسخاء والكرم والإيثار وسائر الأخلاق الحسنة فشعاع العلم الذي ينبسط في الصدر هو ثلج اليقين وبرد الرضى والتسليم وحلاوة الإيمان ومواجيد العرفان وينشأ عن ذلك مخافو الله وهيبته والحياء منه والسكون والطمأنينة وغير ذلك مما تقدم من الأخلاق الحسنة والقناع الذي ينكشف به عن

القلب هو الغفلة وسبب الغفلة هو الرضى عن النفس وسبب الرضى عن النفس هو حب الدنيا الذي هو أصل كلك خطيئة فمن حب الدنيا ينشأ الحسد والكبر والحقد والغضب والشح والبخل وحب الرياسة والقساوة والفظاظة والقلق وغير ذلك من العيوب فإذا انكشف هذه الأمور عن القلب انبسط فيه شعاع العلم الذي هو ثلج اليقين وبرد الرضى وما تقدم ذكره لأن العلم بالله نور في القلب وينبعث منه شعاع

تنبسط فيه شعاع العلم الذي هو ثلج اليقين وبرد الرضى وما تقدم ذكره لأن العلم بالله نور في القلب وينبعث منه شعاع تنبسط في الصدر فتكسبه الزهد في الدنيا فإذا زهد في الدنيا اتسع صدره باليقين والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن فكشف القناع مقدم على بسط الشعاع فلو قدمه لكان أولى لأن التخلية مقدمة على التحلية فلوتن قال عن الذي ينكشف به عن القلب قناعه وينبسط في الصدر شعاعه ويحتمل أن يريد بانبساط الشعاع في الصدر نور الإسلام والإيمان وهي أنوار التوجه وبكشف القناع عن القلب كشف حجاب الحس وظلمة الكون فتبدو أنوار المواجهة وهي أنوار الإحسام وأسرار العرفان وعلى هذا يكون ترتيب كلام الشيخ حسن والله تعالى أعلم والحاصل أن العلم الذي يوجب الخشية هو العلم النافع ويغره ليس بنافع وإليه أشار بقوله خير علم ما كانت الخشية معه فإن لم تكم خشية فلا خير فيه لأنه حجة على صاحبه وإليه أشار بقوله العلم أن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك قلت لأن العلم الذي تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة وأسبابها ويزهده في كل ما يشغل عن العمل به ويرغبه في كل ما يقربه إلى ربه فيكون عوناً له على الوصول إلى معرفة الله والقريب من ساحة رضاه فإن لم تقارنه الخشية كان وبالا عليه لأنه حينئذ حجة عليه لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للجاهل مرة وويل للعالم إذا لم يعمل عشر مرات ذكره الغزالي ومثله قول الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه في حزبه الكبير فالويل لمن لم يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقر بروحانيتك و لم يرض بأحكامك فإن قلت فد ورد في بعض الحاديث أن يغفر للعالم أربعين ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً قبل أن يغفر للجاهل ذنباً واحداً قلت قد يجاب بأن الحديث الأول ورد في من مات مصراً من العالم والجاهل فإن عذاب العالم أكثر لأنه قد ورد أنه يجر قصبة في النار ويدور في رحي بجهنم بخلاف الجاهل لميرد فيه هذا والحديث الثاني فيمن تحققت توبته منهما فإن العالم بيده مصباح العلم يستدرك به ما فات أكثر من الجاهل إذا ماتا مصرين والثاني فيهما إذا تابا وأصلحا والله تعالى أعلم وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي العلم كالدنانير والدراهم إن شاء الله نفعك بها وأن شاء ضرك بها وقال في لطائف المنن فشاهد العلم الذي هو مطلوب الله تعالى من عباده الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الأمر أما علم تكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لا ربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول الأمل ونسيان الآخرة فما أبعد من هذا علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء عليهم السلام وهل ينتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث ومثل من هذه الأوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفة حجة عليه وسبباً فيك تكثير العقوبة لديه اه قال الشيخ زروق رضي الله عنه وفيه أشعار بأن العالم غير المتقى ليس بوارث وفيه نظر لأن إفساد الموروث والعمل به في غير حق لا يخرج عن

كون الوارث وارثاً والعقوق لا ينفي النسب لكن يقال فيه وارث سوء وقد أثبت الله العلم لمن لا يخشاه وما نفاه عن من لم يخشه اه قلت وقد يقال الموروث عن الأنبياء هو غاية العلم وثمرته وهي الخشية والمعرفة به لا مجرد الرسوم لأن ذلك واسطة فإذا لم يحصل الموسوط فلا عبرة بالواسطة فإذا لا وراثة لعالم الرسوم إذ ليست مقصودة بالذات وقد كان الشيخ الولى الكبير ابن أبي جمرة يقول في علماء وقته إنما هم معلمون يعني أنهم محترفون بحرفة العلم فهم صناع وليسوا بعلماء والله تعالى أعلم وقد أشبع الشيخ ابن عباد الكلام في هذا الموضع فليطالعه من أراد تخليص نفسه من حجة العلم بالله تعالى التوفيق ومن علامة العلم النافع القناعة بعلم الله والاكتفاء بتظره

وثمرة القناعة عدم المبالاة بذم الناس ومدحهم وإقبالهم وأدبارهم اكتفاء بعلم الله ونظره كما أبان ذلك بقوله متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا يقنعك علمه فيك فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم قلت إذا سلط الله عليك خلقه ليختبرك هل أنت غنى به أو بخلقه فأدبروا عنك أو اشتغلوا بذمك وشتمك ثم توجعت من ذلك فارجع إلى علم الله فيك وإطلاعه عليك إذ لا يخفى عليه شئ من أمرك فإن كفاك ذلك وقنعت به وأنست بذكره أو شهودهن استوى عندك ذمهم ومدحهم وإقبالهم وأدبارهم بل ربما آثرت أدبارهم إذ فيه راحتك وتفريغ قلبك مع ربك فإن لم تقنع بعلم الله و لم تكتف بنظره وتأسفت على أدبارهم أو تأملت من أذاهم فمصيبتك بضعف إيمانك وذهاب يقينك أشد من مصيبة ذم الناس وأدبارهم عنك لأن هذا موجب لسخط الله وغضبه وسقوطك من عين محبته وأما إذاية الخلق وبعدهم عنك فرحمة بك وأيضاً إذا اشتغل الناس بذمك واضرارك فانظر أنت مقامك مع ربك فإن كنت مع ربك صافياً فلا يكيدك شئ ولا يضرك شئ كما قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه

الناس قالوا لي بدعى   وأنا طريقي منجورا
إذا صفيت مع ربي   العبد ما منه ضرورا

وقال إبراهيم التيمي رضي الله عنه لبعض أصحابه ما يقول الناس في قال يقولون أنك مراءى قال الآن طاب العيش قال بشر الحافي حين بلغه كلام التيمي اكتفى والله بعلم الله فلم يحب أن يدخل مع علم الله علم غيره وقال أيضاً سكون القلب إلى قبول المدح لها أشد فيها من المعاصي وقال أحمد بن أبي الحزاري رضي الله عنه من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكر به فقد أشرك مع الله في عبادته لأن من عمل على المحبة لا يحب أن يرى علمه غير محبوبه وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لا تنتشر علمك

ليصدقك الناس وانشر علمك ليصدقك الله وإن كان لام العلة موجوداً فعله تكون بينك وبين الله فلأجل ذلك لم يعملوا بالثواب إذ لا يخاف ولا يرجى إلا من قبل الله وكفى بالله صادقاً ومصدقاً وكفى بالله عالماً ومعلماً وكف بالله هادياً ونصيرا ووليا هادياً يهديك ويهدي بك ويهدي إليك نصيرا ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك ووليا يواليك ويوالي بك ولا يوالي عليك اه ثم ذكر حكمة وجود الأذى من الخلق لأولياء الله فقال إنما أجرى الأذى عليهم كي لا تكون ساكناً إليهم أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء قلت الروح إذار كنت إلى هذا العالم الشفلي وسكنت فيه وأحبت ما فيه تعذر نقلها إلى عالم الملكوت الذي هو العالم الروحاني لما ألفته م حب الأهل والأولاد والأصحاب والعشائر فمن حكمة الله تعالى ولطفه وابراره بوليه أن يحرك عليه ماركنت إليه نفسه وألفته روحه الأحب فالأحب فأول من ينكره أهله وأولاده ثم جيرانه وأحبابه ثم ينكره العالم بأسره فإذا رأت الروح أن هذا العالم انكرها وضاق عليها رحلت إلى مولاها و لم يبق لها تشوف إلى هذا العالم أصلاً فحينئذ يكمل وصلها ويتحة فناؤها وبقاؤها فة بقيت النفس على ما هي عليه من السكون تحت ظل الجاه والعز ما رحلت من هذا العالم أصلاً وكلما قوى على الأولياء الأذى دل على علو مقامهم عند المولى فإنما أجرى الحق سبحانه الأذى على أيدي الخلق إليك إذ هو المجرى والمنشئ فلا فاعل غيره مس لا تكون ساكناً بقلبك وروحك إليهم فيعوقك ذلك عن العروج إلى الملكوت أراد الحق تعالى أن يزعجك عن كل شئ من هذا العالم حتى لا تركن إلى شئ ولا يشغلك عن شهود شئ إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواه أو تحبه وتحب معه سواه أبت المحبة أن تشهد غير محبوها فإذا تمكنت المحبة وكمل الشهود ردهم أن شاء إلى عباده مرشدين إليهم بالله قال في لطائف المنن العم أن أولياء الله تعالى حكمهم في بدايتهم أن يسلط الخلق عليهم ليتطروا من البقايا وتكمل فيهم المزايا وكي لا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا إليهم باستناد ومت آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه ومن أحسن إليك فقد استرقك بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له كل ذلك ليتخلص القلب من رق أتحسان الخلق ويتعلق بالملك الحق ثم قال وقال الشيخ أبو الحسن اهرب من خير الناس أكثر من أن هرب من شرهم فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولا تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو تصل به إلى الله خير من حبيب يقطعك عن الله وعداً قبالهم عليك ليلاً وأدبارهم عنك نهاراً ألا تراهم إذا أقبلوا فتنوا قال وتسليط الخلق على أولياء الله في مبدء طريقهم سنة الله في أحبائه وأصفيائه قال الشيخ أبو الحسن في حزبه اللهم أن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ثم قال ومما يدلك على أن هذه سنة الله في أحبائه وأصفيائه قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول الآية وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى اه وقال بعض العارفين ويجب أن تعلم أن

النفوس شأنها استحلاء الإقامة في موطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه لهلكت فأزعجها عن ذلك بما سلط عليها من أذى المؤذيين ومعارضة الجاحدين وفي هذا المعنى قيل.

عداتي لهم فضل على ومنة فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا

فهم بحثوا عن زلتي فاجتنبتها وهم نافسوني فارتكبتن المعاليا

وقال بعضهم النصيحة من العدة سوط من الله يرد بها القلوب إذا سكنت إلى غيره وإلا رقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله تعالى عظيم وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه آذاني إنسان مرة فضقت ذرعاً بذلك فنمت فرأيت يقال لي من علامة الصديقة كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم اه إذا تقرر هذا علمت إن إذابه الخلق للولى سنة ماضية يعني سنة أنبياء الله ورسله فلن تجد لسنة الله تبديلا وانظر أحوال نبينا عليه الصلاة والسلام ما رأى مع قريش وبني وائل مكث معهم بعد النبوة التي هي محل الأذى من الخلق ثلاثة عشرة سنة كلها جلال وشدة وبلاء وحين انتقل إلى المجينة لم تكن له راحو بين جهاد تعليم ومعاناة أحبار يهود بالأذية والتشغيب حتى لقى الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وكذلك أصحابه معه بعده لم تكن لهم راحة وجلهم ماتوا مقتولين فقد مات الصديق مسموماً ومات الفاروق مقتلاً لا وعثمان مذبوحاً وسيدنا علي مضروباً بالسهم مسموماً حتى مات والحسن مسموماً والحسين مقتولاً حتى لعبوا برأسه بالشام ثم دفن بمصر فداه بعض الملوك ودفنه بمصر وهو مزاره الحسين المشهور عندهم ثم مالا يحصى وقد سعى بالجنيد وأصحابه للسلطان وأتى بهم للسيف ثم لطف الله بهم وقصتهم أن فقهاء بغداد قالوا للمتوطل أن الجنيد قد تزندق هو وأصحابه فقال لهم الملك وكان يميل إلى الجنيد يا أعداء الله ما أردتم إلا أن تفنوا أولياء الله من الأرض واحداً بعد واحد قتلتم الحلاج وأنتم ترون له كل يوم عبارة ولا تزدجرون وهذا الجنيد لا سبيل لكم إليه حتى تغلبوه بالحجة فاجمعوا له الفقهاء واعملوا له مجلساً فإن أنتم غلبتموه وشهد الناس بأنكم غالبون عليه قتلته وأن هو غلبكم والله للأمشين عليكم بالسيف حتى لا نبقى منكم أحدا على الأرض قالوا نعم فجمعوا له الفقهاء من الشام واليمن والعراق والأمصار فلما اجتمع الفقاء في ذلك حتى لم يبق في الجوانب الأربع من يعرف مسئلة في دينه الاحضر فلما اجتمع الفقهاء في المجلس بعث الملك إليه فأتى هو وأصحابه إلى باب القصر فدخل الجنيد وترك أصحابه وأدى حق الخليفة يعني من التعظيم وقعد فقام إليه أحد الفقهاء يسئله في مسئلة فسمعه القاضي على بن أبي ثور فقال لهم تسألون الجنيد فقالوا نعم فقال لهم أفيكم من هو أفقه منه فقالوا لا فقال يا عجبا هو أفقه منكم في علمكم وقد تقه في علم تنكرونه عليه يعني ولا تعرفونه فكيف تسئلون رجلاً لا

تدرون ما يقول فبهت القوم وسكتوا زماناً ثم قالوا ما العلم يا قاضي المسليمن فأشر بما شئت فنصنع فأمرك مطاع قال فرد القاضي وجهه إلى الأمير وقال له اترك الجنيد واخرج إلى أصحابه صاحب سيفك وهو الوليد بن ربيعة ينادي فيهم من يقوم إلى السيف فأول من يقوم إليه نسأله فقال الملك يرحمك الله لم ذلك تروع القوم و لم تظهر لكم حجة لا يحل لنا ذلك فقال القاضي يا أمير المؤمنين أن الصوفية يحبون الإيثار على أنفسهم حتى بأنفسهم فأذن من ينادي أيكم يقوم للسف فالرجل الذي يقوم مبادرا إلى السيف هو أكثر الناس جهلا وأكثرهم صدقا لله عن وجل فيقوم يؤثر أصحابه بالعيش بعده فإذا قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندري لمن يقع النجاة منها فإنه أن قتل الجنيد نولت داهية في الإسلام فإنه قطب الإيمان في عصرنا وأن قتل العلماء والفقهاء فهي مصيبة عظيمة فقال له الأمير لله درك لقد أصبت ثم عطف على الوليد وقال افعل ما يقول لك القاضي فخرج الوليد وهو مقلد سيفه فوقف على المريدين وهم مائتان وسبعون رجلاً فعوداً ناكسين رؤوسهم وهم يذكرون الله فنادي فيهم أفيكم من يقوم إلى السيف فقام إليه رجل يقال له أبو الحسن النوري فقال الوليد ما رأيت طائراً أسرع منه فوثب قائماً بين يدي فعجبت من سرعة قيامه فقلت با هذا أعلمت لما قمت فقال نعم ألم تقل أفيكم من يقوم للسيف فقلت له نعم فقال و لم قمت قال علمت أن الدنيا سجن المؤمن فأحببت أن أخرج إلى دار الفوز وأن أؤثر أصحابي على بالعيش ولو ساعة ولعى أقتل فيطفي الشربيي فيسلم جميعهم ولا يقتل أحد غيري قال الصاحب فعجبت من فصاحته فقلت أجب القاضي فتغير لونه وسالت عبرته على خده فقال أو دعاني القاضي قلت نعم دعاك قال فحقاً على إجابته فدخلت وهو معي فأخبرت الملك والقاضي بقصته فتعجبا منه وسأله القاضي عن مسئلة غميضة فقال من أنت و لم خلقت وما أراد الله بخلقك

وأين هو ربك منك فقال ومن أنت الذي تسئلني فقال أنا قاضي القضاة فقال له إذا لا رب غيرك ولا معبود سواك أنت قاضي القضاة وهذا يوم الفصل والقضاء والناس قد حشروا ضحي فأين النفخة في الصور التي قال الله فيها ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله أنا ممن صعق أم أنا ممن شاء الله الذي لم أشهد النفخ فبهت القاضي زماناً وقال يا هذا جعلت منى إلهاً قال معاذ الله بل أنت تألهت حيث تسميت بقاضي القضاة وليس قاضي القضاة إلا القاضي الذي يقضي ولا يقضي عليه أضافت عليك الأسماء أما كفاك قاضي المسلمين أو أحد الفقهاء أم أحد من عباد الله حتى تسميت بقاضي القضاة إذا استكبرت أن تقول أنا على ابن أبي ثور فما زال يقرعه حتى بكي القاضي وهم أن تزهق نفسه وبكى الملك لبكائه وبكى الجنيد فقال لتلميذه اقصر من عتابك للقاضي فقد قتلته فخل سبيله فلما أفاق القاضي قال يا أبا الحسن اجبني عن مسئلني وأنا أتوب إلى الله بين يديك فقال اذكر مسئلتك فإني نسيتها فأعاد مسئلته فنظر عن يمينه وقال أتجاوبه ثم قال حسبي الله ثم فعل عن يسارة مثل ذلك ثم نظر

أمامه وقال أتجاوبه ثم قال الحمد لله ثم رفع رأسه إلى القاضي وقال له أما قولك يرحمك الله من أنت فأنا عبد الله لقوله تعالى أن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً وأما قولك لما ذا خلقت فكان الله كنز إلا يعرف فخلقتني لمعرفته قال تعالى وما خلفت الجن والأنس إلا ليعبدون أي ليعرفون كذا قال ابن عباس وغيره وأما قولك ما أراد الله بخلقي فما أراد بي إلا كرامتي قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم وأما قولك أين ربك منك فهو مني حيث أما منه لقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فقال اخبرني كيف هو معك ومعنا في قوله وهو معكم أينما كنتم قال هو معنا كيف ما كنا معه فإن كما معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى إليه وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشيئة وأن كنا بالمعصية كان معنا بالمهلة وأن كنا بالتوبة كان معنا بالقبول وإن كما بالترك كان معنا بالعقاب قال صدقت فأخبرني أين هو مني فقال أخبرني أين أنت من ع أعلمك أين هو منك قال صدقت با علي فيما قلت ولكن أخبرني بمسئلة ثانية قال وما هي قال لم ملت عن يمينك حين سألتك قال أعو الله الفقيه أن المسئلة التي سألتني عنها لم يكن عندي فيها جواب لأنني ما سئلت فيها قط ولا سمعتها فلما سألتني عنها لم يكن عندي ما أخبرك به فيها فسألت الملك الكريم الذي يكتب في اليمين فقلت له أتجاوبه أنت فقال لي لا علم لي فقلت حسبي الله وفوضت أمري إلى الله فقال وعن شمالك فقال كذلك فقال وأمامك فقال سألت قلبي فقال عن سره عن ربه ما أجبتك به فقلت الحمد لله شاكراً على الهداية ومقراً له بالعجز عن إدراك النهاية فقال له يا هذا الآن قد صح عندي حمقك وثبت عندي كفرك وزندقتك فما تريد أن أفعل بك وبأي قتلة تريد أن أقتلك فقال له وما الذي تريدان تفعل بي وأنت قاضي القضاة أن كنت تقضي ولا يقضي عليك فاقض بما شئت وأي فعل لك فقال له أن القاضي المقتضى بما يقضي به أو نقضي بما يقضي به فقال له أو فهمت خطاب عن القاضي الذي يقضي ولا يقضي عليه قال له وما هو قال قوله تعالى فاليوم لا تظلم نقفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعلمون فقال له وما تريد أنت اقض بما شئت الآن طبت وطابت نفسي على لقاء ربي فعند ذلك رد القاضي رأسه إلى المتوكل وقال له يا أمير المؤمنين اترك هؤلاء فأن كان هؤلاء فإن كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم هؤلاء مصابيح الدين ودعائهم الإسلام وهؤلاء المؤمنون حقاً عباد الله المخلصون فعند ذلك عطف الملك على الجنيد وقال يا أبا القاسم هؤلاء الفقهاء ما جمعوا لك هذا المجلس العظيم واستعدوا لمناظرتك إلا ليقتلوك لو غلبوك والآن أنت الغالب عليهم وأنا آليت على نفسي أن أنت غلبتهم أن أمشي عليهم السيف فأما أن تعفو عنهم وأما أن يموت فقال العياذ بالله يا سيدي أن يموت أحد منهم بسببي عفا الله عنا وعنهم ولا أخذ عليهم في إنكارهم علينا لأنهم ما ساقهم لذلك إلا الجهل وقلة العلم بما طلبوا عفا الله عنا وعنهم فانحل المجلس على سلام و لم يمت فيه أحد والحمد لله ثم عطف القاضي على النوري وقال له يا علي أعجبني حالك والله شهيد أني أحبك ولكن أسئلك سؤال

رجل مسترشد فارشدني يرحمك الله فقال سل عما بدا لك فإن
كان عندي جواب أخرتك وإلا قلت لك لا علم لي ولا يعظم ذلك على ثم سأله عن مسائل عديدة قد تقدم بعضها عند قوله با عجبا كيف يظهر الوجود في العدم فراجعها أن شئت وتركت الباقي لكثرة التصحيف في النسخة التي وقعت بأيدينا والله تعالى أعلم فهذه محنة الصوفية التي وقعت في زمن الجنيد وهذه سنة الله في أوليائه وأنبيائه هم أشد الناس بلاء وانظر أيضاً قضية القطب الشهير شيخ أشياخنا الشيخ ابن مشيش فقد مات مقتولاً كما هو معلوم وكذلك قضية تلميذه مع القاضي ابن البراء حيث أخرجه من تونس وكتب به إلى عامل مصر وعمل به بينة أنه مشوش وأنه يطلب الملك فانتصر الله له كما هو شأنه سبحانه من انتصاره لأوليائه وكذلك قضية الغزواني فإنه لما كلمت تربيته وظهر رشده أرسله شيخه الشيخ التباع يعمر بلده فسكن بنى زار جوار ضريح الشيخ أين مشيش فلما عمر سوقه وانكبت عليه المخلوقات سعي به إلى السلطان المريني فأرسل إليه الحرس وأطلعوه مكبلاً إل الرايش لأن السلطان كان ثم نازلاً ثم أرسل به إلى فارس فسجن أربعة أشهر أو سنة حتى قدم السلطان إلى فاس فأطلقه وشرط عليه السكنى معه بفاس فسكن معه فلما قرب انقراض مدة المرينيين خرج إلى مراكش وقال ذهبت دولة بني مرين وبقي بمراكش حتى توفى رضي الله عنه وذكر التجيبى أن الشلبي رفع إلى السلطان وأرهج أبو يزيد من مدينة بسطام مراراً وهذا أمر شهير قال بعض الحكماء إذا اراد الله ظهور الحق جعل من خلقه من يعانده ويريد إخماده فيكون ذلك سبباً لظهوره وايضاحه ولذلك سلط الله على كل نبي عدواً من المجرمين وعلى الأولياء كذلك وأنشدوا

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

وإنما أطلنا هذا النفس لأن الحال اقتضي هنا ذلك لأن وقت التأليف صادف عنفوان الجلال والله يرزقنا التأييد نحن وأحيائنا ومن تعلق بنا بجاه المصطفى وآله وعلامة التأييد هو حفظ التوحيد فيس أوقات الشدة بحيث يكون إبراهيمياً فإذا رمى في نار الجلال وتعرض له الكون يقول له ألك حاجة يقول له العارف أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى فحينئذ يقول الله لنار الجلال يا نار كوني برداً وسلاماً على ولي فينقلب حرها برداً وسلاماً قال سيدنا إبراهيم الخليل ما رأيت نعيماً قط مثل تلك الأيام التي كنت فيها في النار قلت وكذلك نار الجلال ليس يشبهها نعيم حين تنقلب برداً وسلاماً برد الرضي وسلام التسليم فيكمل النعيم واعلم أن أذاي الخلق هي إحدى القواطع التي قطعت الناس عن الولاية لا يصبر عليها إلا الصديقون فذكر

الشيخ حكمة ذلك وسره ومن القواطع أيضاً الشيطان والنفس فأشار الشيخ إلى كيفية دفع إذاية الشيطان بقوله إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده قلت اعلم أن الحق تعالى جعل بحكمته الشيطان والنفس والناس حراس الحضرة فلا يدخل الحضرة حتى يخرق فيهم ويجوز عنهم لأنهم واقفون بالباب وكلهم الله بباب حضرته وقال لهم لا تتركوا أحداً يدخل إلا من يغلبكم فوقفوا بالباب فإذا جاء من يريد الدخول تعرض له الخلق فيعيبون له الطريق وينكرون من يعرفهان فإذا غلبهم جاءه الشيطان يطول عليه مدة الفتح ويخوفه من الفقر ويقول له متى يفتح الله عليك قيل يكون وقيل لا يكون فإذا غلبه وزاد تعرضت له النفس تقول له كيف تترك دنياك وجاهك وعزك إلى شئ يكون أو لا يكون فإذا غلبها قال له الحق تعالى مرحباً بك وأهلاً ولكن القواطع لا يزول طمعها عنه حتى يسكن في الحضرة ولذلك قالوا والله ما رجع من رجع إلا من الطريق وأما من وصل فلا يرجع وقال آخر. والله ما نشكر خليع، وأن ثمل وأن صحى، حتى يقطع في القطيع، ويدور دور الرحى، وإن ثبت يسر سريع، وأن شرب حتى امتحى فإذا علمت أيها الفقير أو الإنسان أن الشيطان لا يغفل عنك ساعة لأن له بيتاً في صدرك من جهة شمالك فإذا غفلت عن ذكر الله وسوس وإذا ذكرت الله انخنس فإذا غفلت عن ذكر الله وسوس وإذا ذكرت الله انخنس فإذا علمت ذلك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك وناصيته بيده وهو الحق تعالى فإذا اشتغلت بالله رده عنك وكفاك أمره قال تعالى أن كيد الشيطان كان ضعيفاً وقد حذر الله تعالى منه في كتابه قال تعالى أن الشيطان لكم عدو فاتخذه عدوا ففهم قوم أن الشيطان لهم عدو فاشتغلوا بمحاربته ففاقهم محبة الحبيب وفهم قوم أن الشيطان لكم عدو وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بمحبة الحبيب فكفاهم عداوة العدو كما قال الشيخ أبو العباس وقال شيخ شيوخنا سيدي على رضي الله عنه عداوة العدو حقاً هي اشتغالك بمحبة الحبيب حقاً فإذا اشتغلت بعداوة العدو فاتتك محبة الحبيب ونال عدوك مراده منك وكتب الشعراني إلى شيخ له بالمغرب يشكو له إذاية الخلق فكتب له الشيخ لا تشتغل بمن يؤذيك قط واشتغل بالله يرده عنك وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير واشتغلوا بمن آذاهم فطال الأذى مع الأثم ولو أنهم رجعوا إلى الله لكفاهم أمرهم ولردهم عنهم والسلام هكذا سمعت هذه الحكاية من الشيخ وقال الشيخ زروق رضي الله عنه وإنما يندفع الشيطان بالتوكل والإيمان قال تعالى أنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وقيل الشيطان كلب أن اشتغلت بمقاومته مزق الأهاب وقطع الثياب وأن رجعت إلى ربك صرفه عنك برفق وقال ذو النون المصري رضي الله عنه أن كان هو يرانا من حيث لا نراه فالله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه اه قلت ومن عرف الله ذات الشيطان من نوره فلم يبق يعرف إلا الله ولذلك قال بعضهم نحن قوم لا نعرف الشيطان قيل له أو ليس قد ذكره الله في كتابه قال أجل ولكن اشتغلنا بالله فكفانا أمره حتى نسيناه وبالله التوفيق ثم ذكر حكمة وجوده فقال جعله لك

عدوا ليحوشك به إليه قلت لم يخلق الله شيئاً عبثاً قال تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فإيجاد الشيطان له حكم أولها انحياش عباده إليه لأن العبد الشعيف إذا رأى عدوا يطلبه هرب إلى سيده والتجأ إلى حصنه فيكفيه أمره الثانية قيام الحجة على عباده فإذا خالفوا أمره قال لهم أتبعتهم عدوى وعصيتم أمرى قال تعالى قل فلله الحجة البالغة الثالث كونه
منديلاً للعار تمسح فيه أوساخ الأقذار وكذلك النفس والدنيا الرابعة ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربته فهذه حكم في تسليط الشيطان على الإنسان والله غالب على أمره وهو العليم الحكيم حكاية روى أن الشيطان تعرض لسهل بن عبد الله التستري وهو يضحك فقال له سهل مما ضحكك يا لعين وقد أبلست ويئست من رحمة الله فقال يا سهل أنا شئ والله تعالى يقول ورحمتي وسعت كل شئ فقال سهل أنه يقول فسأكتبها للذين ستقون فأين أنت من التقوى فقال التقوي صفة العبد والرحمة صفة الرب وأين الفاني من الباقي فلم يجد سهل جواباً قلت وقد يجاب بأن هذه الشبهة مبنية على النظر للفرق وأما على الجمع فالرحمة وصفة والتقوى فعله وفعله يقيد وصفه والكل منه إليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ثم ذكر حكمة ظهور النفس فقال وحرك عليك النفس ليديم إقبالك عليه قلت إنما حرك الحق تعالى عليك النفس ليدوم إقبالك وتوجهك إليه لأن النفس لما غلبت عليها البشرية جرها إليها فهي دائماً تهوي بك إلى أرض الشهوات وأنت دائماً تريد أن تعرج إلى سماء الحقوق والواجبات هي تريد أن تركن إلى أصلها من عالم الصلصال والطين وأنت تريد أ، تردها إلى أصل روحانيتها في أعلى عليين هي تريد السكون في عالم الأشباح وأنت تريد أن ترقفيها إلى عالمي الأرواح فهي دائماً تريد التسفل وأنت دائماً تريد الترقي فهذا معنى دوام إقبالك عليه وسيأتي لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فالنفس والشيطان نعمتان في الباطن إذ لولاهما ما تحركت إليه ولا تحقق سيرك إليه ولذلك كان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه إذا اشتكى إليه أحد بالنفس يقول أما أنا فجزا الله عني خيراً ما على الأفضل الله وفضلها والله ما ننسى جميلها يشير لهذا المعنى الذي ذكرناه وهما نقمتان في الظاهر لمن وقف معهما وحجب بهما والحاصل أن النفس والشيطان والدنيا والناس قواطع لمن قطعوا به الطريق موصلات للحضرة لمن وقف للتحقيق وسبق له من الله التوفيق والنفس أصعب من الشيطان لأنه عدو متصل وأنت به شفيق فهي أقبح من سبعين شيطاناً في قطع الطريق وذكر أين القسطلاني عن أحمد بن سهل رحمه الله انه قال أعداؤك أربعة أولها الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وسجنها الخلوة الثاني الهوى وسلاحه الكلام وسجنه الصمت الثالث الشيطان وسلاحه الشبع وسجنه الجوع الرابع النفس وسلاحها النوم وسجنها السهر وقد نظم بعضهم هذه القواطع فقال

أني بليت بأربع يرميني بالنبل عن قوس له توتير
إبليس والدنيا ونفسي الهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

وقد ذكر هذه القواطع الشيخ فذكر أولاً الدنيا ثم الناس ثم الشيطان ثم النفس لكن ذكرها على وجه توحيدي لم يذكرها على أنها سوى أو قواطع وإنما ذكر أسرارها وحكمة وجود فلله دره ما أشد معرفته بالتوحيد وأسرار التفريد نفعنا الله بذكره وخرطنا في سلكه آمين هذا آخر الباب الرابع والعشرين

وحاصلها ذكر غاية النعمي وهو شهود نور وجهه الكريم فمن تحقق به فلا تعتريه أحزان ولا هموم ثم ذكر القواطع التي تقطع عنه وهي الدنيا وما يتعلق بها من رياسة علم غير نافع وجاه وغيره والخلق وما يتعلق بأذيتهم والشيطان والنفس بكن ذكرهم على وجه التحقيق لا عل وجه التشريع فإذا خلص من هذه القواطع في الحس أفضى إلى شهود نور عظمة ربه في تجلياته فيتواضع من الأشياء كلها لمعرفته فيها كما أشار إلى ذلك في الباب الخامس والعشرين بقوله وقال رضي الله عنه من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً إذ ليس التواضع إلا عن رفعة فمتى أثبت لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر قلت التواضع هو مجاهدة النفس في وضعها وسقوطها فهي تريد الرفعة وأنت تريد السقوط فإذا حققت ونظرت بعين فكرتك وجدت الأشياء كلها ستوية معك في الخلقة والتجلي من النملة إلى الفيل فالمتجلى في النملة هو المتجدلي في الفيلة فأنت والكلب في حقيقة الخلقة سواء وإنما وقع التفضيل في التشريع والحكمة عند أهل الفرق فأهل الفرق يرون المزية لأنفسهم عما سواهم فإذا تساووا بأنفسهم مع الأشياء رأوا أنهم قد تواضعوا وفي الحقيقة إنما تكبروا لأنهم أثبتوا المزية لأنفسهم ورفعوها ثم أثبتوا لها التواضع فهم المتكبرون على خلق الله حقاً والعارفون بالله لم يثبتوا لأنفسهم مزية قط رأوا الأشياء كلها سواء خلقاً واحداً فلم يثبتوا لأنفسهم رفعاً ولا وضعاً فهم متواضعون من أول مرة فتواضعهم حقيقي أصلي فمن أثبت لنفسه تواضعاً ورأى أنها تواضعت دون قدرها فهو المتكبر حقاً حيث جعل لها قدراً زائداً على خلق الله إذ ليس التواضع واثباته للنفس إلا عن رفعة لها أولاً فمتى أثبت لنفسك أيها الفقير تواضعاً فأنت المتكبر حقاً ولا تكون متواضعاً حتى ترى الأشياء كلها مثلك أو أحسن منك أن عصيت ربك قال أبو يزيد ما دام العبد يرى في الخلق أشر منه فهو متكبر ولا يكون متواضعاً حتى لم يثبت لنفسه حالاً ولا مقالاً وقال بعضهم من رأى لنفسه قيمة على الكلب فهو متكبر ممقوت عند الله وإنما يتضع العبد بقدر تحققه بعلو قدر سيده والنفس إن لم تتصف بالذل والهوان حقيقة فهي غير مشاهدة لعظمة الله لأن أصل نشأة النفس الضعف والذل والهوان ولا صلاح إلا في الرجوع لأصلها وتبريها من رؤية العز والجاه ومن تبريها من ذلك وقال

الجنيد رضي الله عنه من رأى نفسه قد تواضعت فهو يحتاج إلى تواضع ولو تبرأ منها ومن تواضعها لكان متواضعاً اه وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الكرم التقوى وإنما الشرف التواضع وإنما الغنى اليقين والمتواضعون في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة ولا يزيد التواضع للعبد إلا رفعة فتواضعوا ليرفعكم الله وإذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين من أمتي فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وضار بهم اه أوحى الله إلى موسى عليه السلام إنما أقبل عمل من تواضع لعظمتي و لم يتكبر على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي اه ثم فسر التواضع الكامل فقال ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع قلت التواضع الحقيقي هو الذي ينشأ ممن يشاهد الأشياء كلها منه فإذا تواضع معها رأى أنها تستحق أكثر من ذلك التعظيم وأن نفسه في الدناءة والذل دون أي أسفل مما صنع من التواضع وليس المتواضع الذي يرى لنفسه مزية على الأشياء فإذا تواضع معها رأى أن نفسه فوق وأفضل مما صنع من التواضع فهذا هو المتكبر لأنه أثبت لنفسه تواضعاً مما تستحقه وهذه الحكمة كأنه أن بيان وتتميم لما قبلها يحكي عن أبي الحسن بن الكرنبي أستاذ الجنيد رضي الله عنهما أن رجلاً دعاه ثلاث مرات إلى طعامه ثم يرده فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله داره في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمترلة الكلب يطرد فينطرد ثم

يدعى فيعود ويرمي له عظم فيجيب ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبتك قال أبو طالب رضي الله عنه وحدث عن بعض الصوفية أنه وقف على رجل يأكل فمد يده وقال أن كان ثم شيء لله تعالى فقال اجلس فكل فقال اعطني في كفي فأعطاه في كفه فقعد في مكانه يأكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال أن حالي مع الله تعالى الذل فكرهت أن أفارق حالي وقال السهر وردى رأيت شخنا ضياء الدين أبا النجيب وكنت معه في سفره إلى الشام وقد بعث له بعض أبناء الدنيا طعاماً على رؤوس الأسارى من الأفرنج وهم في قيودهم فمدت السفرة وقال للخادم حضر الأساري مع الفقراء فجاء بهم وأقعدهم على السفرة صفاً واحداً وقام الشيخ من سجاته ومشى إليهم وقعد معهم كالواحد منهم وأكل وأكاوا وظهر لنا على وجهه ما نزل باطنه من التواضع لله والإنكسار في نفسه وانسلاخه عن التكبر عليهم وكان الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن سعيد من الفقهاء والعلماء العاملين بينهما هو يوماً يمشي في يوم شات كثير الطين فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها قال من رآه رأيت الشيخ قد لصق بالحائط وعمل للكلب طريقاً وقف ينتظره ليجوز فلما قرب منه الكلب ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمشي فوقه فلما جاوزه الكلب وصلت إليه فوجدته وعليه كآبة فقلت له يا سيدس

رأيتك الآن صنعت شيئاً استغربته كيف رميت بنفسك في الكين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي فقال لي بعد أن عملت له طريقاً تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسي أرفع بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة لأني عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فترلت له عن موضعي وتركته يمشي عليه وأنا الآن أخاف من الله ألا يعفو عني لأني رفعت نفسي على من هو خيري مني اه نقله الشيخ ابن عباد رضي الله عنه قم أن التواضع منه ما يكون مجاهدة وتصنعاً وهو مجاهدة أهل اليمين من السائرين ومنه ما يكون اختيارياً حقيقاً وهو تواضع العارفين لأأنه ناشئ عن شهود عظمة المعبود فلا يتخلف إلا في وقت الغفلة وهو قليل وهو الذي أبانه بقولهن التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئاً عن شهود عظمته وتجلى صفته قلت التواضع الحقيقي هو تواضع العارفين لأنه ناشئ عن شهود عظمة الحق وتجلى ذاته وصفاته وهو من عطف التفسير لأن تجلى الصفات هو عين عظمة الذات وذلك أن الحق تعالى كان في أزله القديم متصفاً بصفاته ومتسمياً بأسمائه في خفاء ولطف لم يعرفه أحد فلما أراد أن يعرف أظهر بقدرته وارادته عظمة ذاته المقدسة متصفاً بصفاته الأزلية فتجلت القدرة لعظيمة الذات فشهود عظمة الذات هو شهود تجلى الصفات وإليه أشار صاحب العينية بقوله

فأوصافه والأسم والأثر الذي　　　هو الكون عين الذات والله جامع

فالتواضع الحقيقي هو الذي ينشأ عن شهود عظمة الذات ونور الصفات فلذلك ترى العارفين يتواضعون مع الحجر والمدر وكل شئ لمعرفتهم في كل شئ قال ذو النون المصري رضي الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله فإنها تذوب وتصغر ومن نظر إلى سطان الله تعالى ذهب عنه سلطان نفسه لأن النفوس كلها محقورة عند هيبته ومن أشرف التواضع ألا ينظر إلى نفسه دون الله تعالى اه والحاصل أن التواضع الحقيقي إنما هو للعارفين لأنهم حين شهدوا عظمة الحق خرجت عنهم أوصاف نفوسهم إذ لا يخرج عن الوصف إلا شهود الوصف كما ذكره بقوله لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف فلا يخرجك عن أوصاف نفسك الذميمة إلا شهود أوصاف ربك العظيمة فلا يخرجك عن دناءة نفسك إلا شهود كرم ربك فلا يخرجك عن شهود أوصافك الحادثة إلا شهود أوصاف ربك القديمة فيخرجك عن شهود فعلك بشهود فعله وعن شهود صفاتك بشهود صفاته وعن شهود ذاتك بشهود ذاته وقد سئل شيخ أشياخنا القطب ابن مشيش عن حقيقة المحبة سأله تلميذه أبو الحسن رضي الله عنهما فقال المحبة أخذ القلب وخطفه عند كشف نور الجمال وقدس الجلال والشرب مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال الخ فما دام العبد لم يشاهد أوصاف ربه العظيمة لا يمكنه أن يخرج عن أوصاف نفسه اللئيمة خروجاً كلياً وإنما يكون ذلك

مجاهدة تارة له وتارة عليه بين طلوع ونزول بخلاف ما إذا شاهد أوصاف ربه فإنه يغيب عن نفسه قد تولاه محبوبه فكان سمعه وبصره ويده ورجله ومؤيداً له فلا يتصرف إلا بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم وانشدوا

إذا حزنت الفخار فلا تبال — بنقص في الجبلة أو كمال

فما التأنيث اسم الشمس نقص — ولا التذكير فخر للهلال

يشير إلى أنه إذا تحقق الفناء في الذات والبقاء بالله فلا نقص للنفس ولا كمال وإنما الكمال للكبير المتعال فله الحمد والثناء على كل حال كما قال الشيخ رضي الله عنه المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكراً وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكراً قلت النفس عند تحقق الفناء لا وجود لها حتى تذكر ولا فعل لها حتى تشكر فليس للعارف عن نفسه أخبار حتى يخبر عنها بفعل شيء فضلاً عن أن يشكر لها وصفاً قد استغرقه شهود فعل الحق عن فعله وشهود وصف الحق عن شهود وصفه وشهود نور ذات الحق عن شهود ذاته فيشغله الثناء على الله عن الإلتفات إلى ما سواه إذ لا يشهد في الكون إلا إياه وتشغله حقوق الحق عن الإلتفات إلى حظوظ النفس إذ لا نفس مع الفناء فلا يبقى إلا حقوق العالم إلا سنى فتنقلب الحظوظ في حقه حقوقاً لأنهم إذا نزلوا من عش الحضرة إلى أرض الحظوظ أرواحهم من طلب الحظوظ معجلة أو مؤجلة نفسانية أو روحانية أن صدر منهم عمل رأوه منة من الله فيستحيون أن يطلبوا عليه عوضاً أو غرضاً كما أبان ذلك بقوله ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضاً ويطلب منه غرضاً قلت لا شك أن المحبة التي تكون على الرحوف والحظوظ ليست بمحبة وإنما هي مصانعة لقضاء الحاجة فمن أحب أحداً ليعطيه أو ليدفع عنه فإنما احب نفسه إذ لولا غرض نفسه فيه ما أحبه قال أبو محد رويم رضي الله عنه من أحب العوض نغص العوض إليه محبوبه وأيضاً فطالب العوض إنما هو بائع يريد أن يعطي لينال والمحب مقتول في محبة سيده لا يعرج على سواء مرضاته وفي معنى ذلك قيل

بنى الحي على الجور فلو — انصف المحبوب فيه لسمح

ليس يستحسن في حكم الهوى — عاشق يطلب تأليف الجمح

ومما لا يستحسن أيضاً في حكم المحبة والهوى إظهار الحزن أو الكآبة من أجل الجفاء من المحبوب أو الشكوى بذلك بل الواجب هو التجلد والتصبر على جفاء المحبوب حتى يظفر بالمطلوب وفي ذلك قيل

أن شكوى الهوى فما أنت منا — احمل الصد والجفا يا معنا

تدعى مذهب الهوى ثم تشكو — أي دعواك في الهوى لا قل لي أينا

لو وجدناك صابراً لهوانا — لأعطيناك كل ما تتمنا

فادرك المعلوم والمجهولاً　　　حيث اقتضى لتركها قبولا

قلت فإذا دخل الفقير الخلوة فينبغي أن يستعمل معها العزلة وهي عزلة القلب فالخلوة للأشباح والعزلة للقولب فلا بد فيها من التفرغ الكلي والألم ينتفع بها وفي الحكم ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة فالمقصود من الخلوة هو دواء القلب ولا يشفى القلب إلا إذا تفرغ من الإخلاط الردية فإن القلب كالمعدة كلما كثر عليه الأخلاط مرض وهي الخواطر والشواغب فإذا تفرغ القلب نفعه الذكر وإلا فلا ثم لا يزال مستعملاً للذكر لهجابه حتى يصمت اللسام ويبقى الجنان ذاكراً وينبغي أن يستثيبت الجنان ما يذكره اللسان فإن ذكر اللسام بلا جنان قليل النهوض إلى حضرة العيان ثم لا يزال يذكر بلسانه ويستثبته بجنانه حتى يجري معناه في فؤاده ويتمكن نوره في قلبه ثم يجري ذلك في جميع أعضائه كما يجري الدم في سائر حسده وكما يجري الماء في الأغصان الرطبة فيكون البدن كله يتحرك بذكر الله ولقد سمعت شيخ شيخنا مولاى العربي رضي الله عنه يقول بقيت أربع سنين نذكر الأمس المفرد حتى كان البدن كله يتحرك بالذكر فكنت إذا وضعت يدي على فخذي لسكنه تحرك الفخذ الآخر وإذا وضعت يدي على الفخذ الآخر نحرك الفخذ الآخر اه فإذا صفت مرآت القلب وتجوهرت فعند ذلك يحاذيها لوائح الغيوب وهي أنوار المواجهة تقدمه لأنوار المشاهدة لأن المشاهدة تكون لوائح ثم طوالع ثم تشرق شمس العرفان فما لها غروب عن العيان فعند ذلك يكاشف بحقائق الأشياء فيدرك سر كل موجود ويعلم حقيقة كل معلوم وكل مجهول يعني ما كان مجهولاً صار عنده معلوماً وما كان معلوماً أردك سره وحكمته وهنا يطلع على سر المتشابهات وحقائق المشكلات فتتسع عليه دائرة العلوم وتخرق له مخازن الفهوم ويخرجم إلى فضاء الشهود وقال آخر

الحب ديني فلا أبغي به بدلا　　　والحسن ملك مطاع جار أم عدلا
والنفس عزت ولكن فيك أبذلها　　　والذل مرم ولكن في رضاك حلا
يا من عذابي عذب في محبته　　　لا أشتكي منك لاصدا ولا مللا

وأن شئت قلت المحبة هي أخذ الرب بقلب العبد بحيث لا يلتفت إلى غيره أو أخذ جمال المحبوب بمحبة القلب حتى لا يجد مساغا للآلتفات لسوى المحبوب فمتى وقع الإلتفات نقص الحب على قدره قال بعض الناس لا مرأة أني أحبك فقالت وكيف وخلفك من هو خير مني فالتفت فقالت قبحك الله من محب تدعى المحبة وتلتفت للغير وكذلك العبد إذا ادعى محبة سيده ثم أحب شيئاً أو استحسن شيئاً من السوى أو اشتكى شيئاً أو خاف شيئاً سواء محبوبه فهو ناقص المحبة أو مدعيها ومن ادعى ما ليس فيخ فضحته

شواهد الإمتحان ثم علل الشيخ كون المحبة على العوض مدخولة فقال فإن المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل لهقلت المحب في الشئ هو الذي يبذل نفسه فيه وفليه ويزهد في جنسه من أجله ولا يصح ذلك على التمام إلا في جانب الذي أسبغ عليك سوابغ الأنعام أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانياً بالأمداد وأعطاك كل ما تريد وملكك الكون كله تتصرف فيه كما تريد قال تعالى وآتاكم من كل ما سألتموه وقال خلق لكم ما في الأرض جميعاً فهذا سبب محبة العوام وأما محبة الخواص فهي ناشئة عن شهود جماله وبهائه فغابوا في شهود جماله وتاهوا في حضرة بهائه وأنشدوا

يا ساقي القوم من شذاه القوم من شذاه ... الكل لما سقيت تاهوا

غابوا وبالسكر فيك طابوا ... وصرحوا بالهوي وفاهوا

فهؤلاء باعوا أرواحهم في طلب مولاهم ثم استقلوا ما باعوا واستحيوا مما بذلوا لقلة أعطوام في جانب ما طلبوا وفي ذلك وبصير حاكماً بسره على الوجود فلا تقله أرض ولا تظله سماء قد فتحت له ميادين الغيوب وتطهر من جميع المساوي والعيوب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون فقوله فيصمت اللسام وهو يجري يعني أنه ينطبع الذكر في القلب انطباعاً كلياً حتى يجري الذكر على القلب ولو سكت اللسان وهذا هو المقصود من الذكر وقوله وقدر ما تجوهر الخ يحتمل أن يكون إنشاء ومعناه الأمر باستثبات القلب عند ذكر اللسان أي ويستثيب الجنان ما ذكره اللسان فيكون بقدر ما تجوهر اللسان يستثنيه ويحتمل أن يكون إخباراً ومعناه وبقدر ما يتجوهر اللسان بالذكر يدخل في القلب فيستثيبه فيكون فيه الحض على ذكر اللسان لعله يدخل الجنان والاحتمال الأول فيه الحض على الحضور عند ذكر اللسان وهو أولى لأن ذكر اللسان إذا لم تصحبه مجاهدة لا يفضي إلى القلب لو كثر وقوله ثم جري معناه في الفؤاد يعني انه ينصبغ القلب بمعنى الذكر حتى لا ينفك عنه وهي الطمأنينة بذكر الله وقوله فعند ما حاذى مرآة القلبي أي فعند انصباغ بالذكر وطمأنينته به يحاذى مرآة قلبه الصافية المجلوة أنوار الغيوب وهو الذي أراد بقوله لوح الغيوب وتسمى اللوائح وإنما قصره للوزن فإذا اطلعت له لوائح الغيوب ظهر ما كان مختبئاً أي خفياً من أنوار الشهود فانطوى عند ذلك وجود كل موجود وفي ذلك يقول الششترى

لقفد تجلى ما كان مخبى ... والكون كل طويت جطي

مني على دارت كؤسي من بعد موتى تراني حي

وفي بعض النسخ فعند ما حاذى أمير القلب أي وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي فعند جرى الذكر في الفؤاد حاذى القلب هو سطلان الجسد لوائح الغيوب وفي بعض النسخ بلفظ ما المصدرية بعد عند والعالم في الكرة يقول سلطان العشاقي ابن الفارض رضي الله عنه

لو أن روحي في يدي ووهبتها — لمبشري بقدومكم لم أنصف
مالي سوى روحي وباذل روحه في — حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتني — يا خيبة المسعى إذا لم تسعف

قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كلك لم أحببته حتى لا يبقى لك منهن شيء وقال أبو يعقوب السوسي حقيقة المحبة أن ينسى حظه من الله وينسى حوائجه إليه وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه المحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوبه ولا مشيئة له مع مشيئته وقيل أول ما يقول الله للعبد اطلب العافية والجنة والأعمال وغير ذلك فأن قال لا ما أريد إلا أنت قال له من دخل في هذا معي فإنما يدخل بإسقاط الحظوظ ورفع الحدوث واثبات القدم وذلك يوجب له العدم وفي معنى ذلك قيل

من لم يكن بك فانياً عن حظه — وعن الغنا والأنس بالأحباب
فلأنه بين المناظل واقف — لمنال حظ أو لحسن مآب

وبالجملة فأمر المحبة كبير وبحرها خطير وفي ذلك قالوا ما خاضوا بحر الرباح حتى خاضوا بحر الخسارة لا تنال إلا بذبح النفوس وترك الفلوس

أن ترد وصلنا فموتك شرط — لا ينال الوصال من فيه فضله

فما تحقق سير السائرين ورحيلهم إلى المحبوب إلا بمحاربة النفوس ومجاهدتها وقتلها كما أبان ذلك بقوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين قلت الميادين جمع ميدان بكسر الميم وبفتحها وبه صدر في القاموس وهو مجال الخيل ثم استعير هنا لمحاربة النفوس ومجاهدتها فهي تارة تكر عليه فتظفر به وتارة يكر عليها فيظفر بها وفي هذا المعنى قال شيخ شوخنا المجذوب رضي الله عنه

سايس من النفس جهدك — وصبح ومس عليها
لعلها تدخل بيدك — فتعود تصطاد بها

فقد بين رضي الله عنه كيفية مجاهدتها وعملك الحيلة في أخذها وذلك أن تدخل معها شيئاً فشيئاً فتعلمها الصمت وحده ثم العزلة ثم تقدمها للخراب شيئاً فشيئاً تقدمها لقليل فإذا استأنست به زدتها شيئاً آخر

وهكذا فأحب الأعمال إلى اله أدومها وأن قل ولا يعملها البطالة فورده من العمل الذي تموت به لا يتركه وقد كنت في حالة المجاهدة إذا هممت بترك وردي نادتني هواتف الأكوان حتى كنت في بعض الأيام تخاطبني الصبيان يا هذا اليهودي حين همتم بترك وردي نسمع يا عساس حين يسرقني شئ من الحس وهكذا وكانت مجاهدتي لنفسي كلها سياسة لم أحملها من المرة الولي إلا ما تطيقه حتى تستأنس به ثم نزيدها حتى كنت نفعل بها ما نشاء قال بعض العارفين انتهى سير الجالبين إلى الظفر بنفوسهم فإن ظفروا بها وصلوا وما ذكرته من السياسة للنفس والاحتيال عليها هو الصواب قال في المباحث

واحتل على النفس قرب حيلة	انفع في النصر من قبيله

وأما أن حملها من أول مرة ما لا تطيقه فإنها تسقط وتمل وربما ترجع بالكلية قال صلى الله عليه وسلم اكفلوا من العمل ما تطيقونه فإن الله لا يمل حتى تملوا وقال لا يكن أحدكم كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقي والمنبت هو المنقطع وحاصل ما ذكره الشيخ في هذه الحكمة أن النس على قسمين قسم لا سير لهم إذ لا توجه لهم إلي فهم واقفون مع ظاهر الشريعة كلما أباحته الشريعة أخذه كان ثقيلاً على النفس أو خفيفاً بل لا يأخذون إلا الخفيف لأنهم يقصدون رخص الشريعة وتسهيلها مما يوافق هواهم فلم يغيروا من عوائدهم وشهواتهم شيئاً فعزهم وافر وجاههم باق ودنياهم في الزيادة وهؤلاء عوام المسلمين وقسم شاقت نفوسهم إلى حضرة الملك وغلبهم الشوق فتوجهوا إلى حضرته واشتغلوا بمجاهدة نفوسهم ومحاسبتها فكل ما يثقل عليها أدخلوها فيه وهي تموت وكل ما يخف عليها جنبوها منه وهي تبكي هكذا يدومون عليها حتى ترتاض وتلين وحينئذ تطاوعهم فيما يريدون فأول ما يجاهد المريد في ترك الدنيا أو التخفيف حتى لا يبقى ما يشغله عن ربه ثم في ترك الناس والفرار منهم يتنكر لمن يعرف ولا يتعرف ثم في إسقاط المترلة والجاه حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينه ثم في الذل والانكسار قلباً وقالباً بالمشي بالحفا وتعرية الرأس وغير ذلك فإذا تحققت بالذل والتواضع والخمول والفقر وسكنت في ذلك واستحلته فقد تمكن منها وملكها بل ملك الكون كله

ونفسك تحوي بالحقيقة كلها	أشرت بجد القول ما أنا خادع

فكل من ملك نفسه فقد ملك الوجود بأسره فلولا مجاهدة النفوس ومحاربتها في هذه الميادين ما تحقق سير السائرين إذ لا يتحقق السائر من القاعد إلا بمخالفة الهوي وخرق العوائد فمن خرق عوائد نفسه حتى استوى عنده العو والذل والفقر والغنى وغير ذلك من مكروهات النفوس فقد تحقق سيره ووصوله ومن لم يقدر على تغيير شعرة من نفسه فلا سير له ولا وصول قال أبو عثمان الحيري لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في أربعة أشياء في المنع والعطاء والعز والذل يعني أنه يكون عنده الذل كالعز والمنع كالعطاء

لا ينقص منها وقال محمد بن خفيف رضي الله عنه قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت أخدمه وآخذ منه الطست طول الليل قال فغفوت مرة فقال لي نمت لعنك الله فقيل له كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله قال كقوله رحمك الله وحكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال ما سررت في الإسلام إلا ثلاث مرات معدودات كنت في مركب يوماً وكان به رجل يحكي الحكايات فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت وقتاً في معركة الترك علاً ويقول هكذا وكان يأخذ بلحيتي ويمد يده على حلقي والناس يضحكون منه و لم يكن في ذلك المركب عنده أحد أصغر مني ولا أحقر فسررت بذلك ويوماً آخر كنت جالساً فجاء إنسان فصافعني ويوماً آخر كنت جالساً فجاء إنسان وبال علي وقال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله في كل نفس من غير اختيار حالة يكون عليها فإذا وجد المريد هذه العلامات في نفسه فقد خرج من عالم جنسه ووصل إلى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر

لك الدهر طوعاً والأنام عبيد	فعش كل يوم من أيامك عيد

وكما قال سيدي أبو العباس بن العريف رضي الله عنه في هذا المعنى

بدا لك سر طال عنك اكتتامه	ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه	ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فإن غبت عنه حل فيه وطنبت	على مركب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه	شهى إلينا نثره ونظامه
إذا سمعته النفس طاب نعيمها	وزال عن القلب المعنى غرامه

فإن لم يجد المريد هذه العلامات فليستمر على سيره ولا يمل ولا يفتر فمن عرف ما قصدها عليه ما ترك وهذا الكلام إنما هو مع من أسعده الله فوصله إلى شيخ التربية وأما من لم يصل إليه فلا يطمع في السير أبداً ولو جمع العلوم كلها وصحب الطوائف كلها وهذا أمر ذوقي لا أقلد فيه أحداً فقد صلينا كثيراً وصمنا كثيراً واعتزلنا كثيراً وذكرنا كثيراً وقرأنا القرآن كثيراً والله ما عرفنا قلوبنا ولا ذقنا حلاوة المعاني حتى صبحنا الرجال أهل المعاني فأخرجونا من التعب إلى الراحة ومن التخليط إلى الصفا ومن الإنكار إلى المعرفة فإن قلت قد قال الحضرمي قد انقطعت التربية وما بقي إلا الهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة قلت لم يقصد الحضرمي انقطاعها على الأبد وحاشا الحضرمي أن يتحكم على الله ويعجز قدرة الله وإنما أراد أن في زمانه مدعين كثيرين فحذر أهل زمانه منهم ومعرفة الحضرمي وزروق رضي الله عنهما تنافي

هذا القصد وعلى تقدير صدورها منهما فليسا بمعصومين فكل كلام يرد ويقبل إلا الكلام صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم قد وجد بعد الحضرمي رجال كانوا من أهل التربية النبوة بالحال والمقال والهمة لا يمكن عدهم وهم موجودون في زماننا هذا مشهورون كنار على علم قد هدى الله على أيديهم خلقاً كثيراً وخرج على أيديهم من الأولياء ما لا يعلمهم إلا من من عليهم بمعرفتهم قال في لطائف المنن إنما يكون الاقتداء يولى ذلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته وعرفك وجود خصوصيته فألقيت إليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرفك برعونات نقسك ودفائنها وكمائنها ودقائقها ويدلك على الجمع على الله ويعلمك الفرار مما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله يوفقك على إساءة نفسك ويعرفك بإحسام الله إليك فتفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون إليها ويفيدك العلم بإحسام الله إليك الإقبال عليه والقيام الشكر إليه والدوام على ممر الساعات بين يديه قال فإن قلت فأين من هذا وصفه لقد دللتني على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين وإنما يعوزك وجدان الصدق في طلبهم جد صدقاً تجد مرشداً وتجد ذلك في كتاب الله قال تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاءه وقال فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم فلوم اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الطمآن إلى الماء والخائف إلى إلا من لوجذت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك ولو اضطررت إلى الله اضطرار الام لولدهم إذا فقدته لوجدت الحق منه قريباً ولك مجيباً ولوجدت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك اه قال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه وفي كلامه تنبيه على أن الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المريد إذا صدق في إرادته وبذل جهده في منا صحة مولاه لا على ما يزعمه من لا علم عنده من كونه لا يشترط ثم قال وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الأدب معه لما أشهده من على مرتبته ورفيع درجته اه وقال أيضاً في لطائف المنن وليس شيخك من سعمت منه إنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك من سرت فيك إشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله فنهضت إليهي وسار بك حتى وصلت إليه ولا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقل ها أنت وربك اه والسير هنا إلى الله تعالى مجازى عبارة عن قطع العلائق والعوائق وإلا فالأمر كما قال الشيخ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك قلت هذا سؤال عن بحث مقدر كأن قائلاً قال له هل بيننا وبينه مسافة حتى يتحقق سير السائرين إليه فقال لا مسافة بينك وبينه إلا حجاب النفس الكثيفة وعلائق القلب الكونية فخرق عوائدها وقطع شهواتها وقطع العلائق والعوائق هو السير إلى الله فمن خرق عوائد نفسه زالت عنه الحجب الظلمانية ومن قطع علائق القلب فاضت عليه

العلوم الربانية وأشرفت عليه الشموس العرفانية وهذا هو الوصول فلا مسافة بينك وبينه حسية حتى تطويها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه أي لا حاجز بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك قال تعالى ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما نوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد فما حال بيننا وبينه إلا

توهم وجود نفوسنا فلو غبنا عنها لوجدنا أنفسنا في الحضرة ولا يمكن الغيبة عنها إلا بموتها وموتها في مخالفة عوائدها قال الشيخ أبو مدين من لم يمت لم ير الحق وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه لا دخول على الله إلا من بابين إما بالفناء الأكبر الذي هو الموت الطبيعي أو بافناء الأصغر الذي تعنيه هذه الطائفة وقال بعضهم لا يدخل على الله حتى يموت أربع موتان الموت الأحمر وهو مخالفة النفس والموت الأسود وهو احتمال الأذى من الخلق والموت الأبيض وهو الجوع والموت الأخضر وهو لبس المرقعات قال الشطبي رضي الله عنه واعلم أن طريق الحق تعالى ليس فيها مفازة ولا متاهة بل هي منازل وأحوال قد جعل الله لجميعها أعواناً وأنصاراً وهو سبحانه يصدق وعده وينصر عبده ويهزم الأحزاب وحده وإنما المفاوز والمسافات في الركون إلى المألوفات واتباع العادات وفي مسامحة النفس والوقوف مع الحس والحدس وعند كشف الغطاء يتبين ذلك كما قال صاحب المباحث الأصلية

وإنما القوم مسافرون لحضرة الحق وظاعنون
فافتقروا فيها إلى دليل ذي بصر بالسير والمقيل
قد سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد

إلى آخر كلامه اه وقال أيضاً ومن الناس من تحجبه المجاهدة عن المشاهدة فتسطوا عليه الأحوال فتحول بينه وبين الغاية القصوى ومناهج الخلق متفاوتة لا تجري على منهاج واحد قال الله العظيم لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات وكل شخص إنما يعبر عن وجهته التي وجهته التي خصه الله بها ولذلك كان النظر في الكتب يضعف المسالك لتشعبها وكثرتها عند اختلاف الهمم لا سيما من جبلت طبيعته على علم الظاهر فإنه أبعد الناس عن الطريق ما لم يداركه الله بفتح منه لأن التشريع كل حكمة تحتها حكم من لم يفهمها فبستانه مزهر غير مثمر ومن هنا وقع الإنكار حتى امتحن الله كثيراً من الصوفية على أيدي علماء الظاهر هند ما نسبوهم للكفر والزندقة والبدعة والضلال وسر الخصوصية يقتضي ذلك لا محالة سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون وما هلكت الأمم السابقة إلا بقولهم أنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم مقتدون فتحصل أن الإنسان إذا حال مع النفس في ميدانها فجاهدها حتى هذبها

وطهرها من الأوصاف الحاجبة لها رجعت نفسه حينئذ إلى أوصلها وهي الحضرة التي كانت فيها إذ لم تكن بينها وبين الحضرة إلا الحجب الظلمانية فلما تخلصت منها رجعت إلى أصلها نوراً مشرقاً في قالب ظلماً فصارت عنده ياقوتة بين مخلوقاته وأنك جوهرة تطوى عليها أصداف مكوناته قلت قد عظم الله سبحانه هذا الإنسان وجعله نخبة الأكوان اجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره فيه ملك وملكوت ونور وظلمة وغيب وشهادة وعالم علوى وسفلى وقدرة وحكمة وحس ومعنى فقد جعلك الله أيها الإنسان ناشئاً في العالم المتوسط بين ملكه وهو بشريتك وملكوته وهو روحانيتك أو تقول بين ملكه وهو عالم الأشباح وملكوته وهو عالم الأرواح فلست أيها الإنسان ملكاً فقط فتكون كالبهائم والجمادات ولا ملكوتيا فقط فتكون كالملائكة ولكن جعلك مركباً من ملك وملكوت لتظهر مزيتك بالمجاهدة والمشاهدة ولذلك خصصت بالخلاقة وتقدمت لحمل الأمانة ثم متعت بالنعيم والنظر إلى وجهه الكريم ثم انقسمت الناس على قسمين فمنهم من غلبت بشريتهم على روحانيتهم وملكهم على ملكوتهم وظلمتهم على نور فبقوا في ظلمة الأكوان ومنعوا من الشهود والعيان وهم عوام المسلمين ومنهم من غلبت روحانيتهم على بشريتهم ونورهم على ظلمتهم وملكوتهم على ملكهم وهم الخواص العارفون السائرون إليه بمجاهدة نفوسهم في ميدان الحرب وهو مجال الفرسان فمنهم السابق المقرب ومنهم اللاحق المحبب كل واحد على قدر صدقة في محبة سيده وظاهر كلام الشيخ أن الإنسان شئ زائد على البشرية والروحانية لأنه قال جعلك الله في العالم المتوسط بين الملك وهو البشرية والملكوت وهو الروحانية فيقضي أنه شئ ثابت بينهما والتحقيق أن الإنسان هو المجموع من الجسد والروح فهو بنفسه علام متوسط أي مركب من ملك وملكوت فلو قال جعلك عالماً متوسطاً بين ملكه وملكوته لا فهم المراد بسهولة أي ليست ملكاً فقط أي لست ملكاً فقط ولا ملكوتاً فقط بل جعلك متوسطاً بينهما أي مركباً منهما كقوله عليه السلام كنت نبياً وآدم بين الماء والطين أي مركباً منهما دون روح ولكن عبارة الشيخ فيها ألغاز وتدقيق إشارة وعلمنا كله إشارة وإنما جعلك بين ملك وملكوت ليعلمك حلالة عدرك وفخامة أمرك قال تعالى ولقد كرمنا نبي آدم وقال لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم وليعملك أيضاً أنك جوهرة نفيسة مصونة في صدف نفيس وهو الكون بأسره فتطوي عليك أصداف مكوناته من عرشه إلى فرشه فأنا أيها الإنسان كالياً قوته في صدف الأرض تقلك والسماء تظلك والجهات تكتنفك والحيوانات تخدمك وتنفعك والجمادات تدفع عنك وأنت في وسط الجميع فالأفلاك دائرة بك والشمس والقمر منيران لما أنت فيه فأنت جوهرة الصدف ولباب السكون ومداره عليك قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه الأكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة وقد ورد في بعض الكتب يا ابن آدم أنا بدك اللازم بدك وفي بعض الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك م أحلب فلا تشتغل بما هو لك

عمن أنت له وقد قالوا في عجائب الإنسان أن الوجود كله منطو فيه فهو نسخة من العالم الأكبر ومما ينسب لأبي العباس المرسي رضي الله عنه

يا تائهاً في مهمه عن سره | انظر تجد فيك الوجود بأسره
أنت الكمال طريقة وحقيقة | يا جامعاً سر الإله بأسره

وقال في المباحث

يا سابقاً في موكب الإبداع | ولاحقاً في جيش الاختراع
اعقل فأنت مسخة الوجود | لله ما ألاك من موجود
أليس فيك العرش والكرسي | والعالم العلوي والسفلي
ما الكون إلا رجل كبير | وأنت كون مثله صغير

قلت إنما يكون الإنسان نسخة من العالم أو كونا صغيراً ما لم تغلب روحانيه على بشريته ومعناه على حسه ونوره على ظلمته وأما أن غلبت روحانيته على بشريته ومعناه على حسه فقد صار حينئذ ملكوتياً جبروتيا قد استولى على الكون بأسره وصار هو العالم الأكبر والكون نسخة منه وفي ذلك يقول ابن الفارض رضي الله عنه

وإني وإن كنت ابن آدم صورة | فلى معنى شاهد بابوتي

إذ الروح لم يسعها أرض ولا سماء كما بين ذلك بقوله وسعك الكون من حيث جثمانيتك و لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتكم قلت الروح إذا تصفت وتطهرت من كدرات الحسن عرجت إلى عالم الجبروت فلم يحجبها عن الله أرض ولا سماء ولا فلك ولا عرش ولا كرسي بل يصير ذلك في جوفها كشئ تافه وهذا أمر مذوق عند العارفين إذ نظروا إلى الكون بأسره ذاب ورجع ماء فإذا شربوه صار في قلوبهم كقطة وهم متفاوتون في احاطتهم بالكون فمنهم من يصير عنده كالبيض ومنهم من يصير عنده كالخردلة وذلك بحسب اتساع النظرة وضيقها فكلما جالت الروح في بحر الجبروت صغر الكون عندها حتى لا تحس به ولذلك قال بعضهم لو كان العرش في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به وقال آخر العرش والكرسي منطبعان في ترسى.

وقال شيخ أشياخنا مولاى عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه والعرش والكرسي في طي قبضتي ثم يتلاشى الكون ويضمحل ويتصل عالم الملكوت بعالم الجبروت فلا بقاء إلا للحي الذي لا يموت وهذا لا يفهمه إلا العارفون الذين غلبت روحانيتهم على بشريتهم فصاروا روحانيين ملكوتيين أشباحهم مع الخلق وأرواحهم مع الحق فقد وسعك أيها الإنسان الكون وحصرك من حيث جثمانيتك وبشريتك وهيكلك

المحصور و لم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لأن روحك متصلة بعالم الجبورت المحيط فلما تكثف وانحصرت في هذا الهيكل لزمتها القهرية فانحجبت بالحكمة وتقيدت بالقدرة فما دامت البشرية كثيفة بحب الشهوات والعوائد فهي محجوبة فإذا تلطفت بذكر الله وانخرق عنها حجاب الحس رجعت إلى أصلها فاتصلت ببحرها فصار الملكوت والملك في طي قبضتها فلم يسعك حينئذ أرض ولا سماء ولا يحصرها عرش ولا فرش ولذلك قيل الصوفي لا تقله الأرض ولا تظله السماء وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن أي الكامل وهو العارف والله تعالى أعلم فالجبروت هو المعاني اللطيفة القديمة التي لم تدخل عالم التكوين باعتبار جمعه ولحوقه بأصله والملك ما دخل التكوين واعتقد فيه الفرق وأهل الجمع لا ملك عندهم وإنما عندهم الملكوت والجبروت فما داموا يفرقون بين النور اللطيف والنور الكثيف فعندهم الملكوت والجبروت والجبروت فإذا ضموا كل شئ إلي أصله لم يبق إلا الجبروت وأهل الفرق أثبتوا الملك بوهمهم وحجبوا به عن الله والله غالب على أمره.

فما دام العبد مسجوناً بالكون محصوراً في بشريته فهو في سجن الأكوان فإن نفذت بصيرته وعرجت روحه إلى الملكوت خرج من السجن إلى الفضاء كما بين ذلك بقوله الكائن في الكون و لم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته محصور في هيكل ذاته قلت ميادين الغيوب هي ما أدركته الروح حين خرجت من ضيق الأشباح إلى عالم الأرواح ومن فضاء الشهود إلى معرفة الملك المعبود فما دام الإنسان في الكون بحيث لا يشهد إلا الكون ولا يدرك إلا الحس و لم تفتح له ميادين الغيوب أي لم يخرج إلى فضاء الشهود فهو مسجون بمحيطاته أي بالأكوان المحيطة به كالسوات والأفلاك الدائرة به فهو في سجن الأكوان محصور أيضاً في هيكل ذاته أي في شكل بشريته وكثائف جسمه فإذا غلبت روحانيته على بشريته فقد خرجت من حصر الهيكل وإذا نفذت بصيرته إلى فضاء الملكوت أو بحار الجبروت فقد خرجت من سجن الأكوان إلى شهود المكون فحينئذ تتحرر من رق الأكوان وتحظى بنعيم الشهود والعيان وأما ما دام محصوراً في الهيكل مسجوناً في الأكوان فهو محجوب عن الله ولو كان عالماً بالعلوم الرسمية متبحراً فيها إذ لا يزيده التغلغل فيها إلا حجاباً عن الله وقد قال الشيخ أبو الحسن التغلغل في أعلم الظاهر يضر بصاحبه في علم الخصوص أو ما هذا معناه وقال في قوت القلوب كل من لم يفتح له في هذا العلم علم الباطن فهو من أهل اليمين وكل من فتح له في علم الباطن فهو من المقرنين السابقين اه.

وهو ظاهر لأن علم الرسوم لا يخرجه من سجن الأكوان فهو مع الأكوان على الدوام وإذا كان مع الأكوان فاته شهود المكون كما قال الشيخ رضي الله عنه أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا

شهدته كانت الأكوان معك قلت ما دام العبد مقيداً في سجن الأكوان ومحصوراً في هيكل جسمه فالأكوان حاكمة عليه فهو يحبها ويعشقها وهي تبغضه وتبعده عن ربه وهو يفتقر إليها وهو غنية عنه وهو يميل إليها ويحرص عليها وهي تفر منه وهو يخاف منها ويهابها وهي تخوفه وترعبه فإذا شهد مكونها وغاب عنها وتحرر من رقها كانت حينئذ هي خادمته وهو حالكم عليها وهي تحبه وتعشقه وهو مشغوف بحي خالقها وهي تفتقر إليه وهو غني عنها وهي تحرص عليه وهو زاهد فيها وهي تخاف منه وتهابه وهو في أمن منها فالجنة تشتاق إليه وهو غني عنها وفي الحديث اشتاقت الجنة إلى علي وصهيب وبلال كانوا من أهل الصفة والنار تهابه وهو في غيبة عنها وقد ورد في الحديث أنها تقول يوم القيامة جزياً مؤمن فقد أطفأ نورك لهبة أو كما قال عليه السلام فأنت أيها الإنسان محبوس مع الأكوان في عالم الأشباح مقيد في قيودها فهي حينئذ تتصرف فيك كيف شاءت حين تكون تحبها وتحرص عليها وتشتاق إليها كائنة ما كانت شهادية أو غيبية ما لم تشهد المكون وتعرفه فإذا شهدت المكون وعرفته كانت الأكوان معك لأنك تكون حراً عنها وهي مملوكة لك لا تحي منها شيئاً من حيث كونيتها ولا تخاف منها شيئاً كذلك لأنك قد رحلت عنها إلى عالم الأرواح فحينئذ تكون في قبضتك تتصرف فيها كيف شئت لأنك حينئذ تصير خليفة الله في أرضه الكون كله في قبضتك وعند همتك لأنك علقت همتك بالله فصير الأشياء عند همتك في بعض الآثار المروية عن الله عز وجل يقول عبدي اجعلني مكان همك أكفك كل همك ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت بي فأنت في محل القرب فاختر لنفسك وقال بعض الأشياخ إني لا دخل السوق والأشياء كلها تشتاق إلي وأنا غني عنها وقال ابن الجلا رحمه الله من علت همته عن الأكوان وصل إلى مكونها ومن وقف بهمته على شئ دون الحق فقد حجب به عند لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك اه فمن رفع همته عن الأكوان ومتع بشهود المكون فقد ثبتت له الخصوصية الكبرى والولاية العظمى ولا يلزم من رفع الهمى عن الأكوان استغناؤه عما تحتاج إليه البشرية مما يقوم به وصفها اللازم لها وإليه أشار بقوله لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية المراد بالوصف البشري ما جعله الله محتجاً إليه بحكمته في قوام بدن الإنسان من أكل وشرب ولباس ومسكن وما فطره عليه من شهوة مباحة كنكاح وشهوة غير محرمة فهذه الأوصاف لا ينافي وجودها وجود الخصوصية فقد قال تعالى في الرسل وأما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال تعالى ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية نعم وصف البشرية في حق أهل الخصوصية ليس هو كغيرهم لأن أهل الخصوصية أمرهم كله بالله انقلبت حظوظهم حقوقاً بخلاف غيرهم أنفسهم غالبة عليهم فتقلباتهم كلها في حظوظ أنفسهم فإذا تقرر هذا علمت أنه لا يلزم من ثبوت الخصوصية وهي الولاية والمعرفة أو الحرية ومعناها واحد عدم وصف البشرية فالخصوصية محلها البواطن ووصف البشرية محلها الظواهر ولذلك

اختفت الأولياء والأنبياء والرسل عن الناس لظهور أوصاف البشرية عليهم فكيف تعرف رجلاً يأكل كما تأكل ويشرب وينام ويتزوج النساء فلا يعرفهم إلا من أراد الله سعادته وما وقع الإنكار على الأنبياء والأولياء إلا لاعتقادهم أن أوصاف البشرية تنافي ثبوت الخصوصية فقد قال الكفار في حقه عليه السلام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فرد الله تعالى عليهم بعدم تنافيهما فقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين الآية فهذه الأوصاف التي ذكرنا لا ينفك الطبع البشري عنها وهي موجودة مع خصوصية النبوة والولاية وأما الأوصاف التي هي مذمومة كالحسد والكبر والبغض والعجب والرياء والغضب والقلق وخوف الفقر وهم الرزق والتدبير والاختيار وغير ذلك فهذه لا يد من من التطهير منها في خصوصية النبوة والولاية وقد تقطم قوله اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لكتون لنداء الحث مجيباً ومن حضرته قريباً أما في حق النبي فتطهيره منها واجب لأنه معصوم من جميع النقائض وأما في حق الولي فليس بواجب

لكنه محفوظ فقد يصدر منه شئ من هذه الأوصاف المذمومة على سبيل الهفوة والزلة ولا تنافي وجود خصوصيته لكنه لا يصر عليها ولا يدوم فيها فقد يصدر من الولي الغضب مثلاً والقلق والتدبير والختيار وغير ذلك لكنه كالريح يضرب ويسرح قال في النصيحة الكافية وقد تكون للولى هفوة وهفوات وزلة وزلات ولكن لا يصر عليها وقيل للجنيد أيزنى العارف فسكت ثم قال وكان أمر الله قدرا مقدورا قال ابن عطاء الله ليت شعري لو قيل له أتكون همة العارف مع غير الله لقال لا اه صم ضرب مثلاً لنور الخصوصية مع ظلمة البشرية الحسية فقال إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليست منه تارى تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك فالنهار ليس منك إليك ولكنه وارد عليك قلت مثل نور الربوبية الذي أشرقه الله في قلوب أوليائه وستره بظهور البشرية كمثل نور الشمس إذا أشرق على الآفاق وهو الفضاء الذي بين المساء والأرض فإن الفضاء قبل ظهور الشمس مظلم ليس فيه نور فإذا أشرقت عليه الشمس رجع نوراً صافياً فنور أنيته ليست من ذاته وإنما هي من الشمس كذلك نور الربوبية هو مستودع في باطن البشرية فإذا أراد الله تعالى أن يظهر خصوصية عبده أشرق ذلك النور على ظاهر بشريته فتستولى روحانيته على بشريته فلا يبقى للبشرية أثر فتصير البشرية لكها نوراً فنور البشرية ليس منها ولكنه وارد عليها فتارة تشرق شموس أوصافه وهي الوجود والقدم والبقاء وسائر أوصافه السلبية والوجودية والمعاني والمعنوية على ليل وجودك الظلماني الكثيف فتذهب أوصافك الحادثة العدمية بظهور أوصافه القديمة الأزلية فيتحقق الوصال ويذهب الانفصال وتارة يقبض ذلك النور ويغيبه عنك ويرده إلى باطنك فترجع إلى شهود عبودينك ويردك إلى حدودك وهذا حال الوارد الإلهي إذا فاض على الإنسان فيبه عن نفسه واقتطعه عن حسه فلا يرى إلا

أوصاف ربه وينكر وجود نفسه من أصله فإذا سكن الوارد رجع إلى شهود نفسه بربه ورجع ذلك النور إلى باطنه نوراً على الدوام وظاهره تارة يغلب عليه ذلك النور وتارة تغلب عليه الظلمة أي العبودية فنور الوارد ليس من الإنسان من حيث بشريته ولكنه وارد عليه من حيث روحانيته كما أن نور الأفق ليس هو من ذات الأفق لكنه وارد عليه من شراق شمس النهار عليه وها هنا مثال آخر وهو الحديد والفحمة إذا جعلتهما في النار ونفخت عليهما فإنهما يرجعان من جنس النار وتكسو النار الحديد كله والفحمة كلها فإذا بردا رجع الحديد حديدا والفحمة فحمة كذلك البشرية إذا استولت عليها الروحانية صارت كلها روحانية معنوية فلا ترى إلا المعاني ولا تحس إلا إياها واعلم أن الناس في هذا النور على ثلاثة أقسام قسم نوره حده الباطن و لم يصعد من شعاعه شئ لظاهره وهم العوام وقسم استولى نورهم على ظاهرهم وباطنهم وهم المجذوبون في حضرة الله وقسم امتلا باطنهم نورا وصعد شعاعه على ظاهرهم فاستولى على الظاهر على الدوام وهم السالكون بعد الجذب الراسخون في المعرفى والله تعالى أعلم ثم ذكر الطريقة الموصلة إلى الخصوصية فقال دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه وبوجود أوصافه على وجود ذاته إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه قلت هذه طريقة الترقي فوجود الأثر يدل على وجود القادر والمريد والعليم والحق مثلاً فالقادر يدل على قيام القدرة به بحيث لا تفارقه إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فلزم من وجود الأثر وجود المؤثري وهنا افتراق أهل الظاهر من أهل الباطن فأهل الظاهر أثبتوا من وجود الأثر وجود الأسماء والصفات و لم يقدروا على شهود الذات غلبهم الحس عن شهود المعنى والوهم عن ثبوت العلم وشهود الحكمة عن شهود القدرة وأهل الباطن لما فرغوا قلوبهم من الأغيار وباعوا نفوسهم للواحد القهار فتح الله عين بصيرتهم وأطلعهم على مكنون سره فأفردوا الحق بالوجود وانتفى عن بصيرتهم نظرهم كل موجود إذ محال أن يفارق الصفى موصوفها أو تقوم بنفسها فلزم من وجود الصفات وجود الذات وهذا هو سر الخصوصية كل موجود إذ محال أن يفارق الصفة موصوفها أو تقوم ينفسها فلزم من وجود الصفات وجود الذات وهذا هو سر الخصوصية الذي خص الله بها أولياءه و لم يشاركهم فيه غيرهم ثم بين أهل الجذب ن أهل السلوك وأهل التدلي من أهل الترقي فقال فأهل الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم

يردهم إلى شهود صفاته ثم يردهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التفيا ق يالطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه قلت عباد الله المخصوصون بسر الخصوصية هم في سيرهم على قسمين منهم من يبدأ بالجذب ثم يرد إلى السلوك ومنهم من يبدأ بالسلوك ثم يدرك الجذب ثم يصحو فأرباب الجذب يكشف لهم أولاً من غير مجاهدة عن شهود الذات فيكسر بشهود نورها فينكر الواسطة أصلاً وينكر الشرائع إلا أنه مغلوب ثم يرد

من شهود الذات الصفات فلا يرى إلا صفات الحق تكثفت وظهرت وينكر الأثر ثم إذا شهد الصفات تعلق بالأسماء اللازمة لها ثم يرجع إلى شهود آثاره فيقوم بأحكام عبوديته والساطلون على عكس هذا فيستدلون بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على وجود صفاته وبوجود صفاته على وجود ذاته كما تقدم فنهاية السالكين وهي شهود الذات بداية المجذوبين ونهاية المجذوبين وهي شهود الأثر بداية السالكين ولكن ليس بمعنى واحد بل أحدهما نازل يشهد الأشياء بالله والآخر صاعد يشهد الأشياء بنفسه لله فربما التقيا في الطريق كشهود الصفات والتعلق بالأسماء مثلاً الذات ويكون رجوعه بالله فيجتمعان معاً في مقام البقاء والمترقي أكمل من المتدلى في التربية لأنه قاسى شدائد الطريق وأهوالها بخلاف المجذوب فإنه كان محمولاً وهو نادر إذ الغالب على الناس السولك ثم الجذب والطريق الشاذلية الغالب عليها الجمع بين الجذب والسلوك من أول قدم ومعنى الجذب هو اختطاف الروح من شهود الكون إلى شهود المكون واعلم أن الناس في الجملة على أربعة أقسام سالكون فقط مجذوبون فقط سالكون ثم مجذوبون ومجذوبون ثم سالكون فالأولان لا يصلحان للتربية والإرشاد أما السالك فقط فلانه ظاهري محض فلا نور له في باطنه يجذب به وأما المجذوب فقط فلا سلوك عنده يسير به والآخران يصلحان للتربية مع أفضلية الأول واعلم أيضاً أن حقيقة السلوك الأول عن شهود خلق بلا حق وحقيقة الجذب هو شهود حق بلا خلق وحقيقة السلوك الثاني هو شهود خلق بحق والله تعالى أعلم ثم ما يدركه الواصل من أنار السهود والعيان ليست هي حسية يدركها كل إنسان وإنما هي معاني قلبية وأسرار باطنية ملكوتية كما أبان ذلك بقوله لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك قلت أعلم أن الناس كلهم عندهم النور في قلوبهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة أي على أصل النشأة الأولية وهي القبضة النوارنية وقال تعالى الله نور السموات والأرض قال أهل تفسير الظاهر أي نور أهل السموان والأرض وهو عام في كل موجود فيهما فقد تحقق أن النور سار في الجميع فمن الناس من حجي عن هذا النور وعمي عنه وهو من وقف مع ظاهر الملك وهو قشر الكون وحسه الظاهر ويسمي عالم الأشباح ولم ينفذ إلى باطن وهو المكلوت ويسمي عالم الأرواح فهذا محجوب عن نوره الباطني لا يرى إلا النور الحسي لأنه مسجون في سجن الأكوان محصور في ظلمة الحس والوهم ومن الناس من نفذت بصيرته إلى شهود النور الباطني فيه ولم يقف مع القشر بل نفذ إلى شهود اللب وهو نور الملزن وأسرار الجبروت وهو الذي أشار إليه في المباحث بقوله

مهما تعديت عن الأجسام — أبصرت نور الحق ذا ابتسام

وهذا النور ايضاً هونه الذي تراه قلوبهم العارفين دون الغافلين كما أشار إليه الحلاج بقوله

فإذا تحقت هذا علمت انه لا يعلم بالنباء للمفعول أي لا يظهر قدر أنوار القلوب الغيبية وشرفها وأنوار السرار القدسية وكمالها إلا في غيب الملزت الجبروت فأنوار القلوب لا يعلم قدرها إلا في غيب الملكوت وهي الأنوار المتدفقة من بحار الجبروت فمن لم ينفذ إلى شهود الملكون لم يعلم قدرها بل لم يعرفها أصلاً وأنوار الأسرار لا يعلم قدرها إلا في عيب الجبروت وهي الأنوار الأصلية الأزلية وهو ما لم يدخل عالم التكوين فمن كان محجوباً في عالم الملك لا يعلم قدر أنوار الملكوت ولا يحس بها بل ينكرها كما شهدناه ممن يدعي الخصوصية وهو بعيد منها ومن كان وأقفاص مع أنوار الملكوت لا يعلم قدراً أنوار الجبورت ومن نفذ منهما شهد الجميع وكما لا تظهر الأنوار الغيبية إلا في غيب الملكوت أو الجبورت كذلك لا تظهر أنوار الملك وهي الأنوار الحسية إلا في عالم الشهادة وهو عالم الحس ويسمى عالم الملك والحاصل أن أنوار القلوب هي أنوار الملزت وأنوار الأسرار هي أنوار الجبروت وهي غيبية لا يعلم قدرها إلا من ترقى إلى عالم الملكوت أو الجبروت فحينئذ يدركها ويعلم قدرها علماً وحجالاً والله تعالى أعلم تنبيه قد رأيت كثيراً ممن شرح هذا الكتاب غلط في تفسير الملك والملكوت والجبروت فزعموا أن الملك هو عالم الدنيا والملكوت هو عالم الآخرة والجبروت ما لا يعمله أجد وهذا غلط إذ لو كان كما زعموا ما صح الترقي من ملك إلى ملكوت وإلى جبروت إذ يلزم على تفسيرهم أن الملك لا يرجع ملكوتاً والملكوت لا يصير جبروتاً وهو غير سديد إذ قد مص كثير من المحققين أن أهل الملكوت لا يرون الملك لا يرجع ملكوتاً والمكوت لا يصير جبروتاً وهو غير سديد إذ قد نص كثير من المحققين أن أهل الملكوت لا يرون الملك أصلاً وأهل الجبروت يحجبون عن الملكوت هكذا ذكره النقشدبندي في شرح الهائبة والصواب أن المحل واحد وهو الوجود الأصلي والفرعي فما لم يدخل علام التكوين من عظمة الباري تعالى فهو عالم الجبروت وما دخل التكوين فمن ألحقه بأصله وجمع فيه فهو في حقه ملكوت ومن فوقه وحجب به فهو في حقه ملك فتحصل أن المحل واحد والأمر إنما هو اعتباري تختلف التسمية باختلاف ملكوت وتختلف النظرة باختلاف الترقي في المعرفة فمن وقف مع الكون كان في حقه ملكاً ومن نفذ إلي شهود النور الفائض من الجبروت إلا أنه رآه كثيفاً نورانياً و لم يضمه إلى أصله في اللطافة سمي في حقه ملكوتاً ومن ضمه إلى أصله و لم يفرق بين النور الكثيف سمى جبروتاً وقد حققت ذلك في قصيدتي التائبة وتقدم بعضها وكذلك في شرح التصلية المشيشية والله تعالى أعلم ولا بد أراد أن تكشف له هذه الأنوار ويردك هذه المقامات من وجود أعمال ومقاسات أحوال فإذا عمل عملاً وذاق حلاوته فليستبشر بالفتح الذي هو

جزاء السائرين وهو الذي أشار إليه بقوله وجد أن ثمرات الطاعة عاجلاً وبشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلاً قلت من وجد في باديته حلاوة ومجاهدته فليستبشر بوجود مشاهدته ومن لم يجدها فلا ييأس من روح الله فإن لله نفحات تهب على القلوب فتصبح عند علام الغيوب أو تقول من وجد ثمرة عمله في الدنيا فليستبشر بوجود الجزاء آجلاً في الآخرة وقد تقدم هذا للشيخ مراراً وهذا الجزاء الذي يستبشر به لا ينبغي قصده ولا طلبه لئلا يكون ذلك قدحاً في الإخلاص كما أبان ذلك بقوله كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجدزاء على صدق هو مهديه إليك قلت العبد إنما هو آلة مسخرة فإذا سخره ربه تحرك وإلا فلا وإذا كان كذلك فلا نسبة لك في العمل إلا ظهور عليك حكمة فكيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك وإذا من عليك بصدق العبودية وهو سر الإخلاص فكيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك وعبر في جهة العمل بالصدقة التي تكون للمحتاجين وفي جهة الصدق بالهدية التي تكون للمحبوبين لأن العمل الناس مشتركون فيه إذ جل الناس في العمل والإخلاص قليل وأهله أقل من القليل وهم الخواص أو خواص الخواص قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه في قوله عليه الصلاة والسلام إنما أنا نعمة مهداة الأنبياء لأممهم عطية ونبينا لنا هدية والعطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين وقال الواسطي رضي الله عنه مطالبة الأعواض على الطاعة من نسيان الفضل وقال أبو العباس بن عطاء أقرب الأشياء إلى مقت الله رؤية النفس وأفعالها وأشد

من ذلك مطالبة الأعواض على أفعالها اه واظم الأعمال التي توجد ثمرتها عاجلاً وآجلاً هو ذكر الله وثمرته هو النور الذي يشرق في القلب فيضمحل به كل باطل والناس في هذا النور على قسمين قسم سكن النور قلوبهم فهم ذاكرون على الدوام وقسم يطلبون وجوده بأذكارهم وإلى هذا أشار بقوله قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم فهمن الواصلون وأما الذين تسبق أذكارهم أنوارهم فهم السائرون الأولون لهم أنوار المواجهة لا تفارقهم فهم ذاكرون على الدوام فإذا أرادوا أن يذكورا باللسان سبقت إلى قلوبهم الأنوار فكانت هي الحاملة لهم على وجود الأذكار وأما الآخرون فلهم أنوار التوجه وهم طالبون لها محتاجون إليها فهم يجاهدون أنفسهم في طلب تلك الأنوار ثم بين حال الفريقين فقال ذاكر ذكر ليستنير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكراً قلت فالذي ذكر ليستنير قلبه هو الذي يسبق ذكره نوره فهو من القوم الذين تسبق أذكارهم أنوارهم والذي استنار قلبه فكان ذاكراً هو الذي يسبق نوره ذكره هو من القوم الذين تسبق أنوارهم أذكارهم وهم العارفون بالله لا تجدهم إلا في حضرة الأسرار ثم أن وجود الذكر في الظاهر عنوان وجود الشهود في الباطن إذ لولا وارد ما كان ورد وهو الذي أبانه بقوله ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهوداً أو فكر قلت إذا كان الظاهر مشتغلاً بذكر الله فهو علامة وجود محبة الله في الباطن إذ من أحب شيئاً أكثر من ذكره ولا تكون المحبة إلا عن ذوق ومعرفة فلا يكون ظاهر ذكر إلا

عن باطن شهود أي شهود كان وأن كان لا يشعر بشهوده فما ذكرت الروح حتى فنيت ولا فنيت حتى شهدت فكل من فنى في ذكر الله فإن روحه شهدت جمال الحضرة أو تفكرت في جمال المذكور وبهائه أو في حسن ثوابه فتحصل أن وجود الذكر في الظاهر ناشيء إما عن شهود في الباطن وهو حال المريدين أو العارفين أو ناشيء عن فكرة وهو حال الطالبين للجزاء فإن الناس في الذكر على ثلاثة أقسام قسم يطلبون الأجور وقسم يطلبون الحضور وقسم وصلوا ورفعوا الستور ثم بين وجه كون ذكر الظاهر ناشئاً شهود الباطن فقال أشهدك من قبل أن استشهدك فنطقت بالوهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسارائر قلت الروح في أصل ظهورها في غاية الطهارة والصفاء فحين أبرزها الله تعالى في عالم الذر كانت عالمة دراكة فأشهدها الله تعالى عظمته وجلاله وبهاءه وكمال وحدانيته فقال لها حينئذ ألست بربكم قالوا بلى فكلها أقرت بالربوبية فلما ركبها في هذا القالب فمنها من أقرب بذلك العهد ومنها ومن جهلت وأنكرت فقد أشهدك الحق تعالى حين كنت في عالم الأرواح ربوبيته ووحانيته فعلمتها وحققتها من قبل أن يستشدك أي يطلب منك تلك الشهادة فحين طلبها منك وجد روحك عالمة فنطقت بالأهيته التي عرفتها في عالم الذر ألينة الظاهر وتحققت بأحديته التي شهدتها قبل التركيب القلوب والسرائر فكل ما ظهر من الأقرار بالربوبية في عالم الشهادة فهو فرع الإشهاد المتقدم في عالم الغيب وكل ما ظهر من التحقق بالإحدية للقلوب فهو فرع العلم السابق في علم الغيوب فالواجب على العبد أن يكون جامعاً بي إقرار الظاهر وتوحيد الباطن فالأول فرق والثاني جمع وإلى هذا المعني أشار الجنيد رضي الله عنه بقوله:

قد تحققت بسري حين ناجاك لساني
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
أن يكن غيبك التعظ يم عن لحظ عياني
فلقد صيرك الوج د من الأحشاء داني

ثم بين كرامات الذكر المتقدم فقال أكرمك كرامات ثلاثاً جعلك ذاكراً له ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك وجعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكوراً عنده فتمم نعمته عليك قلت لقد أكرمك الحق تعالى أيها الإنسان كرامات كثيرة وأنعم عليك نعماً غزيرة قال تعالى وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأجل الكرامات وأعظمها كرامات الذكر وفي الحديث ما من يوم إلا ولله فيه نعم ينعم الله بها على عباده وما أنعم الله على عبد أفضل من أن يلهمه ذكره كما قال السلام ذكره المنذر ومرجع هذه الكرامات إلى ثلاثة أمور الكرامة الأولى جعلك ذاكر إله ومن أين لعبد ذليل أن يذكر سيداً جليلاً ولولا فضله عليك لم تكم أهلاً لجريان ذكره على لسانك الكرامة الثانية جعلك مذكوراً به حيث

ذكرك بنفسه حين ذكرته قال تعالى فاذكوربي أذكروكم وإذا كنت مذكوراً بسبب ذكره بك فقد ثبتت خصوصيتك عنده فأي كرامة أعظم من هذه فقد حقق نسبته لديك حيث أثبت لك الخصوصية وقال لك يا ولبي ويا صفي فمن أين أنت وهذه النسبة لولا أن الله تفضل عليك قال بعضهم في تفسير قوله تعالى ولذكر الله أكبر أي ولذكر أي ولذكر الله لعبده أكبر من ذكر العبد لله الكرامة الثالثة حيث جعلك مذكوراً عنده في الملائكة المقربين ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرت في نفسي وأن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه وأن تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعاً وأن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وأن أتاني يمشي أتيته هرولة اه وفي حديث آخر ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله فيه إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وكان يحيى بن معاذ رضي الله عنه يقول يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجري في اللوح المحفوظ بذكرك لمت طرباً اه فإذا عمرت أوقاتك بذكر الله فعمرك طويل وأن قلت أيامه كما أبان ذلك بقوله رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده قلت رب هنا للتكثير في الموضعين فكثير من الأعمار اتسعت آماده جمع أمد وهو الزمان أي كثير من الناس طالت أعمارهم واتسعت أزمنتهم وقلت امدادهم أي فوائدهم فلم يحصلوا على شيء حيث اشتغلوا بالبطالة والتقصير حتى مضت تلك الأيام كطيف المنام وأضغاث أحلام وكثير من الأعمار قلت آمادهم أي أزمنتهم وكثرت امدادهم أي فوائدهم فأدركوا من فوائدهم فأدركوا من فوائد فأدركوا من فوائد العلم والأعمال والمعارف والأسرار في زمن قليل ما لم يدركه غيرهم في الزمن الكثير ومثال ذلك أهل الجذب مع السلوك وأهل السلوك وحده فإن أهل الجذب الموافقين للسالكين في الأعمال يطوون في ساعة واحدة من مسافة القرب ما لم يدركه أهل السوك في سنين وذلك أهل الفكرة مع أهل الخدمة فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة وفي ذلك قال الشاعر

كل وقت من حبيبي قدره كألف حجه

وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه أوقاتنا كلها ليلة القدر أي كل وقت عندنا أفضل من ألف شهر عند غيرنا قال القاضي أبو بكر بن العربي المعافري تلميذ الغزالي لمت الشيخ أبا حامد على انقطاعه واعتزاله عن الخلق وقطع انتفاعهم بما وهبه الله له من العلم الظاهر والباطن فقال متمثلاً

قد تيممت بالصعيد زمانا وأنا الآن قد ظفرت بالماء

من سرى مطبق الجفون وأضحى فاتحاً لا يردها للعماء

أي من كان يمشي مسدود العينين وأضحى أي صار فاتحاً لعينيه لا يرجع للعماء قلت يا سيدي الاشتغال بالعلم نفع عام وهو من أفضل العبادات وقد قال صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك لا يرجع واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس فقالي لما طلع قمر السعادة في أفق الإرادة وأشرقت شمس الوصول في أرض الأصول

تركت هوي سعدي وليلى بمعزل وصرت إلي علياء أول منزل

فنادتني الأكوان من كل جانب ألا أيها الساعي رويدك فامهل

غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لغزلي نساجاً فكسرت مغزلي

فانظر من أطلعه الله على بركة عمره وأراه ثمرة وقته كيف اختار الآكد فالآكد والأولي فالأولى ليدرك ما تلمحه من الفوائد ويحظي بالخصائص والزوائد اه قال الشطبي رحمه الله قال أحمد بن أبي الحواري لأبي سليمان الداراني رضي الله عنهما قد غبطت بني إسرائيل قال بأي شئ قلت بثمانمائة عام حتى يصير كالشنان البالية وكالحنايا والأوتار فقال ما ظننت إلا وقد جئت بشيء والله ما يريد الله منا أ، تبيس جلودنا على عظامنا وما يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما ناله الآخر في أعماره الطويلة اه وقال في القوت فإن البركة في العمر أن تدرك في عمرك القصير بيقظنك ما فات غيرك في عمره الطويل بغفلته فيرتفع لك في السنة ما يرتقع في عشرين سنة وللخصوص من المقربين في مقامات القرب عند التجلي بصفات الرب الحاق برفع الدرجات وتدارك لما فات عند أذكارهم وأعمال قلوبهم اليسيرة في هذه الأوقات فكل ذرة من ذكر تسبيح أو تهليل أو أحمد أو تدبر وتبصرة أو تفكر وتذكرة لمشاهدة قرب ووجد برب ونزظرة إلى حبيب ودنو من قريب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الغافلين الذين هم لنفوسهم واجدون وللخلق مشاهدون ومثال العارفين فيما ذكرناه من فنائهم بشهادتهم ورعايتهم لأمانتهم وعهدهم في وقت قربهم وحضورهم مثل العامل في ليلة القدر العمل فيها لمن وافقها خير من ألف شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر اه منه فالبركو في العمر هي إدراك الأمداد العظيمة في الآماد القليلة كما تقدم وكما بينه بقوله من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمان من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة قلت ليست البركو في العمر بكثرة أيامه وطول أزمانه وغنما البركة في العمر أن تصحبه العناية وتهب عليه ريح الهداية فيدرك في يسير من الزمان من منن الله تعالى أي من علومه ومعارفه وأسراره ما لا بدخل تحت دوائر العبارة لأن ما

أدركه أوسع من ضيق العبارة إذ قال تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقد يدرك العارف من دقائق الأسرار ما تعجز عنه عبارة اللسان كل ذلك في أقل زمان وغالب هذا يحصل من ملاقاة الرجال وصحبتهم فإن المدد يحصل للإنسان في ساعة واحدة معهم لا يحصل في ازمنة طويلة مع غيرهم ولو كثرت صلاتهم وصيامهم إذ ليس قلوبكم وأعملكم ذكره في الجامع والذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والعمل مع المعرفة ليس كالعمل مع الجهل وذلك معلوم قال الشيخ الحضرمي في بعض وصاياه من كان يستمد من محبرة الجمع فهو يكتب ما يكون وما لا يكون طويل طويل طويل. قصير قصير قصير. شيء شيء شيء. ما شيئ ما شئ ما شئ.
عدم عدم عدم. وجود وجود وجود اه فالمعنى طويل طويل والحس قصير قصير والموجود القديم شئ ثابت وما سواه ليس بشئ والسوى عدم والواحد القهار وجود فالذي يكتب من محبرة الجمع أي يستمد من حضرة الجمع يكتب الأشياء كلها ويستمد من الأشياء كلها ويستمد من الأشياء كلها لمعرفته في الأشياء كلها كلها كانت قصيرة او طويلة وجودية او عدمية وبالله التوفيق وسبب البركو في العمر هو التفرغ من الشواغل والشواغب فمن كثرت شواغله وشواغبه لا بركة له في عمره لأنه منع من تصريفه في طاعة مولاه بمتابعة شهواته وتحصيل مناه ومن تفرغ من الشواغل و لم يقبل على مولاه فهو مخذول مصروف عن طريق استقامته وهذان كما أبان ذلك بقوله الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه قلت إذا قلت شواغلك في الظاهر وعوائقك في الباكن ثم لم تتوجه إليه في ظاهرك و لم ترحل إليه في باطنك فهو علامة غاية الخذلان الكبير لأن جل الناس ما حبسهم عن التوجه إلى الله إلا كثرة أشغالهم الحسية فاشتغلت جوارحهم بخدمة الدنيا في اللبالي واليام والشهور والأعوام حتى انقرض العمر كله في البطالة والتقصير فهذا هو الخذلان الكبير ومن الناس من قلت شواغلهم الظاهرة لوجود من قام لهم بها لكن كثرت علائقهم في الباطن لكثرة ما تعلق بهم من الشواغب فهم مغرقون في التدبير والاختيار والاهتمام بامور من تعلق بهم من الأنام لا سيما من كان له جاه ورياسة وخطة أو سياسة فهذا باعتبار العادة بعيد من الإقبال على مولاه إلا أن سبقت له سابقة
عناية فتجره إلى رحمة ربه ورضاه والحاصل أن الخير كله في التخفيف من الشواغل والعلائق والمخاطف فمهما هم بالسير جذبته المخاطف إليها وبقي مرهوناً معها وهو الذي اشار إليه بقوله الكفرة سير القلب في ميادين الأغيار فمن لا تفرغ له لا فكرة له ومن لا فكرة له لا سير له ومن لا سسير له لا وصول له فالفكرة هي سير القلب إلى حضرة الرب وذلك السير في ميادين الأغيار أي في مجال شهود الأغيار ليستدل بها على وجود الأنوار فهذه فكرة أهل الحجاب وفكرة أهل الشهود سير الروح في ميادين الأنوار أو سير فهذه فكرة أهل الحجاب وفكرة أهل الشهود سير الروح في ميادين الأنوار أو سير السر في ميادين

الأسرار فتكلم الشيخ على بداية الفكرة و لم يتكلم على نهايتها ولو تلكم عليهما معاً لكان أحسن كما فعل فيما يأتي حيث قال الفكرة فكرتان الخ وقال الشيخ زروق رضي الله عنه الفكرة انبعاث القوة الإدراكية في عالم الغيب والشهادة ليدرك حقيقة الأشياء على ما هي عليه ومن وجد ذلك فهو عارف اه وقيل إنما عبر الشيخ بالأغيار وهي المخلوقات لقوله عليه السلام وقد رأى قوماً يتفكرون فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون الله حق قدره اه قلت إنما نهى عليه السلام عن التفكر في كنه الذات وإدراك الحقيقة وأما التفكر في عظمة الذات وقدمها وبقائها ووحدانيتها وتجلياتها في ظهورها وبطونها فهذا لا ينهي عنه لأنه سبب المعرفة مع العجز عن إدراك الكنه والتحقيق أن أهل الحجاب لا يحل لهم التفكر إلا في المصنوعات وأما أهل العرفان فلا يتفكرون إلا في عطمة الذات أي في عطمة الصانع وتوحيده وقدمه وبقائه وطهوره واحتجابه وفي الغيبة عن الحس وشهود المعنى أو في الغيبة عن الكون بشهود المكون أو في الغيبة عن الظملة بشهود النور وهو سراج القلب الذي أشار إليه بقوله الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فى لا اضاءة له قلت الفكرة في عظمة الباري وتوحيده نور فإذا كان القلب مشغولاً بالفكرة في عظمة الحق فهو منور بنور الحق وإذا خلا من الفكرة في الحق دخلته الفكرة في الأغيار وهي ظلمة ولا تجتمع الظلمة والنور أبداً فالكفرة سراج القلب فإذا ذهبت الفكرة في الحق انطفأ نوره بدخول ظلمة الكون فلا إضاءة له ولذلك قال الجنيد رضي الله عنه أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله في ميدان الفكرة على بساط التوحيد اه قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أربعة من حازهن فهو من الصديقين المقربين ومن حاز منهن ثلاثة فهو من أولياء الله المقربين ومن حاز منهن اثنين فهو من الشهداء المؤمنين ومن حاز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين أولها الذكر وبساطه العمل الصالح وثمرته النور الثاني الفكرة وبساطة الصبر وثمرته العلم الثالث الفقر وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه الرابع الحب وبساكه بغض الدنيا وأهلا وثمرته الوصول إلى المحبوب ثم بين فكرة البداية والنهاية فقال الفكرة فكرتان فكرة تصديق إيمان وفكرة شهود وعيان قلت فكرة أهل التصديق والإيمان هي سير القلب في ميادين الأغيار فهم يتفكرون في المصنوعات ليتوصولا إلى معرفة الصانع وقدرته وعلمه وحياته وغير ذلك من سائر صفاته وهم الذين وهم الذين قال الله فيهم يؤمنون بالغيب وفكرة أهل الشهود والعيان هي سير الروح في ميادين الأنوار قد انقلبت الأغيار في حقهم أنوار والدلائل مدلولات والغيب شهادة وهم الذين أطلعهم الله على سر قوله تعالى قل انظروا ماذا في السموات والأرض ثم بين حال الفريقين فقال فالأولى لا رباب الاعتبار قلت الفكرة الأولى وهي فكرة تصديق وإيمان لأصحاب الاعتبار وهم أهل الاستدال يستدلون بالصنعة على الصانع وهم السائرون إلى الله بأنوار التوجه والثانية لا رباب الشهود والاستبصار قلت الفكرة الثانية وهي فكرة شهود وعيان هي لا رباب الشهود والاستبصار لأنهم ترقوا من شهود

الدليل إلى المدلول ومن الأثر إلى المؤثر ومن الأغيار إلى شهود الأنوار ومن الفرق إلى الجمع ومن الملك إلى الملكوت فما يشدون إلا أنوار الملزت تدفقت وانصبت من بحار الجبروت فهم غرقي في بحار الأنوار مطوس عنهم وجود الآثار فإن ردوا إليه رأوا قائماً بالله ومن الله وإلى الله فما أعظم قدرهم عند الله وفي مثلهم قال القائل

هم الرجال وغبن أن يقال لمن — لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

حققنا الله بما حققهم به آمين هذا آخر الباب الخامس والعشرين وبها ختمت الأبوابي وما بقي إلا الملاسلات والمناجات وحاصل المراسلات ثلاثة كتب وجواب فأول الكتب رسالة في السولك إلى حضرة ملك الملوك بدايتها ونهايتها ونصها وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض أخوانه أما بعد فإن البدايات مجلاة النهايات قلت البدايات ما يظهر على المريد في أول دخوله من مجاهدة ومكابدة وصدق وتصديق وهو مظهر ومجلاة للنهايات أي يتجلى فيها ما يكون في النهايات فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته فمت رأيناه جاداً في طلب الحقي باذلاً نفسه وفلسه وروحه وعزه وجاهه ابتغاء الوصول إلى التحقق بالعوبدية والقيام بوظائف الربوبية علمنا إشراق نعايته بالوصول إلى محبوبه وإذا رأيناه مقصراً في ذلك علمنا قصوره عما هنالك وأنشدوا

بقدر الكد تكتسب المعالي — ومن طلب العلى سهر الليالي
تريد العز ثم تنام ليلاً — يغوص البحر من طلب اللئالي

وبالجملة من رأيته صادق العزم في البداية فاعلم أنه من أهل العناية ومن كان في سلوكه معتمداً على الله ومفوضاً أمره إلى الله كانت غاية سلوكه الوصول إلى الله كما نبه عليه بقوله ومن كانت بالله بدايته كانت إليه نهايته قلت البداية بالله هي أن لا يرى لنفسه حولاً ولا قوة لا في عمل ولا في حال ولا في مجاهدة ولا مكابدة بل ما يبرز منها من الأعمال أو من الأحوال رآه منة من الله وهدية إليه فإن كان هكذا فقد صحت بالله بدايته وإليه تكون نهايته ومما يتأكد النظر إليه في البداية تصحيح ما يفتقر إليه في سلوكه من علم الشريعة وعلم الطريقة فالعمل بلا علم جناية والعلم عمل وسيلة بلا غاية وفي ذلك قيل

إذا كنت ذا عمل ولم تك عالماً — فأنتن كذى رجل وليس له نعل
وإن كنت ذا علم ولم تك عاملاً — فأنت كذى نعل وليس به رجل
جوادك مسبوق إلى كل غاية — وهل ذو جوادرئ يسبقه البغل

وقد ذيلتها ببيت تكميلاً للأقسام فقلت

وإن كنت ذا علم وحال وهمة — جوادك سابق يصح له الوصل

فإذا حصل المريد ما يحتاج إليه في بدايته من إتقان طهارته وصلاته وصومه فليشتغل بطاعة ربه ويعرض عما يشغله عنه كما أبان ذلك بقوله والمشتغل به هو الذي أحببته وسارعت إليه والمشهل عنه هو المؤثر عليه قلت ألي موصولة في الموضعين أي الذي تشتغل به في جميع أوقاتك وتصرف إليه كليتك هو الحبيب الذي تسارع إليه وأفضل أشغالك ذكره وليكن ذكراً واحداً وقصدوا واحداً وقصدوا واحداً تبلغ مرادك إن شاء الله والذي تشتغل به وتقصده هو الذي أحببته وسارعت إليه والذي نغيب عنه هو الذي تركته وآثرت حب الله عليه فلا جرم أن الله يبلغك ما تريد أن الله يرزق العبد على قدر همته وأنشدوا

إذا العبد ألقى بين عينيه عزمه ... وأعرض عن كل الشواغل جانباً

فقد زال عنه العار بالعزم جالباً ... عليه قضاء الله ما كان جالباً

وقيل أن علامة الصادق أن لا يرضى بدون الغاية أبداً مع أن الغاية لا تدرك أبداً وقال الفضيل من رأيتموه وكلامه حكمة وصمته فكرة ونظره عبرة فلا تهتموا منه فإنه قد قطع عمره في عبادة وسكلوكه أبداً في زيادة ومن رأيتموه يطيل الأمل ويسيء العمل فاعلموا أن داءه عضال اه وأعظم ما يشتغل عنه المريد ويغيب عنه حب الدنيا فاته سم قاطع ولا يمكن السير إلى الله بصفاء القلوب مع بقاء شئ منها وقليلها ككثيرها روى أن بعض المريدين قام ليلاً لعبادته فلم يجد قلبه فقال إذا أصبحت شكوت هذه الوسوسة للشيخ فوقف الشيطان على الشيخ وقال أن فلاناً يريد أن يشكوني وأنا ما ظلمته أن الدنيا بستاني وأنا أحرسها فمن أخذ مني شيئاً لا أتركه حتى يترك ما أخذ فلما أصبح جاء الشيخ فقال له الشيخ جاء إبليس يشتكي بك ما الذي أخذت له فقال يا سيدي خلق ثوبي فطلبت إبرة لا رقعة فقال له أخرجها له وقل لنفسك الموت أقرب من ذلك فطرحها فوجد قلبه وأنشدوا

لا تحقرن ضعيفاً عند رؤيته ... أن البعوضة تدمى مقلة الأسد

وللشرارة حقري حين تنظرها ... وربما أضرمت ناراً على بلد

ثم هذا الذي تشتغل به وتسارع إليه هو أيضاً يطلبك ويسارع إليك وأن تقربت إليه شبراً تقرب إليك ذراعاً كما أبان ذلك بقوله ومن أيقن أن الله يطلبه الطلب إليه قلت اليقين هو سكون القلب وطمأنينته بحيث لم يبق فيه اضطراب ولا ريب في جميع الأمور وطلب الله لعبده من وجود منها أنه يطلبه بالقيام بحقوق العبودية ووظائف الربوبية ومنها أنه يطلبه بالتوجه إليه والفرار مما سواه ويطلبه بالعطوف في حضرته على بساط الأدب والمحبة فمن أيقن أن الله يطلبه بهذه الوجوه صدق الطلب إليه وصدق الطلب هو أفراد القلب والقالب لجهة المطلوب بحيث لم يبق له التفات لغيره فلم يثق إلا به ولا يعتمد إلا عليه

كما أشار إلى ذلك بقوله ومن علم أن الأمر كله بيده انجمع بالتوكل عليه قلت قال تعالى إليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وقال قل أن المر كله لله فمن علم أن الأمور كلها بيد الله أمر الدنيا وأمر الآخرة والنفوس والقلوب لم يبق له نظر إلى سواه وانجمع بكليته عليه قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي كافيه ومن كان الله كافيه ماذا يفوته حكى عن بعض المشايخ أنه دخل برية الحجاز مع أصحابه بغير زاد فلما طالت عليهم المدة وأجهدهم الجوع انحرف الشيخ عن الطريق وهز شجرة فأسقطت رطباً جنياً فأكلوا منها إلا شاباً فقال له الشيخ لم لم تأكل قال أني نويت التوكل على الله ورفضت الأسباب جملة فكيف أجعلك عندي بمنزلة السبب حتى تكون النفس متشوقة لما علمت منك ثم لم يصحبهم تصيحاً ليقينه واتمام لعقده ومما يعين على تحقيق اليقين وصدق التوكل رفض الدنيا وأهلا وإليه أشار بقوله وأنه لا بد لناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه قلت قد حكم الله على هذا الوجود الظاهر أن يصير باطناً فلا بد أن تنهدم دعائمه وهي ما يستقيل به وجوده في العادة وهي هنا استعارة عن هدم وجوده وتبديله في خلق آخر قال تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وقال تعالى كل شيء هالك إلا وجهه على تأويل أهل الظاهر ولا بد أيضاً أن تسلب كرائمه والمراد زوال بهجته وجماله وهي زينة الدنيا التي ذكرها الله بقوله زين للناس حب الشهوات فمن تيقن بفناء هذا الوجود وزوال هذا العرض الفاني جعل الدنيا محلا للعبور يعبر بها إلى دار البقاء فيصير على شدتها ولأوائها حتى تتقضى عنه أيام الدنيا فهذا هو العاقل الذي ذكره بقوله فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه لما هو يفني قلت لأن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور والأنابة إلى دار الخلود والتزود لسكني القبور والتأهب ليوم النشور كما قال عليه السلام فالعاقل هو الذي يميز بين الحق والباطل والنافع والضار والحسن والقبيح وكل ما يفنى وأن طال فهو قبيح وكل ما يبقى وأن غاب فهو مليح قال بعضهم يا عجباً للمطمئن للدنيا والراطن إليها والحريص عليها وهو يرى سرعة زالها وكثرة تقلبها ومفاجأة نوائبها وأنشدوا

أين الملوك وأبناؤ الملوك ومن ... كانوا إذا الناس قاوموا هيبة جلسوا
كأنهن قط ما كانوا قط ما كانوا و لا خلقوا ... ومات ذكرهم بين الوري ونسوا
حطوا الملابس لما ألبسوا حللا ... من التراب على أجسادهم وكسوا

قال مالك بن دينار مررت بمقبرة فوجدت بهلول المجنون قاعداً بين القبور وهو عريان إلا ما يستر العورة فأتيت نحوه لاستفيد من طرائفه فوجدته تارة ينظر إلى لسماء فيستهل وتارة يتظهر إلى الأرض فيعتبر وتارة ينظر عن يمينه فيضحك وتارة ينطر عن شماله فيبكي فسلمت عليه فرد على السلام فسألته عما رأيت من

حاله فقال يا مالك أرفع رأسي إلى السماء فأذكر قوله تعالى وفي السماء فأذكر قوله تعالى وفي المساء رزقكم وما توعدون فأستهل وانظر إلى الأرض فأذكر قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فأعتبر وأنظر عن يميني فأذكر قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فأضحك وأنظر عن شمالي فأذكر قوله تعالى وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فأبكى فقلت يا بهلول أنك لحكيم أتأذن لي أن أشتري لك قميص قطن قال افعل فسارعت للسوق وأتيته بقميص قطن فنظر إليها وقلبه يميناً وشمالاً ورمى به إلي وقال ليس مثل هذا أريد قلت وكيف تريده قال أريد قميصاً من الإخلاص محفوظاً من الدنس والانتقاض غرس قطنه بالحقائق وحرس من جميع البوائق سقاه جبريل بماء السلسبيل فأينع حسناً وأثمر قطناً فلقطته أيدي الكرام البررة التالين سورة الحمد والبقرة ثم حلجته أكف الوفاء بعز وصفاء من غير جفاء ثم نخلته الأوتار المتصلة بالأنوار وغزلته مغازل الحمد والثناء بالمحبة والاعتناء جعلت الجنة لنا سجة ثواباً وكان هو للأبسة من النار حجاباً فهل تقدر يا ملك على مثل هذا فقلت إنما يقدر عليه من خصك بوصفه وألهمك لمعاينته وكشفه ثم قلت يا بهلول صف لي لألبس هذا القميص فقال نعم إنما يلبسه من خصه الله بأنواره وكتبه في ديوان أبراره وأحياه بالسابقة وقواه بالعزيمة الصادقة فجسمه بين الخلق يسعس وقلبه في الملكوت يرعي فلا يتكلم بغير ذكر الله لفظة ولا ينظر لغير اله لحظة ثم صاح صيحة عظيمة وقام وهو يقول إليك فر الهاربون ونحوك قصد الطالبون وببابك أناخ التائبون اه اللهم أنا قد وقفنا ببابك فلا تطردنا ونحن انتسبنا لجنابك فلا تحرمنا يا أرحم الراحمين ثم من فرح بالباقي وأعرض عن الفاني تشرق عليه الأنوار وتلوح له الأسرار كما أبان ذلك بقوله قد أشرق نوره وظهرت تباشيره قلت قد أشرق نوره بحلاوة الزهد في الدنيا والإقبال على المولى لأن حب الدنيا ظلمة فإذا خرج من القلب دخله النور وهو حلاوة الزهد وراحة القناعة ويرد الرضي ونسيم التسليم وظهرت تباشيره أي مبشرات تبشره بالإقبال وروح الوصال وجنة المعارف والجمال وأنشدوا

إذا هبت علينا من حماكم   نسيمات تذكرنا الوصالا
مبشرة بإقبال وسعد   وعز دائم دهراً طويلاً
مبلغة شذا تلك المعاني   مذكرة رباها والطلولا
فذلك خير وقت بالمعني   وأحسن ما تعاطي السلسبيلا

فحين أشرق نوره وظهرت تباشيره أعرض عن الدنيا بالكلية كما أبان ذلك بقوله قصدف عن هذه الدار مغضياً وأعرض عنها مولياً قلت الصدوف هو الأعراض والتولي أي فأعرض هذا السائر إلى الله عن الدنيا بحذافيرها مغضياً بصره أي مغمضاً عيني بصيرته عن النظر إلى زهرة هذا الدار وبهجتها ممتثلاً في ذلك قول

المولي لرسوله لمصطفى ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً أي أصنافاً من الكفار زهرة الحياة الدنيا لتفتنهم فيه وأعرض عن هذا قلباً وقالباً مولياً ظهره عنها مقبلاً بوجهه إلى المولى قال الشطبي واعلمم أن الأعراض عن الدنيا إنما هو بالقلب ومتى كان القلب معلقاً بها لم ينفع زوالها من اليد ولا قطع أسبابها بل المطلوب زوالها من القلب سواء كانت في اليد أو لم تكن قال تعالى لمن أعطاه ملك الأرض بحذافيرها سليمان عليه السلام هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب وقال فيه أيضاً نعم العبد أنه أواب وقال تعالى لمن نزعها منه بحذافيرها سيدنا أيوب عليه السلام ووهبنا له أهله ومثلهم معهم ثم قال أنا وجدناه صابراً نعم العبد أنه أواب لكن من علامة حب الآخرة ترك الدنيا وعلامة تركها أن لا يفرح بالموجود منها ولا يتأسف على ما فاته منها ولا يمكن ذلك إلا بترك الإنتصار للنفس ومخالفتها وأنشدوا

يا نفس في التقريب كل مذلة ... فتجرعى ذل الهوى بهوان

وإذا حللت بدار قوم دارهم ... فلهم عليك تعزز الأوطان

وسئل الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن الدنيا فقال أخرجها من قلبك واجعلها في يدك فإنها لا تضرك وقال الحضرمي رضي الله عنه ليس الرجل الذي يعرف كيفية تفريق الدنيا فيفرقها إنما الرجل الذي يعرف كيفية أسماكها فيمسكها قال الشيخ زورق رضي الله عنه لأنها كالحية وليس الشأن في قتل الحية إنما الشأن في اساكها حية اه وقد يقصد بترك الدنيا ما هو أعظم من الدنيا كحب الجاه والرياسة وغير ذلك من الحظوظ ولذلك قيل من أراد أن يكون منه شئ فلا يأتي منه شئ لأنه عبد لارادته وعامل لحظ نفسه فإذا انقطعت عنه الحظوظ النفسية والشهوات الدنيوية صح قصده إلى الله وانفراد قلبه بالتوجه لمولاه قلت ولا بي الأنوار التطواني قصيدة في هذا المعنى قال في بعضها

ومن كان قصده في نيل ما ... يريد فما قام بالحجة

واصل طريقنا وارفض العلل ... مع الصبر وارفع للهمة

وحسب المحب مشاهدة ... يقيناً لم يبدو من حضرة

وفهمك عنه جدير بأن ... يعوضك المنع بالمنحة

وأبو الأنوار هذا تلميذ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي وقبره بتطوان بالمصلى القديمة لناحية القصبة نفعنا الله بذكره ثم أن من أعرض عن الدنيا لا وطن له فيها وإنما وطنه عند مولاه كما بين ذلك بقوله فلم يتخذها وطنا ولا جعلها سكنا قلت لأن من توطن الشئ فقد قام فيه والسائر لا مقام له إلا عند مولاه

وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول في شأن الدنيا أعبروها ولا تعمروها وقال عليه السلام مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب سافر في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح عنها وتركها فليست الدنيا دار إقامة ولا سكنا وإنما هي قنطرة من هنا إلى هنا فالعارف لا يكون مع غير الله قراره لأن همته كلها عند الله كما قال بل أنهض الهمة فيها إلى الله وصار فيها مستعيناً به في القدوم عليه قلت النهوض هو القيام كأن السائر إلى الله أنهض همته وأقامها من هذا العالم يريد بها دخول عالم الملكون وأنها الهمة يكون بانتثال أمره والاستسلام لقهره والاستعانة به على سفره وهو معني قوله وسار فيها مستعيناً به في القدوم عليه والقدوم على الله هو الوصول إلى معرفته وتحقيق العلم به ولا يصح ذلك إلا بالتبري من الحول والقوة ومن ظن أن اجتهاده يوصله لمرغوبه فقد جهل ومن صح اعتماده على الله وصل ثم بين السر فقال فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها قلت المطية في اللغة هي المركوب واستعيرت هنا للعوم القوي أي فما زال عزمه قوياً وروحه شائقة لا يقر قرارها أي لا يسكن قرارها في موطن دونت سيدها لأن الشوق أقلقها وخوف فوات اللحوق أزعجها فهي في السير على الدوام كما قال دائماً تسيارها قلت إنما دام سيرها لقلة عوائقها لأنها لما أعرضت عن الدنيا مولية عنها قلت عوائقها لأن الدنيا شبكو العوائق وأصل العلائق وكل من قطع عروقها من قلبه ذهبت عنه العلائق كالشيطان الذي هو أبوها فلما طلق له بنته تركه وكالنفس لأن قوامها الدنيا فلما ذهبت ماتت وكالناس لأن الدنيا جفة والناس كلابها فلما تركت لهم جيفتهم سلمت منهم فدام سيرها إلى أن وصلت إلى أصل وطنها وهي الحضرة كما بينه بقوله إلى أن مت بحضرة القدس وبساط الأنس قلت الإناخة هي النزول وحط الحمول ولما وصلت الروح إلى مشاهدة الأحباب وفتح لها الباب أزالت ما كان عليها من الأثقال وجلست على بساط النزاهة والكمال وهي حضرة القدس أي التنزيه التي هي دائرة الولاية المقتضية للعبد تحققه بتقديس مولاه عن كل وصف لا يليق بذاته حتى عرف أنه أحل من أن يعرف وأعظم من أو يوصف فيقول لا أحصى ثناء بمولاه فيأنس به دون ما سواه في عين اجلاله والهيبة منه تعظيماً لا فرقاً أو تذللا في عين الإذلال فافهم قاله الشيخ زروق رضي الله عنه وبساط الأنس هو محل الفرح بقرب الحبيب ومناجاة القريب ليغيب عن كل شئ ويتأنس به في كل شئ ثم بين أسرار الحضرة وهي ست فقال في محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة قلت أما المفاتحة فهي مفاتحة علم الغيوب فأنت تفاتحه بطلب العطاء وهو يفاتحك بكشف الغطاء أنت تفاتحه بطلب الزيادة وهوي فاتحك بتوالي الإفادة أنت تفاتحه بالترقي في المقامات وهو يفاتحك بأسرار العلوم والمكاشفات وأما المواجهة فهي مواجهة أنوار الملكوت وأسرار الجبروت فأنت تواجهه بأنوار التوجه وهو يواجهك بانوار المواجهة وهي كشف الحجاب وفتح الباب أنت تواجه بالطاعة وهو يواجهك بالمحبة وأنت تواجهه بالإقبال وهو يواجهك وبالوصال أنت تواجهه باستكشاف أنوار الملكوت

وهو يواجهك بكشف أسرار الجبروت وأما المجالسة فهي مجالسة الأدب والهيبة فأنت تجالسه بالأدب والحياء وهو يجالسك بالتقريب والاجتباء أنت تجالسه بمراقبته وهو يجالسك بحفظه ورعايته أنت تجالسه بذكره وهو يجالسك ببره أنا جليس من ذكرني كما في الحديث وأما المحادثة فهي المكالمة القلبية وهي الفكرة والجولان في عظمة الجبروت فأنت تحادثه في سرك بمناجاته وسؤاله وهو يحادثه بمزيد إحسانه ونواله أنت تحادثه بدوام حضوره قي سرك ولبك وهو يحادثك بالقاء العلوم الأسرار الحكم في قلبك أنت تحادثه في عالم الشهادة وهو يحادثه في عالم الغيب وفي التحقيق ما ثم إلا عالم الغيب ظهر في عالم الشهادة وفي هذا المعنى قال الجنيد في عالم الشهادة وهو يحادثه في عالم الغيبي وفي التحقيق ما ثم إلا عالم الغيب ظهر في عالم الشهادة وفي هذا

المعنى قال الجنيد لي أربعون سنة وأنا تحدث والناس يرون أني تحدث الخلق وقالت رابعة العدوية رضي الله عنها

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي	وأبحت حسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس	وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وأما الماشهدة فهي كشف حجاب الحس عن نور القدوي أو تقول أو تقول كشف رداء الصون عن الكون فأنت تشاهد ذاته في عالم ملكوته وهو يشاهدك في عالم ملكه أنت تشاهد ربوبيته وهو يشاهد عبوديتك والحاصل أنا المشاهدة من العبد هي شهود العظمة كما قال شيخنا رضي الله عنه ومشاهدة الرب للعبد هي إحاطة علمه بأحواله وأساراه وأما المطالعة فهي مطالعة أسرار الملك والملكوت والجبروت وأسرار القدر فأنت تطالعه بالتوجه إليه وهو يطالعك بالترقي إليه أنت تطالع موقع قضائه وقدره فتتلقاها بالقبول والرضي وهو يطالع أحوالك وسرائرك فيكشف عنك الحجب ويوسع عليك الفضاء أنت تطالعه بالتقريب والإقبال وهو يطالعك بالمحبة والوصال فيتلقاك بإقبال والوصال وهذه السرار لا يذوقها إلا أهل الأذواق فكل واحد يذوق منها على قدر شربه ووجده والله تعالى أعلم فإن سكنت الروح في هذه المراتب صارت الحضرة مأواها ومثواها كما بين ذلك بقوله فصارت الحضرة معشش قلوبهم إليها يأوون وفيها يسكنون قلت عش الطير وكره الذي يأوي إليه فكأنه أوراح العارفين طيور الحضرة تطير في الملكوت وتسرح في الجبروت ثم تأوى إلى عش العبودية في الظاهر وعش الشهود في الباطن فالحضرة التي هي معشش قلوب العارفين هي حضرة الذا إليها يأوون أي يرجعون بعد الطيران إلى فضاء الملكوت وأسرار الجبروت وفيها يسكنون لا يخرجون منها أبداً كما قال تعالى لا يمسهم فيها نصب وما هم منها

بمخرجين ومحلها في أعلى عليين وهو عرش قلوب العارفين فإن نزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبإلاذن والتمكين والرسوخ في اليقن قال الشيخ زروق رضي الله عنه التوحيد عرش والشريعة المطهرة كرسي ذلك العرش والحقوق المفضلة فيها سماؤها والحظوظ النفسانية أرضها فكل حقيقة لا تصحبها شريعة لا عبرة بصاحبها وكل شريعة لا تعضدها حقيقة لا كمال لها اه قلت الترول هنا مجاز كانه الحجرية عرش والعبودية سماء أو أرض أو تقول الحقيقة عرش والشريعة أرض فما دامت الروح في بحر الوحدة كأنها في عرش الرحمن فإن نزلت إلى العبودية كانها نزلت إلى السماء أو الأرض وظاهر كلام الشيخ ومن تبعه من الشراح أن الترول إلى سماء الحقوق أر أرض الحظوظ خروج عن الحضرة وليس كذلك إذ من كان عمله بالله وتصرفاته كلها بالله لا خروج له عن الحضرة وإنما الترول في حقه بالقالب فقط دون القلب لا يخرج من عشه أبداً بعد أن تمكن منه فكل من بلغ أن يكون علمه بالله ومن اله وإلى الله لا يكون تتزله للشريعة خروجاً عن الحضرة لا سيما الصلاة التي هي معدن المصفاة فبها تتسع مسادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار اللهم إلا أن يحمل الترول في كلامه على أنه بالقلب دون القلب كما تقدم ويدل على هذا قوله فيما يأتي بل دحولا في ذلك الله الخ قا لا لشعراني في بعض أجوبته سألت شخنا سيدي علياً الخواص أي الحالتين افضل للعبد في حال الصلاة هل يكون يعبد الله كانه يراه أو كأن الله يراه قال فأجابني يأن يكون العبد يعبد الله كأن الله يراه أفضل من كونه كأنه يراه ثم أطال الكلام في توجيه ذلك قلت وذد كنت اعتراضت هذا الكرم وكتبت عليه ما مضمنه أن العارفين اتفقوا أن العمل بالله أفضل من الصلاة مع المراقبة وما ألزمه الخواص غير لازم ثم عرضته على شيخ شخنا مولاي العربي ففرح به غاية وأعجبه يعني أعتارضي على كلام الخواص ولا يستغرب هذا من الخواص والشعراني قال في التسهيل وإذا كانت العلوم منحا الأهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لكثير من المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين ونزولهم إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ إنما يكون بالإذن والتمكين أما الإذن في نزولهم إلى الحقوق بإذن شرعي إذ حقوق الشريعة كلها موقتة والتمكين فيها هو سهولتها والتمكين منها بحيث لا يعارضه عارض يمنع شرعاً أو طبعاً وأما الأذن في نزوولهم إلى أرض الحظوظ فبالإلهام والإعلام بحيث يتأني في الأمر حتى يفهم أنه مراد الحق تعالى وقد كان شيخ المشايخ الجياني رضي الله عنه في حال سياحته لا يأكل حتى يتأنى في الأمر حتى يفهم أنه مراد الحق تعالى وقد كان شيخ المشايخ الجياني رضي الله عنه في حال سياحته لا يأكل حتى يقال له بحقي عليك إلا ما أكلن قلت وكل من كان عنده الفهم عن الله لا يتصرف إلا بالأذن من الله وبعض من طبع الله على قلبه من جلاودة الفقهاء ينكر هذا

وهو معذور في بلاد الضعف إذ من جهل شيئاً عاداه والمراد بالتمكين هو صحة الفهم عن الله حتى لا

يبقى له تزلزل أنه مراد الحق بحيث لم ير له معارض شرعي ولا عادي وكذلك الرسوخ في اليقين هو الثبوت فيالمعرفة في حال ارادة الفعل وقد ضربت لهذا مثلاً وهو أن رجلاً حمل ولده وأنزله في بستان أو دار ثم تركه فجاء قوم ينازعونه في إذن أبيه له ويقولن له نزلت هنا بغير إذن فلا شك أنه أن أقسم بالله أنه ما نزل من أبيه كان باراً في قسمه فإذن أبيه حين أنزله هناك صريح ولو لم ينطق له بلسانه ولا يجحدها هذا إلا عبي أو مكابر فالله تعالى بمن علينا بالفهم عنه في أمورنا كهلا آمين ثم ذكر مفهوم قوله بالإذن والتمكين فقال فلم يترلوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة قلت أما الترول بسوء الأدب فهو أن يكون نزولهم في طلب الأجور أو الحروف وهو الجزاء وأما الغفلة فهي رؤية النفس في حال العمل وهو عندهم ذنب يستغفرون منه فاستغفارهم بعد الصلاة إنما هو من حضور نفوسهم في عملهم ولذلك قيل

وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

والحاصل أن أهل الحضرة نزولهم بالله وعملهم بالله لا يرون لأنفسهم حولاً ولا قوة ولا يطلبون من ربهم جواء ولا أجرة إذ محال أن يطلب الجزاء على عمل غيره هذا في حال نزوهلم إلى سماء الحقوق وأما نزولهم إلى أرض الحظوظ فإنما هو لا داء حقوق العبودية فليس نزولهم بشهوة النفس ونيل متعتها لتحقق فنائها وموهما قد انقلب حظوظهم حقوقاً ولأجل المعنى قال سيدنا عمر رضي الله عنه أني لأتزوج النساء وأجامعهن وليس لي في ذلك شهوة قالوا و لم تفعل ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء أن يخرج الله من صلبي من يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم أمته وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إذا وافق الحق الهوى كان الكزبد مع العسل يعني إذا وافقت النية الصالحة الهوى كان الزبد مع العسل وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعاً لما جئت به فتحصل أن مقام الزوال يقتضي الفناء عن الحظوظ كلها و لم يبق إلا الواحد الأحد كما أبان ذلك بقوله بل دخولا في ذلك بالله ولله ومن الله وإلى الله قلت بل للإضراب عما تقدم من دخولهم في الحقوق بسوء الأدب والغفلة أو نزولهم لأرض الحظوظ بالشهوة والمتعة وإنما دخلوا في الحقوق أو الحظوظ بالله لتحقق فنائهم عن أنفسهم ولله لتحقق اخلاصهم ومن الله لشهودهم الفعل من الله وإلى الله لتحققهم أن الأمور ترجع كلها إلى الله قال تعالى وإليه يرجع الأمر كله فاعبد وتوكل عليه فأمر العباد كله قائم بالله وصادر منه ومنته إليه.

ثم استدل بالآية الكريمة على أن الدخول في الأشياء والخروج منها يكون باللهي فقال وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ليكون نظري إلى حولك وقوتك إذا أدخلتني وانقيادي إليك إذا

أرخرجتني واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً وينصرني ولا ينصر على ينصرني على شهود نفسي ويغيبني عن دائرة حسى قلت الآية لها تفسير ظاهر وتفسير باطن اه أعني على طريق أهل الإشارة أما تفسير أهل الظاهر فقالوا هذه الآية نزلت في فتح مكة وأن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الدعاء عند دخولها حال فتحتها ومعناه رب ادخلني مكة مدخل صدق أي إدخال صدق بأن يكون دخولي بك واعتمادي عليك ناصر الدينك بحولك وقوتك وهذا كقوله عليه السلام في بعض أدعيته حين كان يقدم من سفره صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأخرجني من مكة مهاجراً إلى جهاد عدوك مخرج صدق أي أرخا صدق بأن نكون منصوراً بك معصوماً بحفظك ورعايتك واجعل لي من لدنك سلطاناً أي برهاناً دامغاً لكل باطل نصيراً ينصرني على من عاداني وأما تفسير أهل الباطن فهو ما أشار إليه الشيخ رضي الله عته مستدلاً بالآية على أن دخول العارفين في الأشياء كلها يكون ابلله وخروجهم منها يكون بالله فقال وقل أيها العارف رب أدخلني في الأشياء حقوقاً كانت أو حظوظاً مدخل صدق أي إدخال صدق بأن يكون ذلك الإدخال بك معتمداً فيه على حولك وقوتك متبرئاً من حولي وقوتي ومن شهود نفسي وأخرجني منها مخرج صدق أي إخراج صدق بأن نكون مأذوناً بإذن خاص مصحوباً بالخشية وسر الإخلاص وهذا معنى قوله ليكون نظري إلى حولك وقتك إذاي أدخلتني في الأشياء وانقيادي إليك إذا أخرجتني منها واجعل لي من لدنك أي من مستبطن أمورك بلا واسطة ولا سبب سلطاناً أي برهاناً قوياً وليس ذلك إلا وارد قوى من حضرة قهار لا يصادمه شئ إلا دمغه فيحق الحق ويزهق الباطل ويكون ذلك السلطان ينصرني ولا ينصر على أي ينصرني على الغيبة عن الحس وعن شهود السوى حتى نعد عنهما برؤية مولاهم أمن ولا ينصر على الوهم والحس وشهود الغيرية ثم بين ذلك فقال ينصرني على شهود نفسي أي يقويني على الغيبة عنها فإذا انتصرت على شهودها انهزم عني وذهب شهودها وبقي شهود ربها فالنصرة على الشيء هو غلبته حتى يضمحل وينقطع وكان شهود النفس عدو يحاربك ويقطعك عن شهود ربك فإذا نصرك الله عليه ودفعته عنك فتتصل حينئذ بشهود نحبوبك وإذا فنى شهود النفس فنى حينئذ وجود الحس وهو معنى قوله ويفنيني عن دائرة حسى فإذا فنيت دائرة الحس بقي متسع لمعاني وفضاء الشهود وهذه هي الولادة الثانية فإن الإنسان بعد أن خرج من بطن أمه وهي الولادة الأولى بقي مسجوناً بمحيطاته محصوراً في هيكل ذاته فد التقمه الهوى وصار في بطن الحس والوهم وسجن الأكوان المحيطة بجسمانيته فإذا فنيت دائرة حسه وخرج من بطن عوائده وشهوات نفسه نقبت روحه الكون بأسره وخرجت إلى شهود مكونها فقد ولد مرة ثانية وهذه الولادة لا يعقبها فناء ولا موت قال تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وهذا معنى قول سيدنا عيسى عليه السلام ليس منا من لم يولد مرتين هكذا ذكره الشطيبي من قول عيسى عليه السلام.

وقال بعض الحكماء في قوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادونية قال الهجرة هجرتان هجرة صغرى وهي مهجرة الإجساد من أوطانها وهجرة كبرى وهي هجرة النفوس عن مألوفاتها وعوائدها وهو معنى قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر تجعل الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والد جهاد الأصغر هو جهاد الجسم وقال أيضاً عليه السلام الهجرة باقية إلى يوم القيامة يعني الهجرة الحسية والمعنوية فكل بلد لا يجد فيها من يعينه على دينه أو لا يجد فيها قلبه تجب الهدرة عنها وكل شهوة نقطعه عن ربه تجب الهجرة عنها وبالله التوفيق هذا آخر الكتاب الذي أرسله إلى بعض أخوانه وحاصله بيان السلوك من أوله إلى آخره فهو يكفي ذوى الألباب عن مطالعة كل كتاب ثم ذكر الكتاب الثاني الذي أرسله لبعض إخوانه أيضاً فقال وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض إخوانه قلت وكانت الرسالة المتقدمة في بيان السلوك بدايتها ونهايتها وهذه الرسالة في بيان الوصول إلى بحر الحقيقة مع مراعاة حرمة الشريعة طرفان وواسطة قوم فرطوا وقوم أفرطوا وقوم توسطوا وجمعوا بين الشيخ الأقسام الثلاثة تتميماً للتقسيم فأشار إلى أصل التقسيم فقال أن كانت عين القلب تنظر أن الله واحد في منته فالشريعة تقتضي أن لا بد من شكري خليقته قلت عين القلب هي البصيرة ومن شأنها أن لا ترى إلا المعاني لا يرى إلا الحس وهو الغافل ومن غلبت بصيرته على بصره لا يرى إلا المعاني وهو معاني التوحيد وأسرار التفريد فالبصيرة لا تري الأنوار الحق جون ظلمة الخلق لكن لا بد من إثبات الحكمة وقد تقدمن قوله الأكوان ثابتة بإثباته ممحوة بأحدية ذاته قلا بد من إثباتها قياماً بالحكمة ونفيها قياماً بالوحدة فإن كانت عين القلب تنظر إلي أن الله واحد في منته بل واحد في جميع تصرفاته فالشريعة والحكمة تقتضي أي تطلب أن لا بد من شكر خليقته قال تعالى أن اشكر لي ولوالديك فإذا أنعم الله عليك بنعمة كانت دنيوية أو دينية على يد واسطة فعليك في ذلك وظيفتان أحداهما قلبية وهي اعتقادك أنها من الله بلا واسطة وأن ما سواه مقهور على إيصالها والثانية لسانية وهي أن تدعو له وتثنى عليه عملاً بالشريعة فقد روى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسمائه تعالى الشكور فليتخلق العبد بذلك وحكمة اعتبار الواسطة ثلاثة أولها أنها أرسال من الحق تحمل الهدايا إليك ومن الكرم إكرام الرسل وثانيها أنها أواني تصل فيها إليك المنافع ومن الحكمة ترفيع آنية المنافع وثالثها ما في ذلك في دفع منة الوهم إذا الوهم يقتضي بطبعه الميل لمن أحسن إليك فإذا كافأته بالبلسان فقد اعتقت من رق إحسانه ثم قسم الناس باعتبار الحقيقة إلى طرفين وواسطة كما تقدم فقال وأن الناس في ذلك على أقسام ثلاثة أما واقف مع الحس ناظر الأسباب أو غائب عن الحس وعن رؤية الأسباب أو جامع بينهما أو تقول أما عامة أو خاصة أو خاصة الخاصة ثم أشار إلى الأول فقال غافل

منهمك في غفلته أي مسترسل في غفلت مستغرق في نومه لا يبالي بما قوع منه ولا يتبنه من نومه ثم بين أصل غفلته فقال قويت دائرة حسه أي قوى تكثيف حسه الدائر به فتكثيف حينئذ حجابه وعظم جهله فعظمت غفلته ولو فنيت دائرة حسه لا تصلت روحه بعالم الملكوت أو الجبروت فلم تر إلا الجمع أو تري الجمع في عين الفرق والفرق في عين الجمع لكن لما قويت دائرة حسه انطمس نور بصيرته كما قال وانطمست حضرة قدسه أي اطمست عنه حضرة القدس وهس شهود المعاني الملكوتية لانطماس بصيرته لأن هذه المعاني لا تدركها إلا البصيرة فملا من انطمست البصيرة بقوة كثافة الحس انطمس نور حضرة القدس عنه ثم ذكر ما نرتب على انطماس حضرة القدس وهو شهود الخلق دون الحق فقال فنظر الإحسام من المخلوقين و لم يشهد من رب العالمين قلت كل من لم يفن عن دائرة حسه و لم يغب عن شهود نفسه بشهود ربه لا يطمع أن يتحرر من رق إحسان الخلق أما اعتقاداً أو اتناداً ولو جاهد نفسه في مراعات التوحيد فلا بد من الطبع أن يسرق بخلاف من تحقق بالزوال وغرق في بحر الوحدة فلا يسرقه شيء وعلى تقدير غفلته فيكون سريع الانتباه ثم بين تحالي الفريقين في نظر الإحسان من المخلوقين فقال أما اعتقاد فشرك جلى أي لا خفاء في أن من نسب الفعل
لغير الله استقلالاً أنا كافر خارج عن الإيمان وأن كان ظاهره متوسماً بوظائف الشريعة لأن من اعتقد خالقاً أو رزاقاً مع الله استقلالاً فهو كافر بالإجماع.

ثم ذكر الثاني بقوله وأما استناد فشرك خفي قلت الاستناد هو الميل الخفي بحيث إذا قلت له من الذي رزقك يقول الله لكن الغالب أن قلبه يسبق إلى رؤية الخلق قبل رؤية الخالق وربما يقول بلسان أن الحال أو المقال لولا الذي جاء من قبله ما كان ولولا الأسباب ما كانت المسببات فوقوفه مع ارتباط الأسباب لتبرأ من الشرك الجلي والخفي ولتحلى بمقام الإخلاص الكامل الوفي وإليه أشار بقوله وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفنى عن السباب بشهود مسبب الأسباب قلت الحقيقة هي شهود نور الحق في مظاهر الخلق أو شهود الملك الحق وفنى عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب قلت الحقيقة هي شهود نور الحق في مظاهر الخلق أو شهود نور الربوبية في قوالب العبودية فصاحب الحقيقة هو الذي يغيب عن الخلق بشهود نور الملك الحق ويفني عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب فإن كان مع مراعاة الحكمة فهو كامل وأن كان من غير مراعاة الحكمة فإن كان غائباً مصطلحاً فهو معذور وهو الذي بينه بقوله فهذا عبد مواجه بالحقيقة أي كوشف بنورها ظاهر عليه سناها أي نورها فلما دهته الأنوار سكره وباعتبار ما عبد ناقص لقصور نفعه على نفسه وأن كان قد سلك الطريق وأتى على غايتها حتى وصل إلى التحقيق كما ين ذلك بقوله سالك للطريقة أي لولا سلوكه مع الطريق ما استنارت له معالم التحقيق

وإنما فاته أنوار التشريع وأسرار الحكمة أما الطريق فقدي سلكها وأني على غايتها كما ذكره قد استولى على مداها يعني على غايتها فلا وصول للحقيقة إلا بعد سلوك الطريقة وتحقيق ظاهر الشريعة قال تعالى وانوا البيوت من أبوابها فلا باب لبيت الحقيقة إلا من جهة الشريعة والطريقة فإذا وصل إلى الحقيقة فمن الناس من يكون صدره ضيقاً فلا يحتمل تلك الأنوار ولا يطيق مشاهدة تلك الأسرار فيغيب في شهود الوحدة وينكر الحكمة ومن الناس من يكون واسع الصدر قوي النور فإذا أشرقت عليه أنوار الحقيقة لم تغلبه عن القيام بالحكمة وصار برزخاً بين حقيقة وشريعة هكذا يكون سيره بين فناء وبقاء حتى يتكمن فيهما ويعتدل أمره بينهما وهذه حالة الأقوياء والطريقة الشاذلية جلها هكذا يسير أهلها بين حقيقة وشريعة حتى يقع التمكين والاعتال ثم كمل الشيخ هذا القسم الذي غلبت عليه الحقيقة فقال غير أنه غريق الأنوار أي غلبت عليه أنوار الحقيقة حتى غاب عن أحكام الشريعة مطموس الآثار أي غائب عن شهود الكون من حيث أن الحق أثبته ليعرف به وهذا لما أشرقت لعيه أنوار الحقيقة ضم الفروع إلى أصولها وأنوار الملكوت إلى الجبروت وأنكر الوسائط لغلبة السكر عليه كما بينه بقوله قد غلب سكره على صحوه السكر وارد قوى بغيب القلب عن شهود الحس والصحو ذهاب ذلك الوارد حتى يرجع القلب إلى الآحساس بعد الغيبة وغلب عليه أيضاً تجمعه على فرقه الجمع رؤية الحق بلا خلق والفرق رؤية الخلق بلا حق فإن كان بعد الجمع فهو رؤية الخلق والحق والحاصل أن أهل الجمع لا يشهدون إلا الحق أهل الفرق رؤية الخلق بلا حق فإن كان بعد الجمع فهو رؤية الخلق والحق والحاصل أن أهل الجمع لا يشهدون إلا الحق وأهل الفرق لا يشهدون إلا الخلق ويستدلون به على الحق وأهل الفرق في الجمع يشهدون الخلق والحق أعني يشهدون الواسطة والموسوطة من غير فرق بينهما وغلب عليه أيضاً فناؤه الفرق على بقائه الغيبة عن الخلق بشهود الحق والبقاء شهود الخلق بالحق أن كان بعد الفناء وأن كان قبل الفناء فهو شهود خلق بلا حق وهو محل أهل الحجاب وغلب عليه أيضاً غيبته على حضوره الغيبة انقطاع القلب عن ملاحظة الخلق والحضور مشاهدة حضرة المولى بعد الغيبة عن شهود الحس والسوى فهذه أحوال أهل الجذب من السالكين فإن كان لهم شيخ فلا بد أن يخرجهم إلى السلوك وهم مقام البقاء فإن البقاء يطلب الجذب حتى يدركه كما يدركه عمره الطالب له فكان بعض أشياخنا يقول أرنا من يفرق لنا نحن ضامنون له الخروج إلى البر وهو البقاء الذي إليه الشيخ بقوله وأكمل منه عبد شرب فإزداد صحوا وغاب فزداد حضوراً فلا جمعة يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه ولا بقاؤه يصده عن فنائه بعطي كل ذي قسط قسطه ويوفيي كل ذي حق حقه قلت هذا هو القيسم الثالث وهو مقام خاصة الخاصة وهم أهل الرسوخ والتمكن فكلما شربوا من خمر الحقيقة زاد صحوهم وتجوهر عقلهم وكلما غابوا عن شهود

الخلق بشهود الحق زاد حضورهم فتراهم مستغرقين في الفكرة والنظرة ومع ذلك يحسون بدبيب النملة حتى يظن من لم يبلغ مقامهم أنهم من أهل الغفلة لكثرة ما بهم من الفطنة وهم مستغرقون في الحضرة وقد كان عليه السلام يصلي بالناس فإذا سمع بكاء الصبي خفف شفقة على أمه فأهل هذا المقام الكامل لا يحجبهم جمعهم عن فرقهم من فهو مجموعون في فرقهم مفروقون في جمعهم يشهدون الحق في حال شهوده من الخلق ولا يصدهم فناؤهم عن بقائهم فهم فانون عن أنفسهم باقون بربهم ولا بقاؤهم بصدهم عن فنائهم فظاهرهم مشغول بالحس مثلاً وباطنهم معمور بالمعنى يعطون كل ذي حق حقه فيعطون الحقيقة حقها بشهود الحق في الباطن والشريعة حقها باستعمال الجوارح في حقوقها في الظاهر ويوفون كل ذي قسط قسطه فيفون الناس قسطهم من الإحسام والحقي حقه في توحيده في توحيد بالجنان أو تقول أفدوا الحق بالأنعام وشهود الإحسام وأثنوا على الوسائط باللسان أو تقول أعطوا الربوبية حقها بشهود الإحسام منه وحده وأعطوا الخليقة حقها بشكر الواسطة إقامة لرسم العبودية والحاصلي أن هذا المقام هو كما قال الشاذلي رضي الله عنه الجمع في باطنك مشهود والفرق على لسانك موجود تنبيه قد رأينا كثيراً من الناس يترامون على هذا المقام الكامل من غير صحبة ولا جذب والاختطاف من شهود الأكوان إلى شهود المكون ولا بد من سكر ثم صحو وجذب ثم سلوك وجمع ثم فرق وفناء ثم بقاء نعم قد يكون بعض الأفراد أقوياء يجذبون إلى حضرة الحق مع مشاهدة الخلق ويسيرون بين جذب وسلوك كما تقدم في الطريقة الشاذلية وأمثالها وأما من لم يصحب العارفين الذين سلكوا هذه المقامات فلا يطمع في نيلي هذا المقام أبداً إلا الفرد النادر الذي لا حكم له والله تعالى أعلم ثم استدل على المقام الثاني وهو الجذب والفناء والثالث وهو الصحو والبقاء بقضية السيدة عائشة مع أبيها في قضية الأفك فقال وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها لما نزلت براءتها من الإفك على لسام رسول الله حروف اشكري رسول الله فقالت والله لا أشكر إلا الله قلت قضية الإفك مشهور مذكورة في سورة النور تولى شرحها أهل الظاهر إلا ا، ظاهر كلام الشيخ رضي الله عنه أن القائل لها و أبوها والذي في الصحيح أن الذي قال لها اشكري رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أمها وفي رواية فقالت لي أمي لما نزلت برائتي من السماء قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله أقوم إليه ولا أشكر إلا الله ويمكن الجواب بأن ذلك وقع بإشارة أبيها أو قالاه معاً أو سكوته كأنه وفاق والله تعالى أعلم ثم ذكر الجواب عن امتناعها من شكر الواسطة فقال دلها أبو بكر علا المقام الأكمل مقام البقاء المقتضى لاثبات الآثار قلت المراد بإثبات الأثر بعد الفناء عنه اثباته بالله ونفيه بالله جمعاً بين القدرة والحكمة وإنما كان هذا أكمل مما قبله لأن هذا حاز المقامين أعطى القدرة حقها في الباطن وهو الشهود والحكمة حقها في الظاهر وهي العبودية فهو سالك بنفسه دال لغيره كامل عالم معلم عارف معرف وهي غاية القصد والطلب لأنه

مقام الخلاقة التامة والمنافع العامة ولا شك أن الخير من الخير الخاص والخير العام هو الذي يعطي كل ذي حق حقه ويوفى كل ذي قسط فسطه وسئل بعضهم عن قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته مع قوله تعالى اتقوا الله ما استطعتم فقال له اتق الله حق تقاته بقلبك واتق الله بجسمك ما استطعت فتكون جامعاً للشريعة والحقيقة اه ثم استدل على إثبات الأثر بالكتاب والسنة فقال وقد تعالى أن أشكر لي ولواديك فأمر أولاً بشكر من تولى نعمة الإيجاد وأمر ثانياً بشكر من ظهرت على يديه نعمة الأمداد فالواسطة ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته والآية صريحة في إثبات الواسطة أدباً والغيبة عنها عقد لأجل التوحيد ثم ذكر دليل السنة فقال وقال صلوات الله وسلامه عليه لا يشكر الله من لا يشكر الناس قلت يصح في اسم الجلالة الرفع على الفاعلية والنصب على المفعولية ومعنى الأول الله تعالى لا يشكر فعل من لم يشكر الناس ولا يحبه وعلى الثاني من لم يشكر الناس فلا يشكر الله أي فلا يسمى شاكراً الله وتقدم حديث النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ثم بين الجواب عن امتناعها من شكر الواسطة في ذلك الوقت فقال وكانت في ذلك

الوقت مصطلحة عن شاهدها قلت الاصطلام نعت الحيرة ومحل الدهشة والغيبة أي كانت رضي الله عنها في ذلك الوقت غائبة عن حالها فانية عن حسها كما هو حال الجذب وقوله في ذلك الوقت يقتضي أنه لم يكن ذلك شانها على الدوام وإنما هو عارض قهري ووارد إلهي اختطفها عن حسها كما عرض ذلك لخليل الله إبراهيم حين عرض له جبريل فقال له ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى فلم يلتفت إلى الواسطة فقال له سله فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وكقوله عليه السلام لي وقت لا يسعني فيه غير ربي فكانت عائشة رضي الله عنها في ذلك الوقت غائبة عن الآثار فلم تشهد إلا الواحد القهار قلت ومما يقوى عذرها في شكر الله وحده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اشكري الله فإن الله تعالى قد برأك فهي راجعو لأمره في عدم شكره كما قال ابن أبي جمرة لكن بضميمة ما ذكره المؤلف إذا لا يصح مع الصحو إهمال الوسائط في المقام الأكمل قاله الشيخ زروق رضي الله عنه فهذا آخر الرسالة التي كتبها لبعض إخوانه وهيه في غاية الاتقان والكمال فلو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذه السالة مع التي قبلها لكانت كافية فجزاه الله عن أهل الطريقة خيراً لما كانت صلاة العارفين ليست كصلاة الغافلين تكلم في هذه الرسالة الثالثة على قرة العين التي تكون في الصلاة هل هي خاصة بالأنبياء أو للأولياء نصيب من ذلك فقال وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله وسلامه عليه وجعلت قرة عيني في الصلاة هل ذلك خاص بالنبي أم لغيره منه شرب ونصيب فأجاب أن قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود قلت قرة العين كناية عن شدة الفرح لأن بكاء الفرح دمعه بارد والقر بالضم هو البرد يقال في الدعاء أقر الله عينك أي أفرحك حتى تبرد عينك بدموع الفرح ومضمن كلام الشيخ في

جوابه أن قرة العين في الصلاة متفاوتة على قدر التفاوت في المعرفة والشهود والمعرفة على قدر التخلية والتحلية فمعرفته عليه السلام لا يوازيها معرفة وشهوده عليه السلام قسط ونصيبي من قرة العين على قدر صفاء مشربهم وتفرغ قلوبهم وأسرارهم فالعملاء ورثة الأنبياء فمن جملة ما ورثوه قسط من قرة العين في الصلاة ولذلك كانوا يغيبون فيها ويجدون من العنيم واللذة فيها ما تعجز عنه العبارة وقد كان منهم من يقطع الليل كله في ركعة ويختم القرآن في كل ليلة فلولا ما كانوا يجدون من حلاوة المناجاة ما دامت لهم تلك الحالة ويفهم هذا من قول الشيخ في الجواب أن قرة العين بالشهود على قدر المعرفة بالمشهود فأتى بعبارة عامة تصدق بكل من له نصيب من الشهود لكن قرة عين الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوازيها قرة عين أحد وكذلك الأنبياء عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى هذا أشار بقوله والرسول صلوات الله وسلامه عليه ليس معرفة كمعرفته فليس قرة عين كقرته قلت لم يؤنث الفعل لمجازي التأنيث في الموضعين وإنما كانت معرفته عليه السلام لا يساويها معرفة لأنه أول قدمه في مقام الإحسام إذ لا مجاهدة له ولا سير له باعتبار الوصول لأنه واصل من أول قدم فنهاية الأولياء بداية الأنبياء ونهاية الأنبياء بداية أرسل وبدايته عليه السلام من نهاية الرسل وإنما قلنا لاسير له باعتبار الوصول لأن السير في مجاهدة الأوصاف المذمومة وهو مطهور منها كما قال القائل

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

وأما السير بمعنى الترقي فهو ثابت له على الكمال فقد كان عليه السلام يترقي في الساعة الواحدة مقامات ويستغفر من المقام الذي يترقي منه حكي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أنه كان يستشطل قوله عليه السلام أنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة وفي رواية مائة مرة حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا مبارك غبن أنوار لا غين أغيار ففهم حينئذ أن ذلك الغين وهو التغطية إنما هي أنوار الشهود أو هي تتفاوت بالقوة والضعف باعتبار الكشف فكلما كشف له عن مقام رأى ذلك المقام نقصاً باعتبار ما بعده ورآه حجاباً وتغطية لما فوقه وهكذا وعظمته تعالى لا نهاية لها ولذلك قال له وقل رب زدني علماً وقال أبو العباس رضي الله عنه الأنبياء عليهم السلام خلقوا من الرحمة ونبينا عليه السلام هو عين الرحمة قال تعالى ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقال الشيخ الحضرمي رضي الله عنه بعد كلامه ذكره فهو صلى الله عليه وسلم مظهر الحق الأكبر وهو أكبر مظاهر الحق في الوجود فلذلك كان كل حرف من كلمة يوازي الجم الغفير وكل قطرة من فيض بحرة توازي البحر الزاخر الكبير وأعظم من ذلك بألف ألف نقير وقطمير لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون اه المراد منه فتحصل أن مقامه عليه السلام في العرفان لا يوازيه مقام وكذلك قرة عينه عليه السلام لا ينالها غيره من الأنبياء والأولياء وإنما

يكون لهم من ذلك شرب ونصيب على قدر شهودهم ومعرفتهم قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه إنما قال الله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده و لم يقل بنبيه ولا برسوله ليفتح باب السريان لغيره فمن له قسط من العبودية له قسط من الإسراء ولما كان له عليه السلام كمال العبودية كان له كمال الأسراء فأسرى بروحه وجسده وليس ذلك لغيره اه فإذا وقع الإسراء بالروح إلى الملكوت حصلت له قرة العين في العبادة على قدر اسرائها واسراؤها على قدر تصفيتها من العلائق والعوائق والله تعالى أعلم ولما كان جوابه بأن قرة العين بالشهود على قدر معرفته بالمشهود فيه خفاء عن المقصود بينه بقوله وإنما قلنا أن قرة عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده لأن أشار إلى ذلك بقوله في الصلاة و لم يقل بالصلاة قلت لأن الأصل في الظرفية أن تكون على بابها فقرة عينه صلى الله عليه وسلم إنما هي بشهود ربه ومسارته ومالمته فالصلاة إنما هي محل لتلك القرة لا بها تكون القرة وأما قوله عليه السلام أرحنا بها يا بلابل فالباء سببية أي أرحنا بسببها وراحته عليه السلام أنتا هي بمناجاة ربه لا بغيرها ثم ذكر علة كونه عليه السلام لا تقر عبينه بالصلاة وإنما تقر عينه بربه فقال إذا هو صلوات الله وسلامه عليه لا تقر عينه بغير ربه فلا فرح له إلا به ولا سرور له إلا في إقباله قد رفع همته عن الكونين وخلع نعله من الدارين ولاجل ذلك قال فيه القائل

له همم لا منتهى لكبرها وهمته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البركان كان البر أندي من البحر

كيف وهو يدل على هذا المقام وهو مقام الإحسام إذ به تحصل قرة العين ويامر به من سواه من الأنام لقوله صلوات الله وسلامه عليه اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه اه قلت وفيه نظر فإن في حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قلت يا رسول الله أوصني قال أعبد الله كأنك تراه واعداد نفسك في الموتى واذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية اه رواه الطبراني كما في المنذرى ثم من كان يعبد الله كأنه يراه فلا يمكن أن ياتفت إلى رؤية ما سواه كما بينه بقوله ومحال أن يراه ويشهد معه سواه قلت لأن ثبوت السوى حجاب فلا يصح الشهود حتى يزول كل موجود ولا يبقى إلا واجب الوجود ويرى ما سواه كأنه ظلال أو خيال عند التحقيق مفقود فإن قلت إذا كان السوى مفقود فلم قال عليه السلام في تفسير الأحسام أن تعبد الله كأنك تراه وقال لمعاذ أبعد الله كانت تراه فأتى بكاف التشبيه إذا كانت الرؤيا حاصلة فكيف يشبهه عليه السلام بمن يرى فالجواب انه عليه السلام في محل التشريع والتحقيق وهذا الحديث وقع في محفل كبير فيه

من هو من أهل المراقبة وفيه من هو من أهل المشاهدة فأتى بكلامه يقبله الخاص والعام فالكل مخاطب باتقان العبادة كأنه يشاهد فمنهم من بلغ ذلك ذوقاً ومنهم من يكون منه ذلك مجاهدة وأيضاً شهود أنوار الملكون سر من أسرار الربوبية لا تفشى لغير أهلها ولو قال عليه السلام أن تعبد الله لأنك تراه أي ترى أنوار جبروته متدفقة لرياض ملكوته لكان فيه إفشاء لسر الربوبية ولا يفهمه إلا الخواص وقد قال عليه السلام خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون فأتى بكلام موجه يقبله أهل الظاهر وأهل الباطن فأهل الظاهر يتركون الكاف على بابها وأهل الباطن يجعلونها بمعنى اللام لأن رؤية البصيرة عندهم في معد العيان لأن البصر إذا فتحت البصيرة غلبت عليه و لم يبق له حكم أصلاً وأيضاً الرؤية إذا أطلقت إنما تنصرف للبصر فلو لم يأت بالتشبيه لتوهم أن الله تعالى يرى بالبصر الحسى وهو محال قال الله تعالى لا تدركه الأبصار أي الحسية وإنما تراه البصائر المفتوحة فإذا انفتحت البصيرة استولت على البصر فلا يرى البصر ألا ما تراه البصيرة من أنوار الملكوت والله تعالى أعلم. ولما قرر الشيخ أن قرة عينه صلى الله عليه وسلم إنما هي بالله لا بالصلاة بحث معه باحث فأشار إلى البحث بقوله قال له سائل قد تكون قرة العين بالصلاة لأنها فضل من الله وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرة العين بها وقد قال تعالى فبذلك فليفرحوا قلت مضمن البحث أن قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة يمكن أن تكون في بمعنى الباء أي بالصلاة ويكون وجه الفرح بها لأنها فضل من الله ورحمة وبارزة من منة الله وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا فقد أمر الله تعالى عباده بالفرح بفضل الله وبرحمته والصلاة من ذلك فيج الفرح بها وهي معنى قرة العين فأجاب فقال اعلم أن الآية هذه قد أومأت أي أشارت إلى الجواب المن تدبر سر الخطاب إذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم ليفرحوا بالإحسان والتفضيل وليكن فرحك أنت بالمتفضل كما قال في الآية الأخرى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قلت مضمن الجواب أن قرة العين بالصلاة إنما يصح أن تكونتن في حق غيره صلى الله عليه وسلم من أولياء أمته لأنهم يفرحون بفضل الله وإحسانه لأنها علامة على رضوانه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلا تكون قرة عينه إلا بالله ويدل لعيه قوله تعالى فبذلك فليفرحوا و لم يقل فبذلك فافرح يا محمد فدل خطاب الآية أن الفرح بالفضل والرحمة إنما هو لامته صلى الله عليه وسلم وهو إنما يكون فرحه بالله لا بشيئ دونه كقوله في آية الأنعام قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون والتحقيق هو أن يقال من تحقق بنعيم شهود الربوبية لم يكن فرحه إلا بشهود محبوبه دون غيره كائناً من كان ومن كان مقيماً في محل العبودية و لم يذق شيئاً من مطالعة أنوار الربوبية و لم يكن فرحه إلا بفضل الله ورحمته من ذاق و لم يتحقق يكون فرحه بهذا أي تارة بهذا وتارة بهذا فعلى هذا يكون لأكابر أمته صلى الله عليه وسلم قسط من الفرح بالله دونت ما سواه لكن لا يبتغون مقام الرسول عليه السلام لأن شهود عليه السلام لا يساويه شهود فتكون

قرة عينه كذلك والله تعالى أعلم خاتمه في ذكر الحديث الذي أشار إليه الشيخ وما يتعلق به روي أن جابر بن عبد الله صنع طعاماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو ونفر من أصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فتذكروا في الطاعة لله ولرسوله إلى أن قال أبو بكر إنما حبب إلى من الدنيا ثلاث إكرام الضيف والصيام في الصيف والضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وقال عثمان حبب إلى من الدنيا ثلاث إطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وقال علي مثل ذلك فقال لهم رسول الله حروف وأنا حبب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فترل جبريل فقال وأنا حبب إلي من الدنيا ثلاث تبليغ الرسالة وأداء الأمانة وعيادة المرضى ثم غاب وظهر وقال يا رسول الله ورب العزة يقول وأنا حبب إلى من الدنيا ثلاث لسان ذاكر وقلب شاكر وجسم على البلاء صابر اه ذكره الشطبي فالله أعلم بصحته عير أنه كلام صحيح في نفسه والحكمة في الناس الترغيب في كثرة التناكح ليكثر النسل بمن يعمر هذا العالم وأما الطيب فأنه صلى الله عليه وسلم كان طيباً نفحه الله في الوجود فتعطرت به الأكوان فكان عليه السلام ينفح طيباً مس طيباً أو لم يمسه كان يستعمل الطيب الكسبي يستر به الطيب الوهبي خشية أن يتغالى الناس فيه كما تغالوا في عيسى عليه السلام وقيل أن الطيب من صفة أهل الجنة وقد كان عليه السلام في الجنة فتطيب بطيبها والله تعالى أعلم ثم ذكر الرسالة الثالثة في الفرح بالمنن بعد أن قدم الفرح بالله فقال وقال رضي الله عنه مما كتب به لبعض إخوانه الناس في ورود المنن عليهم على ثلاثة أقسام يعني عوام وخواص وخواص الخواص ثم كر مقام العوام فقال فرح بالمنن لا من حيث مبدئها ومنشئها ولكن بوجود متعته فيها قلت وهذا كالبهيمة ليس شأنه وهمه إلا نفسه وحسه ولله در ابن البنا حيث قال

واعلم بأن عصبة الجهال بهائم في صورة الرجال

ثم ذكر حكمه فقال فهذا من الغافلين لأنها أي النعم إذا أقبلت عليه اشتغل بها عن ذكر معطيها تلذذا وترفها وإذا أدبرت اشتغل فكره بطلبها والحرص عليها وإذا ناهلا شغلته متعتها عن شكرها فيكون ذلك سبباً في زوالها قال تعالى ولئن كفرتم أن عذابي لشديد وربما يصدق عليه قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فالآية وأن نزلت في الكفار فحكمها عام فكل من اشتغل بنعم الدنيا وزخارفها عن ذكر الله وما طلب منه يصدق عليه أنه فرح بما أوتى فبينما هو منهمك في غفلته مستغرق فس شهوته أخذه الموت بغتة فإذا هو مبلس أي آيس من الرجوع إليها ومن الإنتفاع بها وقد تؤخذ منه قبل موته فتشتد حسرته عليها وقد تقدم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها من لم يعرف قدر النعم بوجدانها

عرف بفقدانها ثم ذكر القسم الثاني وهو مقام الخواص فقال وفرح بالمنن من حيث انه شهدها منة ممن أرسلها ونعمة ممن أوصلها قلت ويستفيد أيضاً إقبال من أرسلها عليه وذكره بها أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام يا موسى اعلم أنني إذا أعطيتك تمرة مسوسة فأني قد ذكرتك بها أوحي الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام يا موسى اعلم أنني إذا أعطيتك تمرة مسسة فأني قد ذكرتك بها فاشكرني عليها فأنه لا يعطيكها غيري اه فتكون تلك النعمة سبباً يجره إلى محبة المنعم فيترقى إلى الدرجة الثالثة ثم ذكرتك بها فاشكرني عليها فأنه لا يعطيكها غيري اه فتكون تلك النعمة سبباً يجره إلى محبة المنعم فيترقى إلى الدرجة الثالثة ثم ذكر شاهد هذا القسم من القرآن فقال فيصدق عليه قوله تعالى فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قلت يعني فيكون فرحه بفضل الله وهو الإيمان ورحمته وهو القرآن وغير ذلك هو أي فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وشهواتها الغزارة وأنشدوا

طلق الدنيا ثلاثاً والتمس زوجاً سواها
تب إلى ربك منها واحترس قبل أذاها
أنها زوجة سوء لا تبالي من أتاها
أنه عن ال غي وجانب هواها

قيل أن بعض العباد أراد إبليس فتنته فجاءه من باب الرغبة في الدنيا فوجده قد سده بالزهد والقناعة فجاء من باب الشهرة فوجده قد سده بدوام الحزن والكآبة فجاءه من باب الغضب ولاحدة فوجده قد سده بالتواضع والاستكانة فصاح وقال هذا عبد قد تحصن مني فليس لي عليه سبيل وفي الخبر أن لمنادى ينادي يوم القيامة أين أصحاب المتاجر الرابحة من أهل الأعمال الصالحة فيقوم الأولياء والأصفياء والعباد والزهاد فيؤتون بنجانب من النور فتطير بهم نحو العرش وتسبقهم الملائكة بين أيديهم إلى أن تنزلهم في منازلهم من الجنة ويقولن لهم هذه أحمالكم وفيها أعمالكم وينادي المنادى أيضاً أين أبناء الدنيا أي المخلفون والمقصرون أين من عصى المولى هلموا إلى دار البلوي فيؤتون وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون فيؤمر بهم إلى العذاب اه ثم ذكر القسم الثالث وهم خواص الخواص فقال وفرح بالله ما شغله من المتن ظاهر متعتها ولا باطن منتها قلت ظاهر متعتها هو حظ البشرية وهي الذة الحسية وهو حال أهل المقام الأول أعني الغافلين وباطنمنتها هي ذكر المنعم وإقباله عليه وهو حال أهل المقام الثاني واشار إلي حال أهل المقام الثالث فقال بل شغله النظر إلى الله عما سواه من المتعة الحسية أو المعنوية و شغله الجمع على الله بالتوكل عليه فكفاه شؤونه وأموره حتى لم يبق له اهتمام بغير مولاه بل أغناه به ما

سواه فلا يشهد إلا إياه ولا يحب شيئاً سواه ومما وجد في بعض الكتب المترلة يقول الله تعالى عبدي أن أطعتني وإليتك وأن اتقيتني قربتك وأن استحييت مني أكرمتك وأن توكلت على كفيتك وأن عصيتني عاقبتك فعقوبتي لك من أجلك لا من أجلي جل قدري وعظم فضلي عبدي أني أعلم منك ما لو علمته زوجتك لسألتك الطلاق ولو علمه عبدك لسألك العتاق ولو علمه أبوك لهان عليه الفراق عبدي أن جئتني تقول أسأت أقول لك وأنا قد غفرت وأن قلت تبت أقول وأنا قبلت اه ثم ذكر مصداق هذا القسم الثالث فقال قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون قلت المراد بالقول في هذا المقام القول القلبي أي اذكر الله على الأشياء كلها تفن و لم يبق إلا مولاها ثم اترك الناس في وهمهم يلعبون ومن جملة الأشياء النعم التي يتجلى بها فإذا ذكر الله عليها غاب في شهوده عنها واستغنى به عن كل ما سواه قال الشبلي رضي الله عنه الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال أبو محمد الجريري رضي الله عنه من رأى النعم و لم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأي المنعم بغيبة النعم فقد شكراه اه تنبيه كثيراً ما يستدل الصوفية بهذه الآية على الانقطاع إلى الله والغيبة عما سواه وهو تفسير إشارة لا تفسير معنى اللفظ لأنها نزلت في الرد على اليهود حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فقال لهم الحق تعالى قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فلما لم يجيبوا قال الله تعالى لنبيه قل الله أي قل لهم أنزله الله ثم لا تجاد لهم بل ذرهم في خوضهم يلعبون والسوفيه رضي الله عنهم يقرون الظاهر على ظاهره ويقتبسون إشارات خفية لا يعرف مقصودهم غيرهم ولذلك رد عليهم بعض المفسرين حيث لم يعرف قصدهم قد علم كل أناس مشربهم وأما ذكر هذا الإسم باللسان مجرداً ففيه ثلاثة أقوال أحدها الجواز مطلقاً والثاني الكراهة مطلقاً والثالث التفصيل يجوز لأهل النهايات دون أهل البدايات والمشهور الأول وعليه طريق الشاذليه ومن تعلق بهم والله تعالى أعلم ولما استدل بما في كتابنا ما في كتاب من قبلنا فقال وقد أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام يا داوود قل للصديقين بي فلفرحوا وبذكرى فليتمتعوا قلت لا يكمل الفرح بالله حتى يخلو القلب من حبة ما سواه فما سواه فما دام العبد متعلقاً بشئ من السوى فلا يكمل فرحه بالله ولا يتم تنعمه بذكر الله أو تقول ما دامت الروح مسجونة في سجن الهيكل لا يتم فرحها بالله ولا تتنعم بذكر الله فأن تخلصت من سجن البدن وتحررت من رق الأكوان كمل فرحها بالواحد المنان وأنشدت

أنتم سروری وأنتم مشتكى أملي ... وأنتم في ظلام الليل أقماري
فأن نطقت فلم أنطق بغيركم ... وأن صمت فأنتم عقد إضماري

وهذا هو الفرح الحقيقي والسرور الأصلي وما سواه إعراض لأعراض قال المقدسي السرور أعلى من

الفرح لأن الفرح ربما شيب بالحزن الذي هو مقابلة والسرور لا حزن معه وقيل هما شئ واحد وقال بعضهم السرور على ثلاثة أقسام بداية ووسط ونهاية فبادية السرور يذهب به خوف القطيعة وظلمة الجهل ووحشة الفراق وأما وسطه فأنه يكشف حجاب العلم ويفك رق التكليف وينفي التدبير والاختيار وأما غايته فأنه يمحو آثار الوحشة ويقرح باب المشاهدة ويضحك وجه لرزح لبشارة التجلي ففي بداية الفرح والسرور يحصل التصديق وفي وسطه يحصل الأنس وفي نهايته يحصل الجمع والوصال اه وقد ضرب بعضهم مثلاً للأقسام الثلاثة أعني من يفرح بالنعم من حيث أنه ينال فيها شهوته أو يشهد فيها منته ومعونته أو يفرح بالمنعم وحده فقال مثل ذلك كثلاثة رجال قدموا على السطلان فأعطة لكل واحد فرساً وسيفاً أما أحدهما فقال هذا فرس نتمتع به ونركب عليه في حوائجي ونقاتل به عدوي ففرح به من حيث به يقضي به مآربه وشهواته وليس في قلبه محبة للملك إنما لقضاء حاجته وأما الآخر فقال هذا فرس نستعين به على خدمة الملك وعلى القدوم عليه وعلى مجاهدة عدوه ففرح بالفرس من حيث انه يستعين به على الملك ومآربه دون حوائج نفسه وأما لثالث فقال أن الملك يحبني ويعظمني حتى أعطاني هذا الفرس فهذا اعتناء من الملك وإقبال على ففرح بالفرس من حيث أنه يدل على محبة الملك له واعتنائه به فهذا مثل للأقسام الثلاثة وقد أشبع الغزظالي الكلام في هذا المعنى في باب الشكر فانظره أن شئت ثم ختم رسالته بدعاء مناسب فقال والله يجعل فرحنا وإياك به أي دون غيره والمخاطب هو المرسل إليه هذه البطاقة أو كل من يطالع كتابه أو يحفظه أو يعمل به أو من يسمعه وقرئ عليه وإذا كان فرحنا به وحده كما من القسم الثالث الذي هو مقام خواص الخواص ومن كان فرحه بالله كان راضياً به ومرضياً عنه كما قال وبالرضي منه أي ويجعل فرحنا بالرضى من قبله بحيث لا نرضى بشئ دون رضاه عنا قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ومن تحصن بها تحصن من الغفلة بحصن منيع ولذلك قال وأن لا يجعلنا من الغافلين الذين يفرحون بالنعم دون شهود المنعم وقد اشتمل دعاؤه على الأقسام الثلاثة من باب التدلي فالفرح بالله هو المقام الثالث وبالرضي منه هو الثاني واحترز من الأول بعدم جعله منه وإذا خرج من حرز الغفلة حصل على اليقظة وهي جماع التقوى الذي أشاري إليه بقوله وأن يسلك بنا مسلك المتقين الذين اتقوا الشرك والمعاصي أولاً والشهوات والعوائذ ثانياً والسوية والغيرية ثالثاً وهو معنى قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين فالتقوى على ثلاثة أقسام بحسب المقات فتقوى أهل مقام الإسلام حفظ الجوارح من المخالفات اتقاء سخط الله وإليهم توجه الخطاب بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وتقوى أهل مقام الإيمان حفظ القلوب من الهفوات والخطارت وإليهم توجه الخطاب بقوله تعالى فاتقون يا أولي الألباب فإذا تطهر القلب من الهفوات والخطارت منح شهود معاني الصفات وتقوى أهل مقام الإحسان حفظ السر مما سوى الله فإذا

تطهر السر من الأغيار منح بشهود الأنوار وهي عظمة الذات ولكل مقام من مقامات التقوى بواعث بعث على تقواهم فالباعث لأهل مقام الإسلام على تقواهم رجاء الثواب وخوف العقاب فتقواهم على سبيل الخوف والرجاء والباعث لأهل مقام الإيمان على تقواهم شهود الجلال والجمال فتقواهم على سبيل الهيبة والحياء والباعث لأهل مقام الإحسان على تقواهم شهود العظمة والكمال فتقواهم على المحبة والتعظيم وأنشدوا

فكن أيها العبد المعني أخا تقى　　حثيث الترقي في المعارج باللطف

وثق بلطيف الصنع تحظ بفضله　　وخلص إليه القصد يغنيك بالعطف

وفوض وسلم وارق في درج الصفا　　على الكونت تحظ بالمعارف والعرف

وتدرك ما أمسى الوري عنه في غنى　　وتعرف أشياء تجل عن الوصف

ومن حصل مقام التقوى وحاز منها الغياة القصوى دام عليه السرور والفرح وذهب عنه الحزن والرتح روى أن رابعة العدوية رضي الله عنها لقيت عتبة الغلام وهو يتبختر في قميص جديد فقالت له ما هذا التيه والعجب الذي ما رأيته منك قبل اليوم فقال ومن أولى بهذا مني وقد أصبح لي مولى وأصبحت له عبداً وقال ذو النون رأيت شيخاً في الركب يمشي وبيده مصحف وهو يقرأ ويهتز ويرقص في مشيته فقلت يا شيخ ما هذا الرقص فقال قلت في نفسي عبد من أنا وكلام من أنا أتلو وبيت من أنا قاصد فهزتني حالة الفرح وأطربني ذلك من غير قصد مني اه توسل فيما طلب بمنة الله وكرمه فقال بمنه وكرمه أي إنما أطلب ما تقدم من منة الله وكرمه لا بسبب عمل ولا حال وكل هذا اعتماد على مولاه فيما أولاه وتولاه في مبدئه ومنتهاه وهاهنا انتهى الكتاب وما بقي إلا مناجاة الكريم الوهاب قال بعض الشراح هذه المناجاة على قسمين قسم يقضي بالتعريض والتأهب وقسم يشهد بالتحقيق والتأدب وأكثر ما يظهر فضلها للتالي في وقت الأسحار وبعد صلاة الصبح فلها هناك سر عظيم وفتح جسيم فمن لازمها في ذينك الوقتين وجد بسطاً زائداً على العادة ولها خواص وأسرار يعرفها من جربها من العباد والزهاد والطالبين لمعرفة رب العالمين وقد ذكر بعضها ابن عباد في نظم الحكم فقال

لم يبق إلا ما به المناجاة　　سياقه حقت له المراعاة

لكونه يهذب الأسرارا　　ويجلب الأضواء والأنوارا

وأنت يا خلي ويا صفيي　　أن انتهجت نهج إذا الولى

وسقته مساقة الجميلا　　منكسرا وخاضعاً ذليلا

رأيت في باطنك الزيادة والخير استبشرت بالسعادة

ووجه مناسبتها لما قبلها أن القلب إذا انبسط بالفرح بالحبيب انطلق اللسان لمناجاة القريب فقال في أولها إلهي أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري قلت إنما ابتدأ مناجاته بالتحقيق بالفقر لما يعقبه من سرعة الغنى وقد قلت في قصيدة تقدمت

تحقق بوصف الفقر كل لحظة فما أسرع الغنى إذا صحح الفقر

قال الشيخ أبو عثمان في قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعاً وخفية التضرع هو أن تقدم افتقارك وعجزك وعارك وضرورتك وقلة حولك قوتك وليس التضرع بالإجهار ولا يكون للطعات إظهار اه يقول رضي الله عنه أنا الفقير في غنى الوهمي إلا دعائي فكيف لآ أكون فقيراً في فقري الحقيقي الأصلي فغناي بموافقة الأسباب الظاهرة ليس وجوده مني ولا بقاؤه بيدي فأنا فقير في حالة وجوده فكيف لا أكون فقيراً في حالة فقده أو يقول أنا الفقير في حالة حياتي التي يظهر فيها صورة غناي بعشيرتي وأحبابي فكيف لا أكون فقيراً بعد مماتي حين يتخلف عني أحبابي وجيرتي أو يقول أنا الفقير إليك في حال غناي بك فلا غني لي عن زيادة مددك وهذا كما قال القائل

أنا الفقير إليكم والغنى بكم وليس لي بعدكم حرص على أحد

فكيف لا أكون فقيراً في حال فقري إليك إذا كنت فقيراً في حال نظري إلى غناي بك فكيف لا أكون فقيرا في حال نظري إلي فقري إليك ولله در القائل

إني إليك مع الأنفاس محتاج ولو كانن في مفرقي الأكليل والتاج

وفي إظهار الفاقات إلى الله وانزال حوائجة بساحة مولاه مع رفع الهمة عما سواه من الحظوظ والمكنة وعزازة القدر عند الله ما يكل عن وصفه اللسان ويعجز عن حمله واسع الجنان قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى في الدعاء إلا قال له الحق لبيك لكنه لا يستطيع سمع ذلك وقد تقدم كلام الله تعالى في بعض الكتب المترلة يقول الله تعالى ما رفع عبد حاجته إلى دون خلقي أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع والأرضون السبع إلا جعلت له فرجاً ومخرجاً من أمره أو كما قال وقال أبو القاسم القشيري من أشار إلى الله ثم رجع بحوائجه إلى غيره أفقره الله إلى الخلق ثم نزع له الرحمة من قلوبهم ومن شهد محل افتقاره إلى الله ورجع بحوائجه إليه أغناه الله من حيث لا يحتسب أعطاه من حيث لا يرتقب قيل لبعض المحققين أيطلب العبد الرزق قال أن علم أين هو فليطبه قال قيل أيسأل الله قال أن علم أنه نسيه فليذكره قيل أيتوكل على الله قال إن كان في شك فليختبره قيل فأي شئ يعمل قال ما

أمره اه فليثق العبد بربه وليشتغل بما أمر به وليكن كما قال بهلول المجنون نعبده كما أمرنا وهو يرزقنا كما وعدنا ولا يتعلق بمخلوق أصلاً قلباً ولا قالباً وليمح الخواطر التي تخطر بباله من هذا المعنى قبل أن تستحكم فيه فيعاقب بالحرمان ويرمي بالخذلان قال إبراهيم الخواص رضي الله عنه تهت في البادية حتى ضربني الحال فسمعت نباح كلب فأصغيت إليه وأخذت نحوه فإذا بلص قد صفعني فقلت في نفسي هذا جزاء من توكل على مخلوق فقيل لي في سري يا إبراهيم ما دمت في خفارتنا أي جوارنا وعهدنا كنت عزيز فلما دخلت في خفاه كلب سلط عليك الخلق فتبت إلى الله تعالى وإذا بالذي صفعني قد سقط عن جرف وطار رأسه اه وأنشدوا

مددت يدي أرجو نوالاً ورحمة　　ومالي شفيع غير جودك والرجا
فجد لي بعفو منك وارحم تذللي　　فأنت الذي أعطيتني الفقر واللجا

ثم أن الفقر والجهل من أوصاف العبودية كما أن الغني والعلم ممن أوصاف الربوبية فلما أدلى بفقره إلى غنى مولاه أدلى بجهله إلى سعة علو مولاه فقال في المناجاة الثانية إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جاهلاً جهولاً في جهلي قلت يقول رضي الله عنه أنا الجاهل في علمي العارض الذي علمتني فكيف لا أكون جهولاً ف يجهلي جاهلاً في جهلي الأصلي الذي فيه أركزتني أو يقول أنا الجهل في حال نسبتي إلي العلم الذي علمتني فكيف لا أكون جهولاً في جهلي هو أصلي ومحلى وما نسبة علم العبودية في جانب علم الربوبية إلا كنقرة العصفور من البحر كما قال الخضر عليه السلام لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً وقال ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وقال تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً فالعلم العارض لا يدفع الجهل الأصلي هذا باعتبار الحكمة والنظر إلى أصل البشرية وأما الروحانية فأصلها علامة دراكة لأنها نموذج رباني ولطيفة نورانية فإنما حجبها كثافة البشرية وظلمة الطبيعة كما قال في المباحث

فلم تزل كل نفوس الأحياء　　علامة دراكة للأشياء
وإنما تحجبها الأبدان　　والأنفس النزع والشيطان
فكل من أذاقهم جهاده　　أظهر للقاعد خرق العادة

ثم أن من تحقق بفقره الأصلي لا يسكن إلى غناه العارض ومن تحقق بجهله الأصلي لا يسكن إلى علمه الفرعي فإن الأمور كلها بيد الغني الكريم والقلوب كلها بيد المدبر الحكيم كما أبان ذلك في المناجاة الثالثة بقوله إلهي أن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعاً عبادك العارفين بك من السكون إلى

عطاء واليأس منك في بلاء قلت اختلاف التدبير هو إقامة كل عبد في حكمته على حسب إرادته ومشيئته من فقر أو غنى من علم أو جهل من عز أو ذل من قبض أو بسط من سقم أو صحة أو مرض من إيمان أو كفر إلى غير ذلك من اختلاف آثار القدرة وتنوع مظاهر الحكمة وسرعة حلول المقادير هو تبديل تلك الأحوال في أسرع حال من فقر إلى غنى ومن غنى إلى فقر ومن علم إلى جهل ومن جهل إلى علم ومن عز إلى ذل ومن ذل إلى عز ومن قبض إلى بسط ومن بسط إلى قبض ومن سقم إلى صحة ومن صحة إلى سقم ومن إيمان إلى كفر والعياذ بالله ومن كر إلى إيمان فقلوب الخلق بيد الله الواحد القهار يقلبها كيف يشاء ويختار ويفعل بها ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فإذا تحقق العبد بهذا امتنع من أن يسكن إلى ما أعطاه مولاه لأنه قد يسلبه ذلك في ساعة واحدة وامتنع أيضاً أن ييأس من مولاه في وقت شدته وبلواه قال تعالى فإن مع العسر يسر أن مع العسر يسرا ودوام حال من قضايا المحال لكن لم يتحقق بهذا ذوقاً إلا العارفون فلذلك لا يسكنون إلى عطاء ولا ييأسون في بلاء بل يسكنون إلى من بيده المنع والعطاء فلذلك لا يزول اضطرارهم ولا يكون مع غير الله قرارهم ودليل ما قاله الشيخ قوله تعالى كل يوم هو في شأن ولا مفهوم لليوم بل في كل لحظة هو في شأن يرفع أقواما ويخفض آخرين يعز قوماً ويذل آخرين يميت قوماً ويحيى آخرين يعطي قوماً ويمنع آخرين من أمور يبديها لا يبتدئها وقال بعضهم في تفسير الآية كل يوم يجهز ثلاثة عساكر عسكراً من الأصلاب إلى الأرحام وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون إلى الله جميعاً اه وقد تقدم بعض الكلام على علامات العارف وقال الشطبي في هذا المحل فقلوب العارفين تشاهد بنوره ولا مشاهد للحق سواه ومنازلات الربوبية خارجة عن رسوم البشرية فعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة يري فيه ما غاب من غيره وجلاء القلب لايكون إلا بنور الإيمان والإيقان. فعلى قدر قوة الإيمان يكون نور القلب. نور القلب وعلى قدر نور القلب تكون مشاهدة الحق وبقدر مشاهدة الحق تكون المعرفة بأسمائه وصفاته وبقدرهما يكون يكون التعظيم لذاته وبقدر التعظيم لذاته يكون كمال العبد وبقدر كماله يكون استغراقه في أوصاف العبودية بقدر استغراقه في أوصاف العبودية يكون قيامه بحقوق الربوبية وما قدروا الله حق قدره اه قلت وبقدر قيامه بحقوق الربوبية يكشف له عن أسرار الألوهية وأنشدوا

كانت محادثة الركبان تخبرني ... عن فضلكم وسناكم أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني بأحسن مما قد رأى بصري

ومن أوصاف العبودية بعد الفقر والجهالة الخساسة واللآمة كما أن من أوصاف الربوبية بعد الغنى والعلم

والإحسان والكرم فأدلى الشيخ بذكر لآمه نفسه إلى كرم مولاه وإحسانه فقال في المناجاة الرابعة إلهي مني ما يليق بلؤمي ومنك ما يليق بكرمك اللؤم بضم اللام وسكون الهمزة هو الشح والدناءة وفي القاموس لؤم بالضم ضد كرم يقول رضي الله عنه إلهي يظهر مني من الدناءة والخساسة واللآمة المساوى ما يليق بلآمتي ودناءتي ويظهر منك من المبرة والإحسان والكرامة والإمتنان وتغطية المساوى والنقصان ما يليق بكرمك الزاخر وكمال إحسانك الباهر فقابل اساءتنا بإحسانك وغط مساوينا يوصف كرمك وامتنانك فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة يا أكرم الأكرمين حكي عن بعض الناس أنه قال إلهي كم أعصيك وأنت تسترني فسمع قائلاً يقول لتعلم أني أنا وأنت أنت وقيل أن الله تعالى خلق ملكاً ينادي يا ابن آدم يا مسكين كنت في العدم مفقوداً فمن ذا الذي صيرك نسخة الوجود إلا الكريم ذو الجود من ذا الذي أبرزك من عالم الغيب لعالم الشهود من ذا الذي استنقذك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان من ذا الذي تكفل بشؤونك إلا الكريم المنان فكن مطيعاً لله تكن عبده حقاً ولا تطع نفسك وهواك فتكون لهماً رقا اه ومن كرمه تعالى إن سبقت رحمته غضبه ومن كرمه أيضاً إقباله على العاصى والمطيع ففي الحديث الصحيح لما خلق الله الخلق قال للقلم اكتب قال وما أكتب قال اكتب رحمتي سبقت غضبي فكتبه وألقي الكتاب فوق العرش زاد بعضهم فإذا كان يوم القيامة رأى الناس ذلك الكتاب فيقرأه كل من سبقت له السعادة ويحجب عن أهل الشقاوة وفي الحديث أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى خلق مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض وأمسك عنده تسعة وتسعين فمن تلك الرحمة الواحدة التي أهبطت إلى الأرض تراحمت الخلائق بينهم حتى أن الدابة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه فإذا كان يوم القيامة ضم تلك الرحمة إلى التسع والتسعين ونشرها بين عباده فتسع الخلق كافة ويحرم منها من هو كافر وهو معني قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ الآية اه بالمعنى ويروي أن رجلاً اصطاد أفراخاً فلما أخذهم جعلت أمهم تطير فوقهم ثم سقطت عليهم فضمها مع أولادها فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها فقال عليه السلام أتعجبون لهذا الطائر والله لله أرحم بعبده المؤمن من هذا الطائر بأفراخه وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج من النار رجلان ثم يمثلان أي يوقفان بين يدي الله فيؤمر برجوعهما إلى النار فيسرع أحدهما فيلقى نفسه فيها ويتعاصى الآخر عن الرجوع فيقال للذي رمى بنفسه لم ألقيت نفسك في النار فيقول لئلا أكون عاصياً في الدنيا ثم أكون عاصياً في الآخرة ويقال للآخر لم لم تمتثل الأمر كما فعل هذا فيقول رجوت من كرم الله أن لا يعيدني إليها بعد أن أخرجني فيؤمر بهما إلى الجنة وأنشدوا

ولو أن فرعون لما طغي | وقال على الله قولا عظيما

أناب إلى الله مستغفراً		لما وجد الله إلا رحيما

وكيف لا يرجي حلمه وكرمه وشمول لطفه ورحمته وقد سبق وجود العباد لطفه ورأفته كما أبان ذلك في المناجاة الخامسة حيث قال إلهي وصفت نفسك باللطف والرأفة بي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي قلت اللطف بالضم الرفق والمبرة وصلاح العبد في عاقبته وفي القاموس لطف لطفاً بالضم رفق ودنا ولطف الله بك أوصل إليك مرادك بلطف اه والرأفة شدة الرحمة وأرقها قاله في القاموس أيضاً والضعف ضد القوة يقول رضي الله عنه شاكياً إلى الله ضعفه وفقره ومستمداً من مولاه لطفه ورأفته إلهي وصفت نفسك في كتابك العزيز الذي أنزلته إلينا باللطف والرفأة فقلت فيه الله لطيف بعباده وقلت وإن الله بكم لرؤوف رحيم واتصافك باللطف والرأفة قديم فإذا كنت بنا لطيفاً رحيماً قبل وجود ضعفنا فكيف لا تمنحنا من لطفك ورأفتك بعد ظهور ضعفنا لطفت بنا ونحن للطف غير محتاجين أفتمنعنا منه عندا احتياجنا إليه وأنتا أرحم الراحمين أجريت علينا رفقك قبل أن تبرزنا إلى دارك أفتمنعنا منه بعد ظهورنا مع عظيم ابرارك ومن تفكر في عجائب صنع الإنسان وما خصه الله به من كمال الخلق والإتقان وما يلحقه من ضروب المنن والإحسان وجد نفسه مغموراً في لطف مولاه مرفوقاً به في أول منشئة ومنتهاه قال بعض الحكماء قد أدركت العقول مما أودع في الإنسان اثنتي عشرة ألف حكمة وأما الذي لم تدركه العقول فلا يعلمه إلا الله هذا في خاصة نفسه وأما في غذائه وشرابه ولباسه وسائر لوازمه فأكثر من ذلك قال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقال فلينظر الإنسان إلى طعامه الآية فسبحان من أعجزت العقول بدائع ألطافه وقصرت الأفكار عن عظيم أوصافه وهو اللطيف الخبير ما أكثر لطائفه للمبتدئين وأوضحها للمستيفظين وأعظمها في جميع المخلوقين قد سرى لطفه في جميع الأكوان وأبهرت حكمته أفكار الأنس والجان وأنشدوا

أحاط بتفصيل الدقائق علمه		فأتقنها صنعاً وأحكمها فعلا
فمن لطفه حفظ الجنين وصونه		بمستودع قد مر فيه وقد حلا
تكنفه باللطف في ظلماته		ولا مال يغنيه هناك ولا أهلا
ويأتيه رزق سابغ منه سائغ		بروح له طولا ويغدو له فضلا
وما هو يستدعي غذاء بقيمة		ولا هو ممن يحسن الشرب والأكلا
جرى في مجاري عرقه بتلطف		بلا طلب جرياً على قدرة سهلا
3وأجرى له في الثدي لطف غذائه		شراباً هنيئاً ما ألذوما أحلا

وألهمه مصا بحكمة فاطر تجلى لأرباب العقول بما أولى

وأخر خلق السن عنه لوقتها فأبرزها عوناً وجاء بها طولا

وقسمها للقطع والكسر قسمة وللطحين أعطى كل قسم لها شكلا

وصرف في لوك الطعام لسانه يصرفه علوا إذا شاء او سفلا

ولو رام حصراً في تيسر لقمة وألطافه فيما تكنفها كلا

فكم خادم فيها وكم صانع لها كذلك مشروب وملبسه كلا

وكم لطف من حيث تحذر أكرمت وما كنت تدري الفرع منها ولا الأصلا

ومن لطفه تكليفه لعباده يسيراً وأعطاهم من النعم الجزلا

ومن لطفه توفيقهم لانابة توصل للخيرات من حبلهم حبلا

ومن لطفه بعث النبي محمد ليشفع في قوم وليسوا لها أهلا

ومن لطفه حفظ العقائد منهم ولو خالف العاص المسئ وإن زلا

ومن لطفه إخراجه عسلاً كما تشاهد مما كان أودعه النحلا

واخراجه من بين فرث مجاور دماً لبناً صرفا بلا شائب رسلا

واخراجه من دودة ملبساً له رواقاً عجيباً أحكمته لنا غزلا

وأعجب من ذا خلقه القلب عارفاً به شاهدا بلا شبيه ولا مثلا

والطافة للبحر المحيط فخذ بما بدا لك واشهدها وإياك والجهلا

وصل على المختار أفضل مرسل على خالص العرفان بالله قد دلا

فهذه ألطافه الواصلة إلينا ومحاسنه الجارية علينا فإن وفقنا سبحانه للقيام بشكرها بمحاسن الأفعال والأقوال فذلك من فضله وكرمه وإن صرفنا عن شكرها بظهور مساوى أفعالنا فبقهره وعدله كما أبان ذلك في المناجاة السادسة فقال إلهي أن أظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة على وأن ظهرت المساوي مني فبعدلك ولك الحجة على قلت ظهور المحاسن على الإنسان في أقواله وأفعلاه وأخلاقه هو من منة الله العظيمة وهداياه الجسيمة لأنه عنوان المحبة والقبول وذلك هو غاية المطلوب والمأول وظهور المساوى على العبد في أقواله وأفعاله هو من عدله تعالى وقهره وإظهار الحجة عليه قال تعالى قل فالله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجميعن فالعبد ليس له مع الحق اختيار ولا قدرة على نفع ولا إضرار فإن صرفه سيده فيما

يرضى فلظهور اسمه الكريم وإن صرفه فيما لا يرضى ملتصريف اسمه الحكيم أو لأظهار اسمه القهار أو المنتقم أو الجبار فالنواصي بيده القلوب بين أصبعيه ولله در الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه حيث يقول في بعض أدعيته اللهم إن حسناتي من عطائك وسيئاتي من قضائك فجد اللهم بما أعطيت على ما به قضيت حتى تمحو ذلك بذلك لا لمن إطاعك فيما أطاعك فيه الشكر ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه العذر لأنك قلت وقولك الحق لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون اللهم لولا عطاؤك لكنت من الهالكين ولولا قضائك لكنت من الفائزين وأنت أجل واعظم وأعز وأكرم من أن تطاع إلا برضاك أو أن تعصى الا بقضائك إلهي ما أطعتك حتى رضيت ولا عصيتك حتى قضيت أطعتك بارادتك ولك المنة على وعصيتك بقدرتك ولك الحجة على فبوجود حجتك والانقطاع حجتي إلا ما رحمتني وبفقري إليك وغناك عني إلا ما كفيتني اللهم أني لم آت الذنب جرأة مني عليك ولا استخفافاً بحقك لكن جري بذلك قلمك ونفذ به حكمك ولا حول ولا قوة إلا بك والعذر إليك وأنت ارحم الراحمين اللهم أن سمعي أن سمعه وبصري ولساني وقلبي وعقلي بيدك لم تملكني من ذلك شيئاً فإذا قضيت بشئ فكن أنت وليي واهدني إلى أقوم سبيل يا خير من سئل ويا أكرم من أعطي يا رحمن الدنيا والآخرة ارحم عبدا لا يملك دنيا ولا آخرة اه وهو الذي اختصر الشيخ في هذه المناجاة باحسن عبارة وأوجز لفظ فلله دره وهذا شأنه في تهذيب طريق الشاذليه جزاه الله عن المسلمين خيرا ومثل هذه المناجاة وقعت من بعض الصالحين روي أن شاباً من العباد تعلق بأستار الكعبة وقال إلهي إن أطعتك فبفضلك ولك الحمد وإن عصيتك فبجهلي ولك الحجة على فباثبات حجتك وانقطاع حجتي إلا ما غفرت لي فسمع هاتفاً يقول أنت عتيق من النار اه وقال ذو النون رضي الله عنه رأيت جارية والصبيان يرموها بالحجارة فكففتهم عنها فنظرت إلي وقالت كأنها تعرفني يا ذا النون ما علامة الصدق قلت صيام النهار وقيام الليل فقالت يا ذا النون كيف يلذ النوم لمن علم حبيبه لا ينام ثم بكت وقالت إلهي إن فكرت في إحسانك إلى لم أبلغ كنهه بفكري وأن ذكرت سترك على لم أقم فيه بشكرى فيا عجبا لقلوب العارفين بك كيف لا تتفطر اجلالاً لقدرك واعظاماً لوصفك تباركت يا مولانا ما أحلمك على من عصاك وما أفضلك على من لم تدع له شغلاً بسواك ثم أنشدت

يا حبيب القلوب أنت الحبيب ... أنت أنسى وأنت مني قريب
يا طبيباً بذكره يتداوي ... كل ذي سقم فنعم الطبيب
طلعت شمس من أحب بليل ... واستنارت فما تلاها غروب
أن شمس النهار تغرب بليل ... وشموس القلوب ليست تغيب
فإذا ما الظلام أسبل ستراً ... فإلى ربها تحن القلوب

وإذا حنت القلوب إلى مولاها وانضمت إليه بعشقها وهواها كيف يكلها إلى غيره وهو قد تولاها وكيف لا ينصرها وهو إليه قد آواها كما أبان ذلك في لمناجاة السابعة بقوله إلهي كيف تكلني أي تحوجني إلى غيرك وقد تكفلت لي بأموري وشؤني كلها حيث قلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقلت وما من دابة في الأرض إلا وعلى الله رزقها وكيف أضام أي أظلم وتنتهك حرمتي وأنت الناصر لي فتنصرني وتنصر لي تتصر بي وقد قلت في كتابك الحكيم أن الله يدافع عن الذين آمنوا وقلت وقولك الحق أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقلت وحكمك حق وكان حقاً علينا نصر المؤمنين فانصرنا يا خير الناصرين كما نصرت أنبياءك ورسلك وخاصة أوليائك المقربين يا أرحم الراحمين أم كيف أخيب أي أحرم وأمنع من الخير وأنت الحفي بي أي المعتني بأمور أو الرفيق بي في جميع أحوالي قال تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال وهو يتولى الصالحين فتولنا يا مولانا برعايتك وحفنا بعنايتك واجعلنا بك منتصرين وعليك متوكلين يا رب العالمين ها أنا أتوسل بفقري إليك حتى من فقري وافتقاري إذ لا نسبة لي منك سوى فقري إليك فأنا فقير إليك من كل شئ حتى من فقري فإن كان الأغنياء قد قدموا بين أيديهم الأموال فأنا أقدم إليك فقري في جميع الأحوال وأن كان الأقوياء قد قاموا إليك صالح الأعمال فأنا أقدم إليك التضرع والابتهال

ما لي سوى فقري إليك وسيلة	فبالإفتقار إليك ربي أضرع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة	فلئن رددت فأي باب أقرع

وأي نسبة لفقر العبد من غنى مولاه كما قال وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك لأنك غني عن الانتفاع بالمنافع فاغننا بك عن الاحتياج إلى غيرك حتى ألقاك بك لا بغيرك انك على كل شئ قدير روى أن شيخ أشياخنا القطب الجامع مولاى عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه قال للشيخ أبي الحسن رضي عنه يا أبا الحسن بم تلقي الله قال بفقري قال له والله لئن لقيت الله بفقرك لنلقاه بالصنم الأعظم هلا لقيته به وكأنه رضي الله عنه دله الزوال عن نفسه وعن كل ما ينسب إليها من فقر غيره قال الشيخ زروق رضي الله عنه ويجاب عن أبي الحسن بأنه أراد بفقره حتى من فقره المنسوب إليه وهو الزوال فإذا صح افتقاره من كل شئ فقد صح غناه بالله عن كل شئ وإذا صح غناه بالله فما يلقى الله إلا بالله قال الهروى رضي الله عنه فقر العامة ترك الدنيا وفقر الخاصة ترك الدنيا والآخرة وفقر خاصة الخاصة ترك الدنيا والآخرة والنفس اه وإظهار هذه الأمور بين يدي العليم الخبير عبودية فقط ولذلك قال أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك إذ محال ا، يخفي عليك شئ في الأرض ولا في السماء وأن تجهر

بالقول فأنه يعلم السر وأخفى وأسروا قولكم أو جهورا به أنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فحسبي من سؤالي علمه بحالي أم كيف أترجم إليك بمقالي عما في ضميري وهو أي مقالي منك برز إذ لا موجد سواك غير أن مقام الربوبية يقتضي وظائف العبودية وهي إظهار الفاقة ولاحتجاج والتضرع باللسان والابتهال دون طلب دفع ما قدر أو جلب ما لم يقدر كما قال الشيخ أبو الحسن ولا نسألك دفع ما تريد ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبيائك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك أنك على كل شيء قدير أم كيف تخبت آمالي أي مطامعي وحوائجي وهي وفدت عليك أي نزلت بساحة كرمك وعلى ساحل بحر جودك وحطت الأحمال على باب فضلك والتجأت إلى حصن عزك وكيف تخيبون آمال الطامعين وباب كرمكم مفتوح أم كيف يحرم قاصدكم وبحر فضلكم وإحسانكم ممنوح أم كيف يضام جاركم وجاه عزكم منيع أم كيف يخفر جواركم ونفوذ أمركم في الأشياء سريع وأنشدوا

أيضام عبد في حماكم قد نزل   يا من لهم كل الأماني والأمل

أم كيف لا تحسن احوالي بل لا تكون إلا في غاية الحسن والكمال والحال أنها بك قامت إذ لا قيام للعبد إلا بالله ولا وجود له من ذاته وكل من كان بالله ومن الله وإلى الله فكيف يلحقه النقص والخلل ولذلك قال واليك أي قامت بقدرتك وانتهت إلى أمرك ومرادك فالأمور كلها أنت مبدؤها ومصدرها وإليك منتهاها ومرجعها قال تعالى وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وأنشدوا

اقبل علينا لا تخف فلنا الهدى   ولنا الجلال مع الجمال خذ الصفا
واقصد حمانا ما أتانا مذنب   إلا نجالو كان من الذنوب على شفا

اللهم إنا قصدنا حماك خاضعين ولجنابك منتسبين وبحبل جوارك متمسكين وبعز جاهك مستعزين وبنصرك السريع منتصرين فانصرنا ولا تنصر علينا يا خير الناصرين حاشا عهدك الوافي ونصرك الكافي أن تخذل من دخل تحت جوارك أو تطرد من وقف ببابك يا خير من سئل ويا أكرم من أعطى أرحم عبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً برحمتك يا أرحم الراحمين إلهي ما ألطفك مع عظيم جهلي وما أرحمك بي مع قبيح فعلى قلت هذه المناجاة الثامنة وهي تتميم لما قبلها لأن الحق إذا كان وكيلاً لك وناصراً لك وحفياً بك فقد لطف بك وأنت لا تشعر فاللطف هو سوق المسار من حيث المضار أو سوق المنافع في قالب الفجائع والحاصل أن اللطف هو جلب الخير جلباً لطيفاً لا يعرفه إلا أهل البصائر فاللطف الجميل هو الذي يكون باطنه نعمة وظاهره نقمة باطنه جمال وظاهره جلال فالعارف بالله يرى نفسه مغموراً في اللطف في كل حال ولذلك قال الشيخ رضي الله عنه فيما تقدم من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك

لقصور نظره وأما الجاهل بالله فلا يشعر باللطف إلا إذا كان حسياً ظاهراً جلياً ولذلك قال الشيخ في هذه المناجاة تواضعاً وتنزلاً إلهي ما أطلفك بي مع عظيم جهلي حيث جهلت لطفك الخفي وطلبت لطفك الجلي ولو عاملنا الحق تعالى بمقتضى جهلنا لتزرع لطفه الخفي عنا وتركنا مع مرادنا ولكنه سبحانه حليم فلم يعاملنا بمقتضى جهلنا فلطف بنا مع عظيم جهلنا ولذلك تعجب الشيخ من شدة لطف الله به مع عظيم جهله وهذا كما قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه إذا سألت الله العافية فاطلهبا من حيث يعلم أنها لك عافية وقال أيضاً في مرضه حين قال له إنسان اسأل الله لك العافية قال له ما أنا فيه هو العافية وقد سأل العافية أبو بكر رضي الله عنه فمات مسموماً وسألها عمر رضي الله عنه فمات مطعوناً وسألها عثمان رضي الله عنه فمات مذبوحاً وسألها علي رضي الله عنه فمات مقتولاً اه فالعافية واللطف هو الرضى والتسليم وسكون القلب عند مجاري الأقدار والرحمة هي اللطف والمحبة والتقريب فالحق تعالى يريد أن يقرب عبده إليه ويطوي مسافة البعد بينه وبينه بما يسلط عليه من اذاية الخلق والفقر والأمراض وغير ذلك مما يؤلم النفس ثم أن العبد يفر منها ويسأل الله أن يبعده منها لأجل جهله وقبيح فعله ولذلك ورد في بعض الأخبار يقول الله تعالى يا عبدي كيف أرحمك بدفع ما به أرحمك أو كما قال وهذا معنى قوله إلهي ما أرحمك بي مع قبيح فعلى وهو هروبي مما به رحمتي ويحتمل أن يريد بقبيح الفعل الذنوب والمعاصي فإنها توجب المقت والبعد فلو عاملنا بمقتضى فعلنا الذميم لأذاقنا من بأسه الأليم لكن رحمة الرحمن الرحيم غلبت عذابه الأليم أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام يا موسى خاطب المذنبين باللطف واللين وادعهم إلى بالقول الجميل ورغبهم في النعيم المقيم ولا تغلظ عليهم فلو شئت أن أعجل عقوبتهم لما أمهلتهم طرفة عين أعملهم أنه من تاب إلى قبلته ومن تمادى أمهلته ومن عصاني عذبته يا موسى من ذا الذي قصدني صادقاً فخيبته أو لجأ إلي فأسلمته أو سألني فمنعته أو رجع إلي فطردته أو تاب إلي وما قبلته أو تضرع إلي وما رحمته اه ولما أنزل الله تعالى وما أصابكم ممن مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير قال سدينا على كرم الله وجهه ما معناه يا رسول الله قال علي من آخذه الله بذنبه في الدنيا فهو أكرم من أن يعذبه عليه في الآخرة ومن عفا عنه في الدنيا فهو أعز من أن يعاقبه في الآخرة ومن ستره في الدنيا فهو أجل من أن يفضحه في الآخرة قال على فكانت عندي خيراً من الدنيا وما فيها وأنشدوا

سبحان من أبدع الأشياء وقدرها ... ومن يجود على العاصي ويستره
يخفي القبيح ويبدي كل صالحة ... ويغمر العبد إحسانا ويشكره

ولما كان اللطف يقتضي التهذيب والرحمة تقتضي التقريب تعجب الشيخ من شدة قرب الحق للعبد مع شدة بعد العبد عنه فقال في لمناجاة التاسعة إلهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك وما أرأفك بي فما الذي يحجبني عنك قلت قرب الحق من العبد قرب رحمة واجتباء وتقريب واصطفاء هذا في حق الخواص وفي حق العوام هو قرب إحاطة وقدرة وعلم ومشيئة وتصريف وقهرية والمراد هنا هو الأول فأن بعد العبد من ربه إنما هو بسوء أدبه وإلا فالحق تعالى قريب من كل شئ محيط بكل شئ ليس شئ أقرب إليه من شئ ولا شيء أبعد إليه من شيء وما بعد العبد من ربه إلا وهمه وسوء فعله ولذلك قال الشيخ تواضعاً وأدباً إلهي ما أقربك مني بلطفك ورأفتك وعملك واحاطتك وما أبعدني عنك بوهمي وسوء أدبي أو ما أقربك مني بأوصاف الربوبية وما أبعدني عنك بأوصاف العبودية فأوصاف الربوبية رفيعة القدر عظيمة الشأن وأوصاف العبودية خسيسة القدر دنيئة المقدار فلا مناسبة بينهما في القدر مع تلازمهما في المحل بتحقيق الوحدة فهما متلازمان في القيام متضادان في الأحكام والرأفة شدة الرحمة والعطف وذلك يقتضي شدة القرب والوصال وينفي وجود السوية والانفصال وهو الحجاب ولذلك تعجب الشيخ من وجود الحجاب بينه وبين مولاه مع شدة رحمته له وحباه إذ من تعطف عليك وآواك لا يمكن أن تلفت عنه إلى سواه وفي الحكمة مكتوب يا عبدي قد أسجدت لك الكون بي فيه الملك وأملاكه والملكوت وأملاكه فأنت أنا بما أيدتك وأنا أنت بما قلدتك فعش للأبد فمقامك لا يزاحمك فيه أحد يا عبدي خرقت لك الحجاب وفتحت لك الباب وأظهرت لك الأمر العجاب فابلغ قومك اللباب ولو قالوا ساحراً أو كذاب فأنا قد وهبتك الأخلاق فدعهم يقولون أن هذا إلا اختلاق يا عبدي قد جعلتك تقول للشيء كن فيكون وما عليك أن قالوا ساحر أو مجنون أنت تشرب من رحيق الكوثر وهم يقولون أن هذا إلا سحر يؤثر عرجت بسرك إلى السماء وعلمتك خصائص الأسماء فأنت أمين خزائن التحقيق الدال لجمع الخلق على الطريق يا عبدي من طعن في الوزير وسفه أمره فقد رد أمر الأمير وجهل قدره من أطاع الرسول فقد أطاع الله اه فالله تعالى بجوده وفضله إذا اصطفى عبداً من عباده قربه بفضله واجتباه لحضرة قدسه وصفاه من كثائف طبعه وحمى شخصه من رعونات نفسه فيصير من أهل قربه قد ارتفع الحجاب عن عين قلبه فزجت روحه في بحار الأحدية وغاب سره في سبحات الألوهية فأن كان ممن أريد الاقتداء به رد إلى شهود سر وجوده وقد كحلت عين قلبه بسرا الحقيقة وكسيت ذاته وجودا معاراً عليها وهو وجود الحق المفاض على جميع الممكنات فيرى ذاته المتوهمة كسارب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده هنالك يصير العبد بالله ولله أمره بأمر الله حيث لم يبق فيه شائبة لسواه ولا شيء يحجبه عن الله فهذا الذي أحبه مولاه وصطفاه لخضرة قدسه واجتباه لمناجاته وأنسه فكان سمعه وبصره وناصره وحافظة في متقلبه

ومثواه هناك يصير عارف به في كل حال وخصوصاً عند اختلاف الأحوال كما أشار لي ذلك في المناجاة العاشرة فقال إلهي قد علمت باختلاف الآثار وتنقلات الأطوار أن مرادك مني أن تتعرف إلى في كل شئ حتى لا أجهلك في شئ قلت إنما اختلفت آثار القدرة لتعرف عظمة القادر واختلافها يكون في الأجسام كالعلويات والسفليات والجمادات والمائعات والنورانيات والظلمانيات والمائيات والناريات وكاختلافها في الحيوانات كأجناس بني آدم والأنعام والبهائم والطيور والسباع والوحوش والحشرات وباختلافها في الأعراض كالبياض والسواد والحمرة والصفرة والزرقة والشهوبة وغير ذلك من الألوان لتعرف من ذلك سعة قدرته وعمله وعظمة ذاته المقدسة وإنما تنقلات أطوارها من شباب وكهولة وشيخوخة ومن مرض وصحه وفقر وغني وعز وذل وسلب ورد ومنع وعطاء وقبض وبسط وجلال وجمال وحياة وموت إلي غير ذلك لتعرفه تعالى في كل حالة من خذه الأطوار وعند اختلاف أجناس هذه الآثار حتى لا نجهله في شئ منها فإن الحق تعالى قد تعرف لعباده في أجناس مصنوعاته وفي اختلاف أحوال قدرته جهلة من جهله وعرفه من عرفه فلا يسمى الإنسان عارفاً حتى يعرف الله في الأشياء كلها مع اختلاف آثارها وتنقلات أطوارها فيعرفه في الذل كما يعرفه في العز ويعرفه في السلب كما يعرفه في العطاء ويعرفه في المرض كما يعرفه في الصحة ويعرفه في

الجلال كما يعرفه في الجمال إلى غير ذلك مما تقدم ويتلون مع كل لون ويتطور مع كل طور فالعارف هو الذي يتطور بجميع الأطوار لبقضي جميع الأوطار والتلون مع الأشياء هو الأدب معها والخضوع مع الحق فيها وأما من كان يعرف في الجمال دون الجلال وفي العطاء دون المنع وفي العز دون الذل وفي الصحة دون المرض أو في العافية دون المحنة أو في الغني دون الفاقة أو في الرخاء دون الشدة فأنه كذاب وانظر إلي قول القائل حبيبي ومحبوبي على كل حالة وما أقبح الإنسان يدعي الخصوصية والمعرفة ونفي السوى فإذا تعرف له الحق تعالى باسمه الجليل أنكره وهرب منه وهذه عادة الله تعالى في عباده كل من ادعي

خصوصية أو قوة اختبره في الحين ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً فيفتضح المدعون ويثبت الصادقون وقد ذاق الشيخ رضي لله عنه هذا المعني بعد أن كان يعرف في البعض وينكر في البعض فلما تحقق علم أن اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار إنما سرص ليعرف الحق بها فقال إلهي قد علمت أي تيقنت باختلاف الآثار إي أثار القدرة وتنقلات أي الأعراض والأحوال أن مرادك منى أن تتعرف إلى في كل شئ من اختلافات أجناس القدرة وتنقلات أطوارها حتى لا أجهلك في شئ منها قال في التنوير كل حالة زائلة لا محالة لأن مراد الحق أن ينقل عبده في الأطوار ويخالف عليه الآثار حتى يتعرف إليه في كل حالة خاصة بتعرف خاص ومن أراد حالة واحدة لم يرد الكمال اه فالله تعالى إنما أراد من عباده معرفته قال تعالى وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون قال ابن عباس أي ليعرفون ومعرفته إنما

تكون بتخالف الآثار وتنقلات الأطوار وذكر غيره في تفسير قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان أن إحدى الجنتين معرفة الله وهي جنة المعارف والأخرى جنة الزخارف ومن دخل المعارف لم يشتق إلى شئ سواها وقال مالك ابن دينار خرج الناس من الدنيا لم يذوقوا أطيب شيء فيها قيل وما ذاك قال معرفة الله تعالى وقيل انه وجد حجر مكتوب بقلم القدرة من أحسن كل شئ و لم يعرف الله لم يحسن شيئاً حتى يعرف الله فإذا عرف الله فقد أحسن كل شئ و لم يغب عنه شيء اه وبكفي من عرف الله الراحة من كد الرزق وتعب الحرص وتشويش البال منه وتعلق الوهم به فأنه لم يؤت أكثر الخلق إلا من الاهتمام به ولو قنع العبد لاستغني الغني الذي لا فقر بعده والتوكل على الحي الذي لا يموت هو الغني الأكبر الذي لا يلحقه فقر أبدا قال الفضيل رضي الله عنه لا ينبغي للعبد أن يثق بعافية ولا يغني ولا بحالة تسره غير الله بينهما العبد معافى تراه مبتلى وبينهما العبد غنياً تراه فقيراً وبينما العبد ضاحكاً تراه باكياً وبينما العبد مسروراً تراه حزيناً وبينما العبد حياً وإذا به ميت تعس من وثق بغير الله أو ركن لشئ سوى الله انتهى حكى أن رجلاً ضاق حاله من أجل المعيشة وطال به الكد والتعب فخرج هائماً على وجهه ودخل الصحراء فوجد قصراً دارساً خربا قد كشف عنه الريح الرمل وإذا بكوخ من الرخام في حائط ذلك القصر وفيه مكتوب هذه الحكمة

لما رأيتك جالساً مستقبلاً — أيقنت أنك للهموم قرين
مالاً يقدر لا يكون بحيلة — أبداً وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته — وأخو الجهالة متعب محزون
يجرى الحريص ولا ينال بحرصه — شيئاً ويحظى عاجز ومهين
فدع الهموم وتعر من أثوابها — أن كان عندك بالقضاء يقين
هون عليك وكن بربك واثقاً — فأخو الحقيقة شأنه التهوين
طرح الأذى عن نفسه في رزقه — لما تيقن أنه مضمون

ومن نظر إلى سعة كرم الله وبره ثم نظر إلى عجز نفسه وفقره طرح أحمال الهموم عن ظهره واكتفى بعلم مولاه ونظره كما أشار إلى ذلك في المناجاة الحادية عشرة بقوله إلهي كلما أخرسني لؤمي أنطقني كرمك وكلما أيأستني أوصافي أطعمتني مننك قلت العبد إذا نظر أوصاف نفسه اللئيمة وأفعالها الذميمة استحي من الله أن يرفع إليه حاجة يطلبها وخرس لسانه عن النطق بها لأنه يرى من خساسة نفسه ولآمتها مالا تستحق بذلك إلا العقوبة والطرد فإذا نظر إلى سعة كرم الله وجوده وإحسانه وبره انطلق لسانه بالسؤال وطمع فيما له من سعة العطاء والنوال وقد تقدم قوله أن أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فانظر ما منه

إليك إن أردت أن ينفتح لك باب الحزن فانظر ما منك إليه ولا شك أن من نظر نفسه بعين الأنصاف لم يجدها أهلاً لغير العقوبة أما من جهة الغفلة والتقصير وأمام قلة الوفا بالشكر والحمد ولهذا ورد في بعض الأدعية اللهم افعل بنا ما انت له أهل ولا تفعل بنا ما نحن أهله وقال بعض أهل التشديد من العباد لا ينبغي للعبد أن يرى نفسه إلا شبه نجس أن جلس مع الداعين لم يرهم إلا منعوا الإجابة من سببه ولو سجد على الجمر لم ير عمله أهلاً للقبول ولو كانت نفسه في غاية التزكية لم يرها أهلاً لمدح ولا لثناء ومتى ما تمسح الناس بثيابه تبركا فإنما يرى نفسه كالبكر المزفوفة لبعلها وهي مفتضة بفجور كلما طافوا بها وعظموا شأنها زاد حزنها ومن خوف الفضيحة كلما طافوا بها وعظموا شأنها زاد حزنها من خوف الفضيحة قلت كل من تحقق زواله عن نفسه وبقاءه بربه فلا حرج عليه في ثنائه ومدحه إذ ليس هو الممدوح وإنما الممدوح من فضله عليك ممنوح وكل من مد يده للتقبيل و لم يرها يد الجليل كان القطع في حقها من القليل أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ولا تكون يده يد الجليل حتى تتحقق خلافته في الأرض ولا تتحقق الخلافة حتى يستولى على الوجود بأسره من عرشه إلى فرشه ويصير في قلبه كحلقة في الأرض فإذا صار هكذا كان خليفة الله في أرضه ويده يد الملك فكل من بايعه فإنما بايع الله يد الله فوق أيديهم والله ذو الفضل العظيم وأنشدوا في مثله

قد استقام على المنهاج يسلكه	ولم يزغ حائداً منه ولا عدلاً
من حاله يعمر الدنيا بظاهره	وقلبه في أعالي الخلد قد نزلا
وأبصر الأمر يجري في مسالكه	من أول النشئ حتى شب واكتهلا
وناطقته البرايا وهي صامتة	وميز الضد والأرواح والعللا
وأظهر الصورة العليا بصورتها	الحسنى ومن قبل كانت ألبست ظللا

قال بعضهم اشتريت جارية سوداء فلما جن الليل وأردت أن أنام قالت يا مولاي أما تستحي مولاك لا ينام وأنت تنام قامت تصلي فانتبهت وهي ساجدة فسمعتها تقول في سجودها بحق حبك لي لا تعذبني فقلت لها غلطت قولي بحبي إياك لا تعذبني فلما سلمت قالت يا مولاي ما غلطت بل أصبت ولولا محبته لي ما أنامك وأقامني فقلت اذهبي فانت حرة لوجه الله قالت هذا العتق الأصغر وبقي العتق الأكبر اه وكان بعض الوالهين يقول في بعض مناجاته إلهي لو أردت إهانتي ما وفقتني لطاعتك ولو أردت فضيحتي ما سترتني عند مخالفتك إلهي لولا ذنوبي ما خفت العذاب ولولا كرمك ما رجوت الثواب اه فسر الشيخ الأوصاف التي أيسته أن نظر إليها من منة الله ورحمته فقال في المناجاة الثانية عشرة إلهي من كانت محاسنه

مساوى فكيف لا تكون مساويه مساوي ومن كانت حقائقه دعوي فكيف لا تكون دعاويه دعوى قلت محاسن محاسن الإنسان لا تخلو من خلل ونقصان ولو لم يكن إلا نسبتها لنفسه وفعله ورؤيتها من قوته وحوله لكان كما فيأ في خللها ونقصها نقصها فتنقلب مساوى بعد أن كانت في الصورة محاسن وإذا كانت محاسنه مساوي فكيف لا تكون مساويه مساوي وكذلك حقائق العبد وهي ما تحقق به من المقامات والمنازلات وأذواق العارفين ومواجيد المحبين لا تخلو من شوائب الدعوى ومسارقة الهوى لولا مسامحة المولى فإذا كانت حقائقه التي تحقق بها وذاقها لا تخلو من شوائب الدعوي فإذا نسبها لنفسه كانت كلها دعوي فكيف لا تكون دعاويه الفارغة دعاوى فإذا علم العبد هذا استحي من مولاه أن ينسب لنفسه شيئاً من المحاسن أو يثبت لها نوعاً من الحقائق فربما يفضح على رؤس الخلائق ويكفي المريب وجدان السلامة قال ذو النون رضي الله عنه الحياء من الله يقطع العبارة ويدقق الإشارة وقال السري السقطي رضي الله عنه الحياء من الله يطرق القلب فإذا وجد فه شيئاً من حب الدنيا رحل وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه يقول الله تعالى عبدي أنك ما استحييت مني أنسى الناس عيوبك وأنسى بقاع الأرض ذنوبك وأمحو من أم الكتاب زلاتك ولا أناقشك بالحساب يوم القيامة اه وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الحياء فقال الحياء من الله الله أن تحفظ الرأس وما وعي والبطن وما حوى وتذكر القبر والبلا وتترك أفضل زينة الدنيا نحن فعل ذلك فقد استحى من الله حق حق الحياء اه ووجد رجل نائم في موضع مخوف كثير السباع والآفات ودابته حوله ترعي فقيل له أنك في موضع مخوف فقال أنا نستحي أن نخاف غير الله ثم رجع لنومه وفي الحكمة مكتوب من استحيي من الله وهو مطيع استحيي الله منه وهو مذنب وسئل الجنيد عن الحياء ما هو فقال شئ يتولد بين رؤية النعماء ورؤية القتصير وقال الفضيل علامة الشقاوة خمسة قلة الحياء وقسوة القلب وجمود العين والرغبة في الدنيا وطول الأمل اه ثم على تقدير سلامة محاسنه من المساوى وتصفية حقائقه من الدعاوي فأمر المشيئة مبهم والسابقة والخاتمة غير معلوم أمرهما فلا يدري ما يفعل الله به كما أبان ذلك في المناجاة الثالثة عشرة بقوله إلهي حكمك النافذ ومشيئتك القاهرة لم يتركا الذي حال حالاً ولا لذي مقال مقالاً قلت لا شك أن حكم الحق نافذ في خلقه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وهذا هو الذي حرك قلوب العارفين فلم يطمئنوا بحال و لم يعتمدوا على عمل ولا مقال بل صاروا مضطرين إلى الله في كل حال لأنهم قد علموا أن حكم الله نافذ كلمح البصر أو هو أقرب ومشيئته قاهرة لا يصرفها عن انفاذ مرادها صارف ولا تردها همة ولي ولا عارف ففي لحظة واحدة يقرب البعيد ويبعد القريب ويرفع الوضيع ويضع الرفيع ويعز الذليل ويذل العزيز ويغني الفقير ويفقر الغني ويبسط المقبوض ويقبض المبسوط ويمرض الصحيح ويصحح المريض فكيف يصح لعاقل أن يركن إلى حاله ومقامه أو يعتمد على علمه وأعماله أو

يغتر ببسط لسانه ومقاله والله تعالى يقول واعملوا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون قال بعضهم منأين للعبد ثبوت حال أو مقال وهو عين المقال في الحال ذرة جلة جالت على معناها فلم تبلغ منتهاها فو الله ما بلغ العبد شفعية معناه فأنى به برترية معناه جوهرة رامت فلاحت وأومضت فغمضت وسكنت فتمكنت فبرزت من قعر بحر الغيب فغار منها القدر فأجناها في سواد عينها خيفة أن تنال أو تسم أو تعرف فلا كيف لها ولا أين ولا رحيم ولا عين ولا وصل ولا بين ومعنى قوله عين المقال في الحال يعني أن أمر العبد بين الكاف والنون فهو عين قول كن في أسرع حال فالمراد بالماقل هو قول كن فيكون تصريف ذلك الأمر في لحال وقوله ذرة جلة الخ الذرة النملة الصغيرة وجلة عظيمة أي ذرة صغيرة في الحس عظيمة في المعنى جالت بفكرها في إدراك معناها فلم تبلغ منتهاها كناية عن عجائب صنعة الباري في أصغر شيء فكيف بالإنسان ولذلك قال فو الله ما بلغ العبد شفعية معناه وشفعية معنى العبد هي بشريته الظاهرة لأنها محل العبودية التي هي شفع باعتبار الربوبية ووترية معناه هي روحانيتة لأنها واحدة وقوله جوهرة رامت المراد بالجوهرة هي الروح رامت أي قصدت الظهور فلاحت أي ظهرت في هذا القالب البشرى وأومضت أي أشرقت أنوارها على ذلك القالب فغمضت أي استترت وانحجب فلم يعلمها إلا من يعلمها إلا من أوجدها ونفخها وسكنت في قفصها فتمكنت فيه وقوله فبرزت من قعر بحر الغيب يشير إلى أصل بروزها من بحر الجبروت فلما برزت إلى عالم التكوين عالملة بأسرار الغيب وهي أسرار الملك غار منها القدر وخاف عليها أن تفشيي أسرار الملك فأجناها أي أجنى عليها في سواد عينها فحجبها عن تلك الأسرار خيفة أن تنال تلك الأسرار أو تظهر أو تعرف فلا كيف للروح ولا مكان ولا رحم لها بل هي درة يتيمة ولا عين لها تعرف ولا وصل لها شيء ولا قطع لها عن شيء ولا قطع لها عن شيء جل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء والله أعلم وأنشدوا

فالكل يطلب نعمي حيث ضل وما ... يحظى بنعمي سوى فرد بأفراد
مهلاً عليك وعد من حيث جئت وسل ... في الدارئين غدا عن ساكن الوادي
عساك تلقى خبيرا عالماً بهم ... ينبيك عنهم ولم يلمم بميعاد

قال بعض الحكماء تالله ما ظفر بسعدي إلا من تاه في أرض التقديس وتنزه عن الخسيس والنفيس فأصبح جسمه وروحه العصى ونفسه فرعون فكلامه صمت وصمته كلام ولسان حاله يخاطب جميع الأنام فلو عرضت عليه الشهادة في باب الحجرة والموت داخلها على حسن الختام لترك الشهادة واختار الموت على أكمل التمام عملاً على اليقين دون الشك والله خير وأبقى يا هذا ما أطيب عيش من دعي فأجاب ما أعز

قدر من لازم الباب ما أخس قدر من أبعد عن الجناب ما أبخس قيمة من له على الغفلات انكباب إذا غلب الطبع فلا تنفع الحيلة ومن سبق له القضاء لم تنفعه الوسيلة فسبحان من يعطي ويمنع ويضر وينفع جذبت العناية سلمان الفارسي من أرض فارس ونودي بلال من بلاد الحبشة وأبو طالب على باب التحقيق وقد حرم التوفيق وقع الحكم ونفذ الأمر وسبقت المشيئة وجف القلم لو أنفقت ما في الأرض جيمعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم اه وكما أن حكمه النافذ يهدم الاعتماد على الأحوال كذلك عدله القاهر يهدم الاعتماد على الأعمال كما أبان ذلك في المناجاة الرابعة عشرة حيث قال إلهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادي عليها عدلك بل أقاني منها فضلك قلت لا ينبغي للعبد أن ينظر إلى شيء من طاعته وأن عظمت ولا أن يستحسن شيئاً من أحواله وأن حسنت فالناقد بصير والرقيب على الضمائر خبير فكم من طاعة تعظم في عين صاحبها كأمثال الجبال لا تساوي عند الله جناح بعوضة وكم من أحوال تصفوا عند صاحبها وهي عند الله مدخولة وقد تقدم قوله لا كبيرة إذا قابلك فضله ولا صغيرة إذا واجهك عدله فمن قابله بفضله عادت كبائره صغائر ومن واجهة بعدله رجعت صغائره كبائر ولذلك قال هنا كم من طاعة بنيتها أي نميتها وكثرتها هدم اعتمادي عليها عدلك أي نظرى إلى عدلك فلما نظرت إلى عدلك تلاشت أعمالي واضمحلت أحوالي وكم من حالة شيدتها ورفعتها فلما نظرت إلى عدلك وشدة مناقشتك انهدمت وتلاشت بل أقالني منها بأن زالت نسبتها عني فضلك وهدايتك وتوفيقك فلم تبق لي طاعة ولا حال ورجع ذلك إلى الفاعل المختار الكبير المتعالي فالواجب على العبد أن ينسلخ من علمه وعمله وحاله ونفسه وروحه وحوله وقوته ويبقى فقيراً بين يدي سيده عبداً مملوكاً لا يقدر على شئ قال بعضهم والله ما غاص في بحر الفناء إلا من باع نفسه من الله أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة كيف يخوض في بحر الحقائق من لم يخلص علمه وعمله من الزيف وصيارفة الحق بالمحك المحمدي على الساحل يردون من لا يخلص يردون من لا يخلص وأين الإخلاص هذا لمن وصل إلى ساحل ذلك البحر فكيف بمن ينكره ولا يصدق به أو يسير إليه منحرفاً دون استقامة كما قيل

ليس من بات قريراً عينه	مثل من أصبح قفرادا رسا
ليس من أكرم بالوصل كمن	ظل يهذى بلعل وعسى
ليس من ألبس أثواب التقى	مثل الذي ألبس ثوباً دنسا
ليس من سير به مثل الذي	بات يرعى الحمى مبتئساً
ليس من شاهد صبحاً واضحاً	مثل الذي شاهد ليلاً غلسا

ليس من بوئ روضات الحمى مثل الذي أسكن قفراً يابساً

ليس من أشبه غصناً يانعاً مثل من أشبه عوداً يابساً

ثم أن عدم الاعتماد على العمل لا يقتضي ترك العمل بل يجب على العبد أن يداوم على العمل ولا يتكل عليه فإنه لم يقدر على مداومته بالفعل فبالمحبة والعزم كما بين ذلك في المناجاة الخامسة عشرة بقوله إلهي إنك تعلم وأن لم تدم الطاعة مني فعلاً جزماً فقد دامت محبة وعزماً قلت طاعة العبد لربه يجب أن تكون فعلاً ومحبة وعزماً في كل لحظة ووقت فإن لم يقدر على ذلك فليعزم على البر والتقوى وينو فعل الخيرات فنية المؤمن خير من عمله أ، يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم أي يعطيكم أفضل مما أخذ منكم من مال أو عمل وقال بعضهم الفعل الجزم وهو وجود العمل والمحبة والعزم هو التوجه للعمل وكم من متوجه لم يلحق وكم من مجد لم يسبق لكن في العزم ظهرت الحقائق وبه جاءت الشرائع وليس على العبد إلا القصد والجد والعزم وأما نفوذه فقد يقدر وقد لا يقدر والله غالب على أمره والمراد بالعزم القصد والنية هي توجه القلب للأمر المطلوب اه اعلم أن متابعة العلم اختيارية ومتابعة الحال اضطرارية فما دام العبد معه بقية اختيار وجب عليه اتباع العلم وهو مقام السلوك فإن غل الحال وجب اتباعه وهو مقام الجذب ومثل ذلك قضية الصديق حين أتى بماله كله فقال له الرسول عليه السلام ما تركت لأهلك فقال تركت لهم الله ورسوله لوم يلتفت لقوله صلى الله عليه وسلم في حال التشريع لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما غلب الحال على العلم صار الحكم للحال فياله من مقام ما أعز شانه وأرفع قدره عند المحققين فأنشدوا

وحاشاهم من قادح في طريقهم ومطلوبهم أسنى المطالب كلها

حباهم بتأييد وعز وعصمة فأكرم بأوصاف لهم ما أجلها

واعلم أن العازم على الخير والعازم على الوصول واصل وليس على العبد إلا الاجتهاد فإذا بذل مجهوده وأخلص مقصوده فهو والواصل سواء وكام شيخ شيخنا يقول من مات وهو في الطريق أدركته الولاية بعد الموت على التحقيق اه وقال تعالى والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وفي الحديث من مات في طريق الحج فهو حاج ومن مات في طريق الجهاد فهو مجاهد قال تعالى ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ومن مات في طريق الله فهو شهيد وفي الحديث من مات وهو يطلب العلم أي النافع ليس بينه وبين النبوة إلا درجة واحة ومن توجه لأمر و لم يدركه فكأنما أدركه ولا بد في مبادئ الأمور من الصبر والتحمل للمشاق وقمع النفس عن

الهوى والراحة ولذلك سمى الجهاد جهادا والقاصد يطلب الباب بعد ا، كان يطلب سواء السبيل فإذا وصل الباب أنتج له طلب الدخول فإذا دخل أنتج له الوصول فإذا وصل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأنشدوا

من فاته طلب الوصول ونيله | منه فقل له ما الذي هو يطلب
حسب المحب فناؤه عما سوى | محبوبه أن حاضر ومغيب

ثم أن عزم العبد على الطاعة ليس هو بيده حقيقة لكنه مأمور به شرعاً وهو الذي نبه عليه في المناجاة السادسة عشرة بقوله إلهي كيف أعزم وأنت القاهر أم كيف لا أعزم وأنت الآمر قلت محبة الطاعة والعزم عليها والعمل بها ليس هو من قدرة العبد وفعله في الحقيقة وهو مأمور به من جهة الشريعة لتقوم الحجة وتظهر الحجة قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين أن الله لا يظلم مثقال ذرة فمن نظر إلى الباطن وجد العبد مجبورا ومن نظر إلى الظاهر وجده غير معذور فالواجب على الإنسان وخصوصاً العارف أن ينظر بعين الحقيقة لبواطن الأمور فيعذر الخلق لأنهم مجبورون في قوالب المختار وينظر بعين الشريعة لظواهر الأمور فينفذ الحقوق ويقيم الحدود ستر السر الربوبية واظهاراً لوظائف العبودية لكن ذلك بلطف ولين قلبه يحن عليه وظاهره يغلظ عليه كالعبد يؤدب ابن سيده وهذا مضمن هذه المناجاة أي كيف أعزم على الطاعة وأعقد عليها وأنت القاهر لي فلا طاقة لي على فعلها وأنت تقهرني عنها وهذه هي الحقيقة وكيف لا أعزم عليها وأنت الآمر لي بها فإن لم أعزم عليها عذبتني وهذه هي الشريعة فالواجب ا، أزم وننظر ما تفعل فإن وفقتني للعمل فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة وأن لم توفقني فأنت أهل العفو والمعذرة وأنت الفاعل المختار فالأمر والعبيد عبيدك ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ولو شاء ربك لهدى الناس جميعاً قال الشطيبي رحمه الله أراد المؤلف أن يدل المريدين على مقام الجمع بين الحقيقة والشريعة لأن عزم العبد ملطوب منه شريعة ونتيجته مسلوبة منه في الحقيقة ولا يثبت بينهما إلا من ثبته الله فلهذا تعجب الشيخ رحمه الله من تضاد الطالبين لأنه خارج عن مقدور البشر لكن لما كان الإنسان نسخة الوجود واشرف كل موجود أودع فيه من أسرار حكمته ما يؤلف بين الضدين ويجمع بي الكفؤين قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فمن ظهر أثر البرزخية على جوارحه عمل أعمال الدنيا وأعمال الآخرة ومن ظهر أثر البرزخية على قلبه جمع بين آمال الآخرة ومشاهدة الحضرة وأشرق نورها عليه ومن ظهر أثر البرزخية على روحه جمع بين المشاهدة والمحبة ثم قال واعلم أن الأجسام تموت وتبعث وتنشر وكذلك النفوس والأرواح فأما موت الأجسام فهو عند الخروج من الدنيا وتبدل

القصور بالقبور وأما موت النفوس فهي عند الخروج من الخطوط وتبدلها بالحقوق وأما موت الأرواح فهو رجوعها لعالمها النوراني وصفحة الملأ الأعلى على الهاجس النفساني فإذا لم يبق للنفس نظر إلا لله ولا للروح تعلق إلا بالله وفنى من لم يكن وبقي من لم يزل أن نجمع الظاهر بالباطن والباطن بالظاهر وتعينت المشاهدة من كل وجهة وخوطب من سوى الحق بقوله تعالى كل شئ هالك إلا وجهه وحينئذ يهتف هاتف التجريد من مقام التفريد لمن الملك اليوم فلم يجبه من عوالم البشرية والصور الأثرية مجيب فيجيب نفسه بنفسه لله الواحد القهار اه المراد منه مختصراً وإنما أمر الله تعالى بالطاعة والعزم عليها لأنها سبب الوصول إليه حسبما جعلها الحق تعالى حكمة وشريعة كما بين ذلك في المناجاة السابعة عشرة بقوله إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك قلت التردد في الآثار هو التردد بين إثباته ونفيه وهي حالة المستشرفين فإذا أثبته مستقلاً كان في حالة العبد وإذا نفاه كان في حالة الجمع فطلب الجمع على الدوام بحيث لا يبقى له تردد في نفيه وهو مقام البقاء فإثبات الأثر بالنفس. وإثباته الله بالنفس على الدوام هو بعد على الدوام وهو مقام أهل الحجاب من العوام ونفيه على الدوام هو مقام أهل الجمع من أهل الفناء والجذب ونفيه ثم إثباته بالله هو مقام أهل البقاء قياماً بوظائف الحكمة والقدرة وجمعاً بين الحقيقة والشريعة وهذه المناجاة إنما تليق بأهل الاستشراف ولو أراد الشيخ رضي الله عنه أن ينبه على مناجاة السائرين والواصلين والمتمكنين لقال بعد هذه المناجاه. التي هي للسائرين إلهي تنزهي في الأنوار يوجب قرب المسار فاجمعني إليك وهذه مناجات الواصلين قبل الرسوخ والتمكين ثم يقول إلهي تنزهي في الأسرار يوجب وصل المسار فاجمعني إليك بنظرة تقيمني بين يديك وهذا غاية الجمع وهو تمكن النظرة ودوام شهود الحضرة ولا يذوق هذا إلا من سبقت له الخدمة وتداركته عناية الجذبة فأصبح من الفائزين ولمحبوبه من الواصلين وقد قيل إذا أبغض الله عبداً والعياذ بالله طرده عن بابه وشغله عنه بمكابدة رفع حجابه وليس به طاقة على ذلك ما لم يكن الله في عونه وهو معنى لا حول ولا قوة إلا بالله. لكن العنين ولا يدرك لذة الجماع والأعمى لا يدرك رحب الساحات والبقاع قيل أن بعض المجموعين على الله أراد التستر عن مقامه فكان لا يسئل عن شئ إلا قال هو فقيل به لعلك تعني الله فسقط ميتاً ويسمى عندهم جمع الجمع وهو خاص بخواص وقيل بالأنبياء عليهم السلام وقيل بالرسل وقيل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يمكن الوصول إلى هذا إلا برفع الهمة عن الكونين وخلع النعلين من الدارين قال بعضهم عرضت على الدنيا بزخرفها وزينتها فاعرضت عنها فعرضت على الجنان بقصورها وحورها وحللها فأعرضت عنها فقيل لي لو وقفت مع الدنيا لحجبناك عن الآخرة ولو التفت إلى الآخرة لحجبناك عنا فارض بنا عما سوانا وقسطك يأتيك من الدنيا والآخرة وقال آخر رأيت رجلاً وضع سجادة على الماء ومضت به فقلت في نفسي فاز الرجل وأنا لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فسمعت هاتفاً يقول من لم

يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا قال الشطيبي ثم أن التردد في الآثار والنظر إليه إنما هو لأهل الدليل المفتقرين للنظر إليه ليستدلوا به على صانعه وأما أهل الشهود فهم أغنياء عن الأثر لأن ظهور الحق عندهم أظهر من غيره بل لا وجود لغير أصلاً وإلى هذا أشار في المناجاة الثامنة عشرة بقوله إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك قلت قد تعجبت الشيخ رضي الله عنه ممن يستدل على الله بنوره بعد كمال ظهوره فكيف يفتقر النور بعد ظهوره إلى دليل يدل على وجوده وكيف يحتاج إلى دليل من هو أظهر من كل دليل أم كيف يفتقر إلى دليل من نصب الدليل ولله در القائل

عجبت لمن يبغى عليك شهادة وأنت الذي أشهدته كل شاهد

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشئ من سبق وجوده كل شئ اه قلت فيا عجبا كيف تكون الفروع أظهر من الأصول ولولا الأصول لم يكن للفروع حصول أم كيف تكون السواقي والأنهار الجارية من البحار أظهر من تلك البحار وما فاضت أنوار الملكوت إلا من بحار الجبروت لكن البصيرة العميا لا ترى الشمس في أفق السماء ومن أين ترى الشمس مقلة عمياء قال مريد لشيخه يا أستاذ أين الله فقال له أسحقك الله أتطلب مع العين أين وقال رجل للجنيد رضي الله عنه يا أبا القاسم هل رأيتم ربكم حين عبدتموه أم اعتقدتم الوصول إليه بقلوبكم فقال الجنيد رضي الله عنه أيها السائل ما كنا لنعبد رباً لا نراه وما كنا بالذي تراه أعيننا فنشبهه وما كنا بالذي نجهله فلا نتزهه فقال له الرجل فكيف رأيتموه فقال له الكيفية معلومة في حق البشر مجهولة في حق الرب لن تراه الأبصار في هذه الدار بمشاهدة العيان ولكن تعفه القلوب بحقائق الإيمان ثم تترقى من المعرفة إلى رؤية بمشاهدة نور الامتنان فهو سبحانه مرءي بالحقائق القدسية متره عن الصفات الحديثة مقدس بجماله منعوت بكماله متفضل على القلوب بمواهبه ونواله معروف بعدله منعوت بفضله اه فلما سمع الرجل مقالة الجنيد قام وقبل يده وتاب ولازمه حتى ظهر عليه الخير ولزم صبحته حتى مات رحمة الله عليهما واعلم أن أهل الدليل يستدلون بالصنعة على الصانع وبالشاهد على الغائب وأهل العيان صار الغيب عندهم شهادة والدليل عين المدلول فالقسم الأول أهل علم اليقين والثاني أهل عين اليقين أو حق اليقين القسم الأول عوام والثاني خواص أو خواص الخواص قال الشيخ أبو الحسن أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان قدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج إلى دليل

يدل عليه فهو معنى قول الشيخ هنا إلهي كيف يستدل عليك بما أوى بالكون الذي هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك على تقدير وجوده من الظهور ما ليس لك متى غبت عن البصائر والعيان حتى تحتاج إلي دليل يدل عليك وذلك الدليل لا قيام له إلا بك محال أن يظهر في الوجود غير نورك ومتي بعدت عن الأشياء التي قامت بك أي بقدرتك حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك لا مسافة بنيك وبين خلقك ولا قطعة تقطعهم عنك إلا وجود الوهم وقاهرية الحجاب أعاذنا الله منه بمنه وكرمه وكيف تجوز عليه الغيبة وهو الرقيب القريب كما أبان ذلك في المناجاة التاسعة عشرة بقوله إلهي عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً قلت الظاهر أن هذا أخبار بأن كل عين خلت من مراقبة الحق تعالى فهي عمياء وكل صفقة خلت من محبة الله فهي خاسرة ويكون العمى في حقها معنوياً فكأنها حيث لم تراقب الله تعالى و لم تستحي منه عمياء لأن الله سبحانه يقول أن الله كان عليكم رقيباً وقال تعالى وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً فمن لم يعتقد هذا فهو كافر ومن اعتقده و لم يستحي من الله فهو جاهل اعمى البصيرة وقد قالوا أن الحياء جله من البصر ألا ترى أن الأعمى قليل الحياء فدل أن البصر الذي لم يراقب الله تعالى و لم يستحي منه ليس ببصره وإنما هو عمى ويحتمل أن يريد بالعين عين البصيرة قال بعضهم إذا عصيت الله فاعصه بموضع لا يراك فمن لم يستحي من نظر الحق وبارز مولاه بأنواع المعاصي فقد عميت عين بصيرته وسئل بعضهم بم يستعين العبد على حفظ بصره فقال بعمله بأن رؤية الحق تسبق بصره اه وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان والصفقة هي ما يشتري جملة وكنى بها عن حظ العبد وقسمته الأزلية فمن كان حظه من الله المقت والبعد فصفقته خاسرة نسئل الله العافية كان بعض السادات يبكي فقيل له لم هذا البكاء فقال له ليس بكائي من ذنوبي وعصياني لأن ذلك من صفة نفسي وإنما بكائي على أن كانت أقساماً قسمت وحظوظاً أجريت وكان حظي منها البعد اه وفي بعض الكتب المترلة على بعض الأنبياء عليهم السلام يا عبدي انا لك محب فبحقي عليك كن لي محباً فمحبة الله لعبده تقريبه واجتباؤه لحضرته ومحبة العبد لله طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه والاستسلام لقهره فهذه أوائل المحبة وهي كسبية

ونهايتها كشف الحجاب وفتح الباب والدخول مع الأحباب وهذه وهبية نتيجة الكسبية وإلى هذا المعنى أشارت رابعة العدوية في شعرها حيث قالت

أحبك حبين حب الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاك

فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلى بذكرك عمن سواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك

فأشارت رضي الله عنها إلى أن محبة العبد لله على قسمين قسم ناشئ عن شهود الإحسان وقسم ناشئ عن شهود الجمال فأما الأول الذي هو ناشئ عن شهود الإحسان فلا شك أن العبد إذا نظر إلى إحسان الله تعالى وانعامه عليه بضروب النعم الحسية والمعنوية أحبه لا محالة لأن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وهذا هو المسمى بحب الهوى أي الميل وهو مكتسب لأن الإنسان مغمور باحسانات الله إليه وهو متمكن من النظر فيها فلا يزال يطالع نعمة بعد نعمة ومنة بعد منة وكل نعمة أعظم من التي قبلها فتعظم محبته لمولاه وبذلك يبلغ قصده ومناه وأما الثاني وهو الناشئ عن شهود الجمال فإن العبد إذا كشف الحجاب عن قلبه وزالت عنه لموانع والقواطع رأي جمال الحق وكماله وأشرقت أنوار الحضرة وسناها على قلبه والجمال محبوب بالطبع فانعقدت المحبة بينه وبين مولاه وإنما خصصت رابعة رضي الله عنها الحب الناشئ عن شهود الجمال بالأهلية دون الأول وأن كان أهلاً للجميع لأن هذا منة الله لا كسب للعبد فيه والآخر فيه سبب وعمل العبد معلول وقولها فشغلى بذكرك عمن سواك من باب التعبير بالمسبب عن السبب والأصل فثمرته شغلى بذكرك الخ وقولها أيضاً فكشفك للحجب حتى أراك من باب التعبير بالسبب عن المسبب عكس ما قبله والأصل فسببه ومنشؤه كشف الحجاب حتى رأيتك بعين قلبي وقولها فلا الحمد الخ إخبار منها بأن الحبين معاً منه وإليه في الحقيقة لا كسب لها في ذلك وادراك التفاوت بين ما تؤثره شربه المحبة الناشئة عن شهود الإحسان وما تؤثره شربه المحبة الناشئة عن شهود الجمال ونعوت الكمال وأن أثر الثانية أقوى من أثر الأولى بل لا نسبة بينهما ضروري عن كل ذائق اه قاله الفاسي في شرح الرائية فقول الشيخ رضي الله عنه لم تجعل له من حبك نصيباً يحتمل أن يكون من إضافة المصدر إلى الفاعل والمفعول والأول أبلغ لأن محبة الله لعبده أعظم لأنها أصل محبة العبد لمولاه قال تعالى يحبهم ويحبونه فمن أعطاه الله تعالى من حبه المذكور نصيباً فقد حاز ربح الدارين وفاز بقرة العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفقته وبان غبنه وخيبته نسئل الله منته ورحمته قال زيد بن أسلم رضي الله عنه أن الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول له اصنع ما شئت فقد غفرت لك اه من أبن عباد ولما كانت نهاية المحبة الفناء في المحبوب ونهاية الفناء البقاء وهو الرجوع إلى الأثر أشار إلى ذلك الشيخ فقال في المناجاة الموفية عشرين إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت عليك منها مصون السر عن النظر إليها مرفوع الهمة عن الاعتماد

عليها أنك على كل شيء قدير قلت الرجوع إلى الآثار هر الترول من عش الحضرة التي هي الأغراق في بحر الوحدة والغيبة عن السوي بالكلية إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فيترلون إلى سماء الحقوق أدباً مع الربوبية وقياماً بحقوق العبودية وإلي أرض الحظوظ أدباً مع الحكمة وإظهاراً لوظائف العبودية ومثال الأول وهو الترول إلى سماء الحقوق ما يلزم العبد من العبادات البدنية أو المالية مؤقتة أو غير موقتة ومثال الثاني وهو الترول إلى أرض الحظوظ ما تفتقر إليه البشرية من مأكل ومشرب وملبس ومنكح وغير ذلك من الأمور الحاجية وقد أمر الله تعالى بهما ليتمز سر الربوبية من سر العبودية أو ليظهر استغناء الربوبية بافتقار العبودية فطلب الشيخ رضي الله عنه أن يرده إليها بعد أن كان رحل عنها بهمته بكسوة الأنوار وهي أنوار الشهود فيكون رجوعه إلي الأثر بالله غائباً عن حظه وهواه وقد كان قبل ا، يرحل عنها يتعاطاها بنفسه بعد متعته وحظه فلما عرف الحق غاب عن نفسه فإذا رجع إلي رسم بشريته رجع إليه بالله قد كساه أنوار الشهود عن الالتفات إلى سواه وطلب أيضاً أن يكون رجوعه إلى الآثار متلبساً بهداية الاستبصار وهي تحقيق المعرفة في الأشياء التي يتعاطاها كانت عبادات أو عادات فلا يسرقه فيها طبع ولا حسن بل يدخل فيها بالله ومن الله وإلى الله ويخرج منها كذلك وهو معنى قوله حتى أرجع إليك منها أي حتى تكون تلك الأشياء هي التي تردني إليك حين نعرفك فيها ونشاهد عظمتك ونور جبروتك فيها إذ الوجود كله مستمد من بحر جبروتك فالعارف يشرب من كل شئ ويتقوت من كل شئ يأخذ النصيب من كل شئ ولا ينقص من نوره شئ فتحصل أن

كسوة الأنوار هي دخوله في العبادات وفي العادات بالله لا بنفسه وهداية الاستبصار هي معرفته في تلك الآثار التي نزل إليها ورجع لها وقوله كما دخلت إليك منها معناه أنه كان مع الأكوان وهي حاجبة له عن شهود المكون فلما عرف فيها كان دخوله على الله منها وهذا كما قال شيخ شيوخنا المجذوب رضي الله عنه

الخلق نوار وأنا رعيت فيهم   هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم

وإذا دخل في الأشياء بالله وشهد فيها أنوار الإله قطعاً كان مصون السر عن النظر إلهيا على أنها كونية مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها كانت عبادات أو أسباباً أو عادات لأن العارف غني بالله لا يفتقر إلى شئ سواه ولا يعتمد إلا على مولاه فإنه غني حميد سميع بصير على كل شئ قدير ثم إذا رجع العبد إلى الآثار فلا بد أن يظهر على ظاهره أثر الذل والافتقار وتحقيقاً لوظائف العبودية وقياماً بآداب الربوبية كما أبان ذلك في المناجاة الواحدة والعشرين بقوله إلهي هذا ذلي ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفي عليك منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك ولا بغيرك فاهدني بنورك إليك وأقمني بصدق العبودية بين

يديك قلت هذا اعتراف منه رضي الله عنه بغاية الذل والانكسار وإظهار لشدة الفاقة والاضطرار وانطراح على باب مولاه في إظهار ذله وبث شكواه فلا شك أن الله سبحانه قد كساه حلة العز والافتخار وبهاه بين خلقه بالظهور والاشتهار حتى صار كلامه تتحلى به القلوب والإسماع ويعظم به التأثير والانتفاع وذلك ثمرة من تذلل بين يدي العزيز الحكيم الغني الكريم ما قيل

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة فكم عزة قد نالها المرء بالذل

وقال آخر

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضي لك المحبوب صح لك الوصل

تذلل له تحظى برؤيا جماله ففي وجه من تهوى الفرائض والنفل

قال ذو النون المصري رضي الله عنه ما أعز الله عبدا بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه اه والحال الذي لا يخفي على مولاه هو حال الضعف والافتقار والذل والانكسار وإنما يكون ظهور ذلك الحال بتحقيق المعرفة والوصال ولذلك وصله بقوله منك أطلب الوصول إليك لا من غيرك ولا على يد غيرك ولا إلى غيرك بل أنت تتولى قبض أرواحنا إلى حضرتك بيدك وتحول بيننا وبين غيرك وهو معنى قوله وبك أستدل عليك لا بغيرك إذ لا وجود لغيرك معك على التحقيق وقد تقدم قول من قبل له بم عرفت ربك قال عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي وقال أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه لا دليل على الله سواه وإنما يطلب العلم لأدب الخدمة اه وكما لا دليل عليه غيره كذلك لا هادي إليه سواه كما قال فاهدني بنورك إليك أي اهدني بنور التوجه في حالة سيري إليك وبنور المواجهة بعد وصولي إليك وأقمني بصدق العبودية بين يديك حتى نتحقق بالوصول إليك فترجع إلى رسم العبودية في عين شهود أنوار الربوبية والله ذو الفضل العظيم هنالك تفيض العلوم اللدنية والأسرار الربانية كما إبان ذلك بقوله في المناجاة الثانية والعشرين إلهي علمني من علمك المخزون وصني بسر اسمك المصون قلت العلم المخزون هو العلم الموهوب الذي يفيض على القلوب من حضرة علام الغيوب لا ينال بحيلة ولا اكتساب ولا يؤخذ من دفتر ولا كتاب وإنما يعطي من حضرة الكمال مع حكمة صحبة الرجال أو بمحض الفضل والنوال وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله اهوهي أسرار الربوبية التي اخفاها الله عن خلقه و لم يطلع عليا الأخواص اوليائه فإذا نطقوا بها مع غير أهلها ردوا عليهم وربما آباحوا دماءهم ومنها الاطلاع على أسرار القدر وعجائب المغيبات ومنها

الاطلاع على مفاتح العلوم ومخازن الفهوم فيستخرجون بنتائج أفكارهم من درر الحكم ويواقيت العلم ما تكل عنه الألسن وتعجز عن حمله العقول قال أبو بكر الواسطى في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون هم الذين رسخت أرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحار العلوم بالفهم الطلب الزيادة فانكشف لهم من ذخائر خزائن الغيب تحت كل حرف من كتاب الله وآية من كلام الله عجائب الأدراكات الوهبية فنطقوا بالحكمة البالغة والألفاظ السابعة أولئك حزب الله اولئك حزب الله أولئك حزب الله وقال بعض التابعين أسرار الله تعالى لا يبديها إلا لأمناء اوليائه من غير سماع ولا دراسة وكان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول شاركنا الفقهاء فيما هم فيه و لم يشاركونا فيما نحن فيه وكان اكثر كلامه في العقل الأكبر والاسم الأعظم وشعبه الأربع ودوائر الأولياء ومقامات الموقنين والأملاك المقربين وعلوم الأسرار وأمداد الأذكار ويم المقادير وشأن التدبير وعلم البدء وعلم المشيئة وشان القبضة ورجال الغيب وعلوم الأفراد وأخبار القيامة وهذا كله من العلم المخزون وأما المصون الذي طلب طلب فهو صيانة من رؤية الأغيار أو الوقوف مع الأنوار دون معرفة الواحد القهار واسمه المصون هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وسره هو ظهور تصرفه فيما طلب به والله تعالى إلى أعلم ثم إذا تحقق الصون من الأغيار دخل القلب في حضرة الأسرار وهي حضرة المقربين من السالكين والمجذوبين كما أيان ذلك في المناجاة الثالثة والعشرين بقوله إلهي حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسالك أهل الجذب قلت الحقائق جمع حقيقة وهي إدراك معرفة الأشياء على ما هي عليه بالأصالة وحقائق أهل القرب هي علومهم ومعارفهم أذواقهم وكشوفاتهم وأهل القرب هم المقربون سواء كانوا من أهل المراقبة الكاملة أو المشاهدة أو المكالمة فالقرب ينفاوت بتفاوت السير والتصفية فيكون أولاً مراقبة ثم شهوداً ووصولاً ثم محو أو اضمحلالاً ثم بقاء وتترلاً وهذا يكون بالمجاهدة والمكابدة هو مقام أهل السلوك من المحبين ويكون جذباً وعناية وهو مقام أهل الجذب من المحبوبين وقد سكون أولاً مجاهدة وآخراً جذباً وعناية وهو أعظم قدراً وأعم نفعاً وأنفع تربية وهو الذي أراد الشيخ رضي الله عنه لأنه طلب أولاً التحقيق

بحقائق أهل القرب وهم أهل التقرب حتى أحبهم الله ثم طلب ثانياً سلوك أهل الجذب وهم المحبون الذين اجتباهم الله واختطف أرواحهم من شهود الأغيار إلى شهود الأنوار قال تعالى الله ثم طلب ثانياً سلوك أهل الجذب هم المحبون الذين اجتباهم الله واختطف أرواحهم من شهود الأغيار إلى شهود الأنوار قال تعالى الله يجتني إليه من يشاء وهم المحبون ويهدي إليه من ينيب وهم المحبون فأراد الشيخ أن يكون جامعاً بين سلوك وجذب وهو أعظم من غيره وقال بعضهم أهل القرب هم أهل الحضرة المستغرقون في الشهود لأن الله تعالى ليس في حقه قرب ولا بعد وإنما ذلك في حق العبد فمن رفع الحجاب عن عين قلبه وفاضت

عليه أنوار قربه رمته المراقبة للمشاهدة والمشاهدة للمكاشفة والمكاشفة للمعاينة والمعاينة للمسامرة والمحادثة والمكالمة وصار الحق أبداً جليسه وأنيسه فهذا هو التقريب للعبد بعد العبد وخرق جميع الحجب وهذا المقام هو الذي طلب الشيخ أبو الحسن بقوله واقرب مني بقدرتك قرباً تمحق به عني كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك الخ وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه أهل المحبة والشوق على قسمين قوم اشتاقت نفوسهم على الغيبة فلا سكون لهم إلا باللقاء وقوم اشتاقت أرواحهم على الحضور والمعاينة والشهود فلا سكون لهم إلا بالغوص في بحر الأسرار وتنزل المعاني على قلوبهم وقال أبو يزيد رضي الله عنه لله رجال لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار لكنهم على الأرائك ينظرون وقال سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأنهم معه أبداً والنبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب وسأل جماعة من المشايخ الجنيد رضي الله عنه عن المحبة فبكى وقال كيف أصف عبداً ذاهباً عن نفسه متصلاً بذكر ربه قائماً بأداء حقوقه ناظراً إليه بعين قلبه قد أحرق قلبه نار هيبته وصفى شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وان نطق فمن الله وأن تحرك فبأمر الله وأن سكن فمع الله وهو بالله ولله ومع الله أه فقالوا ما على هذا مزيد يا تاج العارفين وهذا الوصف صادق بأهل السلوك والجذب والله تعالى أعلم ولا شك أن من بلغ هذا المقام ورسخت المحبة والمعرفة فيقلبه على التمام لم يبق له مع محبوبه تدبير ولا اختيار ولا تشوق ولا انتظار كما أبان ذلك في المناجاة الرابعة والعشرين بقوله إلهي اغنني بتدبير وباختيارك عن اختياري وأوقفني على مراكز اضطراري قلت الاستغناء بتدبير الله عن تدبير النفس وباختيار الحق عن اختيار العبد إنما يكون بعد الغيبة عن النفس بشهود مدبر الأمور المتصرف فيها وهو الفاعل المختار الواحد القهار لأنه هو المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقتدار وأما قبل الغيبة عنها بمعرفة سيرها فلا يتخلص العبد من كدر التدبير وظلمة التكدير ولذلك طلب الشيخ أن يغيبه الله بمعرفته حتى تجتمع همومه وقصوده وارادته واختياراته في هم واحد وهو شهود محبوبه كما قال القائل

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذارتك العين اهوائي
فصار يحدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي

فقوله اغنى بتدبيرك أي بشهود تدبيرك وشهود تدبيره لا يكون إلا بعد معرفته كما تقدم وطلب أيضاً الوقوف على مراكز الاضطرار وهو التعزيز في مقام العبودية في الظاهر على الدوام لأن العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره باطناً وقد وتقدم هذا ومركز الشئ محل استقراره الذي يركز فيه

وهي هنا استعارة عن تحقق العبودية وهي أن يعرف قدره ولا يتعدى طوره فمن تخلص من ظلمة التدبير والاختيار ووقف على مراكز الاضطرار فقد تحرر من ذل نفسه وتظهر من شرك تخمينه وحدسه كما أبان ذلك في المناجاة الخامسة والعشرين بقوله إلهي أخرجني من ذل نفسي وهو ذلها لغير الله بالطمع والخرص الذين هما بذرة شجرة الذل وطهرني من شكى وشركى قبل حلول رمسى قلت لعل المراد بالشك هنا خطور خصم الفرق وهو الخصيم الظلماني أو تريد بالشك خواطر الرزق التي لا تثبت وقال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه الشك ضيق الصدر عند احساس النفس بأمر مكروه يصيبها فإذا ضاق صدره بسبب ذلك أظلم قلبه وأصابه من أجله الهم والحزن وطهارته منه إنما تكون بوجود ضده وهو اليقين فبه يتسع الصدر وينشرح ويزول عنه الحرج والضيق وبقدر احتظاء القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبفضله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح بالرضى واليقين وجعل الهم والحزن في السخط والشك اه والشرك تعلق القلب بالأسباب عند غفلته من مسبب الأسباب تعلق الصيد بالشرك ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب فيحلو له الهوى فيفزع إذ ذاك إلى الأسباب التي يتوصل بها إلى بغيته لا يرى غيرها فيشتبك من أجل ذلك في حبائل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في قلبه فتطمئن بذلك نفس وتسكن من الشره والطيش الذي أصابها وكلما قوى التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك أكثر فتمحي من قلبه الأسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فإذا تطهر العبد من الشرك والشك تولاه الله بالهداية والتسديد والمعونة والتأييد وفي أخبار داوود عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه يا داوود هل تدري متى أتولاهم إذا طهروا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك اه ويحتمل أن الشيخ إنما طلب طهارته من الشك والشرك عند نزول الدواهي الطوام لأنها مظنة الشكوك والأوهام فلا يشك في لطف الله عند نزول قدره ولا يتعلق بسبب ولا غيره فيكون إبراهيمياً حنيفياً إذا ألقى في نار الجلال وقال له الكون ألك حاجة فيقول له بلسان حاله أو مقاله أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى فإذا قال له سله يقول له عمله بحالي يغني عن سؤالي فلا جرم أن الله تعالى يقول لنار الجلال كوني على وليي بردا وسلاماً فتنقلب جمالاً محضاً فإذا تخلص العبد من الشك والشرك في ذلك الوقت كان موحداً حقيقاً وإبراهيمياً حنفياً فلا يعتمد إلا على الله ولا يستنصر إلا به كما قال الشيخ بك استنصر لا بغيرك فانصرني وعليك أتوكل أي أفوض أموري كلها إليك فلا تكلني أي تحوجنى إلى غيرك وإياك أسئل حوائجي كلها لا من غيرك فلا تخيبني مما رجوت لأنك كريم تستحي أن ترد من رفع يديه إليك صفرين خائبتين وفي فضلك أرغب فلا تحرمني من فضلك العظيم ولجنابك أي حكاك وحرمك أنتسب فلا تبعدني من حماك وجوارك بسوء أدبي معك وأنت عفو حليم وببابك أقف

وأتضرع والذم تلك الباب وأقرع فلا تطردني إذا ليس من شأن الكريم أن يطرد عن بابه العظيم أو يرد من أم بحر جوده العميم

ونحن كلاب الدار طبعاً ولم نزل	نحب مواليها ونحرس بابها
إذا طردت يوماً كلاب قبيله	فقوى كرام لا تهين كلابها

قال علي بن هند الفارسي رضي الله عنه اجتهد في أن لا تفارق باب سيدك بحال فاته ملجأ الكل فمن فارق تلك السدة لا يرى بعدها لقدميه قرار ولا مقاماً اه وإذا لزمت الباب أعطاك قبل الطلب ومنحك بلا سبب وإلى ذلك أشارة في المناجاة السادسة والعشرين بقوله إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني قلت رضا الله تعالى لا ينال بسبب ولا عمل ولا طلب وإنما هو منح إلهية ومواهب اختصاصية يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم فقد تنزه وتقدس رضا الله تعالى أن تكون له علة منه لأنه قديم فكيف تكون له علة من غيره وهو الغني الكريم ولذلك قال أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً عني فكلما تنزه رضاه وسخطه أن تكون لهما علة أو سبب كذلك تنزهت ذاته المقدسة عن إيصال المنافع منه أو من غيره فكما أن ذاته المقدسة قديمة كذلك أوصافه المطهرة قديمة أزلية قال أبو بكر الواسطي رضي الله عنه الرضى والسخط نعتان من نعوت الحق بجريان على الأبد بما جريا به في الأزل يظهران الوسمين على المقبولين والمطرودين فقد بانت شواهد المقبولين بضيائها عليهم كما بانت شواهد المطرودين بظلمها عليهم فأني تنفع من ذلك الألوان المصفرة والأكمال المقصرة والأقدام المنتفخة اه لكن جرت عادة الله تعالى وسنته أن من ظهرت عليه الطاعات والإحسان كان ذلك علامة الرضى والرضوان ومن ظهرت عليه المخالفة والعصيان كان ذلك علامة السخط والخسران وبهذا جاءت الشرائع والمرؤ يموت على ما عاش والنادر لا حكم له والله تعالى أعلم وقد قال بعض العلماء في قوله عليه السلام أن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يبقى بينه وبينهما إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وأن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيمعل بعمل أهل النار فيدخل النار أن الأول كثير بفضل الله والثاني نادر لا حكم له كسبقية رحمة الله غضبه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ومع هذا لم تزل الأكابر تخاف من السابقة أو الخاتمة إذ لا يدري ما سبق به القضاء والقدر كما إشار إليه الشيخ في المناجاة السابعة والعشرين بقوله إلهي أن القضاء والقدر قد غلبني فكم أعزم على الطاعه والقضاء يغلبني وكم أفر من المعاصي والقدر يقحمني فلا حيلة لي إلا رجاء حولك وقوتك وأن الهوى بوثائق أي بحبائل

الشهوة أسرني أي ربطني وحبسني عن النهوض إلى حضرتك والفوز بدخول جنتك فكن أنت الناصر لي دون واسطة من غيرك حتى تنصرني على من يصدني عنك من تعلق بجنابي أولاذ بسبي وهذا كما قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه وأغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخاً بينهم وبين أعدائك ثم سأل الغنى الأكبر فقال واعني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبي فإن العبد إذا تعمر قلبه بالله استغنى به حتى عن طلبه وربما دلهم الأدب على ترك الطلب وهذه هي السعادة العظمى والولاية الكبرى كما قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه فالسعيد حقاً من أغنيته عن السؤال منك وهذه نتيجة أنوار الولاية التي أشرقت في قلوب العارفين وهذا معنى قوله أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى ظهر الحق وزهق عنهم الباطل فعرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار من قلوب أحبائك فملأتها بانوار شهودك فأحبوك و لم يحبوا سواك لأنهم لم يشهدوه وأنت المؤنس لهم بحلاوة ذكرك وشهود نورك حيث أوحشتهم العوالم فلم يستأنسوا بشيء منها بل استوحشوا مها من حيث كونيتها واستأنسوا بصانعها والمتجلي فيها فأبدلهم الله الأنس به في الخلوات والمجالسة معه في الفلوات بحلاوة المشاهدة والمكالمة والمسارة والمناجاة وهذا النعيم المقيم والفوز العظيم قال ذو النون المصري رضي الله عنه بينما أنا أمشي في البادية إذ لقيتنى امرأة فقالت من أنت فقلت رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله غربة وكتب مطرف بن الشخير إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما وليكن أنسك بالله وانقطاعك إليه فإن لله عباداً استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم أشد استئناساً منهم مع الناس في كثرتهم وأوحش ما يكون الناس أنس ما يكونون وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون اه أنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم أي أنت الذي هديتهم طريق الوصول إلى حضرتك حتى أستبانت أي ظهرت لهم معالم

أي علامات التحقيق وهذا من الشيخ رضي الله عنه تعريض بالسؤال وهو أعظم من التصريح وكأنه يقول إليه كما أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك وكما أزلت الأغيار من قلوب أحبائك حتى أحبوك وكما أنستهم حيث أوحشتهم العوالم وهديتهم حتى استبانت لهم المعالم فأشرق أنوار المعارف في قلبي حتى أعرفك وأزل الأغيار من قلبي حتى أحبك وأنسنى بك حيث أوحشتني العوالم واهدني إلى طريق التحقيق حتى نتبين لي المعالم فأستغني بك عن كل شئ وأجدك عند كل شئ كما قال ماذا وجد من فقدك ولو ملك الدنيا بحذافيرها فهو أفقر الفقراء كما قال الشاعر

لكل شئ إذا فارقته عوض　　　وليس لله أن فارقت من عوض

قيل للشبلي أي الخسران أعظم قال من فاتته الجنة ودخل النار فلما مات رئ في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى الأعلى شئ واحد قلت ذات يوم لا خسارة أعظم من

خسران الجنة ودخول النار فقال لي وأي خسارة أعظم من خسران لقائي أي شهودى ومعرفتي وما الذي فقد من وجدك لقد ملك الوجود بأسره واستغنى غنى لا فقر بعده آخر دهره لقد خاب من رضى دونك بدلاً أي لقد خاب وخسر من أحب شيئاً دونك ورضيه بدلاً بك وأنشدوا

سهير العيون لغير وجهك باطل | وبكاؤهن لغير فقدك ضائع
أيظن أني فيك مشترك الهوى | هيهات قد جمع الهوى بك جامع
بصرى وسمعي طائعان وإنما | أنا مبصر بك في الحياة وسامع

ولقد خسر من بغي عنك متحولاً أي ولقد خسر من أوقفته ببابك ثم طلب باب غيرك وتحول إليه والتجأ إلى غير جنابك فلا أخسر منه ولا أبخس صفقة من تجارته ترك باب الكريم والتجأ إلى باب العبد اللئيم فقوله متحولاً مفعول لبغي بمعنى طلب وهو اسم مفعول بمعنى المصدر وعنك متعلق بالمصدر أي ولقد خسر من طلب تحولا عن جنابك العظيم وبابك الكريم كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان ولا تقطعه أبداً عن الإنسان أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الإمتنان بل امتنانك فائض على الأنام وهو واصل إليهم على الدوام عرفه العارفون وجحدوه الغافلون يا من أذاق أحبابه حلاوة مؤانسته وذلك حين استوحشوا من مؤانسة غيره فقاموا بين يديه متملقين قلت التملق هو التلطف في بث الشكوى والتودد بمسارة النجوى وفي الحديث إذا أحب الله عبداً قال للملائكة إذا دعا أخروا حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع صوته فالتملق بين يدي الحبيب ومسارة القريب هي من أعظم الرغائب وأفضل المطالب لا يعرفها إلا أهل الشوق والاشتقاق كما قال الشاعر

سفينة الحب في بحر الهوى وقفت | فامنن على بريح منك يجريها
لا يعرف الشوق إلا من يكابده | ولا الصبابة إلا من يعانيها
لا أوحش الله منكم من يحبكم | وأنس الله دارا أنتم فيها

يا من ألبس أولياءه العارفين ملابس هيبته حتى هابهم كل شيء وخاف مهم كل شيء و لم يخافوا من شيء وفي الحديث من خاف الله خاف كل شيء ومن لم يخف الله أخافه كل شيء وحيث ألبستهم لباس هيبته فقاموا بعزته مستعزين لما رفعوا همتهم عن الخلق أعزهم الله ولما رفعوا همتهم عن الدنيا أعزهم الخلق فإن الولى إذا أراد الله أن يرده إلى خلقه لينفع به عباده ألبسه حلتين حلة البهاء والجمال ليقبل الناس عليه بالمحبة والوصال فيغنيهم الله به وحلة الهيبة والجلال ليمتثل أمره إذا أمر إذا أمر ويجتنب نهية إذا نهى وهاتان الحلتان يكساهما عند الرسوخ والتمكين وإلى ذلك أشار بعض الشعراء والله أعلم بقوله

أن عرفان ذي الجلال لعز | وضياء وبهجه وسرور

وعلى العارفين أيضاً بهاء   وعليهم من المحبة نور

فهنيئاً لمن عرفك إلهي   هو والله دهره مسرور

فلما كانوا لله وبالله ومع الله أعزهم الله وأعزهم من أعزهم قيل في تفسير قوله تعالى تعز من تشاء قال بأن يكون لك بك معك بين يديك اه وسبب العز من الله هو ذكر الله كما قال أنت الذاكر من قبل الذاكرين أي أنت الذاكر لهم من قبل أن يذكروك فلولا ذكرك إياهم ما ذكروك قال أبو يزيد رضي الله عنه غلطت في بداية أمري في أربعة أشياء توهمت أني اذكره واعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ومعرفته سبقت معرفتي ومحبته أقدم من محبتي وطلبه لي اولاً حتى طلبته وأنت البادئ بالاحسان من قبل توجه العابدين فلما بدأتهم بالإحسان توجهوا إليك بالطاعة والإذعان وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين حل حكم الأزل أن يضاف إلى الأسباب والعلل وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين فقد وهبت لنا النعم وأمرتنا بالسخاء والكرم ووفقتنا لعطائها ووعدتنا بالنعيم الجزيل عليها فلله ما أعطى وله ما أخذ فإذا عرف العبد هذا لم تبق له وسيلة يتوسل بها الأفضل الله وكرمه وفي مناجاة الجنيد رضي الله عنه يا ذاكر الذاكرين بما به ذكروه يا بادئ العارفين بما فيه عرفوه يا موفق العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذي يشفع عندك إلا بإذنك من ذا الذي يشفع عندك إلا بأذنك من ذا يذكرك إلا بفضل واستعراض الرب من عبده ما وهبه له غاية في ترفيعه لقدرة وإبانته لشرفه ووعده مع ذلك جزيل جزيل الثواب نهاية في إكرامه له وتفضله عليه وقال بعضهم ملكك ثم اشترى منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبه ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العوض أضعافاً بين فيه أن نعمه وعطاياه بعيدتان أن تكونا مشوبتين بالعلل اه قال ابن عباد رضي الله عنه ولما بين أن طلب الحق سابق على طلب العبد طلب منه أن يطلبه ليتحقق منه الطلب فقال في المناجاة الثامنة والعشرين إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك أي أطلبني برحمتك الأزلية حتى أطلبك وأصل إليك فإن الطلب سابق الوصول وهذه طريقة السلوك ثم أشار إلى طريق الجذب والعناية فقال واجذبني بمنتك حتى أقبل عليك قلت ولو عكس لكان أحسن فيقول اطلبني برحمتك حتى أقبل عيك واجذبني بمنتك حتى أصل إليك فإن الجذب هو الاختطاف من شهود الأكوان إلى شهود المكون والغالب أن يكون بعد التوجه والطب والمجاهدة والتعب وقد يجذب أولاً ثم يرد إلى السلوك والأول أكمل ثم إذا حصل طلب الرب لعبده حتى وصل إليه لا ينقطع عنه خوفه ورجاؤه كما أبان ذلك في المناجاه التاسعة والعشرين بقوله إلهي إن رحائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك إن خوفي لا يزايلني وأن أطعتك قلت لما كانت السابقة مبهمة والخاتمة مجهولة كان العبد بين

خوف ورجاء ولو بلغ ما بلغ فإن القلوب بيد الله يقبلها كيف يشاء والنواصي بيد قدرته تقودها حيث شاءت قال الشاعر

حسبي الله توكلت عليه   من نواصي الخلق طرا في يديه
ليس للهارب في مهربه   أبداً ملجأ إلا إليه

فكيف لا يصح للعبد أن ينقطع خوفه أن أطاع أو يقل رجاؤه أن عصى وقد تقدم في أول الكتاب أن خوف العارفين ورجاءهم ناشئ عن شهود صفة الجلال والجمال وهما لا يتغيران فكذلك ما ينشأ عنهما ولذلك وصف الشيخ نفسه بهذه الحالة الشريفة وهي الاعتدال على الدوام ظهرت منه طاعة أو معصية وراجع ما تقدم وانظر عند قوله لا كبيرة إذا قابلك فضله الخ فإذا تحقق أن العبد لا مهرب له في حال عصيانه إلا وقوفه ببابه ولا سكون له في حال طاعته إلا إلى كرمه وإحسانه علم أن مدفوع إليه على كل حال وهذا معنى قوله قد دفعتني العوالم إليك فمهما ملت إلى شئ دفعتني عنه أو ركنت إليه حركته على حتى تدفعني إليك فما أرحمك بي مع عظيم جهلي وهذه علامة العناية من الله لعبده فمهما رآه وقف مع شئ أو ركن إلى شئ ولو كان طاعة شوشه عليه ورحله منه وقد تقدم أن من جملة العقوبة التي يعاقب بها المريد تركه وما يريد وقال شيخ شيخنا مولاى العربي رضي الله عنه إذا رأيتم الفقير يقوم الغواث والتشويش عليه من كل جهة فاعلموا أن الله تعالى يريد أن يسكنه عنده أو كلاماً هذا معناه والحاصل أن الحق تعالى غيور لا يحب قلب عبده أن يركن إلى غيره وهذا من كرمه تعالى وإحسانه إلى عباده ولذلك قال وقد اوقفني علمي بكرمك عليك قلت لما دفعته العوالم إليه لم يجد كريماً سواه فاوقفه كرمه على بابه ولا ذبحنا به والكريم لا تتخطاه الآمال قيل معني كرم الله إحسانه لعباده وقيل الذي لا يدع حاجتهم لغيره وقيل الذي يعطي قبل السؤال قال الجنيد الكريم الذي لا يحوج إلى السؤال وقال المحاسبي الذي لا يبالي من أعطي ولا كم أعطى وقيل أن من فهم كرم الله تعالى لم يجزع من سوء قضاء لأنه يرى المصيبة نعمة مستورة عن إدراك الخلق كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه ما أصابني الله بمصيبة إلا رأيت لله فيها ثلاث نعم الأولي حيث لم تكن في ديني الثانية حيث لم تكن أعظم مما وقعت الثالثة أن الخطايا تكفر بها فإنا أشكر الله عليها اه ولهذا قالوا ليس العجب ممن يلتذ بالنعيم إنما العجب ممن يلتذ بالعذاب الأليم وذلك لا يكون إلا بخرق عادة النفس حتى تلتذ بما يتألم به الناس كما قال القائل

أريدك لا أريدك للثواب   ولكني أريدك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها   سوى ملذ وذو جدي بالعذاب

وقال آخر

إذا كانت الأقدار من مالك الملك فسيان عندي ما يسر وما يبكي

والحاصل أن المحبة إذا قويت غيبت المحب عن الآلام وإلا فهي ناقصة ومنشؤ المحبة شهود الكرم كما تقدم ومن وقف بباب كرم مولاه لا نجيب أمله ومناه كما أبان ذلك في لمناجاة الموفية ثلاثين بقوله إليهي كيف أخيب وأنت أملى أي محل طمعي ورجائي والكريم لا يخيب آمال الطامعين وهو أكرم الأكرمين أم كيف أهان وعليك متكلي وقد قلت في كتابك العزيز ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي كافيه ومن كنت كافيه وناصره لا يهان أبدا حكى ا، بعض الأولياء ولدت له بنية في آخر عمره وماتت أمها وحضرته الوفاة فقال له رجل أوصني عليها أكفلها قال لا ولكن إذا أنامت فاحملها إلى حرم الله ودعها في الحجر وامض ودعها في كفاية الله فلما مات فعل الرجل ذلك وصار يرقبها على بعد فرأتها أم الخليفة هي تطوف فأمرت بحملها لها فتبنتها وربتها حتى بلغت وزوجتها لابن الوزير وأصدقتها عشرين ألف دينار فانظر حال من توكل على كفالة مولاه وآوى إلى حصن رعايته وحماه وأنشدوا

أيحسن في مأوكم ونزولكم أوجه يوماً للعباد رجائياً
يحق لمثلي أن يعود لمثلكم وأن أتركن جمع العباد ورائياً

وحكي أ، رجلاً كانت له امرأة حاملو وأراد سفراً فلما خرج لسفره قال اللهم إني استودعتك ما في بطن هذه المرأة ثم غاب غاب فلما قدم من سفره سأل عنها فقيل له إنها ماتت وهي حامل فلما كان الليل خرج إلى المقابر فرأى نوراً فتبعه فإذا هو في قبرها في قبرها فنبش عليها فإذا بالصبي يرضع في ثديها فهتف به هاتف يا هذا أنك قد استودعتنا الولد فوجدته أما أنك لو استودعتنا أمه لوجدتهما جميعاً اه من التنوير فما ألطفه سبحانه بمن استرعاه وما أحفظه لمن دخل حماه اللهم اجعلنا ممن تحصن بك فكفيته وممن استرعاك في تركته فرعيته يا أرحم الراحمين ولا شك أن من دخل تحت خفارة العزيز كان عزيزاً بالله ذليلاً له وإليه أشار في المناجاة الحادية الثلاثين بقوله إلهي كيف أستعز وفي الذلة أركزتني أي كيف استعز عليك وأنت في ذل العبودية أركزتني أي أقررتني وأقمتني أم كيف لا أستعز وإليك نسبتني أي أم كيف لا أستعز في قلبي وروحي وسري وإليك نسبتي لما أودعت في قلبي من سر الخصوصية ونور المعرفة وقوة الحرية فقلت يا عبدي ويا وليي ولا شك أن هذا النسبة توجب الافتخار على الوجود والتيه على كل موجود فذل العارف يرجع إلى ظاهره عبودية وعزه يرجع إلى باطنه حرية بما شهد من أنوار الربوبية وإليه أشار بعضهم بقوله

نحن أن كناية تهنا دلالا على سائر الحرائر والعبيد

وأن نحن رجعنا إلينا عطل ذلنا ذل اليهود

قال بعضهم رأيت ذل كل ذي ذل فزاد ذلي على ذلهم ونظرت في عز كل ذي عز فزاد عزي على عزهم اه وقال الشبلي رضي الله عنه لقد ذللت حتى عز في ذلتي كل ذي ذل وعززت حتى ما تعزز أحد إلا بي ومن به تعززت ثم أن الفقر أخو الذل ولذلك قرنه به في المناجاة الثانية والثلاثين فقال إلهي كيف لا أفتقر إليك وأنت الذي في الفقر أقمتني لأن أنفاسي بيدك فأنا فقير إليك في كل لحظة في إيجادي وامدادي قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله وهذا هو الفقر إلى نعمة الإيجاد ثم قال تعالى أن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وهذا هو الفقر إلى نعمة الأمداد أم كيف أفتقر إلى غيرك وانت الذي بجودك أغنيتني حيث كفيتني ما أهمني وتكلفت لي برزقي وما تقوم به بنيتي وأغنيتني بمعرفتك حتى لا أحتاج إلى غيرك وفي الحديث ليس الغنى بكثرة العرض إنما الغني غني النفس أي الروح وغناها إنما يكون بربها أنت الذي لا إله غيرك تعرفت لكل شيء بما أظهرت له من نور جلالك وجمالك فصار مسبحاً بحمدك وساجداً لك فما جهلك شئ فالكل عارف بك ومقر لك بالربوبية أما طوعاً ظاهراً وباطناً وأما باطناً فقط لتظهر حكمتك وأنت الذي تعرفت إلى في كل شئ من اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار فرأيتك ظاهراً في كل شئ بنورك الأزلي الذي أفنى وجود كل شئ فأنت الظاهر لكل شئ وأنت الباطل لكل شئ وفي الحديث اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ وقد تقدمت أقسام الظهور مستوفاة في اول الكتاب وعبر هنا بعبارة لم تتقدم فقال يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيباً في رحمانيته كما صارت العوالم غيباً في عرشه قلت أشار إلى تفسير قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقوله تعالى ثم استوى على العرش الرحمن فذكر أ، استواء الحق تعالى على العرش إنما هو برحمانيته فهو مغمور في رحمانيته الحق حتى صار غيباً في رحمانيته إذ لا نسبة له معها ورحمانية الحق تعالى وصف قائم بذاته والصفة لازمة للموصوف فإذا غاب العرش وانطوى وجوده في رحمانية الحق غابت العوالم أيضاً في رحمانيته لأنها غابت في وجود العرش فلما انطوى وجود العرش في عظمة الحق ورحمانيته انطوى وجود العوالم كلها لأنها في جوف العرش كحلقة في الأرض وهو محيط بها كما أحاطت الرحمانية بالعرش في عظمة الحق ورحمانيته انطوى وجود الحق العوالم كلها لأنه في جوف العرش كحلقة في الأرض وهو محيط بها كما أحاطت الرحمانية بالعرش فلا نسبة له معها ثم فسر ذلك فقال محقت الآثار بالآثار فالآثار الأولى هي العوالم والآثار الثانية هو العرش فقد

امتحقت الأكوان كلها في عظمة العرش حتى صار كالعدم ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار قلت المراد بالأغيار هو العرش وما احتوى عليه من الآثار أو تقول هو كل ما دخل عالم التكوين من العرش إلى الفرش أو ما فرض وجوده خارجاً عن العرش وأفلاك الأنوار هي أنوار الذات والصفات فإذا امتحقت الأغيار وهي الآثار بانوار عظمة الذات بقيت الأنوار وانفراد بالوجود الواحد القهار فأنوار الذات والصفات هي أنوار الذات وأنوار الذات هي أنوار الصفات والله تعالى أعلم يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار قلت السرادقات في اللغة هس الأسوار المحيطة بالدار وهي هنا كناية عن الحجب القهرية وهي حجب العزة التي احتجب الحق تعالى بها عن عباده مع شدة ظهوره ومرجعها إلى دوائر الحس والوهم والمغفلة والأكنة التي على القلوب وتنحصر في خمسة أمور الأول حب الدنيا الذي زرعه الحق تعالى بقهره في قلوب الناس حتى انصرفت إليها الهمم وتاهت فيها العقول وتظلمت بصور خيالها القلوب واشتبكت فيها الفكر فلا تنصرف إلى غيرها وبهذا احتجب جل العباد إلا من عصم الله الثاني ارتباط الأسباب مع مسبباتها والعوائد مع ما تعودت بها كتوقف أمر الرزق على حركة السبب والنبات على وجود الأمطار وغير ذلك من ارتباط الأسباب فظن الجهال أنها لا تنفك عن مسبباتها فحجبوا بها عن مسبب الأسباب والحكيم العليم برزق من غير أسباب ويعطي بلا حساب وبهذا احتجب كثير من الناس فوقفوا مع الأسباب وحجبوا عن شهود رب الأرباب إلا من نفذت بصيرته من ذوي اللباب الثالث الوقوف مع ظاهر الشريعة ترغيباً وترهيباً علماً وعملاً فقوم وقفوا مع الترغيب فانكبوا على العمل طلباً

للجزاء وهم العباد وقوم وقفوا مع الترهيب فغلب عليهم الخوف وهم الزهاد وقوم وقفوا مع ترغيب العلم فاشتغلوا بعلم الرسوم الحروف وتركوا علم اليقين والخشية والمعرفة وهم علماء الظاهر فحجبوا بالعلم عن المعلوم وهي معرفة الحي القيوم الرابع الوقوف مع حلاوة الطاعات ولذيذ المناجاة وهي سموم قاتلة لمن وقف معها وهي لأهل المراقبة بها احتجب كثير من العباد والزهاد وقد تظهر لهم خوارق وكرامات حسية فتزيدهم حجاباً عن الله الخامس ظهور أثر القدرة على هذه التجليات واتصافها بأوصاف العبودية كالفقر والذل والجهل والمرض والموت وغير ذلك من أوصاف البشرية التي سترت سر الخصوصية وبهذا احتجب بعض المستشرفين على الفناء في الذات فرجعوا من حيث جاؤا والله قاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير فهذه سرادقات العز التي احتجب الحق تعالى بها فإن العزيز هو الذي لا يترقى إليه وهم طمعاً في تقديره ولا يسموا إلى صمدانيته فهم قصدا إلى تصويره وقيل العزيز من ضلت العقول في بحار عظمته وحارت الألباب في إدراك نعمته وكلت الألسن عن استيفاء مدح حلاله وصف جماله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اه يا من تحن بكمال بهائه أي حسنه

وجمالهي فتحققت عظمته الأسرار أي أسرار أي أسرار العارفين فدام سرورهم وحبورهم إلى يوم الدين تتصل نضرتهم بنظرتهم إلى رب العالمين وأنشدوا

سروري بكم أضحى يجل عن الوصف ... وقربى منكم بالمودة والعطف

وأنتم معي حيث استقل بي الهوى ... فلى بكم شغل عن الداني والإلف

سويداء قلبي أصبحت حرماً لكم ... تطوف بها الأسرار من عالم اللطف

رسائل ما بين المحبين أصبحت ... تجل عن التعريف والرسم والعرف

رسائل جاءتنا برياً جنابكم ... عوارف فاق كل شذا عرف

كيف تخفى عن بصائر العارفين وأنت الظاهر وحدك لا ظاهر معك قال تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن فالحق هو الظاهر لكن لا تدركه أبصار المخلوقين ولا يرى الحادث القديم ولا يرى الحق إلا الحق فإذا فنى الخلق الحادث وبقي القديم رأى القديم وعرف الحق الحق فما دمت لم يغط الحق تعالى وصفك بوصفه ونعتك بنعته لا تطمع في شهوده ومعرفته مع شدة ظهور نوره أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر الذي لا يخفى عليه ولا يغيب عنه شئ وهو المحيط بكل شئ والله الموفق إلى سواء الطريق والموصل إلى عين التحقيق وبه أستعين فإنه القوى المعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً دائماً إلى يوم الدين نجز ما قصدنا جمعه بحول الله وقوته فإن وافق الحقي والصواب فالمنة لله العلي الكبير وإلا فالعبد محل لخطأ والتقصير ولا سيما مع الباع القاصر والعلم القصير وأقول كما قال الشيخ خليل واعتذر لذوى الألباب من التقصير الواقع في هذا الكتاب وأسئل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن ينظر بعين الرضى والصواب فما كان من نقص كملوه وما كان من خطأ أصلحوه فقلما يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات وكما قال ابن مالك في التسهيل أعاذنا الله من حاسد يسد باب الأنصاف ويصد عن جميل الأوصاف وألهمنا شكراً يقتضي توالي الآلاء ويقضي بالقضاء اللاؤاء أي الشدة وكما قال في حرز الأماني فيا عاطر الأنفاس أحسن تاعلاً وأنا أسأل الله تعالى أن ينفع به من كتبه أو طالعه أو حصل شيئاً مه أو سمعه أو عمل بما فيه وأن يكسوه جلباب القبول ويبلغ محصله كل مطلوب ومأول بجاه خبر الأنام مولانا محمد الشفيع المقبول صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعترته وأحزانه أهل المحبة الوصول وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وافق الفراغ من تبيضه عشية يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى سنة إحدى وعشرة ومائتين وألف وابتداء جمعه في شهر المحرم الحرام من ذلك العام وآخر

دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبين وأمام المرسلين والحمد لله رب العاليمن اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم وكان تمام طبعه وإيناع ثمرة طلعه في شهر رمضان المعظم سنة ألف وثلثمائة وإحدى وثلاثين

من هجرة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأحزابه ما لاح بدر التمام وفاح مسك الختام

To PDF: www.al-mostafa.com